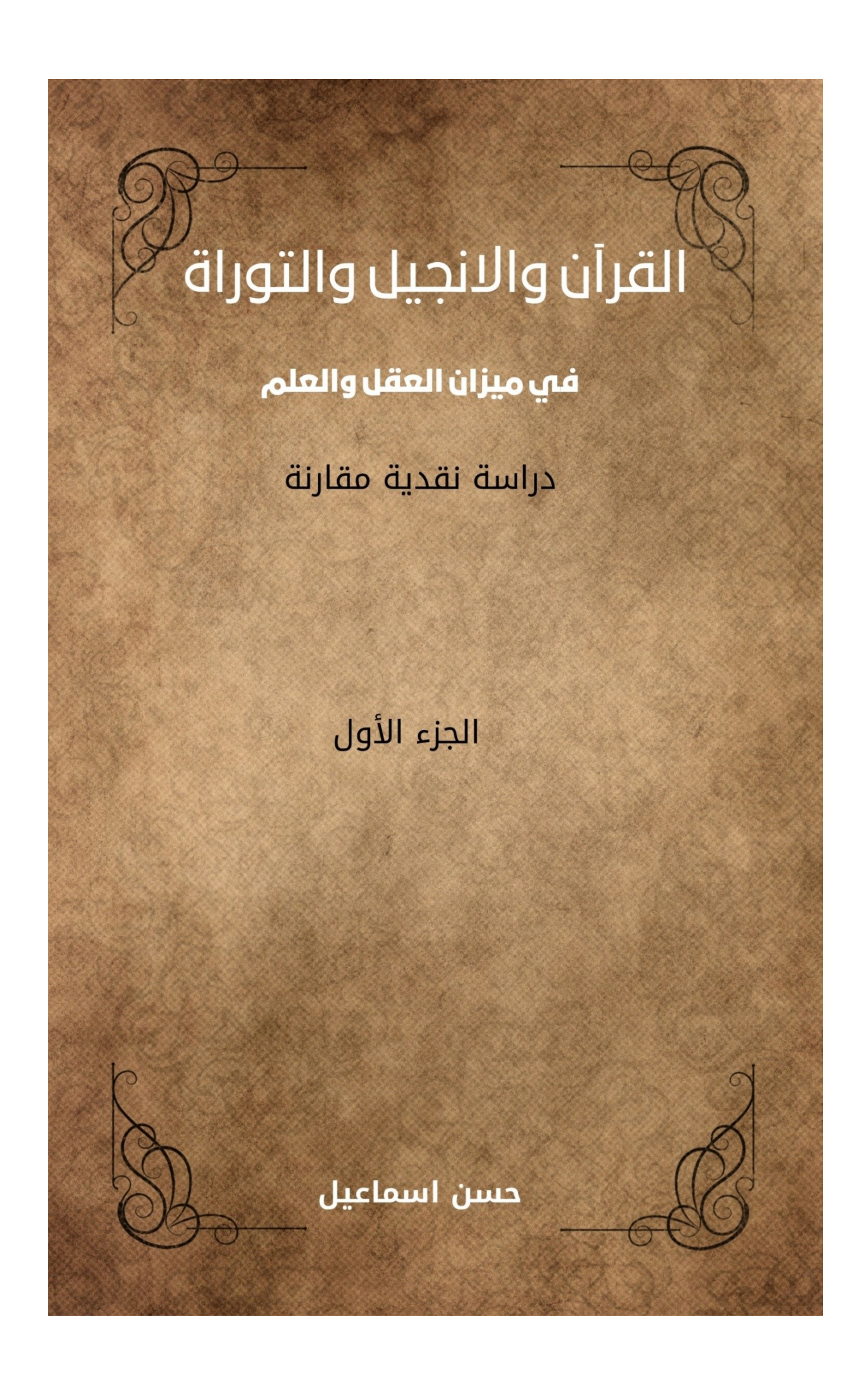

القرآن والانجيل والتوراة
في ميزان العقل والعلم
دراسة نقدية مقارنة
الجزء الأول
حسن اسماعيل

القرآن الكريم والإنجيل والتوراة

في ميزان العقل والعلم

دراسة نقدية مقارنة

القرآن الكريم والإنجيل والتوراة

في ميزان العقل والعلم

دراسة تحليلية مقارنة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة ومدخل

1

كل الذي أنزله الله على أنبياءه ورسله كان في الكتاب المحفوظ وهو (أم الكتاب) منذ أن خلق الله الخلق وقدر لأدم أن يكون خليفته في الأرض فجاء بضعا منه في الصحف و الزبور وبضعا في التوراة وقسما أخر في الانجيل ثم جعله الله تاما كاملا في قرآنا كريما مهيمنا ومفصلا تفصيلا للناس كافة وبها أكمل الله دينه للبشر وأتم نعمته عليهم كيلا يكون لهم حجة على الله بعد الرسل والرسالة .

و دين الله واحد – كما هو كتابه – واحد فليس هناك كتبا سماويا بل كتاب وليس هناك أديانا متعددة بل دين واحد هو الاسلام وهو الذي جاءت به الرسل قاطبة ومصدره هو الله وقد فصله وبينه في كتاب وحيد سماه (كتاب الله) لذلك فأول خطأً والتباس وقع فيه الناس أنهم فرقوا دين الله الواحد وجعلوا منه أديانا ولقد توالد عن هذه الاديان مذاهبا وطوائفا وفرقا وطرقا وظنوا ان الكتاب السماوي ثلاثة أو أربعة توراة و أناجيل وأسفار وصحف وهو في الحقيقة كتاب احد .

أدلتنا على هذه النتيجة كثيرة وجميعها من القرآن الكريم باعتباره – ام الكتاب وأساسه وأصله ومنها :

ان قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [آل عمران : 23]

يشير الى اليهود والنصارى (آهل الكتاب) فهم الذين أوتوا (نصيبا) قسما أو جزءا من الكتاب الأصل وهو ما خصه الله لهم أو بهم وهو التوراة الذي خصه الله للذين هادوا ثم من بعده الانجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام ليهدي به بني اسرائيل فحينما دعاهم الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام الى كتاب الله (القرآن الذي هو الأصل) ليحكم بينهم لكن فريق منهم أعرض عن ذلك , فكيف يؤمنون بالتوراة والتي هي نصيبا من الكتاب ولا يؤمنون بالكتاب كله كتاب الله وهو القرآن الكريم ونرى ذلك أيضا وبشكل واضح في قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ١٠١) .

فهذا النص القرآني الكريم يوضح لنا مجاء لنا في النص الأول فيتحدث عن (كتاب مصدق) لما معهم

وان كلمة مصدق وفق معناها اللغوي تعني :

مُصدّق : (اسم)

مُصدّق : فاعل من صَدَّقَ

مُصَدَّق: (اسم)

مفعول مِن صَدَّقَ

رَسُولٌ مُصَدَّقٌ : مَوْثُوقٌ بِصِدْقِهِ

قَانُونٌ مُصَدَّقٌ عَلَيْهِ : مُوَافَقٌ عَلَيْهِ بِالتَّصْدِيقِ

نُسْخَةٌ مُصَدَّقَةٌ : مُصَادَقٌ عَلَيْهَا لِمُوافَقَتِهَا لِلأَصْلِ .

فكتاب الله هو الأصل (النسخة الأصلية الأساسية) التي تكون مرجعا للمطابقة عليها فالتوراة والانجيل نسختين فيهما بعضا مما جاء في كتاب الله (القرآن) ومع مرور الوقت جرى تحريفهما وتزويرهما فبأي شئ نعلم المزور من الحقيقي فيهما ليس لنا سوى مطابقه نصوصهم التي بين ايدينا مع القرآن الكريم بأعتباره النسخة الأصلية الآساسية فالنصوص التوراتية والانجيلية التي تتطابق مع مثيلاتها في كتاب الله فهي صحيحة والعكس بالعكس .

وكذلك فكتاب الله ليس فقط مصدقا للتوراة والأنجيل وما أنزل الله من قبلها بل ومهيمنا عليها جميعا أيضا

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة : 48]

وقيل ان الهيمنة بمعنى: السيطرة والحكم أي أنه حاكم على ما سبقه من الكتب، مسيطر عليها، ناسخ لها، وهذا المعنى أصح لأن القرآن مهيمن على كل الكتب السابقة.

إذن ﴿ مُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ : أنه مسيطر وحاكم وناسخ لما سبق والتفسير لابن عثيمين .

فالمفارقة الغريبة العجيبة التي ينبهنا اليها القرآن الكريم هي : ان رسول الله عليه الصلاة والسلام جاءهم بما يصدق ما عندهم من كتاب الله وبالرغم من ذلك لم يؤمنوا بالقرآن الكريم الذي هو أم الكتاب و الأساس والأصل وهذا أمر يدعو للدهشة والغرابة .

وسوف نورد الكثير من الادلة في بحثنا هذا حول هذه المسألة .

2

هذا بحث مقارن هدفه المقارنة بين القرآن الكريم والتوراة من ناحية وبين القرآن الكريم والانجيل من ناحية ثانية وبين التوراة والانجيل من ناحية ثالثة للوصول الى النصوص المشتركة في الكتب الثلاث لأثبات أن أصلها واحد ومن ثم اظهار النص القاطع والأصلي كما جاء في كتاب الله والذي لم يتعرض لتحريف أو تبديل أو زيادة ونقصان .

وعليه فأن أصدق النصوص السماوية المتوفرة بين أيدينا اليوم هي التي ضمها القرآن الكريم بين دفتيه وذلك لسبب ان القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي وصل الينا دون تحريف أو زيادة أو نقص وذلك باعتراف كل المؤرخين والباحثين في الكتب السماوية وأكثر هؤلاء هم من مفكري الغرب وعلماءه .

بالنسبة لنا تكفينا مثل هذه المقارنة للوصول الى النصوص السليمة والحقيقية لأننا نعتقد بل ونجزم بأن هذا النصوص موجودة في القرآن الكريم أما بالنسبة للغير والذي لايعتقد ويؤمن بالقرآن الكريم كتابا سماويا ولا يؤمن بنبوة محمد عليه السلام فوضعنا ميزانيين آخرين للمطابقة والمقارنة بين النصوص القرآنية والتوراتية والانجيلية وهما ميزان العقل وميزان العلم الذي لا يختلف عليهما أحد في عصر المعرفة والعلوم والمعلوماتية ولا يشك في نزاهتهما وموضوعيتهما وذلك لتحقيق نفس الهدف وهو كشف التحريف و التزوير و النقص و الاضافة التي وضعها وصنعها البشر والتي طالت كتاب الله كيلا لا يكون بعدها أي حجة علينا ولا يقال أننا اعتمدنا على كتابنا وقرآننا كميزان وحيد نزن به كتبهم التي بين أيديهم اليوم .

فالعقل هنا يلعب دورا كبيرا في كشف الحقيقة من خلال قيامه بعمليات البحث وتجميع المعلومات وتحليلها وتركيبها بأدوات منطقية ثم يضع النتائج العقلية التي توصل اليها ونتائجه كما قلت تكون عقلية منطقية وهذا يعني أنها غير قابلة للاعتراض والجدال والنقاش اللهم الا من أولئك الذين تشكلت على عقولهم طبقة من الوهم نتيجة عنتهم وتعصبهم لذلك فأنهم لا يرون الحق والحقيقة الا من نافذة ضيقة ومصدر واحد .

وللعلم هنا دور ريادي ورئيسي في كشف مصداقية النص الالهي وصحته واعجازه وذلك بسبب استحالة وجود تناقض بين القانون العلمي والنص الالهي باعتبار مصدرهما واحد هو الله سبحانه وتعالى .

واي نص ديني تدحضه الحقائق العلمية هو قطعا ليس من عند الله وليس ومن وضعه وقوله وكلامه بل هو بشري قطعا لا محالة لذلك وجدنا في عصرنا الحالي محاولات عدة من العقل الديني الكتابي اليوم للتهرب من هذه النتيجة بلي ذراع النصوص الدينية وثنيها لتوافق المعطيات العلمية المكتشفة بغية التهرب من التناقض والتعارض الواضح بينهما وسنرى كثيرة من الأمثلة على ذلك .

3

ان دين الله وكتابه والمؤمنين بهما يواجهون اليوم فلسفة مادية الحادية لا مثيل لها والمؤمنون بالله _ على الأقل ظاهريا واسميا _ لم يستطيعوا أن يقدموا مجتمعين رؤية مشتركة واضحة مقنعة صحيحة عن وحدانية الله الخالق ودينه وكتابه ليردوا بها على أنصار الفلسفة المادية الالحادية وكل فريق بما لديه فرحين فاليهود لا يؤمنون حتى يومنا هذا بكتاب جاء بعد التوراة ولا يؤمنون بنبوة عيسى ومحمد عليهما السلام والنصارى لا يؤمنون بنبوءة محمد عليه الصلاة والسلام ولا برسالته ولا بالقرآن الكريم وهم على هذه الحال منذ الاف السنين وقد ذكر القرآن الكريم اختلافاتهم هذه منذ نزوله .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (البقرة : 113)

والسبب في ذلك يبينه قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة : 68) .

اذن سبب محنة الدين اليوم هو الطغيان و النكران والجحود والنفي والابعاد والتناحر والتنافس بين المؤمنون أو مدعي الايمان هذه الأمور لا زالت قائمة الى يومنا هذا و لم تتبدل وتتغير فيها قواعد النكران والنفي والجحود والتناحر بالرغم اننا نعيش في عصر انفتاح تام على المعرفة والمعلومات والمعطيات العلمية .

هذه الأسباب نفسها كانت أيضا وراء الانقسامات الطائفية والمذهبية والفرقية التي حصلت في كل دين من الاديان الثلاث حيث نجد اثنان وسبعين فرقة ومذهب وطريقة وطائفة في كل منها والغريب في الأمر ان كل طائفة ومذهب وفرقة تدعي بأنها التي على حق وما سواها باطل في باطل .

اذن فميزان العلم والعقل كفيل بكشف الزيغ والبطلان و بيان الحقيقة والوهم والصحيح والمزيف والتام والمنقوص .

ومن المؤكد أن لا يعطي الكثير من الذين يتحكمون - بالدين وبالمؤمنين و بطوائفهم ومذاهبهم وفرقهم- للعلم والعقل أي أهمية ولا عجب في ذلك ولا غرابة فهؤلاء جل اهتمامهم هو بهياكلهم الدينية الطقوسية أكثر من اهتمامهم بدين الله وكتابه (كتبه) .

4

هناك محاولات تجسدت في مؤتمرات ودعوات أكاديمية تدعو (للحوار بين الأديان) في محاولة يائسة في اعتقادنا لتوحيد الجبهة الدينية في مواجهة الخطر الالحادي المادي والى هذه اللحظة لم تسفر هذه المحاولات الا عن بيانات لا تسمن ولا تغنى عن جوع .

ولقد طرحت مجموعة من المفكرين الدينيين العلمانيين وأغلبيتهم من المسلمين وأمثالهم من اليهود والنصارى طرحت مبادرة جديدة لتوحيد الأيمان ودمج الأديان السماوية الثلاث تحت اسم (الدين الابراهيمي) والدوافع وراء هذا الطرح هي سياسية بالدرجة الأولى لتسيير مع مشروع الحكام العرب القاضي للتطبيع مع اسرائيل وانهاء الصراع معها .

ويحاول هذا المشروع مدعوما بحملة اعلامية ومباركة صهيونية عالمية التخلص من الاسلام وتحويله الى دين ابراهيمي كالديانة اليهودية وهكذا فيصبح الدين السماوي واحد بدلا من أديان ثلاثة متناحرة في اعتقادهم.

حلم هذا المشروع في التحقق كحلم ابليس في الجنة وذلك لعدة أسباب أهمها :

انه سياسي بامتياز بقيادة الماسونية العالمية ومن ضمنها الماسونية العربية .

انه ينافي أركان العقيدة الدينية الاسلامية بشكل سافر ومغرض فالدين عند الله الاسلام والقرآن الكريم لم يذكر دين أسمه الدين الابراهيمي حتى انه لم يذكر دين اسمه الدين اليهودي أو الدين المسيحي .وذلك لسبب معلوم جاء ذكره بالقرآن الكريم وهو ان ابراهيم عليه السلام لم يكن يهوديا أو نصرانيا بل كان حنيفا مسلما .

لقد سبقت هذه الدعوى لتأسيس دين سماوي واحد دعوة ربانية منذ اربع عشر قرنا حيث طلب الله من المؤمنين به جميعا أن يلتقوا على كلمة سواء واحدة أن لا يعبدوا الا الله ولا يشركوا به شيئا

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : 64]

وهذه الدعوة الالهية لم تسقط بالتقادم مع مرور الزمن فهي قائمة الى يومنا هذا وحتى يرث الله الأرض وما عليها وهي تصلح أن تكون أساسا لأي جهد يوحد بين (الاديان الثلاث) وهي فوق ذلك طلب الهي للمؤمنين بالله جميعا واقعي وليس تعجيزي اذا صفت النوايا وصدق الايمان .

فلماذا لا يستجاب لنداء الله الذي هو رب المؤمنين به جميعا ؟

أكثرنا يعرف الأجوبة الكثيرة على تساؤلنا الاستراتيجي هذا ولا مجال هنا للخوض فيها .

5

فالقضية اذن ليست قضية خلافات عقائدية ايمانية بل قضية تاريخية سياسية فأنبياء الله المعنيين هنا وهم محمد وعيسى وموسى عليهم السلام لم يأت كل واحد منهم بدين يناقض دين الاخر أو بكتاب سماوي يناقض كتاب سماوي أخر ولم تكن دعواتهم متناقضة ومتضادة ومتنافسة لكي تثير كل هذا العداء التاريخي بين الاتباع

انما هي قضية نفعية شخصية لها عدة وجوه سياسي واقتصادي واجتماعي وسنثبت في كتابنا هذا ان شاء الله هذه النتيجة وسندعمها بكثير من الحجج والبراهين .

فلو عدنا الى الصراع الطقوسي بين اليهودية والنصرانية سنجد أن أبطاله هم الأحبار والكهنة ورجال الدين فهم الذين أنكروا نبوة عيسى عليه السلام بالرغم من كل المعجزات التي أحدثها بين يديهم وبالرغم انه قال صراحة انه بعث لهم لبني اسرائيل وليس لغيرهم ويفصل القرآن الكريم أوجه هذا الصراع والخلاف فيما بينهم

والانشقاق الذي حصل بين اليهودية والنصرانية كان بأيد أحبار وكهنة وقساوسة ورجال دين أيضا وهم الذين أستحدثوا دينا جديدا لهم سموه (بالدين المسيحي) وكل هذا حدث قبل نزول الوحي على رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام بعدة قرون .

فهم مسؤولين أمام الله والتاريخ والشعوب الى يوم القيامة عن هذا الانقسام وعن هذه العداوة والبغضاء وعن هذا التحريف والتدليس والتزوير في دين الله وفي كتبه .

لذلك فلا تهمهم ماوصلت عقيدتهم الدينية الى ماوصلت اليه من ضعف وتقهقر وانهزام أمام المعطيات العلمية الحديثة وهجوم الفلسفة المادية الالحادية فالذي يهمهم كما ذكرنا هو سمعتهم ودرجتهم وقداستهم ونفوذهم وبرامجهم السياسية الصهيونية والصليبية والماسونية .

6

ان هذه الدراسة موسعة جدا وفيها محاور ومواضيع متشعبة وعديدة لذلك عمدنا الى توظيبها في ثلاث أجزاء فخصنا الأول لدراسة التوراة والثاني للانجيل والثالث للقرآن الكريم وهذا يساعد القراء الاعزاء في تتبع محاور الدراسة بسهولة ويسر .

ان كتابنا هذا موجه الى أطراف عدة :

أول هذه الأطراف هو نحن المسلمون الذين (نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله)

بهدف تقوية و تثبيت ايماننا بالقرآن الكريم كتاب الله الذي لم يمسه تحريف أو تبديل أو زيادة ونقص ولم يستطع عقل بشري أن يطعن في صحته ومصداقيته او يجد فيه اختلافا أو تناقضا أو نقصا .

وثاني هذه الأطراف التي خاطبناها هم (أهل الكتاب) ولنقل المؤمنين منهم وان كانوا قلة في زماننا هذا فهؤلاء حريا بهم أن يعرفوا أين هو كلام الله كما أنزل لا كما قيل عنه وكتبوا بأيدهم وقالوا للناس هذا من عند الله

وثالث هذه الأطراف التي خاطبناها هم حشود الملحدين والمنكرين واللا أدريين وغيرهم ممن سيطرت الفلسفة المادية على عقولهم وحولتهم الى مخلوقات لا روح ولا ايمان ولا اخلاق ولا حياة فيها لعل بعضهم يرجع الى الصواب والى الحقيقة حقيقة كوننا مخلوقات لم تخلق عبثا ولعبا وصدفة بل مخلوقات مكرمة عند الله لها أهداف كثيرة في هذه الحياة لتحققها وليس فقط اشباع الغرائز والأهواء وتحقيق متطلباتها .

نرجو من الله العلي القدير أن يوفقنا لانجاز المهام الثقيلة التي ألقيناها على كاهلنا في بحثنا هذا وأن ينال ثقة قراءنا الأعزاء وفهمهم ويحقق الفائدة المرجوة .

وان أخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

حسن اسماعيل

القرآن والانجيل والتوراة

كتاب سماوي واحد وشرائع متعددة

كتاب واحد

ذكرنا في مدخل ومقدمة بحثنا هذا ان كتاب الله الذي أنزل للناس واحد وخص المولى القدير كل رسول بنصيب منه ليبلغه وباعتبار ان الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام هو خاتم الرسل والأنبياء فشاء المولى عز وجل أن ينزل عليه الكتاب مكتملا وبذلك أكمل الله الدين وأتم نعمه على الناس وجعل الاسلام دينا للبشرية قاطبة .

لكن لماذا نحن مصرون على هذه النتيجة بالرغم من وجود ثلاث نصوص قرآنية تفيد بتعدد الكتب المنزلة وجاء فيها الكتاب بصيغة الجمع (كتب) أيضا وهذه النصوص هي :

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة : 285]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء : 136]

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم : 12]

ان ورود كلمة الكتاب بصيغة الجمع (كتب) في الايات القرآنية المذكورة لا يدل دلالة قطعية من ان الكتب السماوية ثلاث بل هي دلالة ظنية فآيات القرآن العظيم تنقسم من حيث الدلالة إلى قسمين : قسم قطعي الدلالة ، وظني الدلالة. أما قطعي الدلالة : فهو ما لا تحتمل دلالة ألفاظه على أكثر من تفسير، أو هو ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا، وهو ما يطلق عليه الأصوليون : النص، ولا يوجد نزاع بين العلماء في معناه ودلالته، مثل جلد الزاني البكر مائة جلدة، ونصاب زكاة المال، ومقدار ما يخرج منها وهو ربع العشر، ونحو ذلك مما لا يقبل التأويل كالعدديات والمقادير المحددة، وما ورد بشأن المواريث .

أما ظني الدلالة : فهو ما يحتمل النص الشرعي فيه أكثر من وجه، أو ما كان محتملاً للتأويل؛ كقوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة: 228]، فالقرء في لغة العرب : هو الطهر أو الحيض. وقوله: ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [النساء: 43]، فالصعيد الطيب هو الطاهر، أو هو المنبت، ونحو ذلك من الآيات التي تحتمل أكثر من معنى، وأمثلة ذلك أكثر من أن تحصى، وأشهر من أن تذكر. إذا تقرر هذا ظهر لك الفرق بين القطعي الذي له معنى واحد، والظني الذي له أكثر من معنى .

المرادُ بالكُتُبِ في الاصطِلاحِ : الكُتُبُ والصُّحُفُ التي حوت كلامَ اللهِ تعالى الذي أوحاه إلى رسُلِه عليهم السَّلامُ، سواءٌ ما ألقاه مكتوبًا كالتوراةِ، أو أنزله عن طريقِ المَلَكِ مُشافهةً فكُتِب بعد ذلك .

وقال اللهُ سُبحانَه: لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ [البقرة: 177] .

قال ابنُ كثيرٍ في تفسيرِ قَولِه تعالى: وَالْكِتَابِ: (هو اسمُ جنسٍ يَشمَلُ الكُتُبَ المُنَزَّلةِ من السَّماءِ على الأنبياءِ، حتى خُتِمت بأشرَفِها، وهو القُرْآنُ المُهيمِنُ على ما قَبْلَه من الكُتُبِ، الذي انتهى إليه كُلُّ خيرٍ، واشتَمل على كُلِّ سعادةٍ في الدُّنيا والآخرةِ، ونسخ اللهُ به كُلَّ ما سواه من الكُتُبِ قَبْلَه .

ولما كان القرآن الكريم (مهيمنا) على ما قبله و(نسخ) كل ما سواه من الكتب قبله فهذا دليل على انه أصل وأساس هذه الكتب والتي صارت كلها مجتمعة في كتاب واحد وهو القرآن الكريم وكذلك الأديان فكلها جمعت تحت مسمى واحد (الاسلام) لأنه هو الدين عند الله ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران : 19]

ليس هذا فحسب بل ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : 85]

وهناك أيات قرآنية تؤكد ان الكتاب عند الله في الأصل واحد وأنزل منه (نصيبا) للأنبياء والمرسلين ذلك منها :

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : 2]

وهذه الآية تشير الى ان القرآن الكريم هو الكتاب المذكور والذي لا ريب فيه .

وقوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران : 23]

ان كلمة (نصيبا) من الكتاب تعني هنا ما خصه الله بهم من هذا الكتاب لذلك فالله سبحانه وتعالى يرى ان في اعراضهم بالرجوع الى كتاب الله (القرآن الكريم) ليحكم بينهم نوعا من الضلال والعنت والتكبر فكيف يؤمنون بالتوراة والتي هي نصيبا من الكتاب ولا يؤمنون بالكتاب كله كتاب الله وهو القرآن الكريم .

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : 44]

وكلمة (الكتاب) في هذه الآية الكريمة تشير الى التوراة .

قال تعالى: (إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّانِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ . . 44 من سورة المائدة

في هذه الاية توضيحا جليا من ان التوراة انما هي من كتاب الله وليس كتابا مستقلا وهذه التوراة فرضها الله على أنبياء بني اسرائيل ليحفظوها ويلقنوها لبني اسرائيل ويكونوا عليها شهداء وجملة (بما استحفظوا من كتاب الله) تعني نصيبهم من الكتاب .

وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

فالأنجيل ووفق التعبير القرآني قد أنزل الله فيه أيات بينات من الكتاب خصهم الله بها ليتحاكموا وتكون شرعة لهم

.

وفي أية كريمة أخرى نرى تفصيلا واضحا يبين الفرق بين الانجيل والتوراة والكتاب الأصل يقول الله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [المائدة : 110]

فذكر الله مع الكتاب كتابين أخرين وهما التوراة والانجيل فالكتاب شئ يختلف عن الحكمة وعن التوراة والانجيل من حيث التسمية أما من حيث المضمون فكتاب الله يجمع بينهم فالحكمة هي من الكتاب وكذلك التوراة والانجيل .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : 68]

لقد سمى الله اليهود والنصارى (أهل الكتاب) أي أصحاب الكتاب

قوله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ)سورة البقرة، آية: 121 .

والمقصود (بالذين) أتاهم الله الكتاب اليهود والنصارى والمقصود من الكتاب (نصيبهم من التوراة والأنجيل) .

- قال الله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ)

وفي شرح هذه الاية الكريمة ان الله سبحانه وتعالى أنزل (الكتاب) وهوالقرآن الكريم بالحق وهو مصدقا لما قبله من (الكتاب) أي التوراة والآنجيل .

فهذا النص القرآني الكريم يوضح لنا ماجاء ذكره لنا في النص الأول فيتحدث عن (كتاب مصدق) لما معهم

وان كلمة مصدق وفق معناها اللغوي تعني :

مُصدِّق : (اسم)

مُصدِّق : فاعل من صَدَّقَ

مُصَدَّق: (اسم)

مفعول مِن صَدَّقَ

رَسُولٌ مُصَدَّقٌ : مَوْثُوقٌ بِصِدْقِهِ

قَانُونٌ مُصَدَّقٌ عَلَيْهِ : مُوَافَقٌ عَلَيْهِ بِالتَّصْدِيقِ

نُسْخَةٌ مُصَدَّقَةٌ : مُصَادَقٌ عَلَيْهَا لِمُوَافَقَتِهَا لِلأَصْل .

فكتاب الله هو الأصل (النسخة الأصلية الأساسية) التي تكون مرجعا للمطابقة عليها فالتوراة والانجيل نسختين فيهما بعضا مما جاء في كتاب الله (القرآن) ومع مرور الوقت جرى تحريفهما وتزويرهما فبأي شئ نعلم المزور من الحقيقي فيهما ليس لنا سوى مطابقه نصوصهم التي بين ايدينا مع القرآن الكريم بأعتباره النسخة الأصلية الآساسية فالنصوص التوراتية والانجيلية التي تتطابق مع مثيلاتها في كتاب الله فهي صحيحة والعكس بالعكس .

وكذلك فكتاب الله ليس فقط مصدقا للتوراة والأنجيل وما أنزل الله من قبلها بل ومهيمنا عليها جميعا أيضا

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة : 48]

وقيل ان الهيمنة بمعنى: السيطرة والحكم أي أنه حاكم على ما سبقه من الكتب، مسيطر عليها، ناسخ لها، وهذا المعنى أصح لأن القرآن مهيمن على كل الكتب السابقة.

إذن ﴿ مُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ : أنه مسيطر وحاكم وناسخ لما سبق والتفسير لابن عثيمين .

ويقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة : 87]

فالنص القرآني الكريم يسمي التوراة هنا بالكتاب (آتينا موسى الكتاب أي نصيبا منه)

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 146]

وهم اليهود والنصارى وكلمة (الكتاب) تعني هنا (نصيبهم من التوراة والانجيل) معا .

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [البقرة : 159] وهنا هم ايضا اليهود والنصارى وكلمة الكتاب تشير الى نصيبهم من الكتاب الذي جاء في التوراة والانجيل معا .

في هذه الاية الكريمة نرى دليلا قرآنيا واضحا على ما نقول من أن الكتب السماوية الثلاث هي (كتاب واحد)

وجاء في (تفسير الوسيط) تفسيرا موضحا لهذه الاية :

(قال الآلوسى: أخرج جماعة عن ابن عباس قال: سأل معاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وخارجه بن زيد نفرا من أحبار يهود عما في التوراة من صفات النبي صلّى الله عليه وسلّم ومن بعض الأحكام فكتموا، فأنزل الله-تبارك وتعالى- فيهم هذه الآية إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ . . .

إلخ .

والكتم والكتمان: إخفاء الشيء قصدا مع مسيس الحاجة إليه وتحقق الداعي إلى إظهاره.

وكتم ما أنزل الله يتناول إخفاء ما أنزله، وعدم ذكره للناس وإزالته عن موضعه ووضع شيء آخر موضعه، كما يتناول تحريفه بالتأويل الفاسد عن معناه الصحيح جريا مع الأهواء، وقد فعل أهل الكتاب ولا سيما اليهود- كل ذلك.

فقد كانوا يعرفون مما بين أيديهم من آيات أن رسالة محمد صلّى الله عليه وسلّم حق، ولكنهم كتموا هذه المعرفة حسدا له على ما آتاه الله من فضله، كما أنهم حرفوا كلام الله وأولوه تأويلا فاسدا تبعا لأهوائهم.

والمراد «بما أنزلنا» ما اشتملت عليه الكتب السماوية السابقة على القرآن من صفات النبي صلّى الله عليه وسلّم ومن هداية وأحكام.

والمراد بالكتاب جنس الكتب، فيصح حمله على جميع الكتب التي أنزلت على الرسل- عليهم السلام-.

والْبَيِّناتِ جمع بينة، والمراد بها الآيات الدالة على المقاصد الصحيحة بوضوح، وهي ما نزل على الأنبياء من طريق الوحي.

والمراد «بالهدى» ما يهدى إلى الرشد مطلقا فهو أعم من البينات، إذ يشمل المعاني المستمدة من الآيات البينات عن طريق الاستنباط، والاجتهاد القائم على الأصول المحكمة.

وقال الله سبحانه وتعالى:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة: 176]

في هذه الاية الكريمة يبن سبحانه وتعالى لنا بأنه نزل الكتاب فهو واحد ولم يقل نزل كتبه وتشير الاية الى الذين أختلفوا فيه فمن هم الذين اختلفوا فيه للنظر كيف يفسر السعد هذه الاية :

تفسير السعدي : ﴿ ذَلِكَ ﴾ المذكور, وهو مجازاته بالعدل, ومنعه أسباب الهداية, ممن أباها واختار سواها .

﴿ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ ومن الحق, مجازاة المحسن بإحسانه, والمسيء بإساءته.

وأيضا ففي قوله: ﴿ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ ما يدل على أن الله أنزله لهداية خلقه, وتبيين الحق من الباطل, والهدى من الضلال، فمن صرفه عن مقصوده, فهو حقيق بأن يجازى بأعظم العقوبة.

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ - أي: وإن الذين اختلفوا في الكتاب, فآمنوا ببعضه, وكفروا ببعضه، والذين حرفوه وصرفوه على أهوائهم ومراداتهم ﴿ لَفِي شِقَاقٍ ﴾ - أي: محادة، ﴿ بَعِيدٍ ﴾ عن الحق لأنهم قد خالفوا الكتاب الذي جاء بالحق الموجب للاتفاق وعدم التناقض، فمرج أمرهم, وكثر شقاقهم, وترتب على ذلك افتراقهم، بخلاف أهل الكتاب الذين آمنوا به, وحكموه في كل شيء, فإنهم اتفقوا وارتفقوا بالمحبة والاجتماع عليه.

وقد تضمنت هذه الآيات, الوعيد للكاتمين لما أنزل الله, المؤثرين عليه, عرض الدنيا بالعذاب والسخط, وأن الله لا يطهرهم بالتوفيق, ولا بالمغفرة، وذكر السبب في ذلك بإيثارهم الضلالة على الهدى، فترتب على ذلك اختيار العذاب على المغفرة، ثم توجع لهم بشدة صبرهم على النار, لعملهم بالأسباب التي يعلمون أنها موصلة إليها ، وأن الكتاب مشتمل على الحق الموجب للاتفاق عليه, وعدم الافتراق، وأن كل من خالفه, فهو في غاية البعد عن الحق, والمنازعة والمخاصمة, والله أعلم.

وقوله تعالى :

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : 177]

ذكرنا في مقدمة مبحثنا هذا ان كلمة الكتاب جاءت بصيغة الجمع (كتب) في ثلاث نصوص قرآنية ومنها قوله تعالى : (﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : 285] وفيها تعداد لأركان الايمان وهي الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله .

وفي قوله تعالى : (﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) فيها تعداد أيضا لاركان الايمان ونلاحظ في النصين المذكورين أعلاه مايلي :

ان اركان الايمان في الاية الأولى هي : الايمان بالله الايمان بملائكته والايمان بكتبه (بصيغة الجمع) والايمان برسله .

أما أركان الايمان في الاية الثانية فهي الايمان بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب (بصيغة المفرد) والنبيين .

ففي هذه الاية الكريمة يضيف الله ركن الايمان باليوم الاخر الى اركان الايمان ولم يكن هذ الركن موجود في الاية السابقة كما تم استبدال كلمة (رسله) بكلمة (النبيين) واستبدال كلمة (كتبه) بكلمة (الكتاب) وهذا دليل قوي على أن كتب الله تعني (الكتاب) وهو واحد وهذا هو المطلوب .

وقال الله سبحانه وتعالى :

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة : 213]

ان معنى هذه الاية الكريمة لا يستعصي فهمه على أحد أبدا وفيها يخبرنا الله عز وجل من أن الناس كانوا أمة واحدة

ويقول السعدي في تفسيره لهذه الاية الكريمة :

(أي: كان الناس) [أي: كانوا مجتمعين على الهدى، وذلك عشرة قرون بعد نوح عليه السلام، فلما اختلفوا في الدين فكفر فريق منهم وبقي الفريق الآخر على الدين، وحصل النزاع وبعث الله الرسل ليفصلوا بين الخلائق ويقيموا الحجة عليهم، وقيل بل كانوا] مجتمعين على الكفر والضلال والشقاء, ليس لهم نور ولا إيمان، فرحمهم الله تعالى بإرسال الرسل إليهم (مُبَشِّرِينَ) من أطاع الله بثمرات الطاعات, من الرزق, والقوة في البدن والقلب, والحياة الطيبة, وأعلى ذلك, الفوز برضوان الله والجنة.

(وَمُنْذِرِينَ) من عصى الله, بثمرات المعصية, من حرمان الرزق, والضعف, والإهانة, والحياة الضيقة, وأشد ذلك, سخط الله والنار.

(وَأَنزلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) وهو الإخبارات الصادقة, والأوامر العادلة، فكل ما اشتملت عليه الكتب, فهو حق, يفصل بين المختلفين في الأصول والفروع، وهذا هو الواجب عند الاختلاف والتنازع, أن يرد الاختلاف إلى الله وإلى رسوله، ولولا أن في كتابه, وسنة رسوله, فصل النزاع, لما أمر بالرد إليهما .

ولما ذكر نعمته العظيمة بإنزال الكتب على أهل الكتاب, وكان هذا يقتضي اتفاقهم عليها واجتماعهم، فأخبر تعالى أنهم بغى بعضهم على بعض, وحصل النزاع والخصام وكثرة الاختلاف.

فاختلفوا في الكتاب الذي ينبغي أن يكونوا أولى الناس بالاجتماع عليه, وذلك من بعد ما علموه وتيقنوه بالآيات البينات, والأدلة القاطعات, فضلوا بذلك ضلالا بعيدا .

(فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) من هذه الأمة (لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ) فكل ما اختلف فيه أهل الكتاب, وأخطأوا فيه الحق والصواب, هدى الله للحق فيه هذه الأمة (بِإِذْنِهِ) تعالى وتيسيره لهم ورحمته) .

ونلاحظ في هذه الاية الكريمة ما يلي :

ان الناس كانوا أمة واحدة وهناك اختلاف بين المفسرين على عقيدة الناس فمنهم من يقول انهم كانوا على ملة الكفر ومن المفسرين من يقول انهم كانوا (أمة مؤمنة) فأختلفوا .

ان الله بعث الرسل والأنبياء وأنزل معهم (الكتاب) بالحق وهذا دليل قوي ان كتاب الله في الأصل واحد وأنزل نصيبا منه وفق ما أراد الله على كل نبي وكل رسول فكل الاخبارات الصادقة والوصايا والأوامر العادلة والشرائع كانت في أم هذا الكتاب فأرسل الى كل نبي ورسول ما تخص أمته في المرحلة الزمنية التاريخية التي عاش فيها هو وقومه (﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ

مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة : 136] فكل الأنبياء والمرسلين كان لهم ولقومهم حظا أو نصيبا من كتاب الله دون استثناء ومع ختام سلسلة الأنبياء والمرسلين برسولنا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام وليكمل الله دينه للناس ونعمته عليهم أرسل الكتاب كاملا وهو القرآن الكريم الذي هدى ورحمة وبيان للناس الى يوم القيامة .

فكان القرآن الكريم كل الكتاب أو الكتاب كله وليس نصيبا منه كما هو عليه في التوراة والانجيل وفق تعبير الاية القرآنية :

﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران : 11

فمعنى (وتؤمنون بالكتاب كله وهو القرآن الكريم لأن فيه كل ماأنزله الله على أنبياءه والذين يبين لهم دين الله الاسلام) .

فالقرآن الكريم كتاب الله الذي تكفل بحفظه من الضياع والتحريف وجعله مصدقا لما سبقه من الكتب ومهيمنا عليه .

- قال الله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) ﴿المائدة: 48﴾

والقرآن الكريم يتفق مع المناهج التي سبقته ولكنه يضيف عليها ويصحح ما حذف منها لأنه موحي به من الله سبحانه وتعالى و يحتوي القران الكريم على الكليات التي يحتاجها البشر في أمور دينهم، وما احتاج إلى التفصيل في تلك الكليات يبين في بعض الآيات القرآنية وفي السنة النبوية أحيانا، كما احتوى على المقاصد الكلية التي ذكرت في

الكتب السابقة كأحكام النظم والعلاقات بين الناس وأحكامهم وتزكية النفوس المذكورة في التوراة والإنجيل، وبهذا يعلم أن القرآن صالح لكل زمان ومكان، وقد تعبد الله البشرية بالعمل به والتحاكم إليه بعد نزوله في جميع الأزمنة والأمكنة.

عرف الشيخ الشعراوي _ رحمه الله _ القرآن الكريم بأنه كلام الله المنزل على النبي محمد بقصد التحدي والإعجاز تبيانًا لمنهج الله. وبالرغم من أن القرآن الكريم كتاب أنزله الله كما أنزل التوراة والإنجيل، إلا أن هناك فرق كبير بين القرآن الكريم وسائر الكتب السماوية الأخرى. فلقد كان المقصود من الكتب السماوية بخلاف القرآن الكريم تبيان المنهج فقط

أما القرآن الكريم، فلقد قصد به أكثر من ذلك. فالمقصود من القرآن الكريم تبيان المنهج من ناحية وبقاؤه معجزة دالة على صدق النبي من ناحية أخرى.

ويبين الشيخ الشعراوي أن القرآن منهج ومعجزة في آن واحد . أما التوراة مثلا، فلقد كانت منهجا فقط وكانت المعجزة العصا وغيرها . وكان الإنجيل منهجا فقط أيضا، أما المعجزة فكانت إبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك من معجزات المسيح.

ويعلل الشيخ الشعراوي الفرق بين القرآن الكريم وغيره من الكتب السماوية الأخرى بأنه راجع إلى أن الكتب السماوية السابقة قد أنزلها الله على نية التغيير لها، أما القرآن فقد نزل على نية الثبات إلى أن تقوم الساعة.
ولذلك كان لزاما أن يؤيد القرآن الكريم بمعجزة مقرونة به على الدوام بحيث يدلل القرآن الكريم كمعجزة خالدة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم.

ملاحظة لا بد منها

ان هذه النتيجة التي مفادها ان كتاب الله في الأصل والأساس هو واحد هي محض اجتهاد وفهم ولا نزعم انها حتمية أو لا غبار عليها فقد نكون أصبنا أو أخطأنا وفي الحالتين فهي محاولة منا لقراءة وفهم النصوص القرآنية عبر منهج القرآن يفسر بالقرآن .

فقد تلاقي نتيجتنا هذه قبولا وفهما ويقيض الله لها من يدعمها ويعيد صياغتها وفي النهاية فنحن جميعا نقول (وقل ربي زدني علما) وفقها ووعيا وفهما .

دين الله واحد وشرائعه متعددة

اذا الدين عند الله هو الاسلام ومن يتخذ غيره دينا فلن يقبل منه فهناك بالفعل دينا واحدا لكن ماهو دين الذين هادوا والنصارى والسابئة وغيرهم ؟

علينا أن نعرف أن أول من نطق بكلمة الاسلام هو سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة : 131]

ولأن ابراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء فكل نبي ورسول جاء من بعده هو من أبناءه وأحفاده وهم كلهم على دينه (حنيفا مسلما) فلا وجود لديانة اسمها يهودية أو نصرانية ونرى ذلك واضحا في قوله تعالى :

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران : 67]

فلو كان ابراهيم عليه السلام يهوديا أو نصرانيا لكان ادعاء أهل الكتاب بأنهم على ديانته اليهودية أو النصرانية ادعاء وانتماء في محله وحيث انه كان حنيفا مسلما فتوجب على ذلك أن يسمي هؤلاء الاتباع أنفسهم (مسلمين) وهكذا أوصى نبي الله ابراهيم عليه السلام أولاده :

﴿ ووَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : 132]

وكذلك أوصى بها نبي الله يعقوب عليه السلام أولاده (﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : 133]

مفهوم شرعا و منهجا

تعريف و معنى شرعة ومنهاجا في قاموس الكل. قاموس عربي

شرعة ومنهاجا :شريعة وطريقا واضحا في الدين

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة : 48]

يقول الدكتور عبد الرحمن بن معاضة البكري، أستاذ الدراسات القرآنية السعودي، ان "شرعة" هي الطريقة، والطريق المستقيم يقال له شرعة وشريعة ويسمى النهر والوادي شريعة، لأنه مستمر وممتد ومنفتح وواضح، فيسمى شريعة الماء، وأضاف البكري أن لذلك سميت الشريعة الإسلامية بذلك لوضوحها وظهورها وظهور معالمها وطرق السير فيها، فالشريعة الإسلامية واضحة المعالم والأصول والأحكام ، وأوضح البكري أن الله سبحانه وتعالى يقول في الآية انه قد جعل لكل نبي من الأنبياء شريعة واضحة وطريق واضح يتبعه من يسيرون على هذه الشريعة، "فالشرعة في الآية هي الطريقة الواضحة الظاهرة التي يلتزمها الناس"

تفسير الطبري

القول في تأويل قوله عز ذكره (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لكل قوم منكم جعلنا شرعة .

و"الشرعة " هي "الشريعة " بعينها ، جمع "الشرعة " "شرعا " ، "والشريعة " "شرائع" . ولو جمعت "الشرعة " "شرائع " ، كان صوابا ، لأن معناها ومعنى "الشريعة " واحد ، فيردها عند الجمع إلى لفظ نظيرها . وكل ما شرعت فيه من شيء فهو "شريعة" . ومن ذلك قيل : لشريعة الماء "شريعة " ، لأنه يشرع منها إلى الماء . ومنه سميت شرائع الإسلام"شرائع " ، لشروع أهله فيه . ومنه قيل للقوم إذا تساووا في الشيء : "هم شرع " ، سواء

وأما "المنهاج " ، فإن أصله : الطريق البين الواضح ، يقال منه : "هو طريق نهج ، ومنهج " ، بين ، كما قال الراجز

لقد قلنا فيما سبق ان الدين عند الله الاسلام وكل من يتبع الحنيفية الابراهيمية هو مسلم وأتباع هذه الحنيفية يطلق عليهم (ملة ابراهيم) والتي طلب منا الله سبحانه وتعالى ان نتبعها ونكون منها ونلتزم بشريعتها

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : 123]

قال الله تعالى:

(مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) الحج: 78

والمولى عز وجل يطلب من اليهود والنصارى أن يتبعوا هذه الملة أيضا

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة : 135]

وان نبي الله يوسف عليه السلام قد اتبعها

﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يوسف : 38]

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء : 125]

وبشكل عام فأن الاسلام الحسن والصحيح هو في اتباع هذه الملة .

مفهوم الملة في القرآن الكريم

المِلَّةِ هي الطريقه التي يتم بها إرساء تعاليم الدين على واقَع الناس ، بما يتناسب مع طبيعة حياتهم .

وردت كلمة (المِلَّةِ) وصيغها في القرآن الكريم (15) مرةِ .

أما مفهوم الفطرة

فهي الاستعداد الذي ركزه الله في طبيعة كل إنسان فيصير به متهيأً لقبول الشرع متى عرض عليه .

قال الله تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ [الروم : 43]

أما مفهوم الشريعة فهي :

هي ما سن الله لعباده من الدين، وبين لهم بها الأحكام المختلفة.

قال الله تعالى:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [الشورى : 13]

ماذا نستنتج من ذلك كله ؟

نستنتج ان الدين عند الله واحد وهو الاسلام من هذا الدين شرع الله منه شرعة ومنهجا لأنبياءه ليعلموا أتباعهم ويتبعوها فشرع للنبي موسى شريعة ومنهجا وشرع للنبي عيس شريعة ومنهجا وللنبي محمد شريعة ومنهجا عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين .

لذلك فالله سبحانه وتعالى يطلب من اليهود والنصارى أن يتبعوا دين ابراهيم ليهدتوا وفي نفس الوقت يطلب منهم اتباع الشرع والمنهج الذي جاء به كلا من موسى وعيسى عليه السلام ويحكموا بها .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : 44]

وهذه الاية الكريمة توضح لنا بشكل تفصيلي ما بيناه في الشرح السابق :

ففي التوراة التي أنزلها الله على نبيه موسى هدى ونور وشريعة والأحكام التي سيحكم بها هو وأنبياء بني اسرائيل من بعده – وهؤلاء الأنبياء وصفتهم الأية (الذين أسلموا) – ليحكموا بها الذين هادوا والربانيون والأحبار وفق ما نصت عليه التوراة .

ومن هذه الأحكام : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة : 45]

وكذلك النصارى يطبق عليهم نفس الأمر وهم (أهل الانجيل) كما سماهم القرآن عليهم أن يحكموا به :
﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة : 47]

وكذلك بالنسبة للرسول الكريم محمد عليه السلام :﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة : 48]

وهكذا وضع الله لدينه الاسلام قواعد عامة تطبق على كل من أتبع مله ابراهيم وكانوا مسلمين وجعل لكل أتباع نبي نصيبا من كتاب الله فيها أحكاما ومنهجا ليحكموا به كل ذلك مرتبط بارادة الهيه أقتضت التنوع في الشريعة والمناهج التي تصل جميعها الى عبادة الله الواحد الذي لاشريك له ولكي لا يكن الناس أمة واحدة (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة : 48]

من هنا نستطيع القول ان هناك وحدة ايمانية بين أتباع الشرائع الثلاث المسلمين واليهود والنصارى تقوم على مرجعية الملة الواحدة هي ملة ابراهيم مرجعية الديانة الواحدة الاسلام مع اختلاف في الشرائع والمناهج التي توصل كل فئة الى مبتغاها في الايمان بالله والحكم بما أنزل لذلك يقول المولى عز وجل :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : 64] .

وبهذا ننهي هذا القسم الذي خصصناها كمدخل تعريفي توضيحي وسننتقل الى البحث في الكتب المنزلة الثلاث التوراة والانجيل والقرأن تباعا .

وان الجزء الأول من دراستنا هذه سيكون مخصصا للتوراة .

أولا

التوراة

التوراة : هي النصيب الذي خصه الله من كتابه الذي أنزله على موسى عليه السلام رسول الله إلى بني إسرائيل. قال الله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ [المائدة: 44].

وكان إنزال التوراة على موسى بعد إهلاك فرعون وقومه ونجاة بني إسرائيل. قال تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ [القصص:43].

التوراة وفق الرواية اليهودية

ان كلمة توراة هي تعريب للكلمة العبرانية توراه التي تُعني ارشاد او تعليم او شريعة .

غالبا ما تشير كلمة توراه الى اسفار الكتاب المقدس الخمسة الاولى : التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، والتثنية. وتُدعى هذه الاسفار ايضا البانتاتيك، وهي كلمة يونانية تعني «المجلد الخماسي». وبما ان موسى كتب التوراة الأصلية ، فهي تدعى ايضا «سفر شريعة موسى» فيبدو ان التوراة كانت في الاصل سفرا واحدا، لكنها قُسمت لاحقا بعد تحريفها .

تُستعمل كلمة توراه ايضا للدلالة على الشرائع المعطاة للاسرائيليين حول مسألة محدَّدة، مثل «شريعة [توراه] قربان الخطية»، «شريعة البَرص»، و «شريعة النذير». لاويين ٦:٢٥؛ ١٤:٥٧؛ عدد ٦:١٣.

وتشير احيانا كلمة توراه الى التعليم والارشاد من الوالدين او الاشخاص الحكماء او من الله نفسه. اشعيا ٢:٣؛ انظر ايضا الامثال ١:٨؛ ٣:١؛ ١٣:١٤ في الترجمة العربية المبسَّطة.

ماذا تتضمن التوراة او البانتاتيُك ؟

تشير التوراة إلى أسفار موسى الخمسة في الكتاب المقدس العبري/ العهد القديم (التكوين، الخروج، اللاويين العدد، التثنية) . كتبت التوراة حوالي 1400 قبل الميلاد . كانت التوراة، تقليديا، مكتوبة بخط اليد على لفيفة بواسطة "كاتب" (سوفر) . يُطلق على هذا النوع من الوثائق "توراة سيفر" . تسمى الطباعة الحديثة للتوراة في شكل كتاب "شوماش" (مشتقة من الكلمة العبرية للرقم 5) .

فيما يلي وصف موجز لأسفار التوراة الخمسة :

سفر التكوين : يتضمن هذا السفر الأول من التوراة 50 أصحاحًا، ويغطي الفترة الزمنية من خلق كل الأشياء إلى وقت موت يوسف ودفنه. ويتضمن قصة الخلق (الإصحاحات 1 – 2)، بداية الخطية البشرية (الأصحاح 3)، نوح والفلك (الإصحاحات 6–9)، برج بابل (الإصحاحات 10–11)، حياة كل من إبراهيم وإسحق ويعقوب، ورواية مطوّلة عن حياة يوسف.

سفر الخروج : يتضمن هذا السفر الكتاب الثاني من التوراة 40 أصحاحًا، ويغطي الفترة من عبودية اليهود في مصر حتى نزل مجد الرب على خيمة الاجتماع المكتملة في البرية. ويشمل ولادة موسى، الضربات على مصر، وخروج الشعب اليهودي من مصر، وعبور البحر الأحمر، وإعطاء الشريعة لموسى على جبل سيناء .

سفر اللاويين : يتضمن هذا السفر الثالث من التوراة 27 أصحاحًا، ويتألف إلى حد كبير من القوانين المتعلقة بالذبائح والقرابين والأعياد لدى شعب إسرائيل.

سفر العدد: يتضمن هذا السفر الرابع من التوراة 36 أصحاحًا، ويغطي فترة 40 عامًا تقريبًا حيث تاه شعب إسرائيل في البرية. يقدّم سفر العدد إحصاءًا لشعب إسرائيل وبعض التفاصيل حول رحلتهم نحو أرض الموعد .

سفر التثنية : يتضمن هذا السفر الخامس من التوراة 34 أصحاحًا، ويسمى "سفر التثنية" بناءً على كلمة يونانية تعني "القانون الثاني" . يكرر موسى، في هذا السفر، الشريعة للجيل الجديد الذي سيدخل أرض الموعد . يصف سفر التثنية انتقال القيادة بشكل كهنوتي (من هارون إلى أبنائه) وقوميًا (من موسى إلى يشوع) .

تعتبر التوراة كلمة الله الموحى بها من قبل كل من اليهود والمسيحيين على حد سواء . مع ذلك، يرى المسيحيون أن يسوع المسيح هو إتمام النبوات المسيانية ويعتقدون أن الشريعة قد تحققت في المسيح . قال يسوع في تعليمه: "لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ ٱلنَّامُوسَ أَوِ ٱلْأَنْبِيَاءَ . مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ" (متى 5: 17) .

متى كتبت التوراة

إن كل كتاب يستمد قيمته من قيمة صاحبه ولابد أن يثبت صحة نسبته إلى صاحبه وإلا فإنه يفقد قيمته والكتب المنزلة المقدسة تستمد قدسيتها من نسبتها إلى من جاءت من عنده وهو الله عز وجل ولابد لثبوت قدسيتها أن تثبت صحة نسبتها وسندها إلى الله عز وجل وما لم يثبت ذلك فإنها لا تكون مقدسة وغير واجبة القبول إذ تكون عرضة للتحريف والتبديل والخطأ .

فلهذا لابد لنا أن نتعرف على حال التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، وهي أهم جزء في العهد القديم الذي بين يدي اليهود والنصارى من ناحية إسنادها فنقول :

إن من نظر في التوراة والأسفار الملحقة بها يجد ذكراً محدوداً لأسفار موسى التي يسمونها الشريعة، أو سفر الرب، أو التوراة.

ومن خلال هذه المعلومات نجد أن اليهود ذكروا :

1- أن موسى عليه السلام دوَّن جميع الأحكام وكتبها، وهي أحكام أعطيها شفهيًّا وفي هذا قالوا في (سفر الخروج) (24/3): (فجاء موسى وحدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام، فأجاب جميع الشعب بصوت واحد، وقالوا: كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل. فكتب موسى جميع أقوال الرب. . .)

ثم قالوا: (وأخذ كتاب العهد، وقرأ في مسامع الشعب فقالوا: كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له).

2- أن موسى أُعطي شريعة مكتوبة بيد الله تعالى، وفي هذا قالوا في (سفر الخروج) (24/12) (وقال الرب لموسى: اصعد إلى الجبل، وكن هناك فأعطيك لوحي الحجارة، والشريعة، والوصية التي كتبتها لتعليمهم).

ثم ذكروا بعد هذا أن موسى عليه السلام مكث أربعين يوماً في الجبل، وذكروا شرائع كثيرة أعطيها، وتكلم الله بها معه، ثم في نهاية ذلك ذكروا إعطاءه الألواح، وفي هذا قالوا في (سفر الخروج) (31/18): (ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة، لوحي حجر مكتوبين بإصبع الله) . وفي أثناء غياب موسى عليه السلام عبد بنو إسرائيل العجل، فلما عاد موسى عليه السلام ورأى قومه يرقصون حول العجل ألقى الألواح فتكسرت، ثم إن الله سبحانه وتعالى فيما يذكر اليهود كتب له لوحين آخرين بدلاً عنها .

3- ذكر اليهود أن موسى عليه السلام قبيل وفاته كتب التوراة، وأعطاها لحاملي التابوت، وفي هذا قالوا في (سفر التثنية) (31/9): (وكتب موسى هذه التوراة، وسلمها للكهنة من بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب، ولجميع شيوخ إسرائيل، وأمرهم موسى قائلاً : في نهاية السبع السنين في ميعاد سنة البراء في عيد المظال حينما يجيء جميع إسرائيل؛ لكي يظهروا أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره، تقرأ هذه التوراة، أمام كل إسرائيل في مسامعهم) .

ثم ذكر اليهود في خاتمة هذا السفر السبب الذي لأجله دوَّن موسى عليه السلام التوراة فقالوا في (سفر التثنية) (31/24): (فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها، أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً : خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم؛ ليكون هناك شاهداً عليكم؛ لأني

أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة. هو ذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتي).

4- ذكر اليهود في سفر يشوع أن يشوع (يوشع) كتب التوراة مرة أخرى على أحجار المذبح حسب وصية موسى عليه السلام، وفي هذا قالوا: (حينئذ بنى يشوع مذبحاً للرب إله إسرائيل في جبل عيبال. . . وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التي كتبها أمام بني إسرائيل. . . وبعد ذلك قرأ جميع كلام التوراة البركة واللعنة، حسب كل ما كتب في سفر التوراة).

5- انقطع بعد هذا ذكر التوراة وخبرها، فلا يذكر اليهود في كتابهم التوراة التي كتبها موسى، ولا ما كتبه يشوع على حجارة المذبح، وإنما ذكروا التابوت الذي وضع موسى عليه السلام فيه التوراة، وأن هذا التابوت استولى عليه الأعداء في زمن النبي صموئيل في قولهم، ثم أعيد إليهم بعد سبعة أشهر، فجعلوه في قرية يسمونها يعاريم. وبقي هناك فيما ذكروا عشرين عاماً إلى أن جاء داود عليه السلام فأصعده من هناك إلى أورشليم، وجعله في خيمة، ثم نقله سليمان عليه السلام إلى الهيكل الذي بناه، وجعله في قدس الأقداس فيما يقولون، وكانوا يستقبلونه في الصلاة.

وقد ذكروا أن سليمان عليه السلام حين فتح التابوت لم يكن فيه سوى لوحي الحجر اللذين وضعهما موسى عليه السلام، فأين ذهبت نسخة التوراة التي نسخها موسى عليه السلام ووضعها في التابوت ؟ هذا مالا يجد اليهود ولا النصارى جواباً له.

6- بعد سليمان عليه السلام انقسمت دولة بني إسرائيل إلى قسمين :

دولة إسرائيل في الشمال: وهي تحت حكم يربعام بن نباط، وعاصمتها نابلس.

ودولة يهوذا في الجنوب، وهي تحت حكم رحبعام بن سليمان، وعاصمتها أورشليم.

وذكر اليهود حادثة في زمن رحبعام، لها دلالتها المهمة : وهي أن رحبعام ترك شريعة الرب هو وكل إسرائيل، وذلك يعني انحرافهم عن الدين فهاجمهم فرعون مصر في ذلك الزمن، واستباح ديارهم، وفي هذا قالوا في (سفر الملوك الأول) (14/22): (وعمل يهوذا الشر في عيني الرب، وأغاروه أكثر من جميع ما عمل آباؤهم بخطاياهم التي أخطأوا بها، وبنوا لأنفسهم مرتفعات، وأنصاباً، وسواري على كل تل مرتفع، وتحت كل شجرة خضراء، وكان أيضاً مأبونون في الأرض فعلوا حسب كل أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل. وفي السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر إلى أورشليم، وأخذ جميع خزائن بيت الرب، وخزائن بيت الملك، وأخذ كل شيء، وأخذ جميع أتراس الذهب التي عملها سليمان) .

وفي (سفر أخبار الأيام الثاني) (12/1) وصفوا شيشق، وما معه من قوة بما يلي: (وفي السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر على أورشليم- لأنهم خانوا الرب- بألف ومائتي مركبة، وستين ألف فارس، ولم يكن عدد للشعب الذين جاؤوا معه من مصر، لوبيين وسكيين وكوشيين، وأخذ المدن الحصينة التي ليهوذا، وأتى إلى أورشليم. . .) .

فهذا النص فيه دلالة واضحة على أن عاصمة اليهود الدينية استباحها فرعون مصر، واستولى على ما فيها، وهذا يدل على أن اليهود فقدوا التوراة في هذه الحادثة حيث لم يشر كتابهم المقدس إليها بعد هذا إلا في زمن الملك يوشيا، أي: بعد ما يقارب ثلاثة قرون وزيادة، كما سيأتي بيانه في الفقرة التالية، كما أن التابوت ينتهي خبره بعد هذه الحادثة إلى زمن الملك يوشيا أيضاً، حيث طلب من اللاويين أن يجعلوا التابوت في البيت الذي بناه النبي سليمان عليه السلام، ثم ينقطع بعد هذا خبره إلى يومنا هذا، ولعله كان مما دمره بختنصر في غزوه لبيت المقدس.

7- يزعم اليهود أن الملك يوشيا الذي تولى الملك في يهوذا بعد سليمان عليه السلام بما يقارب (340) عاماً، وقبيل غزو بختنصر لدولة يهوذا وتدميرها مرة أخرى وجد سفر الشريعة، وهذا نص كلامهم : (وفي السنة الثامنة عشرة للملك يوشيا، أرسل الملك شافان بن أصليا بن مشلام الكاتب إلى بيت الرب قائلاً :

اصعد إلى حلقيا الكاهن فيحسب الفضة المدخلة إلى بيت الرب التي جمعها حارسو الباب من الشعب فيدفعوها ليد عاملي الشغل الموكلين ببيت الرب. . . فقال حلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب: قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب، وسلم حلقيا السفر لشافان فقرأه، وجاء شافان الكاتب إلى الملك ورد على الملك جواباً . . . . وأخبر شافان الملك قائلاً: قد أعطاني حلقيا الكاهن سفراً، وقرأه شافان أمام الملك، فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه، وأمر الملك حلقيا الكاهن، وأخيقام بن شافان. . . . قائلاً: اذهبوا اسألوا الرب لأجلي، ولأجل الشعب، ولأجل كل يهوذا من جهة كلام هذا السفر الذي وجد؛ لأنه عظيم، هو غضب الرب الذي اشتعل علينا من أجل أن آباءنا لم يسمعوا لكلام هذا السفر ليعملوا حسب كل ما هو مكتوب علينا . . . وأرسل الملك فجمعوا إليه كل شيوخ يهوذا وأورشليم وصعد الملك إلى بيت الرب، وجمع رجال يهوذا، وكل سكان أورشليم معه والكهنة والأنبياء، وكل الشعب من الصغير إلى الكبير، وقرأ في آذانهم كل كلام سفر الشريعة الذي وجد في بيت الرب) .

فهذا الخبر الذي ذكره اليهود فيه دلالة واضحة على أنهم كانوا قد فقدوا التوراة، وأنهم أيضاً ضيعوا أحكامها، ونسوا الشيء الكثير منها، وما وجدوه في الواقع ليس فيه أي دليل على أنه التوراة؛ إذ من المستبعد جدًّا أن يكون اليهود قد فقدوا التوراة كل هذه المدة الطويلة – أكثر من ثلاثة قرون– وهي موجودة في الهيكل مع أنه معبد عام، وقد تعاقب على رئاسته خلال تلك المدة الكثيرة من الكهنة، وهم يبحثون عنها كل تلك المدة ولا يجدونها مع ما لها من القداسة في نفوسهم ثم يجدها الكاهن حلقيا ؟

هذا في الواقع مستبعد جدًّا، وليس بعيداً أن يكون الكاهن حلقيا كتبها من محفوظاته ومعلوماته، وزعم أنها سفر الشريعة؛ ليرضي بذلك الملك يوشيا، الذي كان له تدين ورغبة في استقامة الشعب. والله أعلم.

8- بعد الملك يوشيا بخمس وعشرين سنة تقريباً– وذلك سنة (586) ق. م- هجم بختنصر الكلداني على دولة يهوذا ودمرها، ودمر الهيكل، وسبى بني إسرائيل، وفي هذا قالوا في كتابهم بعد ذكر مبررات التدمير من فساد بني

إسرائيل وكفرهم: (فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم، ولم يشفق على فتى، أو عذراء، ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده، وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة، وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أتى بها جميعا إلى بابل، وأحرقوا بيت الله، وهدموا سور أورشليم، وأحرقوا جميع قصورها بالنار، وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة، وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيداً إلى أن ملكت مملكة فارس) . فيجمع الكُتَّاب هنا على أن التوراة فقدت من بني إسرائيل مرة أخرى بسبب هذا التدمير الشامل.

9- يزعم اليهود أن عزرا الكاتب قد هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها، وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء .

وعزرا هذا كان زمن السبي البابلي، ولما عاد بنو إسرائيل إلى أورشليم في زمن ملك الفرس جمعهم لقراءة ما كتب من شريعة موسى، وفي هذا قالوا: (اجتمع كل الشعب كرجل واحد إلى الساحة التي أمام باب الماء، وقالوا لعزرا الكاتب أن يأتي بسفر شريعة موسى التي أمر بها الرب إسرائيل، فأتى عزرا الكاتب بالشريعة أمام الجماعة من الرجال والنساء، وكل فاهم ما يسمع في اليوم الأول من الشهر السابع، وقرأ منها أمام الساحة التي أمام باب الماء من الصباح إلى نصف النهار أمام الرجال والنساء والفاهمين، وكانت آذان كل الشعب نحو سفر الشريعة) .

فيظهر من هذا واضحاً أن عزرا قد كتب لهم التوراة، ولم يذكر اليهود من أين وصلت التوراة إليه، وبينه وبين موسى عليه السلام أكثر من ثمانية قرون ؟ وقد فقدت التوراة قبل زمن عزرا قطعاً كما مرَّ ذكره.

فعلى هذا يتبين أن التوراة التي كان عزرا يقرأها على الناس إما أن تكون مفتراة مكذوبة، دوَّنها عزرا من محفوظاته وما وصل إليه من مدونات ومعلومات، وليست توراة موسى، وبالتأكيد لا يوثق بحفظه ولا ما وصل إليه من أوراق وكتب؛ إذ إن ذلك يحتاج إلى إثبات السند المتصل منه إلى موسى عليه السلام، وهذا أبعد عليهم من السماء .

وإما أن تكون معلومات متوارثة في الأحكام الواجب على بني إسرائيل التزامها، دوَّنها عزرا على أنها الفرائض التي أوجبها الله على بني إسرائيل، وزعم هو أو زعم كُتَّاب الكلام السابق أنها سفر شريعة موسى، وبين الأمرين كما

بين السماء والأرض؛ إذ إن توراة موسى منزلة من عند الله، وما جمعه عزرا ودوَّنه لا يعدو أن يكون فهوماً واستنباطات بشرية يعتريها ما يعتري البشر من النقص والخلل، وهذا الاحتمال الأخير أرجح من سابقه، وذلك لأن اليهود ذكروا في كتابهم عن عزرا قولهم: (لأن عزرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها ، وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء) . فهذا يدل على أنه أخذ يجدُّ في الجمع والتتبع والعمل والتعليم.

وهناك نص آخر يدل على أن بني إسرائيل قد أهملوا العمل بكثير من التعاليم من أيام يوشع بن نون، وفي هذا قالوا عن أحد أعيادهم التي عملوها بدعوة من عزرا: (وعمل كل الجماعة الراجعين من السبي مظال وسكنوا في المظال لأنه لم يعمل بنو إسرائيل هكذا من أيام يشوع بن نون إلى ذلك اليوم، وكان فرحا عظيما جدًّا) .

فهذا ينص صراحة على الإهمال للتعاليم، وعدم أدائها من زمن بعيد، فلا يمكن لرجل مهما أوتي من العلم جمع كل التعاليم الواجبة مع البعد الزمني، وكثرة التقلبات والانحرافات التي وقع فيها بنو إسرائيل، ومع ذلك فجمعه لا يعدو أن يكون عملاً بشريًّا لا يصح بأي حال نسبته إلى الله عز وجل.

10- ذكر المؤرخون أن الحاكم اليوناني (بطليموس الثاني) الذي كان في الفترة من (282-247- ق. م) طلب من اليعازار رئيس الكهان أن يرسل إليه اثنين وسبعين عالماً من علماء التوراة؛ لترجمة أسفار موسى الخمسة إلى اليونانية فنفذ الطلب، وكان اليعازار على رأس أولئك، وتمت المهمة خلال اثنين وسبعين يوماً ، فكانت الترجمة المعروفة بـ (السبعينية) في اللغة اليونانية للأسفار الخمسة. وعن اليونانية ترجم العهد القديم إلى اللاتينية.

فهذه الترجمة للأسفار تمت بعد فترة طويلة جدًّا من وفاة موسى عليه السلام، إذ تقارب العشرة قرون، وكذلك بعد فترة طويلة من نسخة عزرا التي سبق ذكرها ؛ إذ بين هذه الترجمة وتلك النسخة قرابة قرنين من الزمان، مما يجعل الكتاب الذي ترجم عنه إلى اليونانية لا سند له، فيكون المترجَم بالتالي لا قيمة له.

كما أن هذه المعلومة لم يذكرها إلا رجل يوناني يسمى (أرستاي) في رسالة له لهذا ردها كثيرٌ من متأخري اليهود والنصارى، وإن كان المتقدمون قد قبلوها . كما ذكر ذلك الدبس في (تاريخ سورية) . فهي معلومة لم يتوفر لها

الإثباتات اللازمة، إضافة إلى غرابتها حيث زعم قائلها أن اليعازار أرسل اثنين وسبعين رجلاً من علماء اليهود، ستة من كل سبط من أسباطهم الاثني عشر، وأنهم جعلوا في أماكن منفرد بعضهم عن بعض، فكانت ترجماتهم متطابقة تماماً . فهذا الخبر لا يمكن قبوله وتصديقه، وذلك لأن مما هو متفق عليه عند اليهود أن عشرة أسباط من بني إسرائيل وهم الذين كانوا شعب دولة إسرائيل شمال دولة يهوذا قد سبوا من أيام الأشوريين في سنة (722) ق.م وانقرضوا حيث يوصفون بالأسباط العشرة الضائعة، وحسب الخبر المذكور هنا فإن اليعازار قد أحضر ستين عالماً منهم، وهذا مستبعد جدًّا .

11- أن اليهود فقدوا المقدرة على فهم اللغة العبرية المدونة القديمة بعد اختلاطهم بالأمم، وذلك أن اللغة العبرية في أصلها بدون نقط ولا حركات، وهذا يسبب أخطاءً كثيرة في القراءة، فاهتدوا إلى وسيلة لإزالة هذا اللبس بإدخال النقط والحركات، والفواصل، واستمر هذا العمل من القرن السابع الميلادي إلى القرن العاشر الميلادي، فأخرجوا نسخة من التوراة باللغة العبرية على هذا النمط تسمى النسخة الماسورية، انتهوا منها في القرن العاشر الميلادي، وعن هذه النسخة- أي: العبرية- المعدلة نسخت جميع النسخ العبرية والمترجمة عنها .

والسؤال المطروح هنا: أين النسخ الأصلية التي نقلت عنها النسخة الماسورية ؟

الجواب عن ذلك: أنه لا يوجد بأيدي اليهود أو النصارى شيء من النسخ الأصلية سوى مخطوطات وادي قمران عند البحر الميت، والتي عثر عليها في الفترة من عام (1947) - (1956) م وهي مجموعات متكاملة للعهد القديم كتبت قبل الميلاد بثلاثة قرون، وأقربها عهداً ما كتب قبل الميلاد بقرن واحد، إلا أن هذه المخطوطات التي استولى على الجزء الأكبر منها كل من أمريكا، وبريطانيا، واليهود في فلسطين لم تكشف ولم تعلن حتى الآن، مما يجعل في الأذهان استفهامات عديدة حولها، وأنها تتضمن أمورا خطيرة، جعلت اليهود والنصارى يتفقون على عدم كشفها على غير عادتهم في الآثار التاريخية .

ومن خلال هذا العرض التاريخي الموثق للتوراة يتبين ما يلي :

1- أن التوراة التي أعطيها موسى عليه السلام مكتوبة، والتي دوَّنها، وكذلك التي دوَّنها يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام فقدت، إما قبل عهد سليمان عليه السلام، أو بعده مباشرة.

2- أن اليهود زعموا أنهم عثروا على التوراة زمن الملك يوشيا، وهو ادعاء يحتاج إلى العديد من الإثباتات لاعتقاد صحته.

3- أن اليهود فقدوا ما ادعوا أنهم وجدوه زمن الملك يوشيا، وذلك بسبب تدمير بيت المقدس وما أعقب ذلك من سبي اليهود وتهجيرهم.

4- أن عزرا أعاد لهم التوراة وكتبها فيما زعم اليهود، وإذا قبلنا كلام اليهود هذا فإن ذلك لا يعدو أن يكون عملاً بشريًا، وإذا كان عزرا نسبه إلى الله عز وجل فهو كاذب في ذلك؛ لأن التوراة لم يدَّعِ أحد لا من اليهود، ولا من النصارى، ولا من المسلمين أنها أنزلت مرتين مرة على موسى، ومرة على عزرا.

وقد يكون الذي ادَّعى أن تلك هي التوراة ألهمها عزرا هم الكتبة فيما بعد، فهم في هذا كاذبون؛ لأن عزرا لم يقل ذلك فيما نقلوا عنه.

وأدلة بطلان ذلك ظاهرة من ناحية بُعد الزمان، وانقطاع السند، وفساد بني إسرائيل.

5- أن نسخة عزرا وما دوَّنه عزرا لا يعلم على التحقيق مصيرها، وإنما بعد ذلك بما يقارب قرنين من الزمان كتبت النسخة السبعينية، ولم يذكر من أي نسخة ترجمت، وادعاء أنها من حفظ الكهنة بعيد جدًّا إذ إن اليهود لا يحفظون كتابهم عن ظهر قلب، وليس فيهم من يدَّعي ذلك .

6- أن النسخة العبرية، والتي تنتمي إلى النص الماسوري، لا تختلف عن الكتاب المترجم من ناحية أنها أخذت طريقة في الكتابة مغايرة للغة الأصلية التي كتب بها العهد القديم ، مما يجعل ثبوت صحتها منوطاً بوجود النصوص

الأصلية التي تتفق مع اللغة القديمة، حتى يمكن المقابلة عليها، وإلا تعتبر لا أصل لها يشهد لصحتها، فتكون بذلك مثلها مثل النسخة اليونانية.

7- أن النص اليوناني والنص العبري للتوراة والعهد القديم لم يؤخذا من مصدر واحد، بل من مصدرين مختلفين يدل على هذا اختلافهما في عدد الأسفار، حيث إن اليونانية ستة وأربعون سفراً، وأما العبرية الماسورية فهي تسعة وثلاثون سفراً، كما أن بينهما اختلافات كثيرة وعديدة مما يدل على أنهما من مصدرين مختلفين.

ومن خلال هذا يتبين بما لا يدع مجالاً للشك أن العهد القديم كتاب ليس له أي سند تاريخي يثبت تسلسل نقله، وأنه تعرض لفترات عديدة من الضياع، وأن أصله العبري لا وجود له بأيدي اليهود، مما يجعل المجال واسعاً للتحريف والتبديل، وهو ما سنبينه إن شاء الله من واقع ما بأيدي اليهود والنصارى من النصوص.

قال علماء من جامعة تل أبيب إن السجلات التي وجدت مؤخرا في كنز تعود إلى 600 سنة قبل الميلاد، مما يؤكد أن الجزء الأكبر من التوراة كتب قبل الأسر البابلي.

وقام علماء الرياضيات والآثار الإسرائيليون بتحليل سجلات وجدت في كنز مكتوبة باللغة العبرية القديمة، فتوصلوا إلى خلاصة مفادها أن الجزء المهم من كتاب التناخ وهو الاسم الذي يطلقه الأوروبيون على التوراة كتب في وقت سابق لما يُعتقد.

وباستخدام تقنية تحليل خط اليد المماثلة لتلك المستخدمة من قبل وكالات الاستخبارات والبنوك توصل علماء من جامعة تل أبيب إلى أن السجلات التي وجدت في الكنز تعطي إشارة قوية إلى أن إتقان القراءة والكتابة في إسرائيل القديمة كان منتشرا على نطاق واسع، وهذا ما يمكن أن يدعم الأطروحة التي تقول بأن الجزء الأكبر والمهم من التوراة كتب قبل الأسر البابلي.

في الوقت الحالي ثمة وجهة نظر علمية سائدة حول التوراة (أسفار موسى الخمسة) تقول بأنه تم جمعها من سجلات مختلفة خلال السبي البابلي لليهود (ما بين 539 و598 قبل الميلاد) .

ويعتقد عالم الآثار الإسرائيلي فينكلشتاين أن التوراة كتبت قبل غزو الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني .

وفي التقاليد الدينية اليهودية والمسيحية يعتبر النبي موسى أنزلت عليه التوراة، ويعتقد العلماء أن معظم كتب التناخ هو تجميع لعديد من الكتب التي تم تحريرها وإعادة كتابتها حتى القرن الثاني قبل الميلاد .

ويؤمن المسيحيون البروتستانت بالكتب اليهودية (الكتب والأنبياء) وهي العهد القديم، أي ما قبل ظهور السيد المسيح .

يذكر أن التوراة بالعبرية تعني التعليم أو التوجيه (الترئية بالمعنى الحرفي) وخصوصاً فيما يتعلق بالتعليمات والتوجيهات القانونية، وترمز التوراة إلى الأسفار الخمسة الأُولى من الكتاب المقدّس اليهودي التناخ.

النقد التاريخي للتوراة

يعد سبينوزا من أشهر نقاد العهد القديم في العصر الحديث , ومن أعظم من تصدى لقومه بالنقد في أشهر كتبه " رسالة في اللاهوت والسياسة "

ومن هنا نجد سبينوزا قد أدرك أهمية البحث التاريخي والنقدي للكتاب المقدس فيقول : " أهمل القدماء المعرفة التاريخية والنقدية للكتاب المقدس بالرغم من ضرورتها , وبالرغم من أنهم دونوها ونقلوها فقد فقدت بعد أن أصابتها عوادي الزمان .

وبالتالي ضاع منا كلية جزء كبير من الأسس والمبادئ التي تقوم عليها معرفة الكتاب المقدس . ولقد كان بالامكان تحمل ذلك لو ظل الخلف فيما بعد , ملتزماً حد الاعتدال , ونقل بأمانة إلى المتأخرين

القليل الذي وجده دون أن يدخل عليه بدعوى اختلقها هو . فقد كانت خيانته سبباً في أن أصبحت المعلومات التاريخية عن الكتاب ناقصة بل وكاذبة , أي أن الأسس التي تقوم عليها معرفة الكتاب ليست غير كافية فقط من حيث الكم , بحيث لا نستطيع أن نقيم عليها شيئاً كاملاً بل أنها أيضاً معيبة من

حيث الكيف .

قد كان باروخ سبينوزا أول من أقر صراحة في كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة) أنه ليس أول من تنبه إلى أن موسى ليس هو من كتب التوراة خاصة الأسفار الخمسة، ولكن سبقه إلى ذلك أبرهام بن عزرا حيث يقول: «ولهذا السبب فإن ابن عزرا – وهو رجل كان فكره حرًا إلى حدً ما، ولم يكن علمُه يُستهان به، وهو أولُ من تنبَّه إلى هذا الخطأ فيما أعلم– لم يجرؤ على الإفصاح عن رأيه صراحة واكتفى بالإشارة إليه بألفاظ مُبْهَمَةٍ. أما أنا فلن أخشى توضيحَها وإظهارَ الحقّ ناصعاً . هذه هي أقوالُ "ابن عزرا" في شرحه على "التثنية": فيما وراء نهر الأردن. . .الخ لو كنت تعرف سر الاثني عشر . . كتب موسى شريعته أيضا . . وكان الكنعاني على الأرض . . سيوحي به على جبل الله. . هاهو ذا سريره سرير من حديد حينئذ، تعرف الحقيقة. بهذه الكلمات القليلة يبين ويثبت في الوقت ذاته أن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة بل إن مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمن طويل وأن موسى كتب سفرا مختلفا .

لقد أراد ابن عزرا بقوله هذا أن موسى لم يُدون تلك الفقرات وهي إما أن تكون قد أضيفت بعده أو كتبها كاتب معاصر لموسى. والواضح من سنة ميلاد أبراهام بن عزرا أنه ولد بعد ابن حزم الأندلسي بخمس وعشرين سنة، وهي على وجه التأكيد، مدة قريبة للفترة التي عاش فيها ابن حزم الذي ذاع صيته في الأندلس في شتى المجالات ومختلف العلوم. وتجاوز تأثيره معاصريه ليشمل حتى الأجيال التي أتت بعده. ولا يستبعد أحمد شحلان أن يكون أبراهام ابن عزرا في نقده للتوراة قد تأثر بابن حزم الأندلسي، لأنه سلك منهجه فانتقد «النصوص صراحة ولم يلجأ إلى تأويلها . وفي هذا كان ابن حزم أستاذا لأبراهام بن عزره ولسبينوزا، لأن نقد هذين الأخيرين لم يتخذ التأويل

منهجا لحل مبهمات العهد العتيق، ولكنه أخد ينظر في تناقضاته المختلفة، ويناقش عدم توافقه مع صدق الواقع في الأحداث والتواريخ ومستوى اللغة.

ومن هنا يتضح لنا أن ابن عزرا قد تأثر بالثقافة العربية، وبما وصله من مناظرات دينية بين المسلمين وأهل الكتاب، خاصة كتابي ابن حزم الأندلسي(الفصل في الملل والأهواء والنحل) ورسالته في الرد على ابن النغريلةاليهودي،وهذه الرسالة هي عبارة عن مناظرة دارت بين ابن حزم الأندلسي وصموئيل بن النغريلة،والتي أفحم فيها ابن حزم ابن النغريلة، وبين له الكثير من متناقضات التوراة.

نخلص مما سبق إلى أن ابن حزم هو المؤسس الحقيقي لعلم مقارنة الأديان التوحيدية بصفة عامة، ونقد التوراة بصفة خاصة .

ثم تكلمت عن ابن حزم و حياته و منهجه في نقد التوراة وذكرت كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) الذي كان فاتحة علم مقارنة الأديان ونقد الكتاب المقدس بدون منازع ((فالرجل حقيقة ودون مبالغة كان سابقا لعصره في هذا المجال، فقد التزم بقواعد الجدل والحجاج الصارمة؛ إذ يعرض حجج الخصوم عرضا وافيا ومجردا، ثم يرد عليها وينقضها واحدة تلوى الأخرى، اعتمادا على العقل بالنسبة للطوائف التي لا تدين بالإسلام؛ وعلى العقل والنقل بالنسبة للطوائف التي تدين به. مع التزامه الوضوح وعدم الغموض وقد أشار في مقدمة كتابه إلى منهجه في النقد والطريقة التي سيتبعها في الجدل حيث يقول: « الحمد لله كثيرا، وصلى الله على محمد عبده ورسوله وخاتم أنبيائه بكرة وأصيلا، وسلم تسليما .

أما بعد: فإن كثيرا من الناس كتبوا في افتراق الناس في دياناتهم ومقالاتهم كتبا كثيرة جدا، فبعض أطال وأسهب، وأكثر وهجر، واستعمل الأغاليط والشغب، فكان ذلك شاغلا عن الفهم، وقاطعا دون العلم، وبعض حذف وقصر، وقلل واختصر، وأضرب عن كثير من قوي معارضات أصحاب المقالات فكان في ذلك غير مصنف لنفسه في أن يرضى لها بالغبن في الإبانة وظالما لخصمه في أن لم يوفه حق اعتراضه، وباخسا حق من قرأ كتابه؛ إذ لم يفند

به غيره. وكلهم –إلا تحلة القسم– عقد كلامه تعقيدا يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم، وحلق على المعاني من بعد حتى صار ينسى آخر كلامه أوله، وأكثر هذا منهم ستائر دون فساد معانيهم، فكان عملا منهم غير محمود في عاجله وآجله.

ان اليهودية هي أول الديانات السماوية التوحيدية التي خلفت نصا دينيا، يُعتبر أصل التشريع اليهودي، والأساس الذي تقوم عليه، والمرجع الذي يضمن لها الاستمرار، خاصة بعد وفاة نبيها ومؤسسها موسى عليه السلام، فكانت التوراة في نظر اليهود وحيا صادقا من الله لا يشوبه تحريف أو تدبيل. إلا أن الباحثين اختلفوا في تسميته، وفي مدونيه، وفي صحة سنده وكذا في تاريخ تدوينه.إلى جانب اختلاف المذاهب اليهودية والتقاليد المسيحية في عدد أسفاره وترتيبه

وينظر اليهود والمسيحيون إلى العهد القديم لا على أساس أنه مجرد كتاب يتضمن كلام الله، وإنما بصفته كلام الله بعينه، وأن الله هو المؤلف الحقيقي، وقد خطه الله بنفسه مثلما هو الأمر في الوصايا العشر: «وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اصْعَدْ إِلَى الْجَبَلِ وَامْكُثْ هُنَاكَ لأُعْطِيَكَ الْوَصَايَا وَالشَّرَائِعَ الَّتِي كَتَبْتُهَا عَلَى لَوْحَيِ الْحَجَرِ لِتُلَقِّنَهَا لَهُمْ »أو خطه الأنبياء بدءا من النبي موسى وانتهاء بحجاي وزكريا وملاخي، بوحي النبوة كما هو الحال في التوراة وكتب الأنبياء، أو خطه أناس ملهمون كما هو الحال فيبقية الأسفار

ما من كتاب من الكتب الدينية كان حظه من الترجمة في العالم مساويا أو حتى مقاربا لحظ العهد القديم الذي تُرجم قديما وحديثا إلى لغات عديدة لا عد لها ولا حصر. وما من كتاب ديني أثار من الجدل مثلما أثاره هذا الكتاب منذ ظهوره أول مرة في الشرق الأدنى القديم. وليس هناك أي مؤشر يدل على أن الجدل بشأنه سيتوقف في يوم من الأيام. وأهمية العهد القديم لا تنحصر فيما هو عقدي محض. فقد كان يُمثل حتى عهد قريب مصدرا وحيدا لتاريخ شعب بأكمله، بل لديانة بأكملها. ولا يزال يقوم بهذا الدور عند أولئك الذين يُغلبون في نظرتهم إلى العهد القديم الإيمان على العقل. ويعود العهد القديم إلى مرحلة تاريخية قديمة اختلف العلماء، بشدة، في تحديدها.

وما كان للعهد القديم أن يحظى بهذا الانتشار الواسع لولا ارتباطه المبكر بالديانة المسيحية. فإذا تركنا جانبا أوجه العداوة التاريخية بين الديانتين المسيحية واليهودية، والتي لها أسبابها وانعكاساتها ومظاهرها فإن هناك وجها آخر يجمعهما، على الأقل من الجانب المسيحي، ألا وهو الكتاب المقدس. فالمسيحية آمنت بالعهد الجديد ولم تتخل عن العهد القديم، بل تبنته حتى وإن كانت نظرتها إليه لا تطابق من حيث المحتوى وعدد الأسفار العهد القديم لدى اليهود.

ومن المفارقات الجديرة بالتأمل أننا لا نتوفر على أية مخطوطة أصلية للعهد القديم. كل ما بحوزة الباحثين هو بضعة نسخ حديثة إلى حد ما. وقبل اكتشاف مخطوطات قمران كان أقدم نص عبري يعود إلى القرن العاشر الميلادي .

موقف القرآن الكريم من التوراة

وردت اسم التوراة في هذه النصوص القرآنية الكريمة :

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿ ٣ آل عمران﴾

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿ ٥٠آلعمران﴾

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥آلعمران﴾

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣آلعمران﴾

وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴿٤٣المائدة﴾

إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا . . . ﴿٤٤المائدة﴾

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦المائدة﴾

وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦المائدة﴾

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨المائدة﴾

. . . الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ . . . ﴿١٥٧الأعراف﴾

. . . وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ . . . ﴿١١١التوبة﴾

ومن هذه الايات يمكننا استخلاص نظرة القرآن الكريم للتوراة :

أولا : تؤكد هذه الايات ان التوراة أنزلت على موسى عليه السلام (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ)﴿٣آلعمران﴾.

ثانيا : ان هذه التوراة نزلت بعد ابراهيم عليه السلام (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)﴿٦٥آلعمران﴾ .

ثالثا : ان الله حرم على اليهود فيها ماكان حلالا لهم زمن يعقوب عليه السلام (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ) . آل عمران 93

رابعا : ان هذه التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام قد ضيعوها وبدلوها ولم تعد بحوزتهم

(قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) ﴿٩٣آلعمران﴾

يؤخذ من هذه الآية: قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا ، فهذا تعليم من الله لنبيه عليه الصلاة والسلام سبيل المحاجة، (قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا)، ثم هنا لم يقل: فأتوا بالتوراة أتلوها عليكم، لا، فَاتْلُوهَا ، حتى لا يُقال بأني قد غيرت أو حرفت أو أني قد تركت شيئًا من الكلام أو زدت أو نقصت، وإنما فاتلوها يعني: لتنطقوا بالحق بألسنتكم، ولا يكون لكم أدنى شبهة ولا حجة ولا التباس، حتى يحصل إقامة الحجة على هؤلاء اليهود المُكابرين؛ لأنهم من أكثر الناس مُكابرة وعنادًا ولجاجًا في الحق.

خامسا : انهم لم يقيموا التوراة كما أمرهم الله باتباعها ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦المائدة﴾

سادسا : وهم لم يفهموها أو يعيروها أي أهمية : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥الجمعة﴾.

سابعا : وفيها حكم الله الذي يبين لهم شريعتهم ومنهجهم لكن لم يتبعوها (وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿ ٤٣المائدة ﴾

ثامنا : فيها هدى ونور (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا . .) . ﴿٤٤ المائدة ﴾

تاسعا : في التوراة بشارة وذكر لرسول الاسلام وأخر الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام (. . . الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ . . . ﴿ ١٥٧ الأعراف ﴾

ما هي الصفات المشتركة في القرآن والتوراة والانجيل

. **الهدى والنور** : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة : 44]

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة : 46]

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : 138] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ [النساء : 174]

. **الحكم** ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء : 105]

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : 43]

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة : 47]

. **الحكمة** : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 151] ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [آل عمران : 164]

﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [آل عمران : 48]

. **الميثاق** : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران : 81]

تفسير السعدي : وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من

يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق النبيين وعهدهم المؤكد بسبب ما أعطاهم من كتاب الله المنزل، والحكمة الفاصلة بين الحق والباطل والهدى والضلال، إنه إن بعث الله رسولا مصدقا لما معهم أن يؤمنوا به ويصدقوه ويأخذوا ذلك على أممهم، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضا لأن جميع ما عندهم هو من عند الله، وكل ما من عند الله يجب التصديق به والإيمان، فهم كالشيء الواحد، فعلى هذا قد علم أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتمهم، فكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به واتباعه ونصرته، وكان هو إمامهم ومقدمهم ومتبوعهم، فهذه الآية الكريمة من أعظم الدلائل على علو مرتبته وجلالة قدره، وأنه أفضل الأنبياء وسيدهم صلى الله عليه وسلم لما قررهم تعالى ﴿ قالوا أقررنا ﴾- أي: قبلنا ما أمرتنا به على الرأس والعين ﴿ قال ﴾ الله لهم: ﴿ فاشهدوا ﴾ على أنفسكم وعلى أممكم بذلك، قال ﴿ وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك ﴾ العهد والميثاق المؤكد بالشهادة من الله ومن رسله

وجوب الايمان والاعتقاد بها

يجيء ذكر الإيمان بالكتب السماوية في القرآن في صيغة الأمر تارة، وصفة للمؤمنين تارة أخرى، كما يجيءُ عدم الإيمان بالكتب المنزلة أو الإيمان بعضها دون البعض الاخر علامة على الكفر تارة ثالثة. فمن أمثلة الأمر قوله تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: 136].

وقد يأتي الأمر في صيغة مجملةٍ في مثل قوله في سورة [النساء: 136]، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ﴾، أما وصف المؤمنين بأنهم هم الذين يؤمنون بالكتب المنزلة كلها فيجيء في مثل هذه الصيغة، قال تعالى: ﴿ الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: 1 - 4]. أمّا وصف الذين لا يؤمنون بالكتب كلّها، أو الذين يؤمنون ببعضها، ويكفرون ببعض

بأنهم كفّار، فيجيء في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [البقرة: 136].

لكن لماذا دعانا الله للايمان بالتوراة والانجيل وأمر أتباعهم بالعمل بها والكتب التي بين أيديهم هي محرفة ومزورة ؟

لقد ذكرنا ان كتاب الله واحد وأنزل الله منه للذين هادوا (نصيبهم) الذي جمع في (التوراة) وكذلك أنزل الله نصيبا منه للذين قالوا انا نصارى وضم في الانجيل والقرآن الكريم هو الكتاب كله هو الجامع المهيمن وفيه تفصيل كل شئ وضرب الله فيه من كل مثل فدعوتنا للايمان بالتوراة والانجيل باعتبارهما جزءا من الكتاب (القرآن الكريم) فحينما نؤمن بالقرآن الكريم فأننا ضمنا نؤمن بكل ما أنزله الله على أنبياءه ورسله لذلك فأن ايماننا بالتوراة والانجيل اللذان بين أيدينا اليوم – مع علمنا بتزويرهما ـ ليس ايمانا غير مشروط أي نؤمن بكل ما يحتويه هذين الكتابين اليوم بل نؤمن بالنصوص التي لها أصلها في كتاب الله والتي لا أصل لها فهي نصوص دخيلة مشكوك في كونها من كلام الله فلا نؤمن بها لأنها محرفة ومدسوسة .

مثال على ذلك جاء في القرآن الكريم ان عيسى عليه السلام هو (كلمة) من الله

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران : 45]

وجاء في الانجيل : قول الإنجيل برواية يوحنا : "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ الله" (إنجيل يوحنا 1 الآية 1)، ثم يقول أيضا : "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا (يعني الكلمة تجسد في شخص المسيح) وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ (إنجيل يوحنا 1 آية 14

فنحن لا نؤمن بما يقوله الانجيل الذي صير الكلمة الى جسد لأن ذلك شرك وكفر بالله ويعارض ماجاء في كتاب الله الذي لا يجسد (كلمة الله) إن الكلمة كما أنها تفيد المعاني والحقائق، كذلك عيسى كان يرشد الناس إلى الحقائق والأسرار الربانية. بشَّرت بقدومه كتب الأنبياء الذين سبقوه، فلما جاء قيل: هذا هو الكلمة.

إن الإنسان قد يلقب بفضل الله، ولطف الله، فكذا عيسى يسمى كلمة الله.

وأما معنى (الكلمة) في قوله (وكلمته ألقاها إلى مريم)، فهي كلمة الله التي يخلق بها المخلوقات، وهي (كن)، وأقرب تفسير لهذه العبارة، أنه سبحانه خلق عيسى بالأمر الإلهي الكوني المباشر، الذي يقول عنه في مواضع شتى من القرآن الكريم: إنه (كن، فيكون)، فلقد ألقى هذه الكلمة إلى مريم، فخلق عيسى في بطنها من غير نطفة أب – كما هو المألوف من حياة البشر غير آدم – والكلمة التي تخلق كل شيءٍ من العدم، لا عجب من أن تخلق عيسى عليه السلام في بطن مريم من النفخة التي يعبّر عنها بقوله (وروح منه) .

إن عيسى عليه السلام بالكلمة كان، وليس هو عين الكلمة، فالكلمة التي ألقاها الله عز وجل إلى مريم حين قال له (كن) فكان عيسى بـ (كن) وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان، فالكن من الله قوله وليس الكن مخلوقاً، وعيسى بالكن كان، ولذلك هو مخلوق من الله تعالى.

كشف الضياع والتحريف والتزوير الذي حصل

لقد شن القرآن الكريم حربا كلامية موضوعية ومنطقية على الذين حرفوا التوراة ونرى ذلك واضحا في آيات كثيرة نذكر منها :

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة : 79]

أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : 85]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [البقرة : 159]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة : 174]

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة : 176]

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : 78]

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران : 187]

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ [النساء : 44]

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء : 171]

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة : 15]

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة : 77]

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : 154]

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأعراف : 169]

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [هود : 110]

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : 4]

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : 46]

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴾ [غافر : 53]

ونستخلص من هذه النصوص الأمور التالية

أولا : لقد تعرضت التوراة لعملية قرصنة على يد الرهبان والأحبار فقاموا بكتابة أيات وأدعوا انها من التوراة أي من عند الله وهذا يدل على ان النسخة الأصلية من التوراة قد ضاعت لذلك تجرأ القراصنة

على القيام بهذه الأفعال لكي ينتفعوا من وراها بمال زهيد:

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة : 79]

ثانيا : كان أتباع التوراة يؤمنون بما يحلو لهم منها ويكفرون ببعضه

أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : 85]

ثالثا : كان هؤلاء الرهبان والأحبار يكتمون بعض ماجاء في التوراة لتحقيق منفعة مادية لهم وقد يكون بعضا من هذا الذي يكتمونه فيه تحريم الهي وبهذه العملية يحللون ماحرمه الله في سبيل المال .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [البقرة : 159]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة : 174] .

رابعا : يخبر تعالى أن من أهل الكتاب فريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب، أي: يميلونه ويحرفونه عن المقصود به، وهذا يشمل اللي والتحريف لألفاظه ومعانيه، وذلك أن المقصود من الكتاب حفظ ألفاظه وعدم تغييرها، وفهم المراد منها وإفهامه، وهؤلاء عكسوا القضية وأفهموا غير المراد من الكتاب، إما تعريضا وإما تصريحا، فالتعريض في قوله ﴿ لتحسبوه من الكتاب ﴾ أي: يلوون ألسنتهم ويوهمونكم أنه هو المراد من كتاب الله، وليس هو المراد، والتصريح في قولهم: ﴿ ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ وهذا أعظم

جرما ممن يقول على الله بلا علم، هؤلاء يقولون على الله الكذب فيجمعون بين نفي المعنى الحق، وإثبات المعنى الباطل، وتنزيل اللفظ الدال على الحق على المعنى الفاسد، مع علمهم بذلك. (تفسير السعدي)

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : 78]

خامسا :

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة : 176]

﴿ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ ومن الحق، مجازاة المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. وأيضا ففي قوله: ﴿ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ ما يدل على أن الله أنزله لهداية خلقه، وتبيين الحق من الباطل، والهدى من الضلال، فمن صرفه عن مقصوده، فهو حقيق بأن يجازى بأعظم العقوبة. ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: وإن الذين اختلفوا في الكتاب، فآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه، والذين حرفوه وصرفوه على أهوائهم ومراداتهم ﴿ لَفِي شِقَاقٍ ﴾ أي: محادة، ﴿ بَعِيدٍ ﴾ عن الحق لأنهم قد خالفوا الكتاب الذي جاء بالحق الموجب للاتفاق وعدم التناقض، فمرج أمرهم، وكثر شقاقهم، وترتب على ذلك افتراقهم، بخلاف أهل الكتاب الذين آمنوا به، وحكموه في كل شيء، فإنهم اتفقوا وارتفقوا بالمحبة والاجتماع عليه. وقد تضمنت هذه الآيات، الوعيد للكاتمين لما أنزل الله، المؤثرين عليه، عرض الدنيا بالعذاب والسخط، وأن الله لا يطهرهم بالتوفيق، ولا بالمغفرة، وذكر السبب في ذلك بإيثارهم الضلالة على الهدى، فترتب على ذلك اختيار العذاب على المغفرة، ثم توجع لهم بشدة صبرهم على النار، لعملهم بالأسباب التي يعلمون أنها موصلة إليها، وأن الكتاب مشتمل على الحق الموجب للاتفاق عليه، وعدم الافتراق، وأن كل من خالفه، فهو في غاية البعد عن الحق، والمنازعة والمخاصمة. (تفسير السعدي) .

سادسا :ان التوراة في أصلها كتاب سماوي منزل الغاية من وراء نزوله تبليغه وتبيانه للناس وليس كتمانه ونبذه وترك العمل به والمتاجرة بنصوصه والربح من وراء التلاعب بها وهذا مافعله الكثير من اليهود بها

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران : 187]

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ [النساء : 44]

سابعا :أخفى الرهبان والأحبار الكثير من نصوص وأيات التوراة

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة : 15]

ثامنا : قال المولى عزوجل : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة : 77]

توضح لنا هذه الاية الكريمة موقفا أخر من المواقف المؤذية التي قام بها الأحبار والرهبان بحق التوراة وهو المغالاة في الدين دون حق أي دون وجود الدليل على ما يدعون وقد اتبع آهل الكتاب في عهد الرسول الكريم عليه السلام تعاليم هذه الفئة الضالة التي ضلت وأضلت وتاهت عن الطريق المستقيم .

تاسعا : لقد أثنى الله عز وجل على التوراة لأن فيها هدى ورحمة وتفصيلا لكل شئ يتعلق بحياة اتباع موسى عليه السلام وفي من الكمال والتمام على أحسن وجه .

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : 154]

عاشرا :ان أمر الشك بالتوراة والأختلاف فيه سيبقى قائما لأن ارادت الله قضت بذلك .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [هود : 110]

حادي عشر : لقد قضى الله سبحانه وتعالى أن تكون التوراة كتابا مقدسا لبني اسرائيل تتوارثه أجيالهم الى يوم القيامة .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴾ [غافر : 53]

ثاني عشر : قال المولى عز وجل : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأعراف : 169]

لقد أخذ الله عليهم ميثاقا بأن يحافظوا على التوراة وأن لا يقولوا على الله الا الحق بها لكنهم خالفوا عهد الله وفرطوا في كتابهم تفريطا .

هذا هو موقف القرآن الكريم من التوراة فلقد بين قيمتها وما تحويه من هدى ورحمة وشريعة ومنهجا وفيه تفصيل كل شئ يهم أتباعها وبين ان الله قد أخذ عهدا منهم على الحفاظ عليها والعمل بها لكنهم لم يفعلوا ذلك بل قاموا بكل أعمال التبديل والتحريف والتزوير والكتمان وفوق كل ذلك نبذوها ولم يعملوا بها .

التوراة بين المعطيات العلمية والدراسات الحديثة

ان المواجهة بين حقائق العلم في القرن العشرين وبين بعض الموضوعات التي تعالجها الكتب المقدسة تهم بالتالي الأديان الثلاثة معًا وليس دينًا واحدًا على حدة ولكني لن أعالج هنا إلا جانبًا واحدًا من الموضوع وهو:

دراسة الكتب المقدسة نفسها في ضوء المعارف العلمية الحديثة

ان معالجة الكتب المقدسة من خلال علم الدراسة النقدية للنصوص شيء قريب العهد في بلادنا ففيما يخص العهد القديم والعهد الجديد، ظل الناس يقبلونهما على ما هي عليه طيلة قرون عديدة.

ولم تكن قراءة الكتب المقدسة تؤدي إلا إلى اعتبارات مدحية، وكان مجرد التعبير عن أي روح نقدية إزاء الكتاب المقدسة خطيئة لا تغتفر.

وكان القساوسة هم الصفوة التي تستطيع بغير عناء أن تكون لديها معرفة إجمالية عن التوراة والأناجيل أما عامة العلمانيين فلم تكن تتلقى إلا نصوصًا مختارة خلال الطقوس الدينية أو عبر المواعظ.

وبعد أن أصبح نقد النصوص علمًا، فقد كان له الفضل في أن جعلنا نكتشف مشاكل مطروحة وخطيرة في أحيان كثيرة.

غير أنه لا بد من أن نصاب بخيبة الأمل عندما نقرأ كتبًا كثيرة تدعى أنها نقدية ولكنها لا تقدم في مواجهة الكثير من مشكلات التأويل الحقيقية إلا تفسيرات مديحية تهدف إلى ستر حرج المؤلف وحيرته.

في ظل تلك الظروف فإن المتناقضات والأمور البعيدة عن التصديق تظل باقية بلا حل في نظر كل من يريد أن يحتفظ بسلامة مقدرته على التفكير وحسه الموضوعي.

وإننا لنأسف حقًّا لذلك الموقف الذي يهدف إلى تبرير الاحتفاظ في نصوص التوراة والإنجيل ببعض المقاطع الباطلة خلافًا لكل منطق، إن ذلك موقف يسيء كثيرًا إلى الإيمان بالله لدى بعض العقول المثقفة.

ومع ذلك: فقد أثبتت التجربة أنه إذا كان بعضهم قادرًا على فضح بعض مواطن الضعف من هذا النوع، فإن الغالبية من المسيحيين لم تدرك حتى الآن وجود هذا الضعف، وظلت في جهالة تامة من أمر ذلك التناقض مع المعارف الدنيوية المشهورة التي تعتبر غالبًا من المعارف الأساسية جدًّا.

ولقد كانت مقابلة نصوص الكتب المقدسة بحقائق العلوم موضوع تفكير الإنسان في كل العصور.

ففي البدء قبل إن اتفاق العلم والكتب المقدسة أمر لازم لصحة النص المقدس

وإن القديس أوغسطين، في خطابه الثاني والثمانين، الذي سنذكره فيما بعد قد حدد هذا المبدأ بشكل حاسم.

ولكن تطور العلم كشف للمفكرين عن وجود نقاط خلاف بين الاثنين. وبهذه الطريقة خلف ذلك الوضع الخطير الذي جعل اليوم مفسري التوراة والأناجيل يناصبون العلماء العداء.

إذ لا يمكن في الحقيقة أن نقبل بأن رسالة إلهية منزلة تنص على واقع غير صحيح بالمرة.

وبناء على ذلك فليس هناك سوى إمكانية واحدة للتوفيق المعقول بين الأمرين، وهي عدم قبول صحة المقطع الذي يقول في التوراة بأمر غير مقبول علميًّا.

ولم يكن هذا الحل طواعية بل بالعكس فقد تعصب بعضهم بشدة للاحتفاظ بتمام النص، وقد كان نتيجة هذا أن اضطر المفسرون إزاء صحة الكتب المقدسة إلى اتخاذ مواقف لا يمكن قبولها من قبل رجل العلم.

وإن الإسلام قد اعتبر دائمًا، كما فعل القديس أوغسطين بالنسبة للتوراة، أن هناك اتفاقًا بين معطيات الكتاب المقدس والواقع العلمي.

وعلى سبيل المثال، فإننا نجعل التاريخ التقريبي لظهور الإنسان على الأرض، غير أنه قد اكتشفت آثاره لأعمال بشرية تستطيع وضع تاريخها فيما قبل الألف العاشرة من التاريخ المسيحي دون أن يكون هناك أي مكان للشك. وعليه: فإننا لا نستطيع علميًّا قبول صحة نص سفر التكوين الذي يعطي أنسابًا وتواريخ تحدد أصل الإنسان (خلق آدم) بحوالي 37 قرنًا قبل المسيح. وربما استطاع العلم في المستقبل أن يحدد لذلك تواريخ فوق تقديراتنا الحالية.

غير أننا نستطيع أن نطمئن إلى أنه لن يمكن أبدًا إثبات أن الإنسان قد ظهر على الأرض منذ 5736 سنة كما يقول التاريخ العبري في 1975. وبناء على ذلك: فإن معطيات التوراة الخاصة بقدم الإنسان غير صحيحة.

هذه المواجهة مع العلم لا تتناول أية قضية دينية بالمعنى الحقيقي للكلمة. فليس للعلم مثلًا أن يقدم أي شرح لكيفية ظهور الله لموسى – أو أن يحل اللغز الذي يحيط بمجيء المسيح على الأرض دون أن يكون له أب جسدي (بيولوجي).

ولذلك: فإن الكتب المقدسة لا تقدم أي تعليل مادي لأمور من هذا النوع.

ان ما يصدمنا حقًّا في أيامنا هذه: أن نرى المتخصصين في دراسة النصوص يتجاهلون ذلك التناقض والتعارض مع الحقائق العلمية الثابتة، أو يكشفون عن بعض نقاط الضعف ليحاولوا بعد ذلك التستر عليها مستعينين في ذلك ببهلوانيات جدلية. فسيجد فيه القارئ أمثلة توضيحية لتطبيق العلم على دراسة أحد الكتب المقدسة، وهو تطبيق لم يكن ليتوقعه الإنسان، كما يسجد القارئ في ذلك بيانًا لما قد جاء به العلم الحديث الذي هو في متناول كل يد من أجل فهم أكمل لبعض الآيات القرآنية التي ظلت حتى الآن مستغلقة أو غير مفهومة.

ولا عجب في هذا إذا عرفنا أن الإسلام قد اعتبر دائمًا أن الدين والعلم توأمان متلازمان

موريس بوكاي وكشف المستور

يشكل موريس بوكاي أحد العلماء المعاصرين المهتمين بقضايا علم مقارنة الأديان من خلال إضافاته النوعية المتميزة.

و بوكاي يعتبر من قلة الباحثين الغربيين الذين تجاوزوا تأثرهم بتعليمهم و تكوينهم المحرف لصورة الإسلام فإن اعتماده على الموضوعية العلمية و تحرره من الأحكام المسبقة و ربطه علاقات طيبة مع نخب إسلامية من سياسيين و مثقفين بالإضافة إلى تعلمه للغة العربية نفسها قد أتاح له فرصا متعددة للتعرف على الإسلام دون وسائط ليلج باب مقارنة الأديان من مدخل اختبار النصوص الدينية الثلاثة (العهد القديم و العهد الجديد و القرآن الكريم) و عرضها على معطيات العلم الحديث من حيث أوجه الاتفاق و الاختلاف.

فأسفرت هذه الدراسة على إبراز معارضات ظاهرة بين العهدين القديم و الجديد مع معطيات العلم المعاصر في حين أظهرت نتائجها موافقات تامة بين القرآن الكريم و نتائج العلوم الحديثة مما سمح له بالاقتناع بالإسلام دينا سماويا و بالقرآن كتابا ربانيا .

كتابه

التوراة والإنجيل والقرآن والعلم

ويقول فى مقدّمته ص ١٢ فى طبعة دار المعارف :

«هذه التأملات حول الصفة المقبولة أو غير المقبولة علميا، لمقولة فى كتاب مقدس. تتطلب منا إيضاحا دقيقا، إذ علينا أن نؤكد أننا عند ما نتحدث هنا عن حقائق العلم، فإننا نعنى بها كل ما قد ثبت منها بشكل نهائى، وأن هذا الاعتبار يقضى باستبعاد كل نظريات الشرح والتبرير التى قد تفيد فى عصر ما لشرح ظاهرة، ولكنها قد تلقى بعد ذلك تاركة مكانها لنظريات أخرى أكثر.

ملاءمة للتطور العلمى، وإن ما أعنيه هنا . . هو تلك الأمور التى لا يمكن الرجوع عنها . والتى ثبتت بشكل كاف، ويمكن استخدامها دون خوف الوقوع فى مخاطرة الخطأ .

«إننا نجهل مثلا التاريخ التقريبى لظهور الانسان على الأرض، غير أنه قد اكتشفت آثار أعمال إنسانية ترجع دونما ريب إلى ما قبل عشرة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح . . (قيل إن العلم اكتشف أبعد من هذا موغلا فى القدم) دون أن يكون هناك مكان للشك . . فلا يجوز إذن اعتبار النص التوراتى لسفر التكوين كما لو كان صحيحا، إذ لا يمكن علميا قبوله، إذ يذكر السلالات البشرية والتواريخ التى تحدد بداية الإنسان (خلق آدم) بأنها ترجع إلى سبعة وثلاثين قرنا– أى ثلاثة آلاف وسبعمائة سنة قبل المسيح لا عشرة آلاف) ولكنا نستطيع أن نكون واثقين بأننا لن نثبت أبدا أن الإنسان ظهر على الأرض منذ ٥٧٣٦ سنة كما شاء التقويم العبرى سنة ١٩٧٥. إن معطيات التوراة المتعلقة بالإنسان القديم– إذن– خاطئة وغير صحيحة» . .

والاستاذ الباحث يبنى حكمه بخطإ التوراة، على أساس علمى ثابت لا يمكن أن يتطرق إليه شك وهو فى هذا جد محتاط، فالعلم الحديث والحفريات قد تظهر لنا – أو أظهرت فعلا – أن عمر الإنسان على الأرض يرجع إلى ملايين من السنين بواسطة العثور على جمجمة للإنسان فى كينيا، وبعد تحليلها علميا ثبت ذلك . . فكون التوراة تحدد عمر الإنسان بما حددته به – فى سفر التكوين – قد ظهر خطأ ذلك وتناقضه مع معطيات العلم اليقينية .

ويقول فى المقدمة أيضا:

«لقد قمت أولا بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أى فكر مسبق، وبموضوعية تامة، باحثا عن درجة التوافق بين نص القرآن ومعطيات العلمالحديث. وكنت أعرف قبل هذه الدراسة، وعن طريق الترجمات . . أن القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظواهر الطبيعية، ولكن معرفتى كانت وجيزة، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربى استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها . . أن القرآن لا يحتوى على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث.

وقد قمت بالتدقيق ذاته وبالفحص بموضوعية تامة للعهد القديم والأناجيل.

أما بالنسبة للعهد القديم . . فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول – أى سفر التكوين – فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم الحديث رسوخا فى عصرنا . .

وأما بالنسبة للأناجيل . . فما نكاد نفتح الصفحة الأولى، حتى نجد أنفسنا دفعة واحدة فى مواجهة مشكلة خطيرة، ونعنى بها شجرة أنساب المسيح، وذلك أن نص إنجيل متى يناقض بشكل جلى إنجيل لوقا، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمرا لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض ويتناقض معها .

ثم يتكلم بعد هذا عن أثر هذا التناقض على الإيمان فيقول: لا يبدو لى أنها تستطيع أن تضعف الإيمان بالله . . ولا تقع المسئولية فيها إلا على البشر .

ولا يستطيع أحد أن يقول كيف كانت النصوص الأصلية؟ وما نصيب الهوى والخيال فى عملية تحريرها ؟ أو ما نصيب التحريف المقصود من قبل كتبة هذه النصوص؟، أو ما

نصيب التعديلات غير الواعية التى أدخلت على الكتب المقدسة (١) ؟

إن ما يصدمنا حقا فى أيامنا هذه أن نرى المتخصصين فى دراسة النصوص يتجاهلون ذلك التناقض والتعارض مع الحقائق العلمية الثابتة، أو يكشفون عن بعض نقاط الضعف، ليحاولوا بعد ذلك التستر عليها مستعينين فى ذلك ببهلوانيات جدلية.»

ثم يتعجب من القدرة الجدلية وغيرها على إخفاء هذه التناقضات على كثيرين من المسيحيين الذى يجهلون حتى الآن العيوب الكبيرة لعديد من مقاطع العهد القديم والإنجيل، مما تكفل هو ببيانه فىالجزءين الأول والثانى من الكتاب . .

ثم يقول: أما الجزء الثالث فسيجد فيه القارئ أمثلة توضيحية لتطبيق العلم على دراسة أحد الكتب المقدسة (يريد القرآن) وهو تطبيق لم يكن يتوقعه إنسان، كما سيجد القارئ فى ذلك بيانا لما قد جاء به العلم الحديث الذى هو فى متناول كل يد، من أجل فهم أفضل وأكمل لبعض الآيات القرآنية، التى ظلت حتى الآن مستغلقة، أو غير مفهومة، ولا عجب فى هذا إذا عرفنا أن الإسلام قد اعتبر دائما أن الدين والعلم توأمان متلازمان، فمنذ البدء كانت العناية بالعلم جزءا لا يتجزأ من الواجبات التى أمر بها الاسلام، وأن تطبيق هذا هو الذى أدى إلى ذلك الازدهار العظيم للعلوم فى عصر الحضارة الاسلامية، تلك التى اقتات منها الغرب نفسه قبل عصر النهضة فى أوربا .

وإن التقدم الذى تم اليوم بفضل المعارف العلمية فى شرح بعض ما لم يكن مفهوما، أو فى شرح بعض ما قد أسيء تفسيره حتى الآن من آيات القرآن ليشكل قمة المواجهة بين العلم والكتب المقدسة»

التوراة الحالية

حينما نتحدث عن التوراة في زماننا هذا كموضوع للبحث والدراسة والتمحيص والنقد لأعتقادنا الجازم –كما يعتقد الكثيرين اليوم – بأن ما نتحدث عنه اليوم هو التوراة البديلة الموضوعة وهي غير تلك التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام و قد ماتت مع وفاته كما قال أحد الباحثين الأجانب .

ونحن هنا بصدد كشف التزوير والتبديل والتحريف الذي حصل فيها عقائديا وتاريخيا وزمانيا لنفي صفة القداسة عن هذه التوراة التي ندرسها اليوم أي نفي كونها وثيقة سماوية أو نصوص مقدسة وذلك بأدلة وبراهين عقلية وعلمية .

سمات التوراة الحالية

لا يعرف من هم كتبة التوراة وما هي مصادر نصوصها؟

ان أهم سمة من سمات التوراة التي بين ايدينا اليوم انها محرفة ومجهولة المصدر و هناك خلاف حول من قام بكتابتها

ووفقا للتراث الديني اليهودي، فإن النبي موسى صعد إلى جبل طور سيناء، قبل حوالي 3500 عام، وتلقى من الرب مباشرة لوحي العهد، اللذين حُفرت عليهما الوصايا العشر، وكذلك الأسفار الخمسة الأولى والتلمود والمِشنة والأحاديث الدينية المنقولة. وجرى ذلك في السادس من شهر نيسان العبري، وهو التاريخ الذي يحتفل فيه اليهود بعيد "شْفوعوت" أي عيد نزول التوراة، ويسمى أيضا عيد البواكير، ورغم هذه الرواية التراثية، إلا أن البحث العلمي في التوراة وتاريخها توصل إلى "حقيقة" أن موسى لم يكتب التوراة، ولا الأسفار الخمسة الأولى، وهي التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية، وإنما كتبها أشخاص يحملون أفكارا مختلفة ومتنوعة.

والسؤال الأساس في هذا السياق هو من هم كتبة التوراة وماذا كانت أهدافهم؟ وقد حاول الكاتب والمحرر في صحيفة "هآرتس" إيلونغلعاد الإجابة على ذلك في مقال مطول نشره عشية عيد نزول التوراة.

يستدل من نصوص التوراة نفسها أنها لم تنزل في سيناء، إذ هناك وصف لقصة تلقف الوصايا العشر، لكن النص التوراتي لا يذكر أن موسى حصل على كتاب التوراة. ورغم أن كلمة "توراة" مذكورة في النص، إلا أن المقصود هو

"الأوامر"، بمعنى القوانين والشرائع. كذلك فإن الأسفار الخمسة لم تنحصر في جبل طور سيناء، وإنما تتحدث عن سنوات التيه كلها، التي استمرت 40 عاما، وقبل أن يصل "أبناء إسرائيل" إلى طور سيناء.

وواضح من النص التوراتي أن أجزاء من التوراة لم يكتبها موسى، إذ أنه مذكور هناك أنه كتب مقاطع معينة، ما يعني أن هذه الملاحظة لم تكن ضرورية لو أن موسى كتب النص كله. إضافة إلى ذلك، فإن قصة موسى كتبها مؤلف يتحدث عنه من خلال ضمير الغائب، مثلما يتحدث عن الشخصيات الأخرى، ومثال على ذلك: "وأما الرجل موسى فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عدد 12، 3).

كذلك فإن كبار حاخامي اليهود، الذين وضعوا الأحاديث الدينية المنقولة (الشفهية) بحلول القرن السادس الميلادي، وكانوا يلتزمون بأن موسى كتب التوراة، واجهوا صعوبة في تصديق أنه كتب الآيات الثماني الأخيرة من سفر التثنية، التي تصف موت موسى ودفنه. ويعبر التلمود عن هذه الصعوبة: "هناك من يقول إن موسى كتب هذه الآيات أيضا، وآخرون يقولون إنه كتبها خليفته، يهوشع بن نون". واستمر هذا النقاش بصورة هادئة في القرون الوسطى.

وفي بداية عصر التنوير، في أوروبا، بدأ مفكرون وفلاسفة يشككون علنا بأن موسى كتب التوراة. وكتب الفيلسوف الهولندي اليهودي باروخسبينوزا، في مؤلفه الهام "رسالة في اللاهوت والسياسة"، في العام 1670، أنه "واضح كالشمس في الظهيرة أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة الأولى في التوراة، وإنما كتبها شخص عاش بعده بسنوات كثيرة".

كذلك توصل إلى نتيجة مشابهة الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز، الذي عاش في الفترة نفسها.

قصة واحدة نصان مختلفان

دفعت كتابات سبينوزا وهوبز الطبيب والباحث الفرنسي، البروفسور جان أستروك، إلى استخدام علم النقد، الذي استخدم حتى ذلك الحين في دراسة تطور النصوص الإغريقية واللاتينية، في دراسة التوراة. وكان أستروك

يأمل بأن يفند "كفر" الفيلسوفين، لكنه فوجئ عندما اكتشف أن سفر التكوين مؤلف من نصين مختلفين متداخلين ويشكلان نصا واحدا. وقد نشر استنتاجاته في العام 1753، بمقال غير موقع.

وتوصل أستروك إلى قناعة، ويؤمن بها الباحثون اليوم، بأن التوراة لم يكتبها شخص واحد وإنما عدة أشخاص، وذلك بسبب أربعة مميزات في نصوص سفر التكوين والأسفار الأخرى، وهي: تكرار لا حاجة له، تناقضات داخلية، اختلافات في الأسلوب واللغة، اختلافات إيمانية وفكرية.

ومثال على ذلك أنه لا توجد في التوراة قصة خليقة واحدة، وإنما هناك قصتان: القصة الأولى تتحدث عن خلق العالم في ستة أيام وتنتهي باستراحة في اليوم السابع، حسبما ورد في سفر التكوين، في الإصحاح الأول والآيات 1-3 في الإصحاح الثاني. وبعد ذلك هناك قصة خليقة مختلفة في سفر التكوين نفسه، في الإصحاحين الثاني والرابع، وهذا مثال على تكرار زائد. وترتيب الخليقة في القصة الأولى يبدأ بالنباتات ثم الحيوانات والإنسان في النهاية. بينما في القصة الثانية، يخلق الرب آدم أولا، ثم النباتات، وبعد ذلك الحيوانات، وفي النهاية يخلق حواء من ضلع آدم. وهذا مثال على التناقض.

في القصة الأولى يوصف الخالق بأنه "الله" وتسمى الطيور بـ"طائر ذي جناح"، بينما في القصة الثانية يسمى الخالق "الرب الإله" والطيور بـ"طيور السماء". وهذان مثالان على تغيير في النص والأسلوب.

والخالق في القصة الأولى غيبي ومنفصل عن العالم، لكنه في القصة الثانية هو إله مقيم في العالم ويتجول في الجنة ويتحدث مع البشر.

كذلك فإن يوم السبت كيوم راحة مذكور في القصة الأولى فقط، وغائب عن القصة الثانية.

وهذه جميعاً أمثلة على تغيرات تتعلق بأركان الإيمان (قدسية يوم السبت، وطبيعة الله) تنعكس من خلال النص.

وبصورة مشابهة تتداخل روايتان في قصة الطوفان.

ويصادف القارئ لقصة الطوفان الإشكاليات الأربع التي صادفها في قصة الخليقة، لكن في قصة الطوفان لا توجد روايتان الواحدة بعد الأخرى، وإنما تظهران كقصة واحدة مليئة بالتكرار والتناقضات والتغيرات اللغوية والفكرية.

على سبيل المثال، الطوفان يستمر 370 يوما ثم يقال إنه استمر 40 يوما، ويسمى الرب "الله" أحيانا و"الرب الإله" أحيانا أخرى. ويؤكد ذلك على وجود روايتين تظهران بالكامل، من دون شطب تفاصيل من نصيهما. ففي إحدى الروايتين يرسل نوح حمامة، ويرسل في الثانية غرابا.

برغم ذلك، فإن قصة الطوفان متلائمة مع قصة الخليقة، إذ تسمي إحدى روايتي الطوفان الخالق بـ"الرب الإله" وتقول إنه يغلق السفينة ويشتم روائح ويندم، وهذا مشابه لـ"الرب الإله" الذي يتحدث مع البشر في قصة الخليقة. وفي الرواية الأخرى للطوفان، كما في قصة الخليقة الأولى، يتم تسمية الخالق بـ"الله".

كتبة التوراة

خلافا للانطباع الذي قد ينشأ من الروايات المزدوجة المذكورة أعلاه، فإن التوراة ليست مؤلفة من مصدرين وإنما من أربعة مصادر. ودرج الباحثون، في أعقاب أستروك، على درس التوراة دراسة نقدية، وفي العام 1805، بيّن باحث التوراة الألماني فيلهلم دي – فيتيه أن لسفر التثنية مصدرا منفصلا عن الأسفار الأربعة الأخرى الأولى في التوراة. كما أظهرت دراسات لاحقة أنه يوجد للنصوص التي تسمي الخالق "الله" أكثر من مصدر واحد، بل أن هناك مصدرين. وجمع الباحث الألماني يوليوس فلهاوزن هذه الدراسات ووحدها في ما بات يعرف باسم "نظرية المخطوطات".

ووفقا لهذه النظرية، أو الفرضية، فإن التوراة مكونة من أربع مخطوطات دمجها محرر، في فترة متأخرة، لتشكل وحدة واحدة. وتعبر المخطوطات عن المصدر اليهوي (يهوى)، الذي يستخدم تسمية "الرب الإله"؛ المصدر الذي يستخدم تسمية "الله"؛ المصدر التثنيوي، المسؤول عن سفر التثنية كله؛ المصدر الكهني، وهو المصدر الأكبر في التوراة، ويسمي الخالق بـ"الله" حتى ظهور الرب لموسى وعندها يبدأ هذا المصدر باستخدام "الرب الإله". وهذه

النظرية مقبولة على الغالبية العظمى من الباحثين المعاصرين مع تغييرات طفيفة. فقد جرى التعرف، في القرن العشرين، على مقاطع عديدة في التوراة تشكل مصادر بحد ذاتها، مثل "قانون القداسة" في سفر اللاويين.

إن كتبة التوراة كثيرون، ويتجاوز عددهم الخمسة، كعدد مصادر التوراة. والاعتقاد السائد أن عزرا الكاتب، ويعرف أيضا باسم عزرا الكاهن، الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، هو الذي جمع وحرر نصوص التوراة. ويعتقد الباحثون أن نصوص التوراة لم تكتب كقطعة واحدة، وإنما هي ثمرة عمل أجيال من الكتبة، الذين أضافوا "طبقات على ظهر طبقات" من النصوص. ولا يستبعد الباحثون احتمال استمرار تعديل النص التوراتي بعد تحريره حتى أصبح بالشكل الذي نعرفه اليوم.

هناك جانب آخر ينبغي الالتفات إليه، هو أن مفهوم الكتبة في العصور القديمة يختلف عن مفهومه اليوم. فقد كانت هناك مخطوطات يحتفظ بها في المعابد. كما أن عناصر القراءة والكتابة كانت مؤهلات نادرة جداً. وكان تأهيل الكاتب يستمر لسنة أو اثنتين، وشمل تعليما أساسيا فقط على الكتابة والقراءة، من خلال نسخ كتابات ونصوص قديمة وتعلم تفسيرها على أيدي كتبة متخصصين. كذلك تعلم الكتبة لغات أجنبية، وكتبة التوراة تعلموا اللغة الآرامية بالأساس. وبعد اكتساب هذه المهارات، كان الكتبة يتجهون إلى العمل في المعابد، أو كمستقلين، أو في خدمة أثرياء أو لدى الملك كمستشارين ووزراء ودبلوماسيين.

وبعد تطور الكتابة في العصور القديمة، بدأ الكتبة ينسخون قصصا وقصائد كانت تُتداول شفهيا جيلا بعد جيل.

ورغم الاحتفاظ بالمخطوطات بحرص شديد في المعابد، إلا أنها كانت تتلف وتبلى مع مرور الزمن، ولذلك كانت هناك حاجة إلى إعداد نسخ أخرى منها كي تحل مكانها. وكانت هذه النُسخ مطابقة، أحيانا، للنسخة السابقة، لكن بصورة عامة كانت تختلف عنها قليلا، لأن الكاتب لم يكن ينسخ كلمة بكلمة، وإنما يكتب من خلال السمع والذاكرة. وكان يدمج الكتبة في النص الجديد، أحيانا، مقاطع من التراث الشفهي أو من مخطوطات أخرى، وبهذه الطريقة تطورت المخطوطات في الشرق القديم مع مرور السنين.

مصادر التوراة

يرجح الباحثون أن المصدر الذي استخدم تسمية "الله" في النصوص التوراتية هو المصدر الأقدم. ووفقا لمضمون هذه النصوص، حيث الأماكن المذكورة فيها تقع كلها تقريبا داخل "مملكة إسرائيل" (في القسم الشمالي من فلسطين)، يعتقد الباحثون أنها كُتبت بأيدي كهنة هذه المملكة في نهاية القرن التاسع قبل الميلاد وبالأساس خلال القرن الثامن قبل الميلاد. وفي أعقاب خراب "مملكة إسرائيل" على أيدي الآشوريين، في العام 722 قبل الميلاد، هاجر قسم من الكتبة إلى يهودا (المنطقة الواقعة بين القدس والخليل)، حاملين معهم مخطوطاتهم المقدسة وانخرطوا في ثقافة هذه المنطقة. وبحسب علماء آثار، فإن "مملكة يهودا"، التي حكمها حينذاك حزقياهو، كانت تتسع وتزدهر اقتصاديا وثقافيا في أعقاب هجرة "نوعية" من مملكة الشمال التي كانت متطورة نسبيا وبسبب اندماجها في الاقتصاد الدولي.

ويحتوي المصدر اليهوي على التقاليد القديمة لـ"مملكة يهودا" الصغيرة والأكثر تخلفا. ويعتبر الباحثون أن الأماكن التي يذكرها هذا المصدر في النصوص التوراتية تشكل شهادة مقنعة على المكان الذي كُتبت فيها نصوص هذا المصدر. ويرجح أنه جرى تدوين التراث الشفهي الموجود في هذه النصوص في معبد في القدس، في القرن الثامن قبل الميلاد، وربما بعد وصول المهاجرين من مملكة الشمال. وتم دمج هذين المصدرين في نص واحد في نهاية فترة "مملكة يهودا"، وقريبا من العام 586 قبل الميلاد، وهو عام خراب الهيكل الأول وفقا للتراث اليهودي.

وتطور المصدر التثنيوي بصورة تدريجية، وتكمن أهميته في كونه يتضمن مجموعة التشريعات والقوانين اليهودية. ولأهميته، يسمى أحيانا "التوراة". وكانت النواة القديمة لسفر التثنية مكتوبة بأسلوب ولغة تحالف بين ملك وملك آخر تابع له، ولكن بدلا من الحديث عن حلف بين ملكين، وصفت هذا النواة حلفا بين الله وشعب إسرائيل. ويتحدث سفر الملوك الثاني عن "العثور" على سفر التثنية في العام 622 قبل الميلاد تقريبا، عندما كان الكهنة يرتبون المعبد.

ويبدو أنه تم إجراء تعديل على نص سفر التثنية بعد العثور على مخطوطته لغايات سياسية، إذ أن مضمون المخطوطة الجديدة يتناقض بالكامل مع تقاليد "مملكة يهودا"، وخاصة فيما يتعلق بفريضة تركيز الشعائر الدينية في "الهيكل" في القدس، بينما اعتاد سكان "يهودا" على مر الأجيال على إقامة هذه الشعائر في منابر ومعابد وأماكن مقدسة أخرى منتشرة في أنحاء المملكة. ووفقا للنص الجديد فإن الملك ياشياهو شكك في مصداقية المخطوطة، واستشار خَلدة النبية حول ذلك، فقالت إن النص أصلي. وفي أعقاب ذلك أمر ياشياهو بإجراء إصلاحات دينية شاملة. لكن النبي إرميا، الذي عاش في تلك الفترة، لم يكن مقتنعا بأصلية هذا النص.

ويرجح الباحثون أن كتبة سفر التثنية هم كهنة من "مملكة إسرائيل". وتوجد في هذا السفر أوجه شبه عديدة مع المصدر الذي يستخدم تسمية "الله" من حيث الأسلوب اللغوي، إذ يستخدمون اسم "جبل حوريب" خلافا للمصادر الأخرى التي تستخدم "سيناء"، وكذلك هناك تشابه مع مجموعة القوانين. ويولي سفر التثنية أهمية كبيرة للاويين. ويبدو أن الإصلاحات التي قادها ياشياهو شملت تقاسم عمل بين كهنة "الهيكل" في القدس، الذين اعتبروا أنهم من نسل هارون، شقيق موسى، وبين كهنة مملكة الشمال الذي اعتبروا أنفسهم مكملي طريق موسى. وكانت مهمة كهنة القدس تقديم القرابين وإقامة طقوس العبادة، بينما كانت مهمة الكهنة الشماليين، الذين أصبحوا لاويين، المسؤولية عن نصوص "الهيكل"، وبضمن ذلك الحفاظ على المخطوطات المقدسة وغناء المزامير.

واستمر اللاويون في تطوير سفر التثنية من تلك النواة الأولية وحتى نهاية فترة "الهيكل الأول" وفترة سبي بابل. وفي نهاية عملية تطويره، أصبح سفر التثنية الجزء الأول من التاريخ التثنيوي، الذي يشمل أسفار يشوَع والقضاة وصموئيل والملوك، وجميعها مكتوبة بالأسلوب واللغة نفسيهما وتحمل الأيديولوجية نفسها.

ويرجح أن المصدر الكهني هو المصدر الأخير زمنيا، وأنه كتبه كهنة "الهيكل" بسبب كثرة التفاصيل التي تضمنها حول الطقوس وتقديم القرابين في "الهيكل". وتمت كتابة الأسفار التي مصدرها كهني خلال فترة سبي بابل، التي امتدت لخمسين عاما تقريبا في القرن السادس قبل الميلاد. ويظهر في أماكن عدة في النص التوراتي أن المصدر

الكهني يحاكي مصادر أخرى وتقاليد أجنبية أخرى وربما أنه تطلع إلى تغييرها . ويتناول هذا المصدر بإيجاز قصص الخليقة والطوفان والأنبياء حتى يصل إلى قصة الخروج من مصر . عندها تصبح وتيرة الأحداث بطيئة ومليئة بالتفاصيل، وتشكل إطارا لعدد كبير من القوانين الدينية. ويمنح هذا المصدر دورا هاما لهارون، في الوقت الذي بالكاد تذكره المصادر الأخرى.

دوافع جمع المخطوطات وصنع التوراة

تم جمع المخطوطات وتحريرها وبلورة التوراة بعد سبي بابل، أو ما يسمى في التراث اليهودي بـ"شيفاتسيون"، أي "العودة إلى صهيون" .

في العام 538 قبل الميلاد، سمح ملك فارس، كورش، لليهود بالعودة إلى منطقة يهودا وإقامة حكم ذاتي فيها . وكان هذا الحكم الذاتي بحاجة إلى قانون ومحاكم وتاريخ جامع، في الوقت الذي كانت فيه النخبة منقسمة ومتنازعة وتسود المنافسة بين تقاليد مختلفة. ومن أجل توحيد هذه النخبة، كانت هناك حاجة إلى التقاليد في قصة تاريخية واحدة وقانون موحد مقبول على جميع الأطراف.

ويبدو أنه تم تكليف عزرا الكاتب، وكتبة عملوا تحت إمرته، بتنفيذ هذه المهمة. وبموجب تعيين من ملك فارس أرتحششتا، جمع عزرا الكتابات العبرية القديمة، وصنع كتابا واحدا منح فيه الأولوية للمصدر الكهني، لأنه كان كاهنا بنفسه.

ويرجح الباحثون أنه لم يكن من قبيل الصدفة، أنه في مركز التاريخ اليهودي الذي صنعه عزرا، الذي يفترض فيه أن يجمّع العائدين من بابل، كانت قصة الخروج من مصر، على أنها قصة "العائدين من الشتات"، والرحلة إلى فلسطين وتلقف القانون من زعيم لديه كريزما، ألا وهو موسى.

ووفقا للرواية التوراتية، فإنه عندما حضر عزرا، على رأس مجموعة من العائدين من بابل، إلى القدس، جرى استقبال كبير، عرض عزرا خلاله "كتاب التوراة" . وجاء في سفر نحميا، الآية 2– 3 من الإصحاح الثامن: "فأتى

عزرا الكاتب بالشريعة أمام الجماعة. . . وقرأ فيها أمام الساحة التي أمام باب الماء من الصباح إلى نصف النهار أمام الرجال والنساء وكانت آذان كل الشعب نحو سفر الشريعة" . هكذا وُلدت التوراة كما نعرفها اليوم تقريبا .

لكن ثمة أهمية لهاتين الآيتين لسبب آخر، إذ فيما سُمي الكتاب الذي عرضه عزرا بأنه "سفر الشريعة"، في الآية الثالثة، فإنه تم وصفه في الآية الثانية بـ"الشريعة" . ويرى باحثون أن هذا الأمر يدل على تغيير ذي دلالة طرأ على كلمة "الشريعة"، أي التوراة، في بداية الفترة التي يطلق عليها في الأدبيات اليهودية تسمية "الهيكل الثاني" . وهذه الكلمة التي كانت تعني في السابق "الأمر"، بمعنى القانون والشريعة الدينية، بدأت تستخدم كاسم للأسفار الخمسة الأولى في التوراة، وبشكل مشابه لاستخدامها اليوم. ويعتقد باحثون أنه ربما يكون هذا التغيير هو الذي جعل القيادة الروحانية والتشريعية اليهودية بين القرنين الثالث قبل الميلاد والسادس الميلادي، والمعروفة باسم "حَزَل"، تفسر خطأ الآية "وهذه هي الشريعة التي وضعها موسى أمام بني إسرائيل" (تثنية 4، 44) على أنها دليل على أن موسى كتب التوراة كلها .

أسفار التوراة

في أسفار موسى الخمسة أو التوراة، هي معترف بها في اليهودية والسامرية والمسيحية (باستثناء الأقلية من الطوائف البروتستانتية الذين يسمون بالعهد الجديد فقط الذين يرفضون "العهد القديم" .

سفر التكوين

سفر الخروج

سفر اللاويين

سفر العدد

سفر التثنية

الأسفار المشتركة بين اليهودية والمسيحية ولكن مستبعدة من قبل السامريين

يشوع

القضاة

راعوث

سفر صموئيل الأول و2

سفر الملوك الأول وسفر الملوك الثاني

أخبار الأيام الأول والثاني

عزرا

نحميا

استير

أيوب

المزامير

أمثال

نشيد الأنشاد

سليمان

أشعيا

إرميا

سفر مراثي إرميا

حزقيال

دانيال

أسفار الأنبياء الصغار

هوشع

يوئيل

عاموس

عوبديا

يونان

ميخا

ناحوم

حبقوق

صفنيا

حجي

زكريا

سفر ملاخي

أسفار يقبلها الكاثوليك والأرثوذكس، لكن يستبعدها اليهود والسامريين ومعظم البروتستانت :

سفر طوبيا

سفر يهوديت

سفر المكابيين الأول

سفر المكابيين الثاني

سفر الحكمة

سفر يشوع بن سيراخ

سفر باروخ ويشمل سفر إرميا

تتمة سفر دانيال

سفر أستي

أسفار يقبلها الأرثوذكس (سينودس القدس):

عزرا

سفر المكابيين الثالث

سفر المكابيين الرابع

صلاة منسي

مزمور 151

الأسفار الخمسة

التكوين

كتاب التكوين هو أول كتاب في التوراة. إنه قابل للقسمة إلى جزأين، التاريخ البدائي (الفصول 1–11) وتاريخ الأجداد (الفصول 12–50). يحدد التاريخ البدائي مفاهيم المؤلف (أو المؤلفين) عن طبيعة الإله وعلاقة الجنس البشري مع خالقه: الله يخلق عالمًا صالحًا ومناسبًا للبشرية، ولكن عندما يفسده الإنسان بالخطيئة الله يقرر تدمير خليقته، وينقذ فقط نوح الصالح لإعادة العلاقة بين الإنسان والله. يخبرنا تاريخ الأجداد (الفصول 12–50) عن عصور ما قبل التاريخ لإسرائيل، شعب الله المختار. بأمر من الله، يسافر إبراهيم، نسل نوح، من منزله إلى أرض كنعان التي وهبها الله، حيث يسكن كغريب، كما يفعل ابنه إسحاق وحفيده يعقوب. تم تغيير اسم يعقوب إلى إسرائيل، ومن خلال وكالة ابنه يوسف، نزل بنو إسرائيل إلى مصر، 70 شخصًا مع منازلهم، ووعدهم الله بمستقبل رائع. ينتهي سفر التكوين بإسرائيل في مصر، استعدادًا لمجيء موسى والخروج. تتخلل السرد سلسلة من العهود مع الله، تضيق نطاقها تباعًا من البشرية جمعاء (العهد مع نوح) إلى علاقة خاصة مع شعب واحد فقط (إبراهيم ونسله من خلال إسحاق ويعقوب).

الخروج

كتاب الخروج هو ثاني سفر من التوراة، مباشرة بعد سفر التكوين. يروي الكتاب كيف ترك الإسرائيليون القدماء العبودية في مصر بقوة الرب، الإله الذي اختار إسرائيل لشعبه. يلحق الرب أذى مروع بخاطفيهم من خلال الضربات الأسطورية في مصر مع النبي موسى كزعيم لهم، يسافرون عبر البرية إلى جبل سيناء التوراتي، حيث وعدهم الرب بأرض كنعان («أرض الموعد») مقابل إخلاصهم. يدخل إسرائيل في عهد مع الرب الذي أعطاهم قوانينهم وتعليماتهم لبناء خيمة الاجتماع، وهي الوسيلة التي سيأتي بها من السماء ويسكن معهم ويقودهم في حرب مقدسة لامتلاك الأرض، ومن ثم يمنحهم السلام.

تُنسب الدراسات الحديثة إلى موسى بشكل تقليدي، وتعتبر الكتاب في البداية نتاجًا للمنفى البابلي (القرن السادس قبل الميلاد)، من التقاليد المكتوبة والشفوية السابقة، مع التنقيحات النهائية في فترة ما بعد المنفى الفارسية (القرن الخامس قبل الميلاد). تشير كارول مايرز، في تعليقها على سفر الخروج، إلى أنه يمكن القول أنه أهم كتاب في الكتاب المقدس، لأنه يعرض السمات المحددة لهوية إسرائيل: ذكريات الماضي الذي تميزت به المشقة والهروب، وهو عهد ملزم مع الله، الذي يختار إسرائيل وإرساء حياة المجتمع والمبادئ التوجيهية لاستدامتها.

اللاويين

يبدأ سفر اللاويين بتعليمات لبني إسرائيل حول كيفية استخدام خيمة الاجتماع التي بنوها للتو (لاويين 1–10). ويتبع ذلك قواعد الطهارة والنجس (لاويين 11–15)، والتي تتضمن قوانين الذبح والحيوانات التي يجوز أكلها (انظر أيضًا: كشروت)، ويوم الكفارة (لاويين 16)، ومختلف القوانين الأخلاقية والطقسية أحيانًا. يسمى قانون القداسة (لاويين 17–26). يقدم لاويين 26 قائمة مفصلة بالمكافآت لاتباع وصايا الله وقائمة مفصلة بالعقوبات لعدم اتباعها. يؤسس سفر اللاويين 17 الذبائح في خيمة الاجتماع باعتبارها مرسومًا أبديًا، ولكن تم تغيير هذا المرسوم في الكتب اللاحقة مع كون الهيكل هو المكان الوحيد الذي يُسمح فيه بتقديم الذبائح.

العدد

سفر العدد هو رابع سفر من التوراة. للكتاب تاريخ طويل ومعقد، لكن شكله النهائي ربما يرجع إلى التنقيح الكهنوتي (أي التحرير) لمصدر يهودي في وقت ما في الفترة الفارسية المبكرة (القرن الخامس قبل الميلاد). يأتي اسم السفر من التعدادين اللذين أجريا لبني إسرائيل.

تبدأ الأرقام في جبل سيناء، حيث حصل الإسرائيليون على شرائعهم وعهدهم من الله وأقام الله بينهم في الحرم. المهمة التي أمامهم هي الاستيلاء على أرض الموعد. يتم عد الناس والاستعدادات لاستئناف مسيرتهم. يبدأ الإسرائيليون الرحلة، لكنهم «يتذمرون» على المصاعب على طول الطريق، وبشأن سلطان موسى وهرون. من

أجل هذه الأعمال، يدمر الله ما يقرب من 15000 منهم بوسائل مختلفة. وصلوا إلى حدود كنعان وأرسلوا جواسيس إلى الأرض. عند سماع رواية الجاسوسين المخيفة عن الأوضاع في كنعان، رفض الإسرائيليون الاستيلاء عليها . يحكم عليهم الله بالموت في البرية حتى يكبر جيل جديد ويقوم بالمهمة. ينتهي السفر بجيل جديد من بني إسرائيل في سهل موآب مستعدين لعبور نهر الأردن.

الأرقام تتويجًا لقصة خروج إسرائيل من الاضطهاد في مصر ورحلهم للاستيلاء على الأرض التي وعد بها الله آبائهم. على هذا النحو، فإنه يصل إلى استنتاج الموضوعات التي تم تقديمها في سفر التكوين والتي تم عرضها في سفر الخروج واللاويين: لقد وعد الله شعب إسرائيل بأنهم سيصبحون أمة عظيمة (أي عديدة)، وأن تكون لهم علاقة خاصة مع الرب إلههم، وأن يملكوا أرض كنعان. تُظهر الأرقام أيضًا أهمية القداسة والأمانة والثقة: على الرغم من حضور الله وكهنته، يفتقر إسرائيل إلى الإيمان وتُرك ملكية الأرض لجيل جديد .

التثنية

سفر التثنية هو الكتاب الخامس في التوراة. تتكون الإصحاحات من 1 إلى 30 من الكتاب من ثلاث عظات أو خطب ألقاها موسى للإسرائيليين في سهول موآب، قبل دخولهم أرض الموعد بوقت قصير. تروي العظة الأولى أربعين عامًا من التجوال في البرية التي أدت إلى تلك اللحظة، وتنتهي بنصائح لمراعاة الشريعة (أو التعاليم)، والتي يشار إليها فيما بعد باسم شريعة موسى؛ والثاني يذكر بني إسرائيل بالحاجة إلى اتباع الرب والقوانين (أو التعاليم) التي أعطاهم، والتي تعتمد عليها ملكيتهم للأرض؛ والثالث يقدم الراحة التي حتى إذا أثبتت إسرائيل عدم إخلاصها وفقدت الأرض، مع التوبة يمكن استعادة كل شيء . تحتوي الإصحاحات الأربعة الأخيرة (31-34) على نشيد موسى، وبركة موسى، وروايات تروي انتقال عباءة القيادة من موسى إلى يشوع، وأخيرًا موت موسى على جبل نيبو.

تم تقديمه على أنه كلمات موسى التي ألقيت قبل غزو كنعان، حيث يرى إجماع واسع من العلماء المعاصرين أن أصلها في التقاليد من إسرائيل (المملكة الشمالية) جُلبت جنوبًا إلى مملكة يهوذا في أعقاب الفتح الآشوري لآرام (القرن الثامن قبل الميلاد) ثم تم تكييفها مع برنامج الإصلاح القومي في زمن يوشيا (أواخر القرن السابع قبل الميلاد)، مع ظهور الشكل النهائي للكتاب الحديث في بيئة العودة من الأسر البابلي خلال أواخر القرن السادس قبل الميلاد . يرى العديد من العلماء أن الكتاب يعكس الاحتياجات الاقتصادية والوضع الاجتماعي لطائفة اللاويين، الذين يُعتقد أنهم قدموا لمؤلفيه.

التوراة

دراسة مقارنة

في كتابنا هذا نقسم المحاور البحثية الى محورين أساسين المحور الأول للحديث عن الايات المتعلقة بالخلق (الكونية) والمحور الثاني للحديث عن الأنبياء والرسل وكتاب التكوين كما ذكرنا هو أول كتاب في التوراة. إنه قابل للقسمة إلى جزأين، التاريخ البدائي (الفصول 1–11) وتاريخ الأجداد (الفصول 12–50) . يحدد التاريخ البدائي مفاهيم المؤلف (أو المؤلفين) عن طبيعة الإله وعلاقة الجنس البشري مع خالقه: الله يخلق عالمًا صالحًا ومناسبًا للبشرية، ولكن عندما يفسده الإنسان بالخطيئة الله يقرر تدمير خليقته، وينقذ فقط نوح الصالح لإعادة العلاقة بين الإنسان والله. يخبرنا تاريخ الأجداد (الفصول 12–50) عن عصور ما قبل التاريخ لإسرائيل، شعب الله المختار.

بأمر من الله، يسافر إبراهيم، نسل نوح، من منزله إلى أرض كنعان التي وهبها الله، حيث يسكن كغريب، كما يفعل ابنه إسحاق وحفيده يعقوب. تم تغيير اسم يعقوب إلى إسرائيل، ومن خلال وكالة ابنه يوسف، نزل بنو إسرائيل إلى مصر، 70 شخصًا مع منازلهم، ووعدهم الله بمستقبل رائع. ينتهي سفر التكوين بإسرائيل في مصر، استعدادًا لمجيء موسى والخروج. تتخلل السرد سلسلة من العهود مع الله، تضيق نطاقها تباعًا من البشرية جمعاء (العهد مع نوح) إلى علاقة خاصة مع شعب واحد فقط (إبراهيم ونسله من خلال إسحاق ويعقوب).

الايات الكونية

خلق العالم والانسان

سِفْرُ التَّكْوِينِ

الأَصحَاحُ الأَوَّلُ

1فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. 2وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. 3وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ. 4وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. 5وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلاً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا. 6وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ

جَلَدٌ فِي وَسَطِ الْمِيَاهِ. وَلْيَكُنْ فَاصِلاً بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ» . 7فَعَمِلَ اللهُ الْجَلَدَ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجَلَدِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجَلَدِ . وَكَانَ كَذلِكَ. 8وَدَعَا اللهُ الْجَلَدَ سَمَاءً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَانِيًا .

9وَقَالَ اللهُ: «لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ». وَكَانَ كَذلِكَ. 10وَدَعَا اللهُ الْيَابِسَةَ أَرْضًا، وَمُجْتَمَعَ الْمِيَاهِ دَعَاهُ بِحَارًا . وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. 11وَقَالَ اللهُ: «لِتُنْبِتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلاً يُبْزِرُ بِزْرًا، وَشَجَرًا ذَا ثَمَرٍ يَعْمَلُ ثَمَرًا كَجِنْسِهِ، بِزْرُهُ فِيهِ عَلَى الأَرْضِ» . وَكَانَ كَذلِكَ. 12فَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلاً يُبْزِرُ بِزْرًا كَجِنْسِهِ، وَشَجَرًا يَعْمَلُ ثَمَرًا بِزْرُهُ فِيهِ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. 13وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَالِثًا .

14وَقَالَ اللهُ: «لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينٍ. 15وَتَكُونَ أَنْوَارًا فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ» . وَكَانَ كَذلِكَ. 16فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ، وَالنُّجُومَ. 17وَجَعَلَهَا اللهُ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ، 18وَلِتَحْكُمَ عَلَى النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَلِتَفْصِلَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. 19وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا رَابِعًا .

20وَقَالَ اللهُ: «لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ، وَلْيَطِرْ طَيْرٌ فَوْقَ الأَرْضِ عَلَى وَجْهِ جَلَدِ السَّمَاءِ» .
21فَخَلَقَ اللهُ التَّنَانِينَ الْعِظَامَ، وَكُلَّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الدَّبَّابَةِ الَّتِي فَاضَتْ بِهَا الْمِيَاهُ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلَّ طَائِرٍ ذِي جَنَاحٍ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. 22وَبَارَكَهَا اللهُ قَائِلاً: «أَثْمِرِي وَاكْثُرِي وَامْلإِي الْمِيَاهَ فِي الْبِحَارِ. وَلْيَكْثُرِ الطَّيْرُ عَلَى الأَرْضِ» . 23وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا خَامِسًا .

24وَقَالَ اللهُ: «لِتُخْرِجِ الأَرْضُ ذَوَاتِ أَنْفُسٍ حَيَّةٍ كَجِنْسِهَا: بَهَائِمَ، وَدَبَّابَاتٍ، وَوُحُوشَ أَرْضٍ كَأَجْنَاسِهَا» . وَكَانَ كَذلِكَ. 25فَعَمِلَ اللهُ وُحُوشَ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا، وَالْبَهَائِمَ كَأَجْنَاسِهَا، وَجَمِيعَ دَبَّابَاتِ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا . وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. 26وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ» . 27فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ

عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. 28وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ».

29وَقَالَ اللهُ: «إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ كُلَّ بَقْل يُبْزِرُ بِزْرًا عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، وَكُلَّ شَجَرٍ فِيهِ ثَمَرُ شَجَرٍ يُبْزِرُ بِزْرًا لَكُمْ يَكُونُ طَعَامًا. 30وَلِكُلِّ حَيَوَانِ الأَرْضِ وَكُلِّ طَيْرِ السَّمَاءِ وَكُلِّ دَبَّابَةٍ عَلَى الأَرْضِ فِيهَا نَفْسٌ حَيَّةٌ، أَعْطَيْتُ كُلَّ عُشْبٍ أَخْضَرَ طَعَامًا». وَكَانَ كَذلِكَ.

31وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا سَادِسًا.

الاصحَاحُ الثَّانِي

1فَأُكْمِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا. 2وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. 3وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقًا.

4هذِهِ مَبَادِئُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حِينَ خُلِقَتْ، يَوْمَ عَمِلَ الرَّبُّ الإِلهُ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ. 5كُلُّ شَجَرِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ فِي الأَرْضِ، وَكُلُّ عُشْبِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَنْبُتْ بَعْدُ، لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَمْطَرَ عَلَى الأَرْضِ، وَلاَ كَانَ إِنْسَانٌ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ. 6ثُمَّ كَانَ ضَبَابٌ يَطْلَعُ مِنَ الأَرْضِ وَيَسْقِي كُلَّ وَجْهِ الأَرْضِ.

قصة الخلق في التوراة

التصور الأولي عن مراحل خلق الكون في التوراة يمكن تلخيصها في الأمور التالية :

أولا : 1فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ

ان كلمة البدء هنا في النص التوراتي تعني البداية الزمنية للكون أي اللحظة الزمنية التي تلت خلق الله للسموات والأرض ويلاحظ هنا ان التوراة لم تذكر أي شئ عن المرحلة السابقة للخلق بينما ذكر القرآن الكريم حالة

(الدخان) التي سبقت خلق السموات والأرض (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) فصلت : (11)

ثانيا :2وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ.

تتحدث النصوص التوراتية عن حالة الأرض بعد أن خلقها الله بأنها كانت خربة وخالية و (روح الله يرف

على وجه المياه) بينما النصوص القرآنية تفصل الحدث بدقة وموضوعية تتوافق التصورات المنطقية و مع المعطيات العلمية الحديثة .

فالسماوات والأرض وفق التعبير القرآني كانتا (﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : 30]

أي كانتا كتلة خلقية تكوينية واحدة ثم فصلهما الله وكانت الأرض كتلة منفصلة مستقلة بجالها وقبل أن يجعل الله عرشه في السموات كان عرشه على الماء والتوراة لم تتحدث عن عرش الله بل عن روح الله وفي ذلك تجسيما لله تعالى جلت قدرته .

ونكتشف في الاية المذكورة أعلاه معجزة خفية اذ ان المولى عز وجل يخاطب الذين كفروا ب (أو لم ير)

فأنى لهم أن يروا وهم لم يكن قد خلقوا بعد ولم يشهدهم الله على خلقه (﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف : 51]

وهنا تتجلى معجزة القرآن من ان معطياته قائمة وباقية الى يوم الدين وسيأتي اليوم الذي سيرى الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقا وهذا مانسمعه في أيامنا هذه عن اكتشافات تلسكوبية حديثة رصدت الأزمنة التي حدثت بعيد ما يسمى بالأنفجارالعظيم .

ولقد وعد الله سبحانه وتعالى بأنه (﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : 53]

ثالثا : تتحدث النصوص التوراتية عن خلق النباتات

11وَقَالَ اللهُ: «لِتُنْبِتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلاً يُبْزِرُ بِزْرًا، وَشَجَرًا ذَا ثَمَرٍ يَعْمَلُ ثَمَرًا كَجِنْسِهِ، بِزْرُهُ فِيهِ عَلَى الأَرْضِ». وَكَانَ كَذلِكَ. 12فَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلاً يُبْزِرُ بِزْرًا كَجِنْسِهِ، وَشَجَرًا يَعْمَلُ ثَمَرًا بِزْرُهُ فِيهِ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. 13وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَالِثًا .

فتتحدث عن العشب والبقول والشجر المثمر الذي يحتوي على بذوره في ثماره وهذه صورة ناقصة وغير مكتملة عن خلق الله فالحياة النباتية تحتوي ملايين الأنواع والأصناف ولا تقتصر فقط على العشب والبقول والشجر وحينما يتحدث القرآن الكريم عن ما خلقه وبثه الله في الأرض فهو يصوره بشكل عام وشامل

(قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ) (10)

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 22]

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : 57]

﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : 11]

فهذه الآيات القرآنية تتحدث عن بعض ما خلقه الله من الزروع والزيتون والنخيل والأعناب وهي الثمرات الحيوية والتي تشمل كل الأنظمة الغذائية النباتية التي يحتاجها الآنسان ولم يكتف القرآن الكريم بتعداد هذه الأنواع وقد عدد

وبين أنواعا أخرى في أيات عديدة بل قال (ومن كل الثمرات) وهذا يشمل كل الأنواع المثمرة التي بثها الله في الأرض وغير المثمرة التي يستفاد منها (﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ [يس : 80]

وكل هذا الخلق تجمعه كلمة واحدة هي (أقواتها) في قوله تعالى (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ)

رابعا : تتحدث النصوص التوراتية عن خلق الله للحيوانات وتقول

20وَقَالَ اللهُ: «لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ، وَلْيَطِرْ طَيْرٌ فَوْقَ الأَرْضِ عَلَى وَجْهِ جَلَدِ السَّمَاءِ». 21فَخَلَقَ اللهُ التَّنَانِينَ الْعِظَامَ، وَكُلَّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الدَّبَّابَةِ الَّتِي فَاضَتْ بِهَا الْمِيَاهُ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلَّ طَائِرٍ ذِي جَنَاحٍ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. 22وَبَارَكَهَا اللهُ قَائِلاً: «أَثْمِرِي وَاكْثُرِي وَامْلإِي الْمِيَاهَ فِي الْبِحَارِ. وَلْيَكْثُرِ الطَّيْرُ عَلَى الأَرْضِ». 23وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا خَامِسًا.

24وَقَالَ اللهُ: «لِتُخْرِجِ الأَرْضُ ذَوَاتِ أَنْفُسٍ حَيَّةٍ كَجِنْسِهَا: بَهَائِمَ، وَدَبَّابَاتٍ، وَوُحُوشَ أَرْضٍ كَأَجْنَاسِهَا». وَكَانَ كَذلِكَ. 25فَعَمِلَ اللهُ وُحُوشَ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا، وَالْبَهَائِمَ كَأَجْنَاسِهَا، وَجَمِيعَ دَبَّابَاتِ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. 26

ونجد هنا تشابها في قصة خلق الحيوانات بقصة خلق النباتات في التوراة من حيث ذكر بعض المخلوقات كالزحافات والطيور والتنانين وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة .

بينما نجد مرة أخرى ان النصوص القرآنية التي تتحدث عن المخلوقات تكون أكثر شمولية وتعطينا وصفا دقيقا لما خلقه الله منها فالاية القرآنية (﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : 164]

تتحدث عن بث الله على الأرض من كل دابة وكل دابة تشمل كل المخلوقات الحية والتي صنفتها أية أخرى في ثلاث أنواع معروفة :

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور : 45]

خامسا : مسألة خلق الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار

جاء في سفر التكوين (14 وَقَالَ اللهُ: «لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينٍ. 15وَتَكُونَ أَنْوَارًا فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ» . وَكَانَ كَذلِكَ. 16فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ، وَالنُّجُومَ. 17وَجَعَلَهَا اللهُ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ، 18وَلِتَحْكُمَ عَلَى النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَلِتَفْصِلَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. 19وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا رَابِعًا) .

نلاحظ من هذه النصوص التوراتية المتعلقة بخلق الشمس والقمر والليل والنهار تشابه بسيط بينها وبين الايات القرآنية التي تتحدث عن ذلك فيما يتعلق بتوالي الليل والنهار وحساب عدد الأيام والسنين وجعل القمر ضياء والشمس نورا لكن هناك في نفس الوقت خطأ فلكيا علميا وقعت فيه النصوص التوراتية لا نجد له مثيلا في النصوص القرآنية .

لنثبت الايات القرآنية التي تحدثت عن هذه الظواهر الكونية بداية ثم نناقشها ونقارنها مما جاء في التوراة :

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام : 96]

ففي هذه الأية الواحدة نجد عددا من نعم الله علينا :

فالله فالق الأصباح أي: كما أنه فالق الحب والنوى، كذلك هو فالق ظلمة الليل الداجي، الشامل لما على وجه الأرض، بضياء الصبح الذي يفلقه شيئًا فشيئًا، حتى تذهب ظلمة الليل كلها، ويخلفها الضياء والنور العام، الذي يتصرف به الخلق في مصالحهم، ومعايشهم، ومنافع دينهم ودنياهم.

ولما كان الخلق محتاجين إلى السكون والاستقرار والراحة، التي لا تتم بوجود النهار والنور ﴿ جَعَلَ ﴾ الله ﴿ اللَّيْلَ سَكَنًا ﴾ يسكن فيه الآدميون إلى دورهم ومنامهم، والأنعام إلى مأواها، والطيور إلى أوكارها، فتأخذ نصيبها من الراحة، ثم يزيل الله ذلك بالضياء، وهكذا أبدا إلى يوم القيامة ﴿ و ﴾ جعل تعالى ﴿ الشمس وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ بهما تعرف الأزمنة والأوقات، فتنضبط بذلك أوقات العبادات، وآجال المعاملات، ويعرف بها مدة ما مضى من الأوقات التي لولا وجود الشمس والقمر، وتناوبهما واختلافهما - لما عرف ذلك عامة الناس، واشتركوا في علمه، بل كان لا يعرفه إلا أفراد من الناس، بعد الاجتهاد، وبذلك يفوت من المصالح الضرورية ما يفوت.

﴿ ذَلِكَ ﴾ التقدير المذكور ﴿ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ الذي من عزته انقادت له هذه المخلوقات العظيمة، فجرت مذللة مسخرة بأمره، بحيث لا تتعدى ما حده الله لها، ولا تتقدم عنه ولا تتأخر ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ الذي أحاط علمه، بالظواهر والبواطن، والأوائل والأواخر.

ومن الأدلة العقلية على إحاطة علمه، تسخير هذه المخلوقات العظيمة، على تقدير، ونظام بديع، تَحَيَّرُ العقول في حسنه وكماله، وموافقته للمصالح والحكم.

فالليل والنهار وطلوع الشمس وغيابها كله بتقدير العزيز الحكيم وكلمة (تقدير) تعني الضبط والدقة في الصنع فهذه الظواهر تتم نتيجة قانون الهي يتحكم في الشمس والأرض والقمر ينتج عنه هذه المظاهر البديعة من خلق الله .

فالنص القرآني لا يتحدث عن شكل الظاهرة أو المخلوقات بل يتعدى ذلك ليبين لنا سبب حدوثها وهذا يختلف جذريا عن النصوص التوراتية التي تصف لنا هذه الظواهر وصفا شكليا ظاهريا معروفا .

وفي النص القرآني التالي يبين لنا بأن الشمس والقمر والنجوم هي مسخرات بأمره تسير وفق السنن الكونية التي وضعها ربنا الكريم وستظل على حالها الى ان يشاء الله .

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف : 54]

تفسير الوسيط

وقوله «سخر» من التسخير بمعنى التذليل والتكليف، يقال:

سخر فلان فلانا تسخيرا، إذا كلفه عملا بلا أجرة، والمراد به هنا: الإعداد والتهيئة لما يراد الانتفاع به أى: ومن آياته سبحانه الدالة على وحدانيته وقدرته، أنه «سخر لكم الليل والنهار» يتعاقبان فيكم لتسكنوا في الليل، ولتبتغوا الرزق بالنهار.

وأنه – سبحانه- سخر لكم «الشمس والقمر» يدأبان في سيرهما بدون كلل أو اضطراب، بل يسيران من أجل منفعتكم ومصلحتكم بنظام ثابت، كما قال- تعالى-:لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ، وَلَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ .

وأنه- سبحانه- أوجد النجوم مسخرات بأمره وإذنه، لكي تهتدوا بها في ظلمات البر والبحر.

وقال الله سبحانه وتعالى :

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس : 5]

والتعبير القرآني في وصف الشمس بالضياء والقمر بالنور يوافق الحقيقة العلمية من ان الشمس هي مصدر رئيسي للضوء والحرارة والنور بينما القمر هو مضئ يتلقى الاشعة المنعكسة من المصدر الضوئي وينشرها

وذكرنا ان النص التوراتي وقع في خطأ جسيم حينما اعتبر الشمس والقمر نورين بحد ذاتهما ولا غرابة أو عجب في ذلك وهذا دليل قوي على ان التوراة التي بين يدينا اليوم هي من صنع بشر .

وتتحدث الاية الكريمة عن التقويم القمري وهو التقويم الأساسي للبشر في معرفة عدد السنين ومن عددها صار علم الحساب ولنعطي فكرة سريعة عن التقويم القمري وبداياته .

التقويم القمري هو تقويم يعتمد على دورات القمر الكاملة كأساس لحساب الأشهر، حيث تكون كل 12 دورة سنة قمرية، على عكس التقاويم الشمسية، التي تعتمد دوراتها السنوية بشكل مباشر فقط على السنة الشمسية. التقويم الميلادي – وهو التقويم الأكثر استخدامًا– هو تقويم شمسي تطور في الأصل من نظام التقويم القمري. يتميز التقويم القمري البحت أيضًا عن التقويم الشمسي قمري، الذي يتم مواءمة الأشهر القمرية الخاصة به مع السنة الشمسية من خلال بعض عمليات النسيء أو الإقحام. ويختلف الطور القمري الذي يحدد موعد بدء الأشهر من تقويم إلى آخر، حيث يعتمد البعض طور المحاق، والبعض الآخر البدر، وآخرون الهلال، والبعض الآخر يستخدم حسابات مفصلة. من أمثلة التقويم القمري التقويم الهجري والصيني والعبري والهندي.

تم العثور على تقويم شمسي قمري في وارن فيلد في اسكتلندا وقد تم تاريخه إلى 8000 قبل الميلاد . بينما يؤرخ صموئيل ل. ميسي الاستخدامات الأولى للقمر كعلامة لقياس الوقت يعود إلى 28000–30000 سنة مضت.

يعد التقويم القمري سابقًا للتقويم الشمسي، حيث أن الشهر في التقويم الشمسي إنما هو مأخوذ في الأساس من التقويم القمري الذي يكون بين 29–30 يومًا ، وتم زيادة أيام فيه حتى يكون مطابقًا لطول السنة الشمسية، والتقويم الميلادي الذي يعد الأول عالميًا من حيث الانتشار والاستخدام هو تقويم شمسي مطور عن تقويم قمري، حتى أن كلمة شهر في الإنجليزية (month) مشتقة من اسم القمر بالإنجليزية (moon) أي دورة القمرية التامة.

ذكرنا ان النصوص التوراتية لم تتحدث عن العرش الالهي واكتفت بوصف حالة الله بشكل لا يليق بقدرته وعظمته ولم تقدر الله حق قدره وعلى العكس من ذلك تحدث القرآن الكريم مرتين عن العرش قبل أن يخلق الله السموات والأرض حينما كان عرشه على الماء وبعد خلقهما كما توضح لنا هذه الاية الكريمة :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد : 2]

فبعد ان رفع الله السموات استوى على العرش وسخر لنا الشمس والقمر والأرض أيضا – وان لم تذكر في الاية – بحكم الارتباط الكوني والفلكي للاجرام الثلاث اذا ان وجود القمر يفترض وجود الأرض بأعتباره تابعا يدور في فلكها وهذه التفصيلات الدقيقة لحركة الأجرام لا نجد لها مثيلا في النصوص التوراتية وهذه الحقائق تجيب وترد على من يدعي ان الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام قد أخذ ما ذكره في (قرآنه) من التوراة أو ان الأحبار والرهبان في زمنه قد لقنوها وعلموها له فكيف اذن بهذا النبي الأمي أن يأت بهذه التفاصيل الدقيقة عن خلق الكون ونشأته لاشك انه تعليم العزيز الحكيم .

حركة دوران الكواكب وقانون الجاذبية

ذكرنا ان الايات الكونية في القرآن الكريم تعطينا صورة دقيقة ورائعة لمرحلة التكوين والخلق الأولى وفي مشاهد متلاحقة يكمل بعضها البعض وهذا ماعجزت عن الايات المعدودات التي تتعلق بالنشأة الأولى وذلك لسبب وجيه ومنطقي وهو ان المتحدث في النصوص القرأنية هو الخالق المصور بذاته ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : 14].

ان هذه الصورة الدقيقة والرائعة التي تدفعنا للتفكر والتعقل (﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ [الروم : 8] هذا التفكر

والتعقل سيقودنا لا محالة الى الوصول الى نتيجة منطقية واحدة وهي ان الله خلق السموات والأرض ومابينهما بالحق أي لا عبثا ولاسدى ووضع السنن والقوانين التي تنظم وتسير ذلك .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم : 33]

والشمس والقمر دائبين و الدءوب: مرور الشيء في العمل على عادة جارية، وقيل دائبين في السير امتثالاً لأمر الله تعالى، والمعنى يجريان إلى يوم القيامة لا يفتران في حركة دورانية مستمرة يسبحون في السماء

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء : 33]

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : 29]

وكل ذلك يجري بتقدير العزيز العليم يسير بعلمه وقدرته وعظمته وتقديره

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [يس : 38]

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : 190]

﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : 6]

سادسا : اليوم السابع وخرافة (استراحة الله) في النصوص التوراتية

1فَأُكْمِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا . 2وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. 3وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقًا .

ان هذا النص التوراتي يؤكد لنا ان من دونه وكتبه هو بشر فلقد حاكى عمل الله بما يصنعه الانسان فبعد ان يجهد الانسان ويتعب فلا بد له من ان يفرغ للراحة وهذا ما فعله (ربهم) في اليوم السابع من عمله فاستراح .

ان هذا التشبيه والتجسيم لم يكن سوى مؤشر على اقحام القصص الاسطوري في النصوص التوراتية ففي الأساطير وحدها تتصارع الالهه وتجهد وتتعب وتحارب وتقاتل وتفعل كل ما يفعله البشر .

في حين ان الخالق القادر في النص القرآني (الذي اذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون)

وهو قادر أن يخلق مثل السموات والأرض مرة ومرات (﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [يس : 81]

ولا يمسه تعب او لغوب

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق : 38]

فالنصوص القرآنية تظهر الله عز وجل متمتعا بكامل صفات الالوهية والربوبية المطلقة وصفات الخلاق العظيم

السبت اليهودي وشرعنته

تمثّل عطلة يوم "السبت"إحدى أكثر التقاليد اليهودية قداسة، فاليهودي في يوم "السبت" يترك أشغاله المادية ويستريح تماما، وذلك تذكارا لليوم السابع من الخليقة "وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقًا" ـ سفر التكوين (2: 2– 3) .

وقد وردت وصية تقديس يوم "السبت" في عدة مواضع من سفر الخروج منها: "فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: إِلَى مَتَى تَأْبَوْنَ أَنْ تَحْفَظُوا وَصَايَايَ وَشَرَائِعِي؟ اُنْظُرُوا! إِنَّ الرَّبَّ أَعْطَاكُمُ السَّبْتَ. لِذلِكَ هُوَ يُعْطِيكُمْ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ خُبْزَ يَوْمَيْنِ. اجْلِسُوا كُلُّ وَاحِدٍ فِي مَكَانِهِ. لاَ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنْ مَكَانِهِ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ" ـ سفر الخروج (16: 28– 29) .

وفي سفر الخروج (20: 8- 10): "اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ".

ويؤكد الرب على تقديس يوم "السبت" بالقول: "لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ. لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ" ـ سفر الخروج (20: 8- 11). ويقول: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: "وَأَنْتَ تُكَلِّمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: سُبُوتِي تَحْفَظُونَهَا، لأَنَّهُ عَلاَمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فِي أَجْيَالِكُمْ لِتَعْلَمُوا أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي يُقَدِّسُكُمْ، فَتَحْفَظُونَ السَّبْتَ لأَنَّهُ مُقَدَّسٌ لَكُمْ. مَنْ دَنَّسَهُ يُقْتَلُ قَتْلاً. إِنَّ كُلَّ مَنْ صَنَعَ فِيهِ عَمَلاً تُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ بَيْنِ شَعْبِهَا. سِتَّةَ أَيَّامٍ يُصْنَعُ عَمَلٌ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابعُ فَفِيهِ سَبْتُ عُطْلَةٍ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ. كُلُّ مَنْ صَنَعَ عَمَلاً فِي يَوْمِ السَّبْتِ يُقْتَلُ قَتْلاً. فَيَحْفَظُ بَنُو إِسْرَائِيلَ السَّبْتَ لِيَصْنَعُوا السَّبْتَ فِي أَجْيَالِهِمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. هُوَ بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلاَمَةٌ إِلَى الأَبَدِ. لأَنَّهُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، وَفِي الْيَوْمِ السَّابعِ اسْتَرَاحَ وَتَنَفَّسَ". ثُمَّ أَعْطَى مُوسَى عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ لَوْحَيِ الشَّهَادَةِ: لَوْحَيْ حَجَرٍ مَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبِعِ اللهِ" ـ سفر الخروج (31: 12- 18).

جاء في "قاموس الكتاب المقدس"، وقد حاول البعض أن يرجعوا السبب في حفظ يوم "السبت" إلى حفظ البابليين له، فقد كان هؤلاء يحفظون اليوم السابع والرابع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين من كل شهر، مهما كان اسم اليوم، وكانت شرائعهم تقول إن الملك لا يأكل اللحم المطبوخ على الفحم في هذه الأيام، ولا يغيّر ثياب جسده، ولا يلبس ثيابا نظيفة، ولا يقدم ذبيحته، ولا يركب في عربة، ولا يتكلم في قضية، ولا يجوز للرائي في هذه الأيام أن يقدم للناس ما يرى، ولا يجوز للطبيب أن يضع يده على جسد إنسان. وعند الماء يأتي الملك بتقدماته للآلهة.

ويشير "ليو روستن" إلى أن البابليين كانوا يقدسون عيدا يسمى " أو "Shabbatu" ويعني الراحة والاستراحة. وكان البابليون يمتنعون عن العمل في تلك المناسبة، بل كان محظورا عليهم الطبخ فيه كما كان محظورا عليهم "أن

يغيروا ثيابهم وأن يقدموا ضحايا، وكان محظورا على الملك أن يكلم فيه الشعب، ويركب مركبته، وأن يقوم بواجب عسكري أو مدني، وأن يأخذ دواء" .

حكم السبت في القرآن الكريم

السبت هو أحد أيام الأسبوع وحكم يوم السبت فى التوراة المنزلة على النبي موسى (ص) أنه يوم راحة من العمل الوظيفى حيث لا يجوز فيه للمؤمن الخروج للسعى خلف الرزق، ففي تفسير الطبري يقول: "وأصل "السبت" الهدوء والسكون في راحة ودعة، ولذلك قيل للنائم "مسبوت" لهدوّه وسكون جسده واستراحته، كما قال جل ثناؤه: "وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا" (النبأ: 9) أي راحة لأجسادكم. وهو مصدر من قول القائل: "سبت فلان يسبت سبتا ". (65 .

وفى هذا قال القرآن: "وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ" (الأعراف 7: 163)

لا تعدوا فى السبت

ذكر النص القرآني "لا تعدوا فى السبت" حيث يصرح القرآن: "وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا" (النساء 4: 154)

ويقول الطبري في تفسيره: "وذلك لما امتنعوا من العمل بما في التوراة وقبول ما جاءهم به موسى فيها، "بميثاقهم"، يعني: بما أعطوا الله الميثاق والعهد: لنعملن بما في التوراة ... "وقلنا لهم لا تعدوا في السبت"، يعني بقوله: "لا تعدوا في السبت"، لا تتجاوزوا في يوم السبت ما أبيح لكم إلى ما لم يبح لكم. "وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا"، يعني: عهدًا مؤكدًا شديدًا، بأنهم يعملون بما أمرهم الله به، وينتهون عما نهاهم الله عنه، مما ذكر في هذه الآية، ومما في التوراة."

بيّن القرآن أن السبت هو يوم الراحة جعل على الذين اختلفوا فيه أي شرع على الذين تنازعوا فيه والمراد فُرض على الذين تجادلوا فيه وفى هذا قال القرآن: "إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" (النحل 16: 124) .

وفي تفسير إبن كثير "قال مجاهد: ثم إنهم لم يزالوا متمسكين به، حتى بعث الله عيسى ابن مريم ، فيقال: إنه حولهم إلى يوم الأحد . ويقال إنه: لم [يترك شريعة التوراة إلا ما نسخ من بعض أحكامها وإنه لم] يزل محافظا على السبت حتى رفع، وإن النصارى بعده في زمن قسطنطين هم الذين تحولوا إلى يوم الأحد ، مخالفة لليهود، وتحولوا إلى الصلاة شرقا عن الصخرة، والله أعلم."

فحكم السبت هو تحريم للعمل الوظيفى السعي في طلب الرزق. ومن ثم فالله لم يحرم الخروج من البيوت لقضاء الضروريات، فلو حرم ذلك لكان أمرا ضارا جدا بالمرضى وبالأطفال وكبار السن حيث يحتاج هؤلاء للخروج ومعهم من يرافقهم. لا بل أنه يصرح بفعل الخير.

فحكمة تشريع يوم السبت لليهود هو أحدى الأحكام الشرعية (المشددة) التي فرضها الله على اليهود بسبب قساوة قلوبهم ونقضهم لميثاق الله وعهده ونسيان فضله عليهم ولا علاقة له بتاتا بقصد استراحة الله المزعزمة بعد فراغه من خلق السموات والأرض .

ولقد بالغ العقل الديني اليهودي في ربط هذا (السبت) بقصة الخلق أنظر الى هذه النصوص التوراتية :

وتقول التوراة "اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ. لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ. لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ" (التوراة الخروج 20: 8-11) . وهي أحدى الوصايا التي فيها هدى ورحمة على من يخافون الله، وقد

أعطاها الله لنبيه موسى من على جبل الطور "وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ" (الأعراف 7: 154) .

وتشدد التوراة على حكم السبت "إِنْ رَدَدْتَ عَنِ السَّبْتِ رِجْلَكَ، عَنْ عَمَلِ مَسَرَّتِكَ يَوْمَ قُدْسِي، وَدَعَوْتَ السَّبْتَ لَذَّةً، وَمُقَدَّسَ الرَّبِّ مُكَرَّمًا، وَأَكْرَمْتَهُ عَنْ عَمَلِ طُرُقِكَ وَعَنْ إِيجَادِ مَسَرَّتِكَ وَالتَّكَلُّمِ بِكَلاَمِكَ، فَإِنَّكَ حِينَئِذٍ تَتَلَذَّذُ بِالرَّبِّ، وَأُرَكِّبُكَ عَلَى مُرْتَفَعَاتِ الأَرْضِ، وَأُطْعِمُكَ مِيرَاثَ يَعْقُوبَ أَبِيكَ، لأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ" (التوراة، إشعياء 58: 13-14) .

لعنة أصحاب السبت

لعنة أصحاب السبت مذكورة فى القرآن : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا " (النساء 4: 47)

ويقول إبن كثير في تفسيره "وقوله: (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) يعني: الذين اعتدوا في سبتهم بالحيلة على الاصطياد، وقد مسخوا قردة وخنازير." ويقصد تحويل أجساد الصيادين المخالفين لحكم السبت بالعمل فيه إلى أجساد قردة مع بقاء نفوسهم كما هو مذكور في سورة البقرة: "وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ" (البقرة 65) .

معنى عدم العدوان فى السبت

معنى عدم العدوان فى السبت هو عدم السعى خلف الرزق فى السبت أو التعدي على حكم الله في السبت، بدليل أن الله عاقب من عمل بالصيد فى يوم السبت حسب سورة الأعراف :

"وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ

ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ" (الأعراف 7: 163–167)

نسخ حكم السبت

لم يرد صراحة فى القرآن هذا القول بتاتا، والبعض يقول بأن السبت نسخ بيوم الجمعة، لا بل أن الله أراد الجميع أن يعبدوه في يوم الجمعة، ولكن اليهود إختاروا السبت والمسيحيين إختاروا الأحد، فالله سمح لهم بذلك، هذا كلام غير منطقي أبدا. كيف يعطي الله أمرا، ثم يأتي البشر ويغيروا حكم الله، ثم يوافق الله على ذلك؟ هذا كلام لا يعقل، فالله أحكامه لا تتغير. ثانيا، إذا الله لم يختار يوم السبت للعبادة، لماذا يلعن اليهود لعدم حفظهم السبت، ولماذا لم يلعن من لم يحفظ الجمعة؟

هل يوم الجمعة يماثل السبت ؟

ومن ثم يطرح السؤال، هل تُماثل الجمعة السبت؟ لا يوجد وجه للشبه فالجمعة فى القرآن كباقى أيام الأسبوع العمل الوظيفى كالبيع مثلا فهو موجود قبل الصلاة وبعد الصلاة وليس فيه أي تحريم لعمل أو شغل أو طلب التفرغ للعبادة انما هي ساعة واحدة من يوم الجمعة دعى الله فيها المؤمنين لأقامة صلاة جماعية فيها قال سبحانه وتعالى :

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ" (الجمعة 62: 9).

بينما خصص الله يوم السبت كاملا لليهود للعبادة، وحرم عليهم أن ينشغلوا بأمور الدنيا، لأنهم قوم لا يحافظون على العبادة في باقي الأيام، كان بنو إسرائيل يمتنعون عن العمل والتجارة والصناعة والصيد يوم السبت، إذ كان هذا الأمر حراما في شريعتهم، ابتلاء لهم من الله،

لماذا يوم الجمعة للمسلمون ؟

فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه" رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي والألباني والأرناؤوط ، وصح عنه أنه قال: "خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها" رواه مسلم . فهذان الحديثان يبينان فضل يوم الجمعة على غيره بسبب ما امتاز به من الأحداث المهمة، ومنها: خلق آدم وقبض روحه فيه ودخوله الجنة وخروجه منها فيه، ومنها: وقوع النفخة والصعقة فيه. وقد امتازا أيضاً بمسائل أخرى غير هذه منها: وقوع صلاة الجمعة فيه، ومنها وجود ساعة الإجابة فيه. والله سبحانه وتعالى يفضل بعض الأيام على بعض، كما فضل بعض الشهور على بعض، وفضل بعض الناس واصطفاهم، له في ذلك الحكمة التامة سبحانه وتعالى، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. والله أعلم.

سابعا : خلق الانسان وخطيئته في التوراة

تبدأ قصة خلق آدم عليه السلام في التوراة برواية هي الأخرى أسطورية مثل الكثير من الأساطير التي نجدها في التوراة فتدعي على أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم على صورته (26وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا) فآدم شبيه لله في صورته وشكله – وحاشى الله أن يكون كذلك –

فالأسطورة تجسد الالهه وتصورها على انها مخلوقات تجمع صفات وأشكال مختلفة من هنا جاءت عبادة الأصنام والأوثان والتماثيل وصناعتها في صور وأشكال انسانية أو حيوانية أو الجمع بين الشكلين الانساني والحيواني .

والواقع الخلقي للانسان يبين لنا ان هذا المخلوق هو بالفعل يختلف عن سائر مخلوقات الله بما ميزه من صفات مثل العلم والقدرة والسمع والبصر والقوة وهي صفات محدودة جدا ولاتقاس بعلم وقدرة وسمع وبصر وقوة الله القوي

الجبار .من هنا خطر للعقل الديني اليهودي الذي صاغ النصوص التوراتية وأخرجها أن يضفي صفة الصورة والشكل الالهي على الانسان فجعلته هذه النصوص شبيها لله في شكله وصورته أيضا

ولايوجد نص قرأني واحد يقر بهذا الشبه بل هناك الكثير من النصوص القرآنية التي تؤكد على تفرد الله سبحانه وتعالى بكل صفاته تفردا مطلقا لا مثيل له ولا شبيه ومن الايات الكريمة التي تؤكد ذلك :

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: 11] .

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ [الإخلاص: 4] .

وجملة (ليس كمثله شئ) تفيد ان أي شئ أو مخلوق أو كائن لا يشبه الله لذلك تريحنا الاية الثانية

(ولم يكن له كفوا أحد) من مسيرة البحث والتنقيب والتفكير بما هو عليه شكل الله أو صورته فليس له كفوا أي مكافئا مماثلا له .

حديث (فإن الله خلق آدم على صورته)

هذا الحديث المنسوب عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام (زورا) هو نسخة طبق الأصل عما قالته التوراة (وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا) والغريب ان بعض المفسرين يقرون بذلك خذ مثلا ابن باز (والمعنى عند أهل العلم: أن الله خلق آدم سميعاً بصيراً متكلماً، إذا شاء، وهذا هو وصف الله تعالى، فإنه سميعٌ بصيرٌ متكلمٌ إذا شاء، وله وجه جلّ وعلا.) . ثم ينفون بعد ذلك ويحذرون من التشبيه والتمثيل لله سبحانه وتعالى وفي تفسير له أخر يقول ابن باز (هذا الحديث قد أشكل على بعض الناس، وتأوله على أن المراد على صورة آدم، خلق الله آدم على صورة آدم، وهذا غلط، وليس من فصيح الكلام، بل المراد خلقه الله على صورته هو ولهذا في الحديث الآخر: خلق الله آدم على صورة الرحمن وهي رواية جيدة، أثبتها الإمام أحمد وغيره، الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وآخرون، تفسر هذه رواية شبهة الضمير: (على صورته) أي: صورة الرحمن، والمعنى:

أنه خلق آدم سميعًا بصيرًا يتكلم، وله وجه، وله يد ، وله قدم، وهكذا ربنا سبحانه: سميع بصير يتكلم وله وجه وله يدان وله قدم سبحانه كما أخبر عن نفسه: بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ [المائدة:64] .

فقولوا لي بربكم أليس هذا تشبيها وتمثيلا بل هو قمة الغلو في التشبيه والتمثيل الذي يحذروننا منه وهم أنفسهم قد وقعوا به بالرغم من كل محاولاتهم للف والدوران على النصوص كل ذلك لسبب واحد وهو أنهم يأخذون بالحديث لمجرد ثبوت صحته (النقلية) وحسب وان خالف هذا الحديث للنصوص القرآنية صراحة كما في حالتنا هذه .

فأنا أجزم هنا بأن هذا الحديث (إذا قاتل أحدكم أخاه، فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته) .

هو حديثا مدسوسا بل ومن الاسرائيليات لتطابقه تماما معها .

فالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يدعو الى التآلف والمحبة والتعاضد والأخوة بين المسلمين ويحرم عليهم أن يتباغضوا ويتحاسدوا فكيف يعلمهم (آداب القتال) فيما بينهم ثم اذا حصل مثل هكذا خصام وقتال وخلاف وقد يحدث وهل المطلوب منا كمسلمين أن نتجنب (وجه الخصم) بحجة أن وجوهنا على صورة

(الله) سبحانه وتعالى حاشى أن يكون ذلك فالحديث يضفي قدسية عجيبة على وجه الانسان وحينما كرم الله بني آدم ليس لأن وجوههم تشبه وجهه وانما بما منحهم من عقل وقدرة الاختيار والتفكير وتحمل المسؤولية .

وكذلك لا يمكن قبول من ان لله يد ورجل ووجه وغير ذلك ونحن نؤمن ونردد قوله تعالى (ليس كمثله شئ) والذي ينفي أي شكل أو صورة أو تمثيل أو تشبيه يمكن للعقل البشري تصورها عن ذات الله تعالى بل استحالة ذلك أما ما ذكره الله من صفات جسدية له مثل (: بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ [المائدة:64] .

فأنما المراد من ذلك هو التعبير مجازيا عن الكرم والسخاء الالهي دون قيود وحدود .

فالذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح، أن الله تعالى يوصف بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تأويل ولا تعطيل.

ومعاذ الله أن يكون في نصوص الوحي ما يقتضي تشبيهاً أو تمثيلاً، فإن الله تعالى يقول: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الشورى: ١١].

ولو كان في شيء من النصوص ما يقتضي ذلك، لما كانت دالة على الهدى، داعية إلى الرشد .

خلافة أم للتسخير و التسلط

جاء في النصوص التوراتية :

26وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ». 27فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. 28وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ». 29وَقَالَ اللهُ: «إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ كُلَّ بَقْل يُبْزِرُ بِزْرًا عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، وَكُلَّ شَجَرٍ فِيهِ ثَمَرُ شَجَرٍ يُبْزِرُ بِزْرًا لَكُمْ يَكُونُ طَعَامًا. 30وَلِكُلِّ حَيَوَانِ الأَرْضِ وَكُلِّ طَيْرِ السَّمَاءِ وَكُلِّ دَبَّابَةٍ عَلَى الأَرْضِ فِيهَا نَفْسٌ حَيَّةٌ، أَعْطَيْتُ كُلَّ عُشْبٍ أَخْضَرَ طَعَامًا». وَكَانَ كَذلِكَ.

ان الله عزو وجل – على حد زعمهم – طلب من بني آدم أن يثمروا ويكثروا ويملؤوا الأرض ويخضعوها ويتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض فيها نفس حية .

ويفهم من ذلك ان الأنسان له مطلق الصلاحية في السيطرة على الأرض والتسلط على سائر المخلوقات بشتى أجناسها وأنواعها فهو وفق هذا التفويض الالهي سيد الأرض والمتسلط الوحيد عليها وفيها .

والسؤال هنا : أين مسألة خلافة الأرض وأعمارها واصلاحها واعلاء كلمة الله بها وعبادته واقامة دينه الحنيف والتي نجد الايات القرآنية تتحدث عنها وتحض عليها ولا نجد لها مثيلا في النصوص التوراتية ؟

فهل الغاية من خلق الانسانِ هو التسلط والتحكم واخضاع المخلوقات الاخرى له وحسب ؟

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 30]

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [فاطر : 39]

﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [هود : 61]

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : 56]

فمشيئة الله في خلقنا هي استخلافنا في الأرض نستعمرها ونعمرها وتكون لنا ديارا لدنيانا هذه ولنعبد الله ونجعل كلمته هي العليا ونقيم العدل لذلك سخر لنا ما في الأرض لتحقيق هذه المهام وليس للسيطرة على ما فيها من خيرات وكنوز ومخلوقات ثم نتنافس في ذلك ويقتل بعضنا بعضا ويفني بعضنا بعضا كما الذي حصل في عصور التاريخ ويحصل الان من حروب وغزوات وقتل وفساد وافساد وغير ذلك من شرور فعلها بنو آدم ونسوا مهامهم والغاية والهدف من وجودهم على المعمورة .

مراحل خلق الانسان

جاء في النصوص التوراتية

7(وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً)

في هذا النص التوراتي نجد حقيقة واحدة نص عليها القرآن الكريم وهي خلق آدم من تراب أما ماجاء في الشطر الثاني من النص والذي يقول (ونفخ في أنفه نسمة الحياة , فصار آدم نفسا حية)

فهو يعارض ما جاء في القرآن الكريم كما لا يمكن قبوله منطقيا .

فالنص القرآني يبين ان الله قد نفخ في آدم (من روحه) ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : 9] أي من روح الله وفي الحقيقة نحن لا ندري ونعلم ماهي (طبيعة) روح الله لكن بالنظر للشئ الذي يميز الانسان عن سائر المخلوقات الحية سنجد ان هذا الأمر هو (العقل) الذي هو الامانة التي حملها الله لبني آدم وآبت كل مخلوقات الله أن تحملها وقد تكون تلك النفحة الالهية هي (نفحة العقل) والوعي الادراك وأعطانا الله الشئ القليل من هذه الميزة الفردية (وما أتيتم من العلم الا قليلا) .

لكن من المؤكد أنها ليست نفحة (الحياة) والتي أصبح بها الانسان (نفسا حية) وفق التعبير التوراتي والسبب العقلي في نفي ذلك هو ان جميع المخلوقات الحية دون استثناء لها (نفسا حية) وفق ماجاء في التوراة نفسها (30وَلِكُلِّ حَيَوَانِ الأَرْضِ وَكُلِّ طَيْرِ السَّمَاءِ وَكُلِّ دَبَّابَةٍ عَلَى الأَرْضِ فِيهَا نَفْسٌ حَيَّةٌ، أَعْطَيْتُ كُلَّ عُشْبٍ أَخْضَرَ طَعَامًا» .ووفق ما قاله القرآن الكريم (﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : 30] فكل شئ حي ومن ضمنه الانسان له (نفس حية) لكن التعبير القرآني الذي يفيد بأن الله قد (نفخ في آدم من روحه) هو الأنسب ويحتوي على حقيقة مطلقة لا تعطي مجالا للعقل كي يجادل فيها أو يعاند .

خلق آدم من التراب

لقد ذكرنا ان التوراة تفيد بأن آدم عليه السلام (خلق من تراب) وكثير من النصوص القرآنية تؤكد ذلك منها مثلا قوله تعالى :﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ [الروم : 20]

والملفت للنظر ان التوراة قد أكتفت بذلك بينما النصوص القرآنية التي تحدثت عن خلق الانسان ذكرت مراحل عدة التراب ثم الطين ثم الصلصال فصار الانسان انسانا بعد مروره بهذه المراحل التي سماها القرآن الكريم (سلالة من طين) .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ [المؤمنون : 12]

وفي النصوص القرآنية التالية تبين مراحل هذه السلالة :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ [الروم : 20]

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [الأنعام : 2]

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ [الصافات : 11]

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ [الحجر : 28]

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ [الحجر : 26]

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن : 14]

﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : 9]

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (9) ﴾ [السجدة : 1 – 9] .

وفي قوله تعالى (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) اشارة واضحة لحصول آجال بين كل مرحلة وآخرى والتي سمتها آية أخرى (أطوار) :

(مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) ﴿نوح:13– 14﴾

والتي تقول " وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ "آية 11 من سورة الأعراف

وهذه الأطوار نجدها في النمطين نمط خلق الآنسان الأول (آدم) ونمط (الخلق الجنيني) وهي ماهم عليه (بنو آدم) .

نمط مرحلة خلق الانسان الأول (آدم)

نحن لا نهتم هنا فيما سنقوله بما جاءت به نظرية التطور لداروين سواء أكان كلامنا يعارضها أو يوافقها فهي ليست الحكم في هذه القضية وهي نظرية وضعها بشر (بغض النظر عن الانتقادات الشديدة التي تواجهه اليوم علميا وعلى ضوء المستكشفات الحديثة) فنحن نتحدث عمن يقوله صاحب الشأن في هذا الموضوع وهو الخالق البارئ المصور ذلك ان الله سبحانه وتعالى (﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف : 51]

فلا نعرف الحقيقة المطلقة سوى من قوله تعالى وأخباره لنا عن مسألة خلق الانسان وهنا لا بد أن نجد أن لكل مجتهد نصيب في فهم النصوص القرآنية المتعلقة بذلك فمن الاجتهادات من يوفقه الله في اكتشاف معانيها وفهمها (ونرجو من الله أن نكون منهم) ومنهم لا يفلح وربما أخرين يسعون للتأويل للوصول الى النتيجة التي يريدونها هم وهنا يقع هؤلاء في مطبات كثيرة قد توصل بعضهم الى درجة (الكفر) مصرين على أراءهم التي تخالف النصوص القرآنية بشكل واضح وهذا درجة من درجات الكفر وليس الاجتهاد .

لماذا خلق الله الانسان أطوارا

قال الله سبحانه وتعالى في سورة سماها الانسان (﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ [الإنسان : 1] ونفهم من هذه الاية من أن الانسان مر عليه وقتا من الزمن لم يكن له ذكرا أي وجودا فهو في طور من الأطوار لم يكتمل خلقه أو هيئته أو صورته أو لم ينفخ فيه خالقه من روحه ليكون بشرا سويا كائنا كاملا وهذا مؤشر قوي ان الانسان مر بمراحل أو سلالة او أطوارا من الخلق والسؤال هنا هل يحتاج خلق الانسان ليمر بكل هذه المراحل الخلقية والله سبحانه وتعالى اذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ؟

والسبب في ذلك – في رأينا المتوضع- يعود الى نوع وطبيعة المادة التي خلق منها الانسان وهي التراب وهي مادة دونية بالنسبة للماء والهواء والنار لذلك اعترض ابليس حينما أمره الله بالسجود لآدم عليه السلام قائلا : (﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف : 12] فالفرق بينهما هو في نوع مادة الخلق والنار كمادة خير من الطين وفق مارأى ابليس لعنه الله والملائكة مخلوقات نورانية لذلك تختلف عن الانسان و الشياطين .

فآدم اذن مخلوق ترابي ثم صار طينيا ثم صلصاليا (فخاريا) ثم جعله الله في صورته التي هي عليه ثم نفخ فيه من روحه فكان بشرا سويا ومرور خلق الانسان في هذه المراحل جعل طبيعته مختلفة عن سائر مخلوقات الله سبحانه وتعالى فالانسان يستوي مع الحيوان في تركيبة جسمه وغرائزه وغذاءه لذلك قال بعض الفلاسفة عن الانسان انه حيوان ناطق وهذه الصفات اكتسبها من التراب لذلك فأكثر المعادن الموجودة في التراب موجودة في الانسان وتركيبته هذه مزدجة فهو يجمع بين المادي الغرائزي والروحي والعقلي والوجداني لذلك قال الله عنه : (﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين : 4] فهو الأحسن من حيث شكله وروحه وعقله ووجدانه ومشاعره وهو بذات الوقت مردود بحيوانيته وحينما يتخلى عن عقله الى أسفل سافلين .

ان هذه المراحل الخلقية التي مر بها الانسان هي مراحل زمنية لانتقال المادة وتطورها من صنف الى صنف فهي تختلف جذريا عن التطور ومراحله التي قال به داروين الذي تحدث عن تطور المخلوقات مكتملة الصفات بينما الانسان لم يصبح بشرا سويا ولم يكتسب صفته الانسانية وطبيعته البشرية الى الوقت الذي نفخ فيه الله روحا منه وجعله في صورته وحينما اكتمل وصار انسانا بشرا لم تتغير وتتبدل أو تتطور تلك الصفة والطبيعة وتوارثها بنو آدم الى يومنا هذا فهي صفة خلقية أصيلة وليست مكتسبة.

لكن للأسف الشديد الكثير من المفسرين الجدد والعلمانيين حاولوا الجمع والدمج بين ما ذكره الله عن الأطوار والسلالة الخلقية التي مر بها خلق آدم قبل أن يكتمل خلقه وبين نظرية التطور التي تتحدث عن مخلوقات قائمة وقالوا ان القرآن الكريم لا يعارض هذه النظرية وأطلقوا حكما سطحيا على مسألة عظيمة .

نمط خلق (بنو آدم)

ذكرنا ان الأطوار التي مر بها آدم كانت في الوقت التي لم يكن فيه شيئا مذكورا لكن بعد ان سواه ربنا الكريم

جعله (نطفة في قرار مكين) وفي هذا الموضع جعله الله (سلالة من نطفة) كما كانت بدايته (سلالة من طين) وتتعرض النطفة الى عدة تحولات وتبدلات للوصول الى مرحلة التكوين النهائي للانسان والتي تسمية الاية القرآنية (خلقا آخر) والتي تتحدث بدورها عن هذه المراحل بالتفصيل :

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿المؤمنون: 12، 13، 14﴾ .

نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم لحما ثم خلقا أخر (مكتملا) بعد أن يمنحه الله صورته وشكله

(﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : 6]

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر : 6]

ويختصر المولى القدير هذه المراحل الزمنية التي مر بها بنو آدم بوصف دقيق :

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم : 32]

فهناك زمن طويل لا يعلمه الا الله وحده مرت به مسيرة الانسان لكن المولى القدير يختصره في آية واحدة (إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ) من الأرض الى بطون أماتنا ومن ثم الى الأرض مرة أخرى ثم الى الله مرجعنا من جديد حقا أنها رحلة طويلة مديدة مر بها هذا الانسان الجاحد لربه .

نتيجة سريعة

لقد رأينا مرة ثانية ان النصوص التوراتية هي سطحية وشكلية وقليلة تتحدث عن قضية كبرى عظيمة وهي خلق الانسان بآيات قليلات وقد وقعت بها في أخطاء كبيرة وتناقضات بينما نجد كيف عالجت النصوص القرآنية هذه القضية بالتدرج المعرفي وبأسلوب قصصي علمي لتوصلنا الى تصور وفهم كامل عن كيف نشأ الانسان وكيف صار بشرا سويا ان كل هذا دليل آخر من ان الذي كتب التوراة ليس هو نفسه الذي أنزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عوجا .

قصة آدم عليه السلام في الجنة

في التوراة والقرآن الكريم

أين هي الجنة ؟

جاء في التوراة عن قصة النبي آدم عليه السلام : . 8وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ. 9وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. 10وَكَانَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ، وَمِنْ هُنَاكَ يَنْقَسِمُ فَيَصِيرُ أَرْبَعَةَ رُؤُوسٍ: 11اِسْمُ الْوَاحِدِ فِيشُونُ، وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ الْحَوِيلَةِ حَيْثُ الذَّهَبُ. 12وَذَهَبُ تِلْكَ الأَرْضِ جَيِّدٌ. هُنَاكَ

الْمُقْلُ وَحَجَرُ الْجَزْعِ. 13وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّانِي جِيحُونُ، وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ كُوشٍ. 14وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّالِثِ حِدَّاقِلُ، وَهُوَ الْجَارِي شَرْقِيَّ أَشُّورَ. وَالنَّهْرُ الرَّابعُ الْفُرَاتُ.

15وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا. 16وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، 17وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ».

نأخذ من هذه النصوص مجموعة من المعلومات والروايات التي تتعلق بالجنة وعيش آدم عليه السلام فيها :

أولا :وصف الجنة

ثانيا : تحذير آدم عليه السلام

أولا : وصف الجنة

8وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا : يفهم من هذا النص ان الله سبحانه وتعالى قد جعل (غرس) جنة في شرق عدن .

ونفهم من ذلك ان الجنة التي عاش فيها آدم وفق هذه الرواية هي على الأرض وليست في السماء لأن النصوص التالية تحدد جغرافيتها على النحو التالي : 10وَكَانَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ، وَمِنْ هُنَاكَ يَنْقَسِمُ فَيَصِيرُ أَرْبَعَةَ رُؤُوسٍ: 11اِسْمُ الْوَاحِدِ فِيشُونُ، وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ الْحَوِيلَةِ حَيْثُ الذَّهَبُ. 12وَذَهَبُ تِلْكَ الأَرْضِ جَيِّدٌ. هُنَاكَ الْمُقْلُ وَحَجَرُ الْجَزْعِ. 13وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّانِي جِيحُونُ، وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ كُوشٍ. 14وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّالِثِ حِدَّاقِلُ، وَهُوَ الْجَارِي شَرْقِيَّ أَشُّورَ. وَالنَّهْرُ الرَّابعُ الْفُرَاتُ.

وهناك اختلاف في الروايات العبرية والدراسات والبحوث التي راحت تحدد جغرافية هذه المنطقة ولنرى بعض هذه الأراء التي أخذناها من أحد المواقع العبرية وهو https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/348.html (موقع الأنبا تكلا هيمانوت) .

((يقول " ليوتاكسل " ساخرًا " والآن فلنسافر معًا بحثًا عن الجنة. . . الجنة الأرضية والشجرة العجيبة موجودتان في مكان ما . وإذا ما بحثنا جيدًا في منطقة دجلة والفرات، ورأينا ملاكًا يحمل سيفًا ملتهبًا، ويقف حارسًا أمام بوابات ما، عندئذ نستطيع أن ننادي بأعلى صوت: ها قد وصلنا ! إنها هي، الجنة التي خلقها يهوه" .

كما يقول " ليوتاكسل " أيضًا " أما فيما يتصل بالنهر الذي يدعوه سفر التكوين جيحون، فإن خطأ المؤلف " المقدَّس " يعتبر خياليًا . إن هذا النهر ﴿ يحيط بجميع أرض كوش ﴾ . . أثيوبيا بعينها . أي أن نهر جيحون هو النيل الذي من المعروف أنه يجري في أفريقيا، وفي اتجاه معاكس للاتجاه الذي يجري فيه دجلة والفرات، أي من الجنوب إلى الشمال، وإذا أخذنا نقطة انبثاقه في أفريقيا الاستوائية، من منطقة بحيرة فيكتوريا، فإن المسافة التي تفصل هذه النقطة عن المنطقة، التي تقع فيها منابع الأنهار الثلاثة الأولى، هي ثلاثة آلاف كيلو متر. أما سفر التكوين، فيعلن عن الأنهار الأربعة تروي بستانًا واحدًا هو جنة عدن" .

ويرى الدكتور سيد القمني أن قصة جنة عدن ربما كانت صدى لخروج أسلاف العبرانيين من أرمينيا واتجاههم جنوبًا، فيقول د . كارم محمود عزيز " يرى " سيد القمني " أنه بعد البحث، فإنه لا يمكن العثور على موضع تنبع منه أربعة أنهار – وفقًا للنص التوراتي– سوى قمم أرمينيا، حيث ينبع من نفس المكان نهران آخران يصبان في بحر قزوين، هما نهر " أراكس" و"كورا " ومن هنا فإنه يرى أن قصة التوراة عن خروج الإنسان الأول من جنة عدن ربما كانت صدى لقصة خروج أسلاف العبرانيين من منطقة منابع الأنهار الأربعة واتجاههم جنوبًا ليستوطنوا هناك. . . حيث أنه يفترض أن قمم أرمينيا هي موطن العبرانيين الأصلي" .

لا يوجد من يعرف مكان الجنة بالتحديد، فكما قصد الله أن يخفي قبر موسى حتى لا يتعبد له بنو إسرائيل، هكذا قصد أني يخفي جنة عدن لحكمة لا نعلمها .

3– لم يذكر (الوحي الإلهي) النهر الرئيسي الذي كان يروي الجنة، ولكنه ذكر رؤوسه الأربعة التي انقسم إليها، ومنهما نهران معروفان جيدًا، وما زلا قائمين للآن، وهما حداقل (دجلة) والفرات

4- قال الدارسون أن جنة عدن تقع في بقاع أراراط شرقًا كما أشار إليها (الوحي الإلهي ") وغرس الرب جنة في عدن شرقًا" (تك 2: 8) .

5- قال الكتاب عن أول أنهار الجنة " فيشون " وهو المحيط بجميع أرض حويلة حيث الذهب" (تك 2: 11) ومعنى "فيشون" أي النهر الجاري، كما ذكرنا أيضًا هنا في موقع الأنبا تكلا هيمانوت في أقسام أخرى. وغالبًا هو قناة " بالاكوباس " التي تخرج غربًا من نهر الفرات لتصب في الخليج العربي شرقًا، فأرض حويلة تقع غربي الخليج العربي، وتنسب إما إلى حويلة بن كوش بن حام " وبنو حام كوش ومصاريم وفوط وكنعان وبنو كوش سبا وحويلة. ." (تك 10: 6، 7) أو قد تُنسب إلى حويلة بن يقطان من نسل سام (تك 10: 29) والنهر الثاني من أنهار الجنة " جيحون هو المحيط بجميع أرض كوش" (تك 2: 13)(5) .

6- يستبعد الأب " سهيل قاشا " أن يكون المقصود بنهر جيحون هو نهر النيل، وأن المقصود بأرض كوش هي أرض الحبشة، فيقول " لا نستطيع تشخيص النهرين فيشون وجيحون، فمن المهم أن نلاحظ أن النهر الأخير كان يحيط بجميع الأرض كوش Kush على حد تعبير التوراة. إن كلمة كوش هذه يُقصد بها في الغالب بلاد الكاشيين Kassites الذين أسَّسوا في العراق سلالة بابل الثالثة، واتخذوا من بابل عاصمة لهم أول الأمر، وليس بلاد " النوبة " التي يرد ذكرها بهذا الاسم أيضًا في الكتابات المسمارية والهيروغليفية" .

7- يقول " أرمسترونج " في كتابه " الطبيعة والإعلان " من أين بدأ الجنس البشري طريقه؟ إن العلماء يتفقون تماما فيما يختص بهذا الموضوع وفيما يختص بوحدة الجنس، إن الدولة المعروفة لنا جزئيًا باسم أرمينيا، وهي المنطقة العالية التي فيها رؤوس أنهار الفرات والدجلة والسد، تعتبر مهد الجنس البشري، ومن الأسباب التي تدعو إلى هذا الاعتقاد هو أن كل التراث القديم يشير إلى هذه البقعة كالموطن الأول للإنسان، فهذه هي المنطقة التي أمدت الإنسان بالطعام. . . والأبحاث التي يقوم بها علماء " علم الأجناس "كلها تؤدي إلى هذه النتيجة" .

8- يقول عالِم الطبيعة " هيجل " في كتابه " تاريخ الخليقة " إن مهد الجنس البشري، بناء على أُسس علمية، لا يمكن أن نجده في أوروبا أو أمريكا أو أستراليا، ولكن أغلب الظروف تشير إلى آسيا الجنوبية كموطن الجنس البشري الأصلي".

9- يقول المتنيح نيافة الأسقف ايسيذورس إن " العلماء زيادة على شهادة الآثار المذكورة سلَّموا بما حواه تقرير " ديلتشك " أستاذ اللغة الآشورية في كلية " لبسك " تحت عنوان " أين موقع الفردوس " نشره عام 1881م أثبت فيه أن البقعة التي فيها عدن كانت ذلك القسم الشمالي من مدينة بابل الكائن بين دجلة والفرات، يسقيها الأخير (الفرات) لأنه يحيط بها إحاطة السور بالمعصم، ثم يتفرع منها في بحار ويصب في دجلة، ويُرجح أن أحد هذه الفروع وهو الترعة المعروفة " بالأكونياس "كانت فيشون التي تسقي " أور " مسقط رأس أبينا إبراهيم وقصب في الخليج العجمي، وجيحون وهو الذي يسميه العرب شط النيل فرع آخر للفرات يبتدئ من بابل ويحيط بأرض كوش التي هي أرض الدولة العيلامية، وكانت تتاخم بابل وتُدعى كاشي، ولا شك أن هذا الوصف الجغرافي يطابق وصف موسى لمكان الفردوس ووصف النهر الذي كان يسقيه ويتفرع منه إلى أربعة رؤوس، وعليه أجمع أغلب العلماء".

10- يقول نيافة الأنبا بولا أسقف طنطا " لقد حاول الكثير من الباحثين في البحث عن باقي الأنهار عبر التاريخ، وكانت آراء كثيرة في هذا الصدد، فالبعض أعلن أن المقصود بالنهرين فيشون وجيحون هو نهر النيل، وآخرون يقولون أنهما " نهر آراس " أو " نهر الهندوس " ولكن هذه التخمينات لا تتفق مع ما يذكره الكتاب المقدَّس لبعد المسافة بين هذه الأنهار وبين نهري دجلة (حداقل) والفرات.

واخترع البعض اسم نهر "كوخا " في جنوب إيران، حيث كان هذا النهر يصب قديمًا في الخليج العربي مع نهري دجلة والفرات، إلى أن أتى العالِم والباحث الألماني (دلتش) واكتشف في بابل قائمة بأسماء الأنهار القديمة الرئيسية

التي كانت معروفة وقتئذ، فوجد من بينها أسماء (فيشانو) وهو قريب من (فيشون) و(جيحانو) وهو متشابه مع (جيحون) ووجد أنهما كانا قريبين جدًا من دجلة والفرات.

ومن الملاحظ عمليًا لأي نهر أنه في بدايته يكون كثير الفروع ثم ينحصر عدد هذه الفروع تدريجيًا، وهذا واضح أيضًا بالنسبة لنهر النيل الذي يحكي لنا تاريخه أنه كان قبلًا كثير الفروع، ولازلنا نكتشف آثار لتلك الفروع القديمة للنيل. ومن هنا يتضح أن جنة عدن كانت في أرض العراق،)) .

انتهى الاقتباس

ان هذه الأراءتفيدنا في حقيقة واحدة وهي ان ماجاء في النص التوراتي المذكور اعلاه حول وصف الجنة وحدودها هو من وحي وخيال كاتب التوراة وليس له علاقة بالجنة التي خلقها الله وذكرت في كتابه الكريم كما سنرى ذلك .

الجنة كما هي في القرآن الكريم

الجنة في السماء

الدليل على أنهما موجودتان قوله تعالى: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ»، (الآية 133 من سورة آل عمران) .

وقوله تعالى أيضاً: «وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ»، (الآية 131 من سورة آل عمران» .

والدليل على أن الجنة موجودة الآن فوق السماء السابعة قوله تعالى: «عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى»، (الآية 14-15 من سورة النجم) .

والنار في مكان يعلمه الله قال -تعالى-: «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ»، (الآيات 7-9 من سورة المطففين) .

ما معنى جنة عرضها السموات والأرض

قال الله سبحانه وتعالى في وصف سعة الجنة :

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران : 133]

فقد وصف الله سبحانه وتعالى عرض جنته التي أعدت للمتقين فقال: وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ ﴿الحديد 21﴾ ومعنى ذلك أن عرض الجنة كعرض السموات والأرضين إذا ضم بعضها إلى بعض، كما قال ابن جرير الطبري، ونقله عن السدي وعن ابن عباس قال: ولا يعلم طولها إلا الله، ووصف عرضها بالسموات والأرض تشبيها في السعة والعظم.

قال القرطبي: فلما كانت الجنة في الاتساع والانفساح في غاية قصوى حسنت العبارة عنها بعرض السموات والأرض، وليس المقصود تحديد العرض وإنما أراد بذلك ضرب المثل بأوسع ما رأيتموه. انتهى. منه بتصرف قليل.

وصف الجنة

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد : 15]

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد : 35]

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد : 21]

نلاحظ ان ماجاء في النصوص القرآنية المتعلقة بالجنة هي نصوص واضحة جدا في بيان موضع الجنة وسعتها وما أعده الله للمتقين فيها ولا نرى في هذه النصوص كما وجدنا في التوراة من مغالطات واضحة عن تحديد مكانها على الأرض أو غير ذلك من خرافات .

ثانيا : تحذير آدم عليه السلام

وفق ماجاء في سفر التكوين فأن الرب (الله) قد أخذ آدم ووضعه في جنة عدن

15وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا . 16وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، 17وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ» .

وهذا نص غامض فلم يحدد أين كان آدم قبل أن يضعه الله في الجنة – على فرض – ان الجنة هي على الأرض وفق ما يتصور كاتب التوراة وقطعا فأن الله هو في السماء فهذا يعني ان الله أخذ آدم من السماء الى الأرض حيث الجنة وهذا تصور معكوس تماما لما جاء في القرآن الكريم اذ أن آدم كان في جنة الله في السماء مذ خلقه الله ونتيجة غلطة منه أنزله الله منها على الأرض ليعيش فيها .

كما ان التوراة تدعي بأن وظيفة آدم في الجنة هي (لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا) وفق النص التوراتي والعمل والحفظ يتطلبان مجهودا بشريا في حين النصوص القرآنية تصف الجنة بأنها دار راحة وأمان لا عمل فيها ولا شقاء

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ [طه : 118]

﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [سورة طه: 119]

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة : 35]

تتابع النصوص التوراتية قصة آدم عليه السلام وفق ما تصوره كاتبها :

16وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، 17وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ» .

وفق هذا النص التوراتي وعلى حد زعمه فأن الله أوصى آدم بأن يأكل من جميع شجر الجنة ماخلا شجرة واحدة سماها (شجرة معرفة الخير والشر) واذا أكل منها فسوف يموت موتا .

وفي نصوص سابقة قالت التوراة ان الله وضع شجرة معرفة الخير والشر مع شجرة أخرى سمتها شجرة الحياة (وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ) .

ونستخرج من هذا النص القصير خطأين فادحين وقع بهما كاتب التوراة أولهما الأول هو ان آدم لم يكن يعلم معنى الخير والشر فأكل منها اعتقادا منه أنه بعد ذلك سيعرف الخير والشر وهذا محال والخطأ الثاني ان النص يلصق تهمة باطلة وكذبا مفضوحا على الله سبحانه وتعالى وحاشى الله من ذلك حينما قال لآدم سوف تموت موتا ولو ان الله قد أراد فعل ذلك لما كنا اليوم كلنا كبشر موجودين اذ كان سيقضى عليه بالموت لأنه في النهاية أكل آدم من الشجرة المحرمة لكن الله لم يفعل به ذلك فهل نقض الله وعده – وحاشى الله ذلك – وان الله لا يخلف أو يرجع عن ميعاده وقوله أو ان الله بالأساس لم يقل لآدم أنك سوف تموت اذا أكلت من هذه الشجرة وهذا الذي حصل ووفق ما قاله القرآن الكريم :

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : 35]

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) ﴾ [طه : 120 – 122]

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه : 121]

فهاتين الايتين القرآنية الكريمتين تبين لنا بكلمات معدودات حقيقة مع حصل وتكذب وتفضح الرواية التوراتية :

فهذه الشجرة ليست شجرة معرفة الخير والشر كما يدعي كاتب التوراة وليست هي شجرة الخلد كما أوهم ابليس آدم وزوجته والقرآن الكريم لم يبين لنا ماطبيعتها ولا نعلم عنها شيئا سوى أمرا واحدا وهو انها تسببت في تعرية آدم وزوجته لذلك منعه ربه الاقتراب منها ولم يخبره بأنه سوف يموت اذا أكل منها بل قال له سوف تكون من الظالمين وهذا الذي حصل بالفعل فلقد ظلم آدم نفسه وزوجه وذريته فأخرجهما الله من الجنة عقابا لهم :

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف : 27]

هنا يتوقف النص التوراتي عن متابعة ما حصل لآدم مع تلك الشجرة وذلك لسبب جوهري منع الكاتب من الاستمرار في رواية أحداث القصة وهو آن (حواء) زوج آدم لم تكن قد خلقت بعد الله لذلك لم تكن معه بينما في النص القرآني يحذر سيدنا آدم وزوجته (﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة : 35] .

لذلك فكاتب الرواية التوراتية أجل (بتشديد الجيم) مصير آدم في الجنة لبعد الحديث عن قصة خلق (حواء) زوجته وهذا ما سنراه في الفقرات القادمة .

تلقين آدم الأسماء

تتحدث الرواية التوراتية عن هذا الحدث بقولها (18وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ» . 19وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا

يَدْعُوهَا، وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا . 20فَدَعَا آدَمُ بِأَسْمَاءٍ جَمِيعَ الْبَهَائِمِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ وَجَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ. وَأَمَّا لِنَفْسِهِ فَلَمْ يَجِدْ مُعِينًا نَظِيرَهُ.) .

فتدعي الرواية من أن آدم عليه السلام يعلم كل أسماء المخلوقات دون استثناء وكل ما ذكر اسم حيوان أو مخلوق أمام الله فيكون مطابقا لأسمه الحقيقي وهذا افتراء وتركيب كاذب من جملة ما أفترت به التوراة على الذين يؤمنون بها والى اليوم وهو قول لا يقبله العقل والمنطق اذا كيف لمخلوق (جديد) أن يعلم من تلقاء نفسه أسماء كل شئ ولم يعلمه أحدا من قبل .

وهنا تتدخل النصوص القرآنية لتصحيح كلام الله مما وقع فيه من تزييف وتحريف على يد كتبة التوراة والكهان والأحبار فتعطينا الصورة الحقيقة كيف علم الله سبحانه وتعالى الأسماء وكيف تعلمها آدم بعد ذلك

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : 31]

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : 32]

﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة : 33]

وفي هذه النصوص القرآنية الكريمة نرى الحقائق التالية :

- فالله سبحانه وتعالى هو الذي علم ادم الأسماء كلها وليس فقط اسماء الأحياء ومن ضمنها أسماء الملائكة

- ان الله تعالى عرض هذه الاسماء على الملائكة فلم يعرفوها أو يعلموها وان جملة ان كنتم صادقين جاءت بسبب ان الملائكة قد قالوا لله تعالى ان هذا الخليفة في الأرض (أدم) سوف يفسد ويقتل وغير ذلك فأراد الله أن يعلمهم انهم عاجزون عن الالمام بعلم الله وحلمه وقدرته لذلك قال لهم ان كنت صادقين حقا في معرفتكم للغيب وما يحتويه من أحداث .

- وهنا وبعد أن أمره الله بذلك أعلمهم باسماءهم وهم أنفسهم ماكانوا يعلمونها .

(رواية خلق زوج آدم (حواء)

في الرواية التوراتية

وَأَمَّا لِنَفْسِهِ فَلَمْ يَجِدْ مُعِينًا نَظِيرَهُ. 21فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا . 22وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. 23فَقَالَ آدَمُ: «هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ» . 24لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا . 25وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ.

قبل أن نخوض في تفاصيل ماتقوله التوراة عن خلق زوج آدم عليه السلام نلاحظ بداية ان اسم حواء ورد في النص التوراتي20وَدَعَا آدَمُ اسْمَ امْرَأَتِهِ «حَوَّاءَ» لأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ. 21وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا .وهذه التسمية منسوبة الى آدم فهو الذي سمى زوجته حواء وعلة ذلك وفق الرواية التوراتية لأنها أم كل حي وهي تسمية لفظية مركبة ومشتقة ولا تشير الى صفة حقيقة فزوج آدم لم يكن عندها أولاد كما أن آدم هو مخلوق حي لم تنجبه زوجته فهي ليست أم كل حي فعلا ومنطقيا لأن كل المخلوقات التي خلقها الله وفق التعبير التوراتي (هي ذات نفس حية) ومن المؤكد ان كتبة التوراة هم الذين بوضع هذا الاسم وأخترعوه ولم يرد اسمها في القرآن الكريم ودخل في التراث الاسلامي عن طريق مجتهدين ومفسرين وهذا ما سنراه في المحور التالي .

هل زوج آدم اسمها حواء حقا ؟

لم يذكر اسم حواء في القرآن الكريم ؛ إلا أنه ذكر في صحيح السنة النبوية فهل حقا قد تم ذكره بحديث صحيح قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد عرف المسلمون اسم (حواء) عليها السلام بهذا اللفظ من السنة النبوية المطهرة؛ فقد ورد ذكرها في أحاديث منها «لَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا الدَّهْرَ» متفق عليه.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْلاَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ ، وَلَوْلاَ حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا الدَّهْرَ .

ومعنى قوله : (لم يخنز اللحم) : بفتح النون ، من خنز اللحم بالكسر : تغير وأنتن . يشير إلى أن خنز اللحم بشيء عوقب به بنو إسرائيل ، حيث كفروا نعمة الله – تعالى – حين ادخروا السلوى ، وقد نهاهم الله – تعالى – جل جلاله عن الادخار ، ولم يكن اللحم يصيبه الفساد قبل ذلك ، فحدث التغير لسوء صنيعهم ، وهو الادخار الناشئ من عدم الثقة بالله . . .

وقوله: (ولولا حواء) : بالمد أي : لولا خيانتها في مخالفتها .

(لم تخن أنثى زوجها) : أي : لم تخالفه (الدهر) : أي : أبدًا ، وكأن الخيانة تحصل من العوج الذي في طينتها أو جبلتها .

قال القاضي : أي لولا أن حواء خانت آدم ، في إغرائه وتحريضه على مخالفة الأمر ، بتناول الشجرة ، وسنت هذه السنة ، لما سلكتها أنثى مع زوجها .

وقيل : إن خيانتها أنها ذاقت الشجرة قبل آدم ، وكان قد نهاها ، فغرته حتى أكل منها .

وقيل : خيانتها أنها أرسلها آدم لقطع الشجرة فقطعت سنبلتين وأدته واحدة ، وأخفته أخرى .

ينظر : "مرقاة المفاتيح" (5/ 2118)، و"إكمال المعلم" (4/ 682) .

وقال ابن هبيرة في "الإفصاح" (7/ 230) : " إن خيانتها لزوجها ، أنها لما رأت آدم قد عزم على الأكل من الشجرة ، تركت نصحه في النهي له ؛ لأن ترك النصح له خيانة ؛ فعلى هذا ، كل من رأى أخاه المؤمن على سبيل ذلك ، فترك نصحه بالنهي عن ذلك، فقد خانه ، ولا يخرج هذا من تسمية الخائنين الذين جزم الله سبحانه منهم : (إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الخَائِنِينَ) ؛ اللهم إلا أن يسكت تقية ، فذلك له حكم تعلق به " انتهى، بتصرف يسير.

وورد اسم حواء أيضًا في عدة أحاديث لا تخلو أسانيدها من ضعف ، منها ما أخرجه الترمذي (3077) وغيره ، عَنْ سَمُرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : لَمَّا حَمَلَتْ حَوَّاءُ طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ ، وَكَانَ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ ، فَقَالَ : سَمِّيهِ عَبْدَ الحَارِثِ ، فَسَمَّتْهُ عَبْدَ الحَارِثِ ، فَعَاشَ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ إلا أنه حديث ضعيف ، قال الترمذي: " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ قَتَادَةَ ، وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ وَلَمْ يَرْفَعْهُ " .

وضعفه الألباني في "السلسلة الضعيفة" (342)، والأرناؤوط في "تخريج المسند" (20117) .

وقد صرح أكثر الأئمة والمفسرين بأن اسم زوجة آدم عليه السلام هو " حواء " ، ولا نعلم أحدًا من العلماء أنكر ذلك .

من ذلك ما جاء في "سنن ابن ماجه" (1/ 174) عن أَبي الْيَمَانِ الْمِصْرِيِّ ، قَالَ : سَأَلْتُ الشَّافِعِيَّ ، عَنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يُرَشُّ مِنْ بَوْلِ الْغُلَامِ ، وَيُغْسَلُ مِنْ بَوْلِ الْجَارِيَةِ ، وَالْمَاءَانِ جَمِيعًا وَاحِدٌ ؟

قَالَ : لِأَنَّ بَوْلَ الْغُلَامِ مِنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ ، وَبَوْلَ الْجَارِيَةِ مِنَ اللَّحْمِ وَالدَّمِ ، ثُمَّ قَالَ لِي : " فَهِمْتَ؟ " أَوْ قَالَ : " لَقِنْتَ؟ " .

قَالَ : قُلْتُ : لَا .

قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ، لَمَّا خَلَقَ آدَمَ ، خُلِقَتْ حَوَّاءُ مِنْ ضِلْعِهِ الْقَصِيرِ ، فَصَارَ بَوْلُ الْغُلَامِ مِنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ ، وَصَارَ بَوْلُ الْجَارِيَةِ مِنَ اللَّحْمِ وَالدَّمِ .

قَالَ ، قَالَ لِي : فَهِمْتَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ لِي : نَفَعَكَ اللَّهُ بِهِ " انتهى.

وقال مقاتل في تفسير قوله تعالى : "(يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ) يخوفهم يقول اخشوا ربكم (الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ) يعنى آدم (وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها) قال : يعني من نفس آدم من ضلعه : حواء، وإنما سميت حواء ؛ لأنها خلقت من حي آدم " انتهى من "تفسير مقاتل بن سليمان" (1/ 355) .

وجاء في "تفسير يحيى بن سلام" (1/ 285) في قوله تعالى : (فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا) [طه: 121] وَقَالَ الْحَسَنُ : لَوْ أَنَّ حَوَّاءَ بَدَأَتْ قَبْلَ آدَمَ ، فَبَدَتْ سَوْأَتُهَا عِنْدَ ذَلِكَ ، لَكَانَتْ لَهُ عِظَةً ، وَلَكِنْ لَمَّا أَكَلَ آدَمُ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا " انتهى.

وقال ابن جرير الطبري في قوله تعالى : (وخلق منها زوجها) [النساء: 1] : وخلق من النفس الواحدة زوجها ؛ يعني بـ " الزوج " الثاني لها ، وهو فيما قال أهل التأويل : امرأته " حواء "انتهى من "تفسير الطبري" (6/ 340) .

وقال البغوي في قوله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) : " وذلك أن آدم لم يكن في الجنة من يجانسه ، فنام نومة فخلق الله زوجته حواء من قصيراء شقه الأيسر ، وسميت حواء ؛ لأنها خلقت من حي" انتهى من "تفسير البغوي" (1/ 82) .

والحاصل : أن اسم حواء ثابت في صحيح السنة النبوية ، ومشهور بين أهل العلم .

هل فهمنا من هذه الروايات المتناقضة شئ ؟

دعونا نناقش هذه المسألة بتروي وصدق وجرأة أهم حديث في تلك الروايات وهو الحديث :

الذي رواه البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْلاَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ ، وَلَوْلاَ حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا الدَّهْرَ

ونحن يهمنا هنا ذكر (حواء) في هذا الحديث المنسوب الى النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ونكاد نعتقد جازمين بأنه حديث (مدسوس) وذلك من خلال مناقشة عقلية منطقية فقهية :

o ان القرآن الكريم لم يذكر اسم زوج آدم ومن المؤكد ان الله سبحانه وتعالى حاشاه أن يغفل عن ذكرها من هنا فأن هذه التسمية لزوج آدم والتي تنسب للنبي عليه الصلاة والسلام وبحديث واحد فيها شك كبير اذا انها لاتستند لنص قرآني بل هي تزيد على هذا النصوص القرآنية (صفة واسما لزوجة آدم عليه السلام) ليس فيه .

o ان هذا الحديث بالرغم من تفرده بذكر (حواء) فهو يتهمها جزافا بأنها (خائنة) خانت زوجها بل ان لولاها وبسببها انتشرت ظاهرة الخيانة (وَلَوْلاَ حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا الدَّهْرَ) أي ان مافعلته حواء كان سابقة خطيرة علمت به نساء العالمين (الخيانة) ومن البديهي ان مفهوم الخيانة هنا عام ينطبق على كل ما تفعله المرأة الخائنة فمن الناحية الفقهية فالحديث- يعتبر ضمنيا- ماقامت به (حواء) أنها قد سنت سنة سيئة وحاشاها ذلك وعقوبة صنع مثل هذه السنن معروفة التي فصلها حديث نبوي جاء به (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام ستَّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء . رواه أحمد ومسلم والترمذي.فهل يعقل أن يتهم الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أمنا زوج آدم بهذا الفعل o ولنرى ما الذي فعلته زوج آدم عليه السلام لتنعت بأنها (خائنة) :

هنا تتضارب أراء كل المحدثين والمفسرين في بيان ذلك :

قال القاضي : أي لولا أن حواء خانت آدم ، في إغرائه وتحريضه على مخالفة الأمر ، بتناول الشجرة ، وسنت هذه السنة ، لما سلكتها أنثى مع زوجها .

فكل مافعلته وفق راي القاضي انها أغرته وحرضته على مخالفة الأمر بتناول الشجرة ناسيا أو متناسيا ان من أغرا وحرض هو أبليس كما نسي أو تناسى ان الأمر الالهي الموجه لهما بأن لايقربا هذه الشجرة كانا موجها للأثنين وقد خالفه الأثنان معا ونالا عقابا واحدا .

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : 35]

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) ﴾ [طه : 120 – 122]

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [طه : 121]

لذلك فأن الاية الأخيرة تشير الى أن أدم هو الذي عصى ربه ولذلك طلب العفو والمغفرة من ربه ولم نجد في النصوص القرآنية ان زوجه عوقبت لأنها محرض على الفعل بل كانت فاعلا وشريكا في الفعل الذي هو الأكل هنا فعلى أي أساس تتهم زوج آدم بفعل (الخيانة) .

ان هذه النصوص القرآنية بل القرآن كله نزل على الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وهو يعلم حق العلم تفسيرها وتأويلها فأنى له بعد ذلك أن يحمل زوج آدم المسؤولية بهكذا حديث منسوب اليه زورا وبهتانا .

أما البغوي فيأتي باجتهاد منه مرة وباسناد من الاسرائيليات بنفس الوقت

وقال البغوي في قوله تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) : " وذلك أن آدم لم يكن في الجنة من يجانسه ، فنام نومة فخلق الله زوجته حواء من قصيراء شقه الأيسر ، وسميت حواء ؛ لأنها خلقت من حي" انتهى من "تفسير البغوي" (1/ 82) .

فهو يستند الى الاسرائيليات في قوله وذلك أن آدم لم يكن في الجنة من يجانسه ، فنام نومة فخلق الله زوجته حواء من قصيراء شقه الأيسر ،وهي مقولة توراتية وهو أي البغوي يدعي ان اسم حواء جاء من كلمة حي لأنها خلقت من حي .

وخلاصة الأمر ان هذه التسمية لم تذكر في القرآن الكريم وليس هنا أدلة قوية صحيحة من السنة النبوية على تسميتها بأسم (حواء) وانما جاء في تراث السلف عن هذه التسمية انما هو محض اجتهادات فيها الكثير من الافتراءات .

هل حقا ان الله خلق زوج آدم من ضلعه ؟

نتابع لنرى ما قالته التوراة :

21فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا . 22وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. 23فَقَالَ آدَمُ: «هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ» . 24لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا . 25وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ.

هذا النص التوراتي يعتبر كارثة على الذين كتبوه فهو من الأدلة الكبيرة على تزويرهم وتحريفهم لكلام الله وأغلبه تقريبا مجرد تصورات وخرافات وأساطير :

-فهذا النص يصور (الرب الاله) على أنه جراحا ماهرا فينتظر آدم حتى ينام لكي لايشعر بالألم على مايبدو ثم يأخذ واحدة من أضلاعه ووضع بدل الضلع المسحوب لحما ثم يصنع من ذلك الضلع امرأة .

- والأدهى من ذلك ان (الرب الاله) يأخذ بنفسه هذه المرأة الى عند آدم (ويقول هذه امرأتك).

- فيعلم آدم ماذا جرى له من عمل جراحي ويقول : (هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍأُخِذَتْ » .

- وفوق كل ذلك (وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ).

فقولوا لي بربكم من يصدق ان هذا كلام الله وقوله وحاشى لله العلي القدير أن يصدر عنه هكذا قول انما هو كما ذكرنا افتراءات وكذب على الله ولقد صدق ربنا الكريم حينما قال فيهم (﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة : 79]

الرواية القرآنية في خلق زوج آدم

ليس في القرآن الكريم أية واحدة تتحدث من ان الله خلق زوجا لآدم عليه السلام من ضلعه

و لم يذكر لفظ حواء في القرآن الكريم قط بل ذكرت على أنها زوجة آدم عليه السلام في ثلاث سور وهي البقرة، والأعراف وطه،

فقال تعالى: "وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكُلا منها" البقرة:35،

وقال تعالى أيضاً "ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة" الأعراف:19،

وقال أيضاً "وقال يا آدم إن هذا عدوٌ لك ولزوجك" طه: 117،

وفي سورة واحدة ذكر ان الله خلقها من نفس واحدة وخلق منها زوجها

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : 1]

وفي سورتين ذكر الله تعالى ان الله خلقها من نفس واحدة وجعل منها زوجها

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : 189]

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر : 6]

مالفرق بين الخلق والجعل في السورتين

الفرق بين "خلق منها زوجها" و"جعل منها زوجها" "الجعل" في الغالب حالة بعد الخلق» فالخلق أقدم وأسبق.

جعل الزرع حطاماً ليست مثل خلق الزرع حطاماً .

"جعل" بمعني صيّر. هو خلقه ثم جعله .

"وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ" (المائدة: 60.

لا يعني خلقهم وإنما يعني صيّرهم. إذن في الغالب الجعل بعد الخلق .

"قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا" (البقرة: 124.

صيّره إماماً وليس خلقه إماماً .

عندما قال تعالي: "خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا" يقصد حواء. "وجعل منها زوجها" الكلام عن الذرية .

فلما ذكر حواء قال "خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا" .

ولما ذكر الذرية قال: "جعل منها زوجها" .

أما بخصوص الآية في مطلع سورة النساء، الله تعالى خلقنا من نفس واحدة وخلق منها زوجها، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (1) (النساء)

من نفس واحدة، النفس الواحدة خلق منها آدم باتفاق العلماء وخُلِقت منها زوجته فهي لم تخلق من آدم وإنما من النفس. للأسف لا أحد ينتبه للتعبير الأدائي فنحن تصورنا أن الله تعالى خلق آدم من نفس ثم خلق حواء من آدم وهذا خطأ.

أ. قال الشيخ متولي شعراوي رحمه الله : إن حواء لو كانت ضلعاً من آدم لقال الحق تعالى: جعل منها زوجها، ذلك أن الجعل بعض الأخذ من نفس المادة وصناعة ما يريد، وهو الحق المالك لكل الكون.

إن قول الله تعالى: "وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا" هو تعبير عن خلق جديد مستقل. إلى أن قال: أي خَلَقَ حواء مثلما خلق آدم، وكما أوضح لنا الحق تعالى أنه خلق آدم من طين، فكذلك خلق حواء .

ب. قال الدكتور صلاح الخالدي: وقد ذهب بعض العلماء المفسرين إلى أن حواء مخلوقة من نفس آدم، واعتمدوا في ذلك على ظاهر قوله: "وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا"، أي إن حواء مخلوقة من بعض جسم آدم؛ لأن "مِن" تدل على التبعيض، وهذا المعنى هو ضلع آدم.

ولا نعتبر الآية دالة على هذا؛ لأن الآية تتحدث عن تكريم الله للرجال والنساء جميعاً، ويخبرنا الله أنه خلقنا نحن البشر "من نفسٍ واحدةٍ"، وخلق من هذه النفس الواحدة زوجها، والمراد بالنفس الواحدة هنا النفس الإنسانية التي تتمثّل فيها الطبيعة البشرية، هذه النفس المكوّنة من مادة وروح، والمتمثّل فيها الكيان البشري بما فيه من أعضاء وأجهزة، يقوم عليه جسمه المادي بما فيه من مشاعر وأحاسيس وصفات وسمات وغرائز وشهوات وآمال وتطلعات، وما فيه من قلب وروح وتصور وفكر وخيال، هذا الكيان الإنساني كله هو النفس التي خلقها الله.

وخلق الله من هذه النفس الواحدة المتكاملة الرجل، ثم خلق من هذه النفس الواحدة المتكاملة المرأة. وأول نموذج عملي للنفس الواحدة هو آدم أبو البشر عليه السلام، الذي تمثلت فيه النفس الواحدة بكامل خصائصها وسماتها.

وثاني نموذج للنفس الواحدة زوجه حواء التي خلقها الله وجعلها زوجاً له، وتمثلت فيها النفس الواحدة بكامل خصائصها وسماتها، مع فروق فردية جعلها الله الحكيم –بيولوجياً وعاطفياً– بين الرجل والمرأة ليقوم كل منهما بدوره في الحياة.

وهذا معناه أن الرجل نفس إنسانية سوية بجسمه وروحه وشخصيته، وأن المرأة نفس إنسانية سوية لها جسمها وروحها وشخصيتها، وهي معززة مكرمة كالرجل، وليست أدنى أو أحطّ منزلة منه، وهذا تكريم وتشريف عظيم للمرأة.

ليس المراد بالنفس الواحدة في الآية آدم عليه السلام حتى نقول: إن الله خلق له منه زوجه حواء؛ إنما هي النفس الإنسانية التي خلق الله منها آدم أولاً، ثم خلق منها حواء بعد ذلك، ثم بثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء

واللطيف أن هذه الآية التي تتحدث عن النفس الواحدة التي خلق الله منها الرجل والمرأة في صدر سورة النساء، التي تتحدث كثيراً عن النساء وأحكامهن، وبهذا نرى أن القرآن – والإسلام – قد كرّم المرأة تكريماً عظيماً عندما اعتبرها كياناً شريفاً فاضلاً مخلوقاً من النفس الواحدة التي خُلق منها الرجل .

دليل قرآني قاطع على ان خلق آدم وزوجه كان من نفس واحد

ان الله قد خلق من كل شئ زوجين (الذكر والآنثى) وعبارة كل شئ تضمن كل مخلوقات الله الحية من نبات وحيوان وجان وانسان ولولا ذلك لم تستمر الحياة على الأرض فوجود الزوجين أمر متلازم يكمل بعضه بعضا حتى في ان جزيئات المادة الجامدة تتكون من قطبين أو زوجين ذكر وانثى أو سالب وموجب هذه الثنائية في الخلق هي من نواميس الله سبحانه وتعالى وهذا الناموس الكوني الخلقي من المؤكد أنه طبق على الانسان فخلق منه زوجين وهما الذكر والانثى (حواء وزوجه)

﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات : 49]

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [النجم : 45]

ويعطينا الله سبحانه وتعالى لنا مقاربة لنفهم كيف خلقنا نحن كبشر فيقول :

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر : 6]

خلقنا الله من نفس واحدة فسوى من هذه النفس زوجين (آدم وزوجه) تماما كما خلق من كل شئ زوجين اثنين وضرب لنا في الاية خلق الأنعام وهي أربعة أنواع (الغنم والبقر والماعز والأبل) فخلق من كل نوع زوجين فصاروا جميعا ثمانية أزواج ثم تنقل الاية للحديث عن نوع جديد من الخلق وهو الخلق في الأرحام .

خلق زوجة آدم من ضلعه

رواية يهودية بحتة

قلنا ان في القرآن لا نجد ذكراً لحواء أبداً (الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) لم يستعرض خلق حواء كما أفرد لخلق آدم في سبع سور وكل سورة فيها اختلاف. ليس في القرآن شيء عن حواء وعن انها خلقت من ضلع آدم عليه السلام ونحن كمسلمين بكتاب الله العظيم الصادق المهيمن علينا أن لا نلتفت الى ماجاء في التوراة وقرآننا يخبرنا من أنهم قد حرفوها وبدلوها وزوروها .

ان الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أعلم خلق الله بتفسير القرآن وفهمه وتدبره وما نفهمه من قوله تعالى :

((الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) كان الرسول الكريم قد فهمه وعرفه وهو أول العارفين به فكيف بعد ذلك ينسب اليه أحاديث يقول فيها ان (حواء) خلقت من ضلع أو أنها قد خانت وهي أول الخائنات من النساء قطعا ان رسول الله لم يقل ذلك وحاشاه أن يقول ذلك .

أنظر كيف يأخذ المفسرون من الاسرائيليات ويدعون أنها من كلام الله وهي ليست منه في شئ وهنا يكمن وجه الغرابة حينما لا ينسبون أقوالهم (التوراتية) الى مصادرها التوراتية بل ينسبوها زورا الى الاسلام قال ابن كثير :

" يقول تعالى آمِرًا خلقه بتقواه ، وهي عبادته وحده لا شريك له ، ومُنَبّهًا لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة ، وهي آدم ، عليه السلام (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) وهي حواء عليها السلام ، خلقت من ضِلعه الأيسر من خلفه وهو نائم ، فاستيقظ فرآها فأعجبته ، فأنس إليها وأنست إليه وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي، حدثنا محمد بن مقاتل، حدثنا وكيع ، عن أبي هلال ، عن قتادة عن ابن عباس قال : خُلقَت المرأة من الرجل " انتهى من " تفسير ابن كثير" (2 /206) .

فمبدأ البشر آدم ، ثم جاءت منه حواء ، ثم جاء منهما البشر جميعا .

هذا النص مأخوذ حرفيا من التوراة {21 فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا . 22وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. 23

لكن الغريب ان ابن كثير يؤكد هذا القول التوراتي ويدعمه بنصوص قرآنية ويضيف قائلا :

(يوضح ذلك قوله تعالى :

(خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) الزمر/ 6 .

فقوله : (ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) واضح الدلالة على أن خلق آدم كان أولا ، ثم خلقت حواء منه بعد ذلك

وروى البخاري (3331) ومسلم (1468) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ) .

وهذا بيان من السنة الصحيحة أن حواء خلقت من ضلع) .

وبعد ان يستشهد بنصوص قرآنية – بينا ان المقصود منها ان الله خلق آدم من نفس واحدة وخلق من تلك النفس زوجته أيضا – يستشهد بأحاديث نبوية (مدسوسة) وفي النهاية يطلق حكما عاما من ان السنة وبالتالي الاسلام والقرآن والحديث النبوي كل ذلك يؤكد ان (حواء خلقت من ضلع آدم) .

أليس مثل ابن كثير وغيره هم من دس في دين الله السم التوراتي وبعد ذلك يدعون كذبا وزرا ان هذا هو دين محمد عليه الصلاة والسلام .

الوقوع في الخطيئة

هل كان آدم وزوجه عريانين ؟

نتابع رواية خلق آدم عليه السلام التوراتية فلقد جاء في سفر التكوين : (25وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ.) .

فهذا النص يتحدث بعيد خلق الله لآدم وخلق زوجته (من ضلعه) كما تدعي التوراة أي قبيل الوقوع في الخطيئة وهو نص يعارض تماما ما جاء في القرآن الكريم الذي يبين لنا ان حالة العري قد حدثت بعيد أكل آدم وزوجه من الشجرة التي نهاهم الله الأكل منها .

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [طه : 121]

لكن التوراة بعد عدة نصوص تعود لتروي ان آدم وزوجته (تعريا) بعد أن أكلا من الشجرة ناسية انها قد أدعت بأنهما عريانيين حين خلقهما :(فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ. 7فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ) .

تكملة القصة

نتابع رواية قصة خلق آدم عليه السلام في التوراة :

1وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» 2فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، 3وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا». 4فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! 5بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ». 6فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ. 7فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ.

سنضع النقاط الأساسية في هذا النص ثم نقارنها بالنصوص القرآنية ونعلق عليها :

1- ان الحية هي التي أغرت زوجة آدم لتأكل من الشجرة وليس ابليس .
2- ان الحية تكذب (الاله) بقولها لن تموتا وهو قد قال لهما لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا».
3- ان هذه الشجرة هي شجرة معرفة الخير والشر
4- ان زوجة آدم هي التي أكلت ثم أطعمت زوجها آدم
5- أنهما بعد أكلهما للشجرة تعريا (وقد وضحنا هذه النقطة)

الحية أم ابليس ؟

يلاحظ هنا ان النص التوراتي يذكر الحية على أنها سبب الاغراء والشر الذي لحق بآدم وزوجته عليهما السلام بل ان ابليس لم يذكر في التوراة اطلاقا .

العبريون الأوائل لم يشعروا بما يدعوهم إلى إسناد الشرور إلى شخصية شيطانية؛ لأنهم كانوا يتوقعون أن تصدر من الإله أعمال كأعمال الشيطان، بل وكانت الأعمال عندهم مرة تنسب إلى الإله، ومرة إلى الشيطان.

مع ذلك، لم يرد ذكر للشيطان قط في كتاب من كتب ما قبل عصر المنفى إلى أرض بابل سنة 586 ق.م. كانت فكرة "الشيطان" تذكر بالوصف لا بالتسمية، فمرة تجيء بمعنى خصم في قضية، ومرة بمعنى مقاوم في الحرب، وهكذا...

حتى إن الشيطان لم يكن هو الذي أغوى حواء بالأكل من الشجرة المحرمة، إنما كانت الحية هي صاحبة الغواية – كما كان الأقدمون يصورون الشر–، وقد احتاج الأمر إلى وقت لتصبح الحية مجرد رمز للشيطان، وذلك على سبيل المجاز.

أما المرة الأولى التي ورد فيها اسم الشيطان بصيغة العلم، فكانت في الإصحاح 21 من سفر الأيام الأول، حيث إن "الشيطان" هو الذي أغرى داوود بإحصاء الشعب.

وإذا قلنا إن ذات الأعمال قد تنسب إلى الإله، فإننا نجد، مثلا، أن ذات القصة وردت في سفر صمويل الثاني، لكنها منسوبة للإله: "حمى غضب الرب على إسرائيل فأهاج عليهم داود قائلا امض واحص إسرائيل ويهوذا...".

يعزو الباحثون الغربيون غياب شخصية الشيطان الكوني عن المعتقد التوراتي إلى حرص محرري التوراة على وحدانية يهوه، وتنقية مفهوم الإله الأعلى من أيّة ظلال قد تجنح به إلى ثنوية أو تعددية كان الدين الشعبي اليهودي ميّالًا إليها على الدوام. ولكن الأمر كما نراه، هو أنّ غياب الشيطان الكوني واقتصار ممثل الشر في التوراة على دور ثانوي جدًّا، يرجع بالدرجة الأولى إلى قيام إشكاليتين رئيستين لم يتوصَّل الفكر التوراتي إلى حلهما حتى نهاية فترة تدوين الأسفار القانونية، وهما إشكالية التوحيد وإشكالية الأخلاق. فمن جهة أولى، لم تتوصَّل الأيديولوجيا التوراتية إلى مفهوم صافٍ للوحدانية بخصوص الإله يهوه، كما لم تتوصَّل إلى ربط الأخلاق بالدين وإلى رسم صورة إله أخلاقي يجمع إليه كل الكمالات، ويؤسَس لصلة بينه وبين العالم والإنسان قائمة على الأخلاق، الأمر الذي حَرَم الأيديولوجيا التوراتية من أهم عنصرين لازمين لبناء شخصية متكاملة للشيطان في أي معتقد ديني.

انَّ عدم توصُّل الأيديولوجيا التوراتية إلى صياغة معتقد واضح متَّسق حول وحدانية الإله وأخلاقيته، وتقصيرها عن بلوغ مفهوم الكمال والخير المطلق في شخصية ذلك الإله، الذي بقي يتصرَّف حتى النهاية كزعيم قبلي مدفوع بردود أفعاله الآنيَّة وبعواطفه الفطرية مثل الغضب والغيرة، قد دفع بالشيطان إلى دائرة الظل عبر أحداث الرواية التوراتية. فإله التوراة هو صانع الخير وصانع الشر في آنٍ معًا، وها هو النبي إشعيا يُقدِم لنا ما يُمكن اعتباره خلاصة تجربة شعب التوراة مع إلهه: «أنا الرب وليس آخر. مصور النور وخالق الظلمة. صانع السلام وخالق الشر. أنا صانع كل هذا» (٤٥: ٧٦). ونقرأ في سفر يشوع بن سيراخ: «الخير والشر، الحياة والموت، الفقر والغنى من عند الرب ... الظلال والظلمة خُلِقا مع الخطأة» (١١: ١٤–١٦). وأيضًا: «أنا، أنا هو الرب وليس إله معي. أنا أُميت وأُحيي. سحقت وإني أشفي، وليس من يدي مخلَص. إني أرفع يدي إلى السماء وأقول: حي أنا إلى الأبد. سللت سيفي البارق وأمسكت بالقضاء يدي، أرُد نقمة على أضدادي وأجازي مبغضي. أُسكر سهامي بدم ويأكل سيفي لحمًا بدم القتلى والسبايا ومن رءوس قوات العدو» (التثنية، ٣٢: ٣٩–٤٢). وبذلك يتم دمج الإله والشيطان في شخصية واحدة هي شخصية يهوه الذي نراه يلعب الدورين ببراعة، رغم أنَّ العناصر الشيطانية في شخصيته تطغى على العناصر الإلهية. فأي إله هذا الذي تسكر سهامه بالدم ويأكل سيفه اللحم مغمسًا بدم القتلى والسبايا ورءوس قوات العدو؟ وأي إله هذا الذي يشبهه مقطع آخر بالعملاق الذي تعتعه السُّكر فراح يضرب ذات اليمين وذات الشمال: «ثم استيقظ الرب كنائم، ومثل الجبار الذي رانت عليه الخمر، فضرب أعداءه إلى الوراء، جعلهم عارًا أبديًّا» (المزمور ٧٨: ٦٥–٦٦). وأي إله هذا الذي يخرج من أنفه دخان ومن فمه نار آكلة: «ارتجَّت الأرض وارتعشت. أسس الجبال ارتعدت وارتجَّت لأنَّه غضب، صعد دخان من أنفه ونار من فمه أكلت، جمر اشتعلت منه» (المزمور ١٨: ٧–٨). وأي إله هذا الذي يحف به كلما خرج شيطان الوبأ وشيطان الحمى: «قدامه ذهب الوبأ وعند رجليه خرجت الحمى ... وقف وقاس الأرض، انظر، فرجف الأمم» (حبقوق ٣: ٤–٦).

لهذه الأسباب فأن التوراة قد خالف القرآن الكريم في اعتبار الحية هي المسؤولة عن فعل التحريض على الخطيئة حيث المسؤول عنها هو ابليس اللعين بالرغم من التوراة قد سبقت القرآن الكريم بالنزول .

ولقد بين القرآن الكريم الدور المتقدم الذي لعبه ابليس في حياة آدم عليه السلام منذ خلقه الله وسنثبت أدناه النصوص القرآنية التي تتحدث عن هذا الدور وهو أساسي ومستمر وسيبقى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : 34]

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف : 50]

﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [ص : 74]

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [الأعراف : 20]

﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [الأعراف : 22]

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : 27]

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : 48]

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [يوسف : 5]

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ [الإسراء : 53]

فقصة آدم عليه السلام تبدأ مع ابليس من الوقت الذي طلب الله تعالى من ابليس أن يسجد لآدم وسجد جميع الملائكة الا ابليس أبى وأستكبر :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : 34]

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف : 50]

متذرعا بحجة أنه أحسن منه اذ خلقه الله من نار وخلق ادم من تراب .

ومنذ ذلك الحين طلب ابليس من ربه ان يقوم بدور (الغاوي) لآدم وذريته : (﴿قَالَ رَبِّ بِمَاأَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّلَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[سورة الحجر: 39] .

فأستجاب الله لطلبه :

﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء : 64]

وقبل أن نتابع قراءة النصوص القرآنية المتعلقة بخلق آدم عليه السلام دعونا نتوقف على مسالة دور ابليس في حياة الانسان وما الحكمة الالهية من ترك هذا المخلوق اللعين ليلعب هذا الدور التخريبي في حياة البشر وبعبارة أخرى لماذا منحه الله هذه الفرصة وجعله من المنتظرين الذين سيحاسبون يوم القيامة وهذا سيجرنا لا محالة للتساؤل عن الحكمة من خلق الانسان نفسه ؟

ان الاجابة على هذه التساؤلات الجوهرية يحتاج الى كتاب خاص بها لكننا سنحاول قدر الامكان الاجابة عليها بايجاز واقتضاب .

العلم والحكمة والامتحان والابتلاء

في بداية حديثنا يجب أن نتذكر أمرين أثنين أولهما : ان الله الخالق له الارادة المطلقة فيما يخلق ويختار (﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص : 68])

وليس للانسان وهو مخلوق أي اعتراض أو تدخل أو الخيار في ذلك فليس لنا أن نقول لماذا خلق الله الحشرات مثلا أو أصغر منها ولماذا خلق هذا الكون الشاسع ولماذا ولماذا علينا فقط أن نحاول معرفة الحكمة من وراء خلق هذا أو ذاك .

وثاني أمر وجب علينا أن لا ننساه ان الله عليم حكيم ليس لعلمه وحكمته حدود فهو يعلم السر وما أخفى وماتوسوس به الأنفس (﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام : 59].

اذا نحن تذكرنا هذين الأمرين ووضعناهما في حسباننا فيسهل علينا ذلك معرفة الحكمة من وراء خلقنا وخلق ابليس وغير ذلك .

مخلوقات الله قبل خلق الانسان

لقد خلق الله سبحانه وتعالى السموات والأرض وبينهما وخلق الأرض وبث فيها من كل دابة وخلق الملائكة والجان وخلق كل ما نعلمه والذي لا نعلمه .

والشئ المؤكد من ان سبحانه وتعالى خلق الأرض لتكون مستقرا لبني أدم (﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : 29]﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة : 36]

فارادة الله وعلمه الازلي قضى أن يخلق الانسان وقضى أن يجعله خليفته على الأرض وقضى أن تكون مستقرا وموطنا لبني آدم الى وقت معلوم عنده .

لكن هذا الانسان يختلف عن سائر المخلوقات بأنه (حامل أمانة الهية) وزوده الله بعقل ومنحه حرية الأختيار ذلك انه من المبادئ المعروفة ان العقل وحرية الاختيار أمران مرتبطان ومتلازمان .

والذي تعهد بحمل (الأمانة) حملها برضى واختيار لأن كل الذين رفضوا تحمل الأمانة من المخلوقات لم يكن لهم حرية الأختيار ليتحملوها ذلك ان حرية الاختيار يترتب عليها تحمل مسؤولية وتحمل المسؤولية يترتب عليه جزاء وأغلب المفسرين أتفقوا ان معنى الأمانة إنما هو أبونا آدم عليه السلام، كما ذكر غير واحد من المفسرين عن ابن عباس قال: يعني بالأمانة: الطاعة، وعرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم، فلم يطقنها، فقال لآدم: إني قد عرضتُ الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقنها، فهل أنت آخذ بما فيها ؟ قال: يا رب، وما فيها ؟ قال: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت. فأخذها آدم فتحمَّلها هـ .

وفي تصورنا ان الأمانة التي حملها الله للانسان هي العقل وقد بينا في كتابنا (العقل البشري وفلسفة القرآن) أدلتنا على ذلك .

اعداد آدم عليه السلام لمهمة الخلافة

قلنا ان الله سبحانه وتعالى منذ ان خلق الأرض وقدر فيها أقواتها وسخر كل ما فيها كان في علمه أن يجعل له خليفة فيها فخلق آدم وزوجه ومنحهما العقل وحرية الأختيار وعلمه الأسماء كلها وطلب من الملائكة والجان أن

يسجدوا لآدم بأعتباره مخلوقا مختلفا عنهم لأن فيه نفحة من روح الله وهي (العقل) لذلك فحينما رفض ابليس أمر الله لأعتقاده بأنه مخلوق أعلى درجة من آدم من حيث مادة الخلق (﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [الأعراف : 12] فوازن بينه وبين آدم من الناحية المادية (مادة الخلق) لكن الله سبحانه وتعالى أدرى وأعلم بما خلق جعل آدم مميزا عن مخلوقاته بالعقل الذي هو نفحة منه والعقل هنا أميز من المادة .

موقف الملائكة من آدم عليه السلام

لم تعترض ملائكة الرحمن وسجدت لآدم كما أمرها الله لأنها مخلوقات (﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل : 50] لكن حينما أعلمهم ربهم بأنه جاعل (آدم) في الأرض خليفة فقد أعلمهم ربهم أيضا بما ستفعله ذريته من افساد وسفك دماء بدليل أنهم قالوا لله سبحانه وتعالى (﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 30]

وهنا نجد ان الملائكة يفاضلون بينهم وبين بني آدم مفاضلة لا تقوم على أساس مادي فهم خلقوا من نور وأدم مخلوق ترابي بل على أساس طاعة الله وتقديسه فهم أفضل منه .

وقوله تعالى (اني أعلم ما لاتعلمون) يفهم منه بأن لله حكمة بالغة من وراء هذا الاستخلاف لا يعلمونها ولكن الله يعلمها .

لكن هل آدم عليه السلام يعلم ذلك ؟

النص القرآني الوحيد الذي يفيدنا بأن أبانا آدم عليه السلام كان يعلم بما كلفه الله به وأنه جاعله خليفة له على الأرض هو قوله تعالى ((﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 30]

فحينما أعلم الله ملائكته بأمر الخليفة علموا ان المقصود هو آدم وعلم آدم أنه المعني هنا بدليل انه كان موجودا أثناء هذا الحوار وبدليل ان الله علمه الأسماء كلها وطلب من الملائكة أن يعرفوها فجهلوها ثم طلب ربنا الكريم من آدم أن يعلمهم أسماءهم :

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : 31]

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : 32]

﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة : 33]

هنا طلب الله منهم أن يسجدوا لآدم وكل هذه مؤشرات نفهم منها بأن أبانا آدم كان على علم بهذا التكليف الالهي لكنه كان يجهل توقيته وموعده .

ولنعود ونسأل هل عرفنا نحن البشر ماالحكمة من وراء خلقنا واستخلافنا ؟

الجواب يكمن في قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : 56]

فعلينا أن نفهم بحق معنى العبادة في الاية وسنعلم بعده لماذا خلقنا واستخلفنا الأرض .

فالعبادة لا تعني فقط أداء الفروض وطاعة الله اذ ان ملائكة الله يفوقون بني آدم في عبادتهم وتسبيحهم لله

لكنها العبادة الاختيارية الرضائية وملائكة الرحمن يعبدن الله لأنهم يروه وعباد الرحمن يعبدون الله وهم لا يرونه لكنهم على اعتقاد جازم بأنه يراهم .

عبادة تشمل كل نواحي الحياة فالأيمان بالله بعقل وبصر وبصيرة عبادة . .

وأعمار الأرض عبادة

والتفكر والتفكير بالله وقدرته وما خلق عبادة

اعلاء كلمة الله في الأرض عبادة

اقامة العدل عبادة وهكذا فالعبادة تشمل كل مناحي حياتنا فهي التقوى ومخافة الله وعدم مخالفة أوامره

وعليه يمكننا القول ان الله سبحانه وتعالى لذو فضل عظيم علينا ولقد فضلنا على الكثير من خلقه

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : 70]

فضلنا بأنه اوجدنا والوجود خير من العدم

فضلنا بالعقل على كل مخلوقاته وبه أصبحنا مستعمرين هذه البسيطة

فضلنا بأنه سخر لنا كل ما في الأرض جميعا

فضلنا بأننا عياله وعباده ومن خلقه وجعلنا في أحسن تقويم

فضلنا بأن جعل الجنة لعباده خالدين فيها

فالمطلوب من الانسان خليفة الله في الأرض أن يعلم مكانتة وجسامة مهمته وقدر نفسه ولا يتخلى عن عقله فعندها سيصبح كالأنعام بل أضل ويهبط الى أسفل سافلين .

﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يونس : 60]

عود على بدء

دور ابليس في مسيرة آدم عليه السلام

لقد سألنا أنفسنا السؤال التالي مع بداية الحديث عن دور ابليس في مسيرة آدم وقلنا ما الحكمة الالهية من ترك هذا المخلوق اللعين ليلعب هذا الدور التخريبي في حياة البشر .

هذه النصوص القرآنية تتحدث بالتفصيل عن استكبار ابليس وتوعده بأدم وذريته

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (15) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (18) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19)
فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25) يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (26) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (27) ﴾ [الأعراف : 10 – 27]

فقصة هذا العداء بدأت منذ الساعة التي طلب منها الله من ابليس أن يسجد لآدم ورفض مستكبرا بحجة تفوقه على أدم (بمادة الخلق) فهو مخلوق ناري وآدم مخلوق ترابي وقد ذكرنا ذلك أكثر من مرة

لكنه هناك سؤالا لا بد من محاولة الاجابة عليه وهو لماذا امره الله بالسجود مع الملائكة وهو ليس منهم كان من الجن ؟

لماذا أمر الله ابليس بالسجود لآدم وهو من الجن

ننقل ما أورده القاسمي في هذه المسألة، وبه ينكشف الإشكال، قال للعلماء في إبليس، هل كان من الملائكة أم لا ؟ قولان:

أحدهما: أنه كان من الملائكة، قاله ابن عباس، وابن مسعود، وسعيد بن المسيّب، واختاره الشيخ موفق الدين، والشيخ أبو الحسن الأشعريّ، وأئمة المالكية، وابن جرير الطبريّ، قال البغويّ: هذا قول أكثر المفسرين؛ لأنه سبحانه أمر الملائكة بالسجود لآدم، قال تعالى: وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ، فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ . فلولا أنه من الملائكة، لما توجه الأمر إليه بالسجود، ولو لم يتوجه الأمر إليه بالسجود لم يكن عاصيًا، ولما استحق الخزي والنكال.

والقول الثاني: أنه كان من الجن، ولم يكن من الملائكة، قاله ابن عباس في رواية، والحسن، وقتادة، واختاره الزمخشريّ، وأبو البقاء العكبري، والكواشيّ في تفسيره؛ لقوله تعالى: إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴿ الكهف: 50 ﴾ فهو أصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس، ولأنه خلق من نار، والملائكة خلقوا من نور، ولأن له ذرية، ولا ذرية للملائكة، قال في الكشاف: إنما تناوله الأمر، وهو للملائكة خاصة؛ لأن إبليس كان في صحبتهم، وكان يعبد الله عبادتهم، فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له، كان الجنيُّ الذي معهم أجدر بأن يتواضع.

ونحن نميل بقوة للرأي الثاني فنقول ان ابليس كان من الجن لوضوح نص الاية التي تخبرنا بذلك (إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴿ الكهف: 50 ﴾

من النصوص القرآنية نفهم ان المخلوقات التي كانت في البدء تقيم في الجنة هي ثلاثة أصناف وكل مخلوق يختلف عن الأخر من حيث (مادة الخلق) فخلق الله الملائكة من نور والجان من نار والانسان (آدم) من تراب وقد أعلم الله مخلوقاته الثلاث بأنه اختار آدم لخلافة الآرض التي هيئها وقدر فيها أقواتها لذلك أمر الحاضرين وهم الملائكة والجان أن يسجدوا له فأنصاع الملائكة والجان للأمر ورفض أحد الجان و ربما كان كبيرهم ونعته الله باللعين (ابليس) وذريته هم (الشياطين) ونفهم من قوله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر : 31] ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر : 32]

فكلمة (الساجدين) في الاية الكريمة تعني كل من كان في الجنة من ملائكة وجان .

كان موقف الله منه في ذلك الحين أنه قال له : (قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13) والنص واضح ومفهوم من ان الله تعالى قد طرد ابليس من الجنة لكن السؤال هنا هل طرد الله حينها ابليس مباشرة وكيف عاد ودخل الجنة حينما وسوس وأغرى آدم بالأكل من الشجرة ؟

في تصوري واعتقادي وأرجو أن يكون صحيحا ان الله قد طرد ابليس من الجنة لكن ابليس طلب الرحمة من الله لتأجيل عقابه وهو أن يخلد في النار (قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (15) لكن هذا يثير سؤالا مباشرا

كيف علم أبليس أن هناك يوما للبعث وطلب من الله تأخير حسابه الى ذلك الوقت ؟

لقد فهمنا من النصوص القرآنية ان الله تعالى أعلم كل مخلوقاته (في الجنة) من ملائكة وجان وآدم بقصة خلافة الأرض وما سيكون عليها وأن هناك بعث وقيامة وحساب وعقاب ولذلك طلب ابليس من الله أن ينظره الى ذلك اليوم ولقد استجاب الله له فمهمة ابليس لم تنته ولقد شاء الله أن يستمر هذا اللعين في دوره الخبيث على الأرض حتى تقوم الساعة .

(وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19)

أسكن الله تعالى آدم وزوجته الجنة وأعلمه بأن يأكل منها مايشاء رغدا وحذره من الاقتراب من شجرة بعينها لم تسميها النصوص القرآنية بعكس ما أدعت التوراة التي سمتها مرة بشجرة (معرفة الخير والشر) ومرة (بشجرة الحياة) وسيأتي خبر هذه الشجرة لاحقا لكن ابليس حينما أغرى آدم عليه السلام للآكل منها كذب وقال له انها شجرة الخلد والملك .

وقد حذر الله تعالى آدم من ابليس بنفس الوقت وكراهيته له وما سيقوم به من دسائس وهو عدو له (﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ [طه : 117]

فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20)

لقد ذكرنا ان الله سبحانه وتعالى قد أخرج ابليس من الجنة بصريح العبارة فأنى له أن يعود اليها مرة ثانية

وكيف دخل إبليس الجنة إنّ الآراء في ذلك كثيرة ومتعدّدة ، ذكر العلماء أنّ إبليس قد أخرجه الله من الجنة، فكيف وسوس لآدم وزوجته بالأكل من الشجرة؟ وفي ذلك نقلت الإسرائيليّات قصة مضمونها أنّ إبليس دخل في حيّة، وقامت الحيّة بإدخاله إلى الجنّة دون أن تشعر الملائكة به

وهنا نجد مرة أخرى حينما يعجز المفسرين عن فهم آية قرآنية يهرعوا مباشرة للاسرائيليات ليجدوا مخرجا لهم وهكذا أدخلوا موضوع (الحية) التي حولوها الى ابليس .

لغز الوسوسة

لقد وصل ابليس اللعين الى آدم عليه السلام وزوجه بالوسوسة

عن طريق الوسوسة : (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ) (وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ)

ولقد حذر الله آدم من ابليس من أنه عدو له وآدم علم ذلك من اللحظة التي أستكبر وعصى فيها ابليس أمر الله ولم يسجد له والطريقة الوحيدة التي لجأ اليها أبليس لأغراء أدم هي الوسوسة (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ) عن بعد وفعل الوسوسة هذا هو طريقة تواصل ابليس مع آدم ومع ذريته الى يومنا هذا وهناك في سورة الناس أية ترشدنا للتعوذ منها (الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس) 5-6 سورة الناس .

ولأن الله تعالى يريد أن يقضي أمرا كان مفعولا وهو (جعل آدم خليفته في الأرض) لابد أن يخرجه من الجنة لكن سبحانه وتعالى جعل لأخراجه منها سببا وهو آدم نفسه بعصيانه ومخالفته لأمر الله تعالى وهو أعظم درس يتلقه آدم ليكون عبرة له ولذريته ذكر فحواها قوله تعالى : يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (27) ﴾

فكان سبب طرد ابليس وآدم وزوجه من الجنة هو عصيان أمر الله تعالى والسؤال الذي يطرح نفسه لولا وسوسة ابليس لآدم هل كان سيعصي أمر الله ؟

من المؤكد ان آدم عليه السلام وزوجه ماكانا يعصيان أمر الله لولا وسوسة ابليس لهما والله حذرهما منه أن يغريهما أو يفتنهما وبعبارة أخرى أن يحرك فيهما غريزة حب التملك وحب الخلود لكن لم يأمرهما بعدم طاعة ابليس بل أمرهما بالأ يقتربا من الشجرة المحرمة فلو ان الله تعالى أمرهم بعدم طاعته لكان عصيانهم لأمره تعالى يتساوى مع عصيان ابليس لأمر الله لكن لماذا كان عقوبتهما جميعا الطرد من الجنة ؟

(قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24

ان هذه العقوبة كانت عقوبة مؤجلة لأنه تعالى يعلم ما ستؤول اليه الأمور بين آدم وابليس وهو يريد كما ذكرنا من قبل ان يقض أمرا كان مفعولا وهو أن يبدأ آدم مهمته كخليفة لله في الأرض وأن يكون ابليس عدوا منافسا غير

ظاهر له لكن مركز عمله في باطن آدم لذلك فهو يرانا ولا نراه (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17)

هذا المشهد يلخص لنا لغز حياتنا وكيف نؤسس علاقة متينة قوية مع الله وأين هو مصدر الشرور فينا وكيف نقي أنفسنا من الوقوع في الفتنة أو الأغراء .

مامعنى الوسوسة ؟

الوسوسة في علم النفس هي : الوساوس هي أشياء لا يستطيع المرءُ أن يتوقف عن التفكير بها حتّى وإن كان يريد ذلك. قد تكون هذه الوساوس مخاوف، أو أفكارًا، أو صورًا، أو دوافع على فعل شيء ما .يُؤدي وجود الوساوس إلى جعل الشخص يشعر بالقلق والانزعاج عادةً و هي بشكل عام الأفكار والصور والدوافع الغريزية التي قد تحدث بشكل متكرر وهي خارجة عن الإرادة. وعادة لا يريد الشخص أن يفكر بهذه الأفكار ويجدها مضايقة له ويجد نفسه مرغمًا عليها ويحس عادة بأن هذه الأفكار لا معنى لها في الحقيقة.

الوسوسة لغة: مصدر قولهم: وسوس يُوَسوِس مأخوذ من مادة (و.س.س) التي تدل على صوت غير رفيع: يُقال لصوت الحُلي: وسواسٌ, وهمس الصائد: وسواسٌ, وإغواء الشيطان ابن آدم وسواس.

مفهوم الوسوسة

يختلف مفهوم الوسوسة عند الأطباء وغيرهم بالنظر في أسبابها، فالأطباء ينظرون إليها على أنها مرض كسائر الأمراض، لكنها تختلف قوة وضعفًا، وهو ما يعرف بالاضطراب القهري، بينما الفقهاء والمفكرون ينظرون إليها على أنها مرض متعلق بالشيطان.

الوسوسة عند الأطباء يرى د. طارق الحبيب أن الوسوسة: هي أفكار أو حركات أو خواطر أو نزعات متكررة ذات طابع بغيض يرفضها الفرد عادة ويسعى في مقاومتها، كما يدرك أيضًا بأنها خاطئة ولا معنى لها ، لكن هناك ما يدفعه إليها دفعاً ، ويفشل في أغلب الأحيان في مقاومتها .

الوسوسة عند المفكرين والفقهاء والمفسرين المسلمين

قال أبو حامد الغزالي: هي الخاطر المذموم.

وقال الكفويّ : الوسوسة القول الخفيّ لقصد الإضلال.

والوسواس: ما يقع في النّفس من عمل الشّرّ وما لا خير فيه.

وقال الخازن: الوسوسة: هي الكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع.

الفرق بين الوسوسة والإلهام

تقال الوسوسة لما يقع في النّفس من الشّرّ، أما الإلهام فهو لما يقع فيها من الخير، ولما يقع فيها من الخوف إيجاس، ولما يقع من تقدير نيل الخير أمل، ولما يقع من تقدير لا على الإنسان ولا له خاطر.

الفرق بين الوسوسة والشك

إن كلًّا من الوسوسة والشك تؤدي بالإنسان إلى حالة عجيبة من الحيرة والاضطراب بحيث تصبح الرؤية غير واضحة، فينتاب المرء التردد، وعدم الجزم في اتخاذ القرار الحازم في الأمر.

إلا أنهما يفترقان في أن الشك هو التردد في الوقوع وعدمه، وهو اعتقاد أن يتقاوم تساويهما لا مزية لأحدهما على الآخر.

ومن حيث النشأة: فإن الشك ينشأ عن سبب معتبر، وهو وجود أمارتين متساويتين عند الإنسان في النقيضين، بخلاف الوسوسة فإنها تنشأ عن عن أوهام لا اعتبار لها .

عود على بدء

عرفنا معنى الوسوسة وقلنا انها الطريق الوحيد والسبيل الوحيد الذي تركه الله تعالى لأبليس للوصول الى الانسان ولا طريق أخر له لذلك الشيطان يدافع عن نفسه يوم القيامة بقوله (﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم : 22]

فكل مايستطيع فعله هو أنه يدعو ويحرض الانسان لعمل الشر بطلب خفي داخلي (يوسوس) .

ونستطيع أن نقول بعد ذلك ان أبليس اللعين لم يعود الى الجنة مرة ثانية ليغوي آدم انما همس في أذنه وحرك في نفسه حب التملك والسيطرة والله خلق آدم وخلق معه هذه الشهوات فأستجاب آدم لشهواته وغرائزه .

-ما تبقى من قصة الخلق كما ورد في القرآن الكريم

قال الله سبحانه وتعالى :

فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25) يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (26) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (27) ﴾ [الأعراف : 10 – 27]

فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20)

قلنا ان الشيطان وهو خارج الجنة قد جعل له طريقا للوصولا الى آدم وذريته من بعده بواسطة (الوسوسة) وان آدم قد خلقه الله وفيه غرائز عدة منها حب التملك والسيطرة فدغدغ ابليس هذه الغريزة في نفس آدم ظنا منه ان هذه الشجرة التي حرمه الله من أكلها ستجعله وزوجته ملكين خالدين وهو ماطمع به أدم .

كيف تعمل الشياطين في افساد البشر

في الحقيقة نحن نجهل آلية عمل الشيطان وقيامه بفعل الوسوسة لأغراء البشر وتوريطهم بسبب جهلنا لطبيعته الخلقية والتكوينية وقدراته التي تفوق على ما يبدو قدرة الانسان لكن عدة أيات قرآنية تعطينا فكرة عن بعض القدرات التي يتمتع بها ومنها :

. فله قدرة على المس (إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا . . . ﴿٢٧٥ البقرة﴾

. وله القدرة على ان يكون قرينا للانسان (وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨ النساء﴾

. وله القدرة على أمر البعض من البشر (وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩ النساء﴾

. وله القدرة على اتيان الناس من كل الاتجاهات (﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : 17]

. يعلمون الناس السحر (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا . . . ﴿١٠٢ البقرة﴾

. وهم يوحون الى أولياءهم (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١ الأنعام﴾ .

. ويسخرون للعمل أيضا : (وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢ الأنبياء﴾

. وهي تنزل على من يتبعوهم من البشر (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١ الشعراء﴾

. هم يرونا من حيث لا نراهم : (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ) .

. ومهمته الاساسية الوسوسة : (الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ) ﴿٥ الناس﴾

آدم وزوجته مذنبان

يدعي النص التوراتي ان الحية قد أعلمت المرأة (زوجة آدم) (4فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا ! 5بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ» .

أما النص القرآني فيضع المسؤوليه على كلاهما :

(فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22

وتوضح الآية ان آدم وزوجته هما الاثنان اللذان ذاقا من الشجرة وليس زوجته هي التي حرضته على الأكل والنتيجة كانت أنهما قد تعريا وراحا يقطعان من ورق الجنة لتغطية عوراتهم فرآءه مربهم .

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)

وطلبا الرحمة والمغفرة مقرين بذنبهما

لكن عقوبة الله لهما كانت قاسية

قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25

ولقد بينت الأية الكريمة ان الله تعالى أهبطهم من الجنة الى الأرض لتكون مسقرا ومكانا للعيش يحيون ويموتون ومنه يبعثون .

أحداث ووقائع لا قيمة لها في النص التوراتي

لقد بينت النصوص القرآنية خطيئة آدم وعقوبته بجمل قليلة معبرة ومركزة لا حشو فيها ولا زيادة بعكس النصوص التوراتية المشابهة حيث كان هناك اطالة في سرد الحدث واضافة أحداث ووقائع للقصة لا لزوم لها وتخرج عن صلب الموضوع وهذا دليل على ان كاتب التوراة قد أطلق عنان خياله بعيدا ووقع في تصورات أسطورية .

8وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. 9فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». 10فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ». 11فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» 12فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». 13فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ». 14فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْحَيَّةِ: «لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. 15وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ». 16وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ». 17وَقَالَ لآدَمَ: «لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ

تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. 18وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. 19بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا . لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ» .

فكاتب التوراة يتحدث في واقع الأمر عن (اله) من ألهه (السومريين أو اليونانيين) وليس عن الله رب العالمين فهذا (الرب الأله) كان يتمشى وقت الظهيرة في الجنة فرأه آدم وزوجته (وهما عريانيين) ومن قبل قالت أنهما قد أخاطا ثوبا من ورق الجنة يسترون عوراتهم وهذا الرب التوراتي لا يعلم اين هو آدم فراح يسأل عنه :

الرب :«أَيْنَ أَنْتَ؟»

أدم :«سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ»

الرب :«مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا ؟»(واذا لم يرى نفسه عريان أفلم يرى زوجته بجانبه عريانة)

آدم :«الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ» . (يلقي التهمة على الأمرأة التي معه ولم يعرف آدم الى ذلك الحين أنها زوجته) .

الرب :(موجها كلامه للمرأة التي نسى كاتب التورة أسمها ومن تكون) «مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟»

المرأة :«الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ» . (بدورها تلقي التهمة على الحية وهي من الحيوانات) .

الرب : (موجها كلامه للحية معاقبا لها) : «لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. 15وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا . هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ» .

وعقوبة للمرأة أيضا :«تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا . وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ»

وعقوبة لآدم مخففة أيضا :«لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. 18وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. 19بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا . لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ» .

ان دل هذا السيناريو والحوار على شئ فأنه يدل على غباء وسذاجة كاتب التوراة ومخرجها وهو أثبات على أن الكاتب قد أقتبسه من نصوص أسطورية ولقد صدق الله العظيم حينما كشف حقيقة ما بين يدي اليهود من توراة محرفة ومبدلة ولا علاقة لها بالله وبالنبي موسى عليه السلام ولا بتوراته .

23فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا . 24فَطَرَدَ الإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ،

فعقوبة آدم بأخراجه من الجنة تطابق عقوبته في القرآن الكريم وجنة التوراة كما تحدثنا سابقا هي في الأرض وتصور التوراة عملية الطرد بأنها من مكان الى مكان أخر على الأرض .

خطيئة آدم

تناسب الفعل مع العقوبة

كثيرا ما قرأنا عن قول بعض المشككين بكتاب الله الذين يبحثون عن (اشكالات أو تناقضات) هنا وهناك في الايات القرآنية ومن بين هذا الشكوك قولهم ان ابليس وأدم كلاهما عصيا أمر الله وكلاهما طردا من الجنة فلماذا عفى عن آدم ولم يعف عن ابليس ؟

رأينا في قصة خلق آدم واعداده ليكون خليفة الله في الأرض وان ربنا جلا وعلا الذي قضى بذلك بتدبيره و علمه وحكمته وقدرته فهو عالما بكل ما حدث ويحدث وسيحدث وقد قضت مشيئته أن يهيأ الأرض لتكون مستقرا و

مكانا لأدم وبنيه لكنه سبحانه وتعالى لم يشأ أن يجعل ذلك كله بقولة كن فيكون انما ترك الأحداث والأمور تسير لتصل في النهاية الى ما أراد وقدر وهذا الذي حصل .

لكن اين الحكمة من وراء ذلك كله ولماذا كل هذا السيناريو وهذه الأحداث كلها ؟

والحكمة من وراء ذلك في تصورنا هي تهيئة الأنسان ذو الخلق المركب والمعقد لخلافة الله في الأرض ان ربنا الكريم قد وضع في هذا الأنسان اسرار خلقه كلها ففيه روح لا ندري عنها شيئًا وفيه عقل لا يعلم عنه الا القليل حتى يومنا هذا وفيه نفحة روحانية لا نعلم ماهي وهو مخلوق فيه النجدين وله ارادة ومشيئة وبصيرة وخلق في أحسن تقويم وفضله الله على كثير ممن خلق كل هذه الأمور تعطي للانسان قيمة عظيمة عند الله الانسان يجهلها أو يتجاهلها .

وعليه فأن الله شاء أن يعد هذا المخلوق ليعيش في متاقضات كثيرة عديدة فهو حمال للخير بما يحمله من فطرة ونفحة الهية وفي نفس الوقت حمال للشر بما فيه من غرائز وأهواء في نفسه وتركها مكشوفة لعمل أبليس ووسوسته ومكائده .

تهيئة أبليس أولا

ان وظيفة ابليس كما ارادها الله له ولذريته الشياطين هي (تحريك الغرائز والأهواء عند الانسان وأعطاءها زخما ومددا وقوة لتعمل بكل قواها وتخرج عن سلوكها الطبيعي ليصل بها الأمر الى درجة التحكم بالأنسان تحكما كاملا تجعل الانسان ينسلخ عن فطرته ومباده وقيمه وترى مثل هذا التوصف في قوله تعالى (﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف : 175]

فمهمة ابليس هي تتبع حالات الانسلاخ والقطيعة عن الله فهؤلاء الذين انسلخوا وقطعوا حبالهم التي تصلهم مع الله هم فرائس سهلة للشياطين لأنه داخل في صلب عملها .

فأول تجربة كانت لأبليس اللعين حينما أمره الله أن يسجد لآدم عليه السلام والله يعلم ويريد في نفس الوقت أن لايسجد لآدم فعصى أمر الله تكبرا وغرورا مما دفعه لأن يتخذ آدم عدوا له يتوعده هو وذريته والذي حصل كان الله يعلمه ويريده كما قلنا لتحقيق حكمة الله في صنع عدوا (نفسيا معنويا لآدم وذريته) يحرضه على تحريك نوازعه وغرائزه بهدف عصيان الله وعندها يقول : (﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم : 22]

فماقام به ابليس هو تصرف حر ارادي من حيث الشكل وبعمد واصرار لذلك فعقوبة الله له تمت بناء على قيامه بعمل خالف فيه امر الله مخالفة صريحة ظاهرة .

و زاده الله عقوبتان أخريان عقوبة اللعن وعقوبة الحرمان من رحمة الله ليس لأنه أبى وأستكبر فقط بل لأنه توعد بملاحقة آدم وذريته وكيدهم واغراءهم عن سابق اصرار وتعنت وتجبر (﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : 62]

أي ان هناك اصرار وتعنت وتحدي للاستمرار في المهمة التي أوكلها لنفسه وهي أغواء بنو آدم وحثهم على الوقوع في الخطايا .

تهيئة آدم عليه السلام وعقوبته

لقد تحدثنا في اكثر من موضع عن تهيئة الله تعالى لآدم عليه السلام وهي مقدمة لاستخلافه على الأرض وأول تحذير تلقاه آدم من الله هو أن الشيطان عدو له فليحذره والتحذير الذي من بعده أن لا يقربا الشجرة

﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [الأعراف : 22]

وحذر ذريته من بعده : (﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة : 168]

لكن الله كان يعلم بأن آدم (سينسى) (﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه : 115]

فوقع أدم وزوجه في المحذور وأكلا من الشجرة المحرمة عليهم هنا أستغفر ربه فتاب عليه ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة : 37]

وبالرغم من ذلك عاقبهم الله جميعا : (﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الأعراف : 24]

والفارق بين آدم وزوجه عليهما السلام وابليس هو ان ابليس كان مصرا على رفض الأمر الالهي ولم يستغفر ربه بل طلب منه أن يمهله في تنفيذ عقابه الى يوم يبعثون بينما آم وزوجه كان فعلهما بوعي لكنه تم بتحريض شيطاني لا يقاوم ثم انهما استغفرا ربهما .

والسؤال هنا ما الحكمة من ان الله تعالى قد قبل استغفار وتوبة آدم عليه السلام وعاقبه بالطرد من الجنة ؟

بعض من هذه الحكم ذكره ابن القيم فقال: فَإِن الله سُبْحَانَهُ لما أهبط آدم أَبَا الْبشر من الْجنَّة لما لَهُ فِي ذَلِك من الحكم الَّتِي تعجز الْعُقُول عَن مَعْرفَتهَا والألسن عَن صفتهَا فَكَانَ إهباطه مِنْهَا عين كَمَاله ليعود إِلَيْهَا على أحسن أحواله فَأَرَادَ سُبْحَانَهُ أَن يذيقه وَولده من نصب الدُّنْيَا وغمومها وهمومها وأوصابهَا مَا يعظم بِهِ عِنْدهم مِقْدَار دُخُولهمْ إِلَيْهَا فِي الدَّار الآخرة، فَإِن الضِّدّ يظْهر حسنه الضِّدّ ، وَلَو تربوا فِي دَار النَّعيم لم يعرفوا قدرهَا ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَمرهم ونهيهم وابتلاءهم واختبارهم، وَلَيْسَت الْجنَّة دَار تَكْلِيف فأهبطهم إِلَى الأَرْض وعرضهم بذلك لأفضل الثَّوَاب الَّذِي لم يكن لينال بِدُونِ الْأَمر وَالنَّهْي، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَن يتَّخذ مِنْهُم أَنْبيَاء ورسلا وأولياء وشهداء يُحِبهُمْ وَيُحِبُّونَهُ فخلى بَينهم وَبَين أعدائه وامتحنهم بهم فَلَمَّا آثروه وبذلوا نُفُوسهم وأموالهم فِي

مرضاته ومحابه نالوا من محبته ورضوانه والقرب مِنْهُ مَا لم يكن لينال بِدُونِ ذَلِك أصلا. . . وأيضا فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحسنى، فَمن أسمائه الغفور الرَّحِيم الْعَفو الْحَلِيم الْخَافِض الرافع الْمعز الْمذل الْمحيي المميت الْوَارِث الصبور، وَلَا بُد من ظُهُور آثَار هَذِه الْأَسْمَاء فاقتضت حكمته سُبْحَانَهُ أَن ينزل آدم وَذريته دَارا يظْهر عَلَيْهِم فِيهَا أثر أسمائه الحسنى فَيغْفر فِيهَا لمن يَشَاء وَيرْحَم من يَشَاء ويخفض من يَشَاء وَيرْفَع من يَشَاء ويعز من يَشَاء ويذل من يَشَاء وينتقم مِمَّن يَشَاء وَيُعْطِي وَيمْنَع ويبسط إِلَى غير ذَلِك من ظُهُور أثر أسمائه وَصِفَاته. . . وأيضا فإنه سُبْحَانَهُ لما كَانَ يحب الصابرين وَيُحب الْمُحْسِنِينَ وَيُحب الَّذين يُقَاتلُون فِي سَبيله صفا وَيُحب التوابين وَيُحب المتطهرين وَيُحب الشَّاكِرِينَ وَكَانَت محبته أَعلَى أَنْوَاع الكرامات اقْتَضَت حكمته أَن أسكن آدم وبنيه دَارا يأْتونَ فِيهَا بِهَذِهِ الصِّفَات الَّتِي ينالون بهَا أَعلَى الكرامات من محبته فَكَانَ إنزالهم إِلَى الأَرْض من أعظم النعم عَلَيْهِم: وَالله يخْتَص برحمته من يَشَاء وَالله ذُو الْفضل الْعَظِيم .

نتيجة

{ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } [المؤمنون : 115]

ان قضية خلق الانسان بل قضية الحياة كلها تلخصها لنا هذه الاية الكريمة فالانسان في المنظور الالهي هو أعظم بكثير مما يتصوره ويظنه بني آدم عن نفسه .

فالله سبحانه وتعالى : نفخ في الانسان من روحه وأعطاه العقل والفهم والوعي و خلقه في أحسن تقويم وخلق له الأرض وسخر كل ما عليها له وجعله خليفة له فيها وكتب له الخلود والبقاء وأن نعد نعم الله علينا لا نحصيها .

هذه القيمة العظيمة جهلها الانسان نفسه وماقدر الله حق قدره وظن انه مخلوقا عبثيا طبيعيا لا قيمة له ولا مساءلة (﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ [الصافات : 24] بل انه عاش وسيموت حياة ديناميكية طبيعية (﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية : 24] وظن وحسب انه : (﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة : 36].

ان هذا التنبيه الالهي لقيمة الانسان وحياته ودوره ورجوعه لخالقه يعد من أعظم الحكم التي بينها لنا القرآن الكريم وهي حكمة لا نجد لها مثيلا في التوراة التي تختصر البشر كلهم في فئة وذريه واحده هم بنو اسرائيل أحباب الله أورثهم الأرض وسيورثهم الجنة كما يدعون وهذا من أقبح أشكال التمييز البشري .

أنظر اليوم الى بنو آدم كيف نسوا الله فأنساهم أنفسهم وصدق قول الملائكة وظنهم فيهم من أنهم سيعيثون في الأرض فسادا (﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 30] بل صدق ظن ابليس نفسه فيهم : (﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ : 20]

لكن لله تعالى حكمة وشأنا عظيما من خلقه لنا تتجاوز بكثير مما فعله بنو آدم من فساد وافساد وقتل وتدمير وعبث في الأرض التي أورثها لهم والتي لا تساوي عند الله جناح بعوضة فليفعلوا فيها ما يفعلوا وفي النهاية سيجعلها صعيدا جرزا .

لقد كان من هؤلاء البشر أنبياء ومرسلين ومصلحين ومحسنين ورجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه استشهدوا في سبيل الله وبذلوا أموالهم وأقاموا مساجد يعبد فيها الله ومنهم من كلمه الله ومنهم من جعله خليلا له ومنهم من كان ذو خلق عظيم وسيد الانبياء والمرسلين هؤلاء هم ورثة الفردوس الذين سيجاورون الله ربهم في مكان عظيم لم يصل اليه احدا من مخلوقات الله .

الأنبياء والرسل

في التوراة

حياة آدم على الأرض

لم تتطرق التوراة لحياة أدم عليه السلام بعد أن أنزله الله على الأرض وكذلك القرآن الكريم لكن هناك رؤية اسلامية تأثرت بـ الإسرائيليات والتوراة والكتب القديمة، وقد تشكلت فى هذا الأمر من خلال كتب الأحاديث وموسوعات التفسير والكتب التاريخية :

جاء فى صحيح ابن خزيمة :

يقول حدثنا أبو حازم وهو مولى ابن عباس عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن آدم أتى البيت ألف أتية لم يركب قط فيهن من الهند على رجليه. (ألف أتية تعنى ألف مرة) .

وجاء كتب التفسير

الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى

يقول القرطبى فى تفسيره المشهور باسم تفسير القرطبى" "اهبط آدم سرنديب فى الهند بجبل يقال له "بوذ" ومعه ريح الجنة فعلق بشجرها وأوديتها فامتلأ ما هناك طيبا ، فمن ثم يؤتى بالطيب من ريح آدم عليه السلام، وكان السحاب يمسح رأسه فاصلع، فأورث ولده الصلع" .

لا ندري من آتي القرطبي بهذه الخرافات وكيف نظمها في كتاب كان الغاية منه تفسير القرآن الكريم فهل وجد نصا قرآنيا استند عليه لم يجده أحدا قبله او من بعده .

تفسير البحر المحيط لـ أبى حيان الأندلسى

فى تفسيره لآيات الحج فى سورة البقرة قال عن جبل "عرفات" وفى تعيين المعرفة أقاويل، فقيل لتعارف آدم وحواء بها، لأن هبوطه كان بوادى سرنديب، وهبوطها كان بجدة، وأمره الله ببناء الكعبة، فجاء ممتثلا، فتعارفا بهذه البقعة.

وتعليقنا على ماجاء في كتاب القرطبي ينطبق على ماقاله ابن حيان الاندلسي .

كتاب التاريخ لـ ابن الأثير

ومن الكتب التى انشغلت بهذا الأمر هو كتاب الكامل فى التاريخ لابن الأثير، الذى تحدث تحت عنوان (ذكر خلق آدم عليه السلام) "قيل إن الله تعالى أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذى خلقه فيه وهو يوم الجمعة مع زوجته حواء منِ السماء فقال على وابن عباس وقتادة وأبو العالية: إنه أهبط بالهند على جبل يقال له نوْد من أرض سرنديب وحواء بجُدَة. قال ابن عباس: فجاء فى طلبها، فكان كلما وضَعَ قدمه بموضع صار قرية وما بين خطوتيه مفاوز، فسار حتى أتى جمعاً فازدلفتْ إليه حواء فلذلك سميت المزدلفة، وتعارفا بعرفات فلذلك سميت عرفات. واجتمعا بجمع فلذلك سميت جمعاً. وأهبطت الحية بأَصْفَهَان وإبليس بمَيْسَان".

ويلاحظ ان ابن الاثير قد أخذ بعضا ما قالته التوراة حين ذكر (الحية) التي هبطت في اصفهان وهذا حديث خرافة لا يستند الى أي نص ودليل .

ويتابع "ابن الأثير" قال ابن عباس: فلما أهبط آدم على جبل نود كانت رجلاه تمسّ الأرض ورأسه بالسماء يسمع تسبيح الملائكة فكانت تهابه، فسألت الله أن ينقص من طوله فنقص طوله إلى ستين ذراعاً"

تاريخ الطبرى

قال جرير الطبرى فى كتابة المشهور باسم "تاريخ الطبرى" حدثنا أبو همام، قال: حدثنى أبى، قال، حدثنى زياد بن خيثمة، عن أبى يحيى، عن مجاهد. قال حدثنى ابن عباس، "أن آدم عليه السلام حين نزل الهند، ولقد حج

منها أربعين حجة على رجليه، فقلت له: يا أبا الحجاج ألا كان يركب؟ قال: فأى شيء كان يحمله؟ فوالله إن خطوه مسيرة ثلاثة أيام وإن رأسه ليبلغ السماء، فاشتكت الملائكة نفسه، فهمزه الرحمن همزة فتطأطأ مقدار 40 سنة" .

وهذا حديث خرافي اسطوري بحت فهو يتحدث عن اعادة ضبط طول آدم عليه السلام بسبب شكوى قدمتها الملائكة الى الله تعالى .

مقدمة ابن خلدون

كتب ابن خلدون فى مقدمته الشهيرة، وأما غير هذه المساجد الثلاثة المعروفة ويقصد (الحرام والنبوى والأقصى) فلا نعلمه فى الأرض إلا ما يقال من شأن مسجد آدم عليه السلام بسرنديب من جزائر الهند، لكنه لم يثبت فيه شىء يعول عليه.

نرى في قول ابن خلدون واقعية حيث انه صرح بعدم وجود دليل على ان آدم قد نزل بالهند .

رحلة ابن بطوطة

وصل ابن بطوطة إلى جزيرة سرنديب قبل ثمانية قرون، وقال عنها "ليس مرادى منذ وصلت هذه الجزيرة، إلا زيارة القدم الكريمة، قدم آدم عليه السلام، وهم يسمونه "بابا"، ويسمون حواء " ماما " .

وهنا وجبت الإشارة إلى أن سرنديب هو الإسم القديم لجزيرة سيلان فى الهند . وكان اسمها سيلان بعد الاستقلال عن الهند عام 1948 إلا أنه أصبح سيرلانكا منذ عام 1972 وتقع فى المحيط الهندى جنوب الهند (شبه الجزيرة الهندية) .

استنتاج ونتيجة

لماذا ذكرت عرفة في القرآن الكريم

عرفات

عرفات والمشعر الحرام ذكرهما الله جل وعلا في آية واحدة قال ربنا : ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٩٨].

وعلى وجه التفصيل : هما مكانان مباركان متجاوران لا يفصل بينهما شيء إلا أن الفرق بينهما : أن عرفات من الحل والمشعر الحرام من الحرم، ولهذا قال الله: ((الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ)) ولم يقل عرفات الحرام، ويترتب على هذا أن أهل مكة أو من كان في مكة ويريد العمرة يحرم من الحل من خارج مكة، فلو أحرم من عرفات صح، ولو أحرم من مزدلفة لم يصح، ولو أحرم من أي مكان في عرفات أو غيرها من الحل جاز، لكن إن أحرم من مزدلفة لا يصح؛ لأن مزدلفة من الحرم هذا الفرق الأول.

الفرق الثاني: الوقوف بعرفة ركن بإجماع العلماء، أما المبيت في مزدلفة فمختلف فيه، والأشهر أنه واجب عند جماهير العلماء.

هذا ما يتعلق بأحكام يوم عرفة.

عرفات جاءت في القرآن بصيغة الجمع قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ [البقرة:١٩٨]، والتنوين في عرفات يسميه النحويون تنوين المقابلة، أي: مقابلة النون في جمع المذكر السالم، وجاءت في الحديث مفردة قال صلى الله عليه وسلم: (الحج عرفة)، وقال: (وقفت ههنا وعرفة كلها موقف) .

لكن لماذا ذكر الله عرفات وصير الوقوف عليها وشعيرة أساسية من شعائر الحج حتى ان الرسول الكريم اعتبر

(الحج عرفة) وأهمية هذه المكان وقدسيته ؟

مناسك الحج

مناسك الحج بالترتيب هي :

الإحرام هو أن ينوي الحاج الإحرام –الدخول في نسك الحج– بِقَلبِهِ، مستحضرًا النية لذلك، وسبب تسميته بالإحرام لأن الحاج بمجرّد الدخول فيه يحرّم عليه أمورًا كانت محللة له، وقد تعددت آراء الفقهاء في حكم التلبية عند الإحرام بين الاستحباب والفرضيّة، والمشهور عند جمهور العلماء القول باستحبابها .

طواف القدوم طواف القدوم سنّة من سنن الحج حسب قول الجمهور، ويسمى بطواف الورود، وطواف الوارد، وطواف التحيّة؛ لأنه شُرِع للقادم من غير مكة المكرمة، ويبدأ طواف القدوم بدخول الحاج إلى مكة المكرمة، وذلك لتحيّة البيت العتيق، وآخر وقته الوقوف بعرفة عند جمهور الفقهاء، .

السعي ركن من أركان الحج وذهب الجمهور إلى أن الشرط في السعي إتمام سبعة أشواط، قال –تعالى–: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) .

يوم التروية يصادف يوم التروية اليوم الثامن من ذي الحجة، ويستحب للحاج أن يخرج من مكة المكرمة إلى منى في يوم التروية، فيُصَلِّي بِمِنى خَمْسَ صلواتٍ هي: الظُّهْرُ، وَالْعَصْرُ، وَالْمَغْرِبُ، وَالْعِشَاءُ، وَالْفَجْرُ، وذلك باتفاق الأئمة الأربعة،[٨] ويبيت بها ليلة عرفة، ثم يسير الحجاج من منى إلى عرفة سيرًا على الأقدام بعد طلوع شمس عرفة، وهو سنّة عند الجمهور.[٩]

الوقوف بعرفة حكم الوقوف بعرفة وشروطه الوقوف بعرفة ركنٌ من أركان الحج لا يتمّ الحج إلّا به،

المبيت بمزدلفة حد مزدلفة ما بين مأزمي عرفة؛ والمأزم هو الطريق بين الجبلين، وقرب مُحسّر يمينًا وشمالًا، متوسطة ما بين عرفة ومنى، وفي هيئة مشية الحاج إلى مزدلفة؛ فتكون في سكينة ووقار، ويسرع إذا ما وجد فرجة،

رمي جمرة العقبة تسمّى بالجمرة الكبرى، وتقع في آخر منى تجاه مكة، واتّفق الفقهاء على أنّ رمي الجمرات واجب من واجبات الحج، وتُرمى في الأماكن الخاصة للرمي، وتُرمى هذه الجمرات من جميع الجهات،

ذبح الهدي الهدي إما أن يكون هدي تطوّع، أو هدي تمتع أو قران، أو لجبر نقصان ما ، ووقت ذبح الهدي يكون حسب سبب ذبح الهدي

التحلل من الإحرام ويُراد بذلك الخروج من الإحرام، .

طواف الإفاضة وقت طواف الإفاضة ويسمّى بطواف الزيارة؛ وهو ركن من أركان الحج باتّفاق المذاهب الأربعة،

رمي الجمرات اتّفق الفقهاء على أنّ رمي الجمرات واجب من واجبات الحج، ومن تركها يلزمه دم –ذبح هدي– لتركه واجباً من واجبات الحج، والجمرات ثلاثة،

طواف الوداع يسمّى طواف الصّدر، وطواف آخر العهد، وسبب تسميته بذلك لأن الحاج يودّع به البيت الحرام، وذهب جمهور الفقهاء إلى أنّه واجب، ووقته يكون عقب انتهاء الحاج من جميع مناسك الحج، وأي طواف يفعله الحاج بعد طواف الزيارة يُجْزِئ عن طواف الوداع .

نلاحظ من أركان هذه المناسك ما يلي :

ان بعض هذه المناسك مرتبط بقصة ابراهيم و اسماعيل عليهما السلام حينما أمر الله ابراهيم أن يسكن اسماعيل عليهما السلام وأمه في مكة (﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : 37]

فالسعي والذبح والطواف انما هي سنة ابراهيمية أما عرفة والوقوف فيها فليست من تلك السنن فاذا فهي ترتبط بمناسبة تخلد ذلك المكان الذي سماه ربنا الكريم (عرفات) .

وفي آية أخرى يبين لنا الله تعالى أهمية هذا المكان : (﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : 96] والسؤال هنا من أقام هذا البيت الذي وضعه الله للناس في مكة المكرمة ؟

ما معنى " الوضع " في قوله تعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) آل عمران/ 96 فهو بمعنى التأسيس ، وتدل تلك الكلمة على تقريب البيت ودنوه لانتفاع الناس به في الطاعة والعبادة ، وجاءت كلمة " الرفع " في فعل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام تشريفاً لهما فهما رفعوا القواعد التي كانت تحدد مكان البيت فالبيت كان مؤسس من قبلهما (﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : 127]

قال الشيخ الطاهر بن عاشور – رحمه الله – :

ومعنى (وُضع) أسّسَ وأثْبتَ ، ومنه سمّي المكان موضعاً ، وأصل الوضع : أنّه الحطّ ، ضدّ الرفع ، ولمّا كان الشيءُ المرفوع بعيداً عن التناول : كان الموضوع هو قريب التناول ، فأطلق الوضع لمعنى الإدناء للمتناول ، والتّهيئة للانتفاع .

والكلام عن الأولية في الآية – (أول بيتٍ) – هو عن أول بيت بني لعبادة الناس وهدايتهم ، وليس أول بيت بناه الناس مطلقا .

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب :

آدم هو الذي أنشأه وأقامه ، فهو أقدم من إبراهيم بأزمان بعيدة ، وفى هذا يقول اللّه تعالى (وَعَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْعاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ) البقرة/ 125 ، ففى قوله تعالى (وَعَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ

وَ إِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ) إشارة إلى أنه كان بيتا للّه قبل أن يعهد اللّه إلى إبراهيم وإسماعيل بتطهيره من الأوثان التي عبدها العابدون فيه .

" التفسير القرآني للقرآن " (2 / 534) .

2. قوله تعالى (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ) البقرة/ 127 ، وذِكر رفع إبراهيم عليه السلام للقواعد يدل على أنها موجودة قبله ، وإنما عمله الكشف عنها ورفعها ، والبناء عليها .

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب :

وفى هذا إشارة أخرى إلى أن البيت كان قائما على قواعد ، وأنها كانت إلى عهد إبراهيم وإسماعيل قد تهدمت . . فكان عمل إبراهيم وإسماعيل فيها هو إقامتها على أصولها التي كانت عليها .

" التفسير القرآني للقرآن " (2 / 534) .

3. قوله تعالى (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) .

4. قوله تعالى (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) .

فظاهر الآيتين يدل على وجود البيت قبل إبراهيم عليه السلام ، بل وعلى لسانه .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – :

فقوله (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) أي : هيأناه له ، وعرَّفناه إياه ؛ ليبنيه بأمرنا على قواعده الأصلية المندرسة ، حين أمرْنا ببنائه ، كما يُهيأ المكان لمن يريد النزول فيه .

. . . .

وغاية ما دل عليه القرآن : أن الله بوأ مكانه لإبراهيم ، فهيأه له ، وعرفه إياه ؛ ليبنيه في محله ، وذهبت جماعة من أهل العلم إلى أن أول من بناه إبراهيم ولم يُبن قبله ، وظاهر قوله : حين ترك إسماعيل ، وهاجر في مكة (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) يدل على أنه كان مبنيّاً واندرس ، كما يدل عليه قوله هنا (مَكَانَ الْبَيْتِ) ؛ لأنه يدل على أن له مكاناً سابقاً كان معروفاً ، والله أعلم . انتهى من " أضواء البيان " (4 / 296) .

5. كون الكعبة قِبلة الأنبياء قبل إبراهيم عليه السلام .

قال ابن عادل الحنبلي – رحمه الله – :

فدلت هذه الأقوال المتقدمة على أن الكعبة كانت موجودةً في زمان آدم عليه السلام ، ويؤيده أن الصلوات كانت لازمةً في جميع أديان الأنبياء ؛ لقوله : (أولئك الذين أنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّيْنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَانِ خَرُّواْ سُجَّداً وَبُكِياً) مريم/ 58

ولما كانوا يسجدون لله : فالسجود لا بد له من قِبْلَةٍ ، فلو كانت قبلة شيث وإدريس ونوح موضعاً آخر سوى القبلة : لبطل قوله : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ) ، فدلَّ ذلك على أن قبلةَ أولئك الأنبياء هي الكعبةُ

أن الذي ترجح عندنا هو أن آدم عليه السلام باني الكعبة المشرفة ، والمسألة ليست من القطعيات .

هذا رأي العلماء والمفسرين في أن من بنى بيت الله الحرام هو آدم عليه السلام وهذا يفيدنا بأمر هام جدا وهو ان آدم عليه السلام كان في تلك المنطقة حين أنزله الله من الجنة وان مكان نزوله هو في عرفات وفي تصوري انها سميت بذلك لأنه أول ما عرفه من الأرض ولامسه وأستقر فيه ولذلك صار الوقوف في ذلك المكان المقدس في شعيرة تجمع مختلف اشكال وألوان الجنس البشري وفي مشهد مهيب هو اشارة بأن آباهم واحد فهم جميعا بنيه

وذريته وان اختلفت أشكالهم وصورهم وقبائلهم وبلادهم يستذكرون وقفته والمكان الذي هبط فيه هذا والله أعلم .

وفق الرواية التوراتية

تتحدث النصوص التوراتية عن قصة ولدي آدم في الاصحاح الرابع من سفر التكوين :

1وَعَرَفَ آدَمُ حَوَّاءَ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ قَايِينَ. وَقَالَتِ: «اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ». 2ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيلَ. وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِيًا لِلْغَنَمِ، وَكَانَ قَايِينُ عَامِلاً فِي الأَرْضِ. 3وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ، 4وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ، 5وَلكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ. فَاغْتَاظَ قَايِينُ جِدًّا وَسَقَطَ وَجْهُهُ. 6فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: «لِمَاذَا اغْتَظْتَ؟ وَلِمَاذَا سَقَطَ وَجْهُكَ؟ 7إِنْ أَحْسَنْتَ أَفَلاَ رَفْعٌ؟ وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيَّةٌ رَابِضَةٌ، وَإِلَيْكَ اشْتِيَاقُهَا وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا».

8وَكَلَّمَ قَايِينُ هَابِيلَ أَخَاهُ. وَحَدَثَ إِذْ كَانَا فِي الْحَقْلِ أَنَّ قَايِينَ قَامَ عَلَى هَابِيلَ أَخِيهِ وَقَتَلَهُ. 9فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: «أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟» فَقَالَ: «لاَ أَعْلَمُ! أَحَارِسٌ أَنَا لأَخِي؟» 10فَقَالَ: «مَاذَا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ. 11فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ. 12مَتَى عَمِلْتَ الأَرْضَ لاَ تَعُودُ تُعْطِيكَ قُوَّتَهَا. تَائِهًا وَهَارِبًا تَكُونُ فِي الأَرْضِ». 13فَقَالَ قَايِينُ لِلرَّبِّ: «ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْتَمَلَ. 14إِنَّكَ قَدْ طَرَدْتَنِي الْيَوْمَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، وَمِنْ وَجْهِكَ أَخْتَفِي وَأَكُونُ تَائِهًا وَهَارِبًا فِي الأَرْضِ، فَيَكُونُ كُلُّ مَنْ وَجَدَنِي يَقْتُلُنِي». 15فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «لِذلِكَ كُلُّ مَنْ قَتَلَ قَايِينَ فَسَبْعَةَ أَضْعَافٍ يُنْتَقَمُ مِنْهُ». وَجَعَلَ الرَّبُّ لِقَايِينَ عَلاَمَةً لِكَيْ لاَ يَقْتُلَهُ كُلُّ مَنْ وَجَدَهُ. 16فَخَرَجَ قَايِينُ مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ، وَسَكَنَ فِي أَرْضِ نُودٍ شَرْقِيَّ عَدْنٍ.

ابني أدم وفق الرواية القرآنية

يروي القرآن الكريم قصة ابني آدم في سورة المائدة :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (31) ﴾ [المائدة : 26 – 31]

وهناك كما نرى نقاط اختلاف بين الروايتين نوجزها في مايلي :

. ان الرواية التوراتية تسمي الأبن الأكبر (قابيل) و الأصغر (هابيل) وكان الأول يعمل في الأرض والثاني راعيا للأبقار بينما الايات القرآنية أكتفت بقولها (ابني آدم) دون أي تفاصيل أخرى .

. تبين التوراة نوع القربان الذي قدمه كل واحد منهما للرب فقدم (هابيل) من سمان أبقاره وقدم (قابيل) من ثمار الأرض بينما القرآن الكريم لم يبين نوع القربان الذي قدمه كل واحد منهما .

. ان النصوص التوراتية تربط قبول الرب لقرباني (قابيل) و (هابيل) بقيمة القربان فيتقبل أبقار هابيل ويرفض ما قدمه قابيل من ثمار بينما تبرر النصوص القرآنية سبب قبول القربان من أحدهم ورفضه من الأخر على أساس درجة التقوى (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) .

. في النصوص التوراتية عامة نجد حالة عدم تقدير واحترام الرب أثناء الحوار معه وفي هذا النص نراها واضحة في قول (قابيل) للرب بعيد قتله (أخاه هابيل) وسؤال الرب عن المقتول (9فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: «أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟» فَقَالَ: «لاَ أَعْلَمُ! أَحَارِسٌ أَنَا لأَخِي؟» فالرب هنا لا يدري أين أختفى هابيل لذلك راح يسأل قابيل عنه والذي أجابه بتهكم وسخرية (أحارس أنا لأخي) .

. في النصوص القرآنية يتحدث ربنا الكريم عن حادثة القتل كشاهد عيان (﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ [النساء : 33] فهو يعلم كل تفاصيل الحدث وقد علم به فور حدوثه بعكس مايرويه كاتب النصوص التوراتية الذي راح يكتب مشاهد القصة والحوار بالكيفية التي يتصورها ويتخيلها هو وليس كما جرت وحدثت على أرض الواقع .

. في النص التوراتي يخترع الكاتب حوارا طويلا بين الرب والقاتل وفيه يحدد الرب عقوبته ثم يخفضها ثم يكتفي بعقوبة النفي دون القتل بينما لا نجد لهذه التفاصيل الفارغة مكانا في النصوص القرآنية .

. لم تذكر التوراة واقعة دفن (هابيل) القتيل بينما ذكرتها النصوص القرآنية بشكل واقعي فحادثة القتل هذه هي أول جريمة وقعت على الأرض والمقتول هو أول (متوفي) فيها فكيف سيتصرف الانسان بجسد المتوفى (جثته) هنا شرع الله لعباده طريقة الدفن في التراب فظهر للقاتل المحتار غرابا راح يبحث في الأرض وصنع على ما يبدو (حفرة صغيرة) وقد وصلت هذه الفكرة لقابيل وقام بدفن جثة أخيه في التراب .

هذا الموقف الذي فعله حيوان مسخر من الله بين لقابيل جسامة جريمته وفعلته فقال : (قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) .

قصة نوح عليه السلام في التوراة

في الأَصحَاحُ السَّادِسُ في التوراة يبدأ كاتب التوراة بسرد قصة نوح عليه السلام بمقدمة غريبة فيها وقائع غامضة

فبعد الحديث عن تكاثر الناس على الأرض في زمانه يضفي النص وقائع اسطورية عن زواج حصل بمن سماهم (بنات الناس) مع من سماهم (ابناء الله) فنسب الاناث للناس والذكور (للرب) فنتج عن هذا الزواج الخرافي (الجبابرة) ثم يحدد النص التوراتي عمر الانسان على الأرض كما قال بذلك الرب (3فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً». وهو تحديد جزافي لا أصل له فهناك الكثير من البشر تجاوز هذا العمر بل ان التوراة ذكرت ان أعمار نوح عليه السلام تجاوزت مئات السنين .

1وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، 2أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. 3فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً». 4كَانَ فِي الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ.

5وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. 6فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. 7فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ». 8وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ.

في النص التوراتي الأخير يصور لنا الكاتب (حالة الرب وحزنه وأسفه) لكثرة الشر الذي فعله الانسان في الأرض (وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ.

ان مثل هذه النصوص التوراتية التي تضفي حالات (انسانية نفسية مزاجية) على الرب كثيرة في التوراة وقد ذكرنا من قبل أن هذا يعد أكبر دليل أن (الاله الرب) في التوراة ليس (الله العلي القدير) الذي عرفنا به القرآن الكريم بل هو أحد الالهه الاسطورية .

سيدنا نوح (ع) و قصة الطوفان

في التوراة

تبدأ التوراة قصتها عن النبي نوح عليه السلام بسرد لتاريخ حياته وسيرته

9هذِهِ مَوَالِيدُ نُوحٍ: كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارًّا كَامِلاً فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ. 10وَوَلَدَ نُوحٌ ثَلاَثَةَ بَنِينَ: سَامًا، وَحَامًا، وَيَافَثَ. 11وَفَسَدَتِ الأَرْضُ أَمَامَ اللهِ، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا. 12وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ.

يلاحظ في هذه النصوص المدونة أن التوراة تذكر لأول مرة اسم (الله) بدلا من (الرب الأله) وهذا تطور يدل على تغير الكاتب نفسه أو ان جامع كتاب التوراة اختار هذا الاصحاح من مصدر آخر .

الطلب من نوح (ع) صناعة الفلك

وفق ماتدعي التوراة فأنه بسبب الفساد والظلم الذي ملأ الأرض فلقد أعلم (الله) نوحا أنه سيضع حدا للبشر ونهايتهم أصبحت قريبة وهو لابد ملهكهم والأرض التي تحملهم فطلب من نوح صناعة الفلك وحدد الله له أوصافها وأطوالها وأبوابها و ما ستحمله فوقها وقد أنجز نوح عليه السلام كل ما طلبه الله منه .

13فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: «نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ. 14اِصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكًا مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ. تَجْعَلُ الْفُلْكَ مَسَاكِنَ، وَتَطْلِيهِ مِنْ دَاخِل وَمِنْ خَارِجٍ بِالْقَارِ. 15وَهكَذَا تَصْنَعُهُ: ثَلاَثَ مِئَةِ ذِرَاعٍ يَكُونُ طُولُ الْفُلْكِ، وَخَمْسِينَ ذِرَاعًا عَرْضُهُ، وَثَلاَثِينَ ذِرَاعًا ارْتِفَاعُهُ. 16وَتَصْنَعُ كَوًّا لِلْفُلْكِ، وَتُكَمِّلُهُ إِلَى حَدِّ ذِرَاعٍ مِنْ فَوْقُ. وَتَضَعُ بَابَ الْفُلْكِ فِي جَانِبِهِ. مَسَاكِنَ سُفْلِيَّةً وَمُتَوَسِّطَةً وَعُلْوِيَّةً تَجْعَلُهُ. 17

طوفان يهلك كل ما في الأرض

(فَهَا أَنَا آتٍ بِطُوفَانِ الْمَاءِ عَلَى الأَرْضِ لأُهْلِكَ كُلَّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. كُلُّ مَا فِي الأَرْضِ يَمُوتُ) .

يحدد من سيكون معه في الفلك من أهله

(18وَلكِنْ أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ، فَتَدْخُلُ الْفُلْكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ وَامْرَأَتُكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ) .

تضارب في عدد الحيوانات

مرة زوجين اثنين ومرة سبعة سبعة :

19وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ، اثْنَيْنِ مِنْ كُلٍّ تُدْخِلُ إِلَى الْفُلْكِ لاسْتِبْقَائِهَا مَعَكَ. تَكُونُ ذَكَرًا وَأُنْثَى. 20مِنَ الطُّيُورِ كَأَجْنَاسِهَا، وَمِنَ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَاسِهَا، وَمِنْ كُلِّ دَبَّابَاتِ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا. اثْنَيْنِ مِنْ كُلٍّ تُدْخِلُ إِلَيْكَ

لاسْتِبْقَائِهَا. 21وَأَنْتَ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ كُلِّ طَعَامٍ يُؤْكَلُوَاجْمَعْهُ عِنْدَكَ، فَيَكُونَ لَكَ وَلَهَا طَعَامًا». 22فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ اللهُ. هكَذَا فَعَلَ.

1وَقَالَ الرَّبُّ لِنُوحٍ: «ادْخُلْ أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلْكِ، لأَنِّي إِيَّاكَ رَأَيْتُ بَارًّا لَدَيَّ فِي هذَا الْجِيلِ. 2مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ تَأْخُذُ مَعَكَ سَبْعَةً سَبْعَةً ذَكَرًا وَأُنْثَى. وَمِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ اثْنَيْنِ: ذَكَرًا وَأُنْثَى. 3وَمِنْ طُيُورِ السَّمَاءِ أَيْضًا سَبْعَةً سَبْعَةً: ذَكَرًا وَأُنْثَى. لاسْتِبْقَاءِ نَسْل عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. 4لأَنِّي بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ أَيْضًا أُمْطِرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً. وَأَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ كُلَّ قَائِمٍ عَمِلْتُهُ». 5فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ الرَّبُّ.

عمر نوح عليه السلام وقت الطوفان

6(وَلَمَّا كَانَ نُوحٌ ابْنَ سِتِّ مِئَةِ سَنَةٍ صَارَ طُوفَانُ الْمَاءِ عَلَى الأَرْضِ، 7فَدَخَلَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ إِلَى الْفُلْكِ مِنْ وَجْهِ مِيَاهِ الطُّوفَانِ. 8وَمِنَ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَالْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ، وَمِنَ الطُّيُورِ وَكُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ: 9دَخَلَ اثْنَانِ اثْنَانِ إِلَى نُوحٍ إِلَى الْفُلْكِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى، كَمَا أَمَرَ اللهُ نُوحًا) .

يوم الطوفان

. كان عمر نوح 600 سنة

. استمرت الأمطار وتفجر الينابيع اربعين يوما وأربعين ليلة

. ذكر النص أهل نوح الذين أدخلهم معه في الفلك نوح وزوجته وأولاده سام وحام ويافث وزوجاتهم الثلاثة مع كل الوحوش والبهائم وأجناسها والدبابات التي تدب على الأرض وأجناسها وكل الطيور وأجناسها

10وَحَدَثَ بَعْدَ السَّبْعَةِ الأَيَّامِ أَنَّ مِيَاهَ الطُّوفَانِ صَارَتْ عَلَى الأَرْضِ. 11فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ. 12وَكَانَ الْمَطَرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً. 13فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ دَخَلَ نُوحٌ، وَسَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ بَنُو نُوحٍ،

وَامْرَأَةُ نُوحٍ، وَثَلاَثُ نِسَاءِ بَنِيهِ مَعَهُمْ إِلَى الْفُلْكِ. 14هُمْ وَكُلُّ الْوُحُوشِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الطُّيُورِ كَأَجْنَاسِهَا: كُلُّ عُصْفُورٍ، كُلُّ ذِي جَنَاحٍ. 15وَدَخَلَتْ إِلَى نُوحٍ إِلَى الْفُلْكِ، اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ. 16وَالدَّاخِلاَتُ دَخَلَتْ ذَكَرًا وَأُنْثَى، مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ، كَمَا أَمَرَهُ اللهُ. وَأَغْلَقَ الرَّبُّ عَلَيْهِ.

وصف تعاظم المياه و مافعلته

. تعاظمت المياه كثيرا وغطت الجبال الشامخة ويحدد الكاتب ارتفاع المياه 15 ذراعا .

. مات كل جسد حي كان يدب على الأرض والطيور والبهائم والوحوش والزحافات وجميع الناس وكل ما في أنفه نسمة روح حياة فمحا الله كل قائم على وجه الأرض ولم يبقى سوى نوح والذين معه .

. استمرت المياه مئة وخمسون يوما .

17وَكَانَ الطُّوفَانُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى الأَرْضِ. وَتَكَاثَرَتِ الْمِيَاهُ وَرَفَعَتِ الْفُلْكَ، فَارْتَفَعَ عَنِ الأَرْضِ. 18وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ وَتَكَاثَرَتْ جِدًّا عَلَى الأَرْضِ، فَكَانَ الْفُلْكُ يَسِيرُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. 19وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ كَثِيرًا جِدًّا عَلَى الأَرْضِ، فَتَغَطَّتْ جَمِيعُ الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ الَّتِي تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ. 20خَمْسَ عَشَرَةَ ذِرَاعًا فِي الارْتِفَاعِ تَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ، فَتَغَطَّتِ الْجِبَالُ. 21فَمَاتَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ كَانَ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ وَالْوُحُوشِ، وَكُلُّ الزَّحَّافَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَزْحَفُ عَلَى الأَرْضِ، وَجَمِيعُ النَّاسِ. 22كُلُّ مَا فِي أَنْفِهِ نَسَمَةُ رُوحِ حَيَاةٍ مِنْ كُلِّ مَا فِي الْيَابِسَةِ مَاتَ. 23فَمَحَا اللهُ كُلَّ قَائِمٍ كَانَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ: النَّاسَ، وَالْبَهَائِمَ، وَالدَّبَّابَاتِ، وَطُيُورَ السَّمَاءِ. فَانْمَحَتْ مِنَ الأَرْضِ. وَتَبَقَّى نُوحٌ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ فَقَطْ. 24وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ عَلَى الأَرْضِ مِئَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا.

نوح ينتظر وهو في الفلك انحسار المياه

. بفعل الريح التي أرسلها الله هدأت المياه وفق زعم التوراة وأنسدت الينابيع طاقات السماء ورجعت المياه متواليا

.

. بعد مئة وخمسون يوما نقصت المياه وأستقر الفلك على جبال أراراط في الشهر السابع وفي الشهر العاشر ظهرت رؤوس الجبال .

ثُمَ ذَكَر اللهُ نُوحًا وَكُلَّ الْوُحُوشِ وَكُلَّ الْبَهَائِمِ الَّتِي مَعَهُ فِي الْفُلْكِ. وَأَجَازَ اللهُ رِيحًا عَلَى الأَرْضِ فَهَدَأَتِ الْمِيَاهُ. 2وَانْسَدَّتْ يَنَابِيعُ الْغَمْرِ وَطَاقَاتُ السَّمَاءِ، فَامْتَنَعَ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ. 3وَرَجَعَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ رُجُوعًا مُتَوَالِيًا . وَبَعْدَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْمًا نَقَصَتِ الْمِيَاهُ، 4وَاسْتَقَرَّ الْفُلْكُ فِي الشَّهْرِ السَّابعِ، فِي الْيَوْمِ السَّابعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ. 5وَكَانَتِ الْمِيَاهُ تَنْقُصُ نَقْصًا مُتَوَالِيًا إِلَى الشَّهْرِ الْعَاشِرِ. وَفِي الْعَاشِرِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ، ظَهَرَتْ رُؤُوسُ الْجِبَالِ.

نوحا يفتح طاقة الفلك

. بعد أربعين ليلة فتح نوح طاقة الفلك وأرسل غرابا للاستطلاع لم تذكر التوراة مصير مهمته

. ثم أرسل نوح حمامة فلم تجد مطانا تضع فيه رجلها فعادت فمد نوح يده للحمامة وأدخلها مرة أخرى الفلك .

. بعد سبعة أيام عاد وأرسل الحمامة من جديد فرجعت عند المساء وقد نجحت في مهمتها وأحضرت ورقة زيتون خضراء في فمها فعلم نوح ان نقصت فأنتظر سبعة أيام وأرسل الحمامة للمرة الثالثة لكن الحمامة لم ترجع اليه (ربما ملت من هذه المشاوير) .

6وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَنَّ نُوحًا فَتَحَ طَاقَةَ الْفُلْكِ الَّتِي كَانَ قَدْ عَمِلَهَا 7وَأَرْسَلَ الْغُرَابَ، فَخَرَجَ مُتَرَدِّدًا حَتَّى نَشِفَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ. 8ثُمَّ أَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنْ عِنْدِهِ لِيَرَى هَلْ قَلَّتِ الْمِيَاهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، 9فَلَمْ تَجِدِ الْحَمَامَةُ مَقَرًّا لِرِجْلِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْفُلْكِ لأَنَّ مِيَاهًا كَانَتْ عَلَى وَجْهِ كُلِ الأَرْضِ. فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهَا وَأَدْخَلَهَا عِنْدَهُ إِلَى الْفُلْكِ. 10فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَادَ فَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنَ الْفُلْكِ، 11فَأَتَتْ إِلَيْهِ الْحَمَامَةُ عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَإِذَا وَرَقَةُ زَيْتُونٍ خَضْرَاءُ فِي فَمِهَا . فَعَلِمَ نُوحٌ أَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ قَلَّتْ عَنِ الأَرْضِ. 12فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ فَلَمْ تَعُدْ تَرْجعُ إِلَيْهِ أَيْضًا .

الهبوط من الفلك

. تأكد نوح بنفسه ان وجه الأرض قد نشف .

. أعلمه الله بأن ينزل ومن معه من الفلك .

. بنى نوح مذبحا للرب (تعود هنا النصوص التوراتية لاستعمال كلمة الرب) وذبح من ككل البهائم والطيور الطاهرة (لم يترك منها شيئًا للتكاثر) .

. فرح الرب ورضي بهذه (الوليمة) ووعد أن لا يعود ويبيد البشرية (وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: «لاَ أَعُودُ أَلْعَنُ الأَرْضَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ، لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإِنْسَانِ شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ. وَلاَ أَعُودُ أَيْضًا أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ .

. ترك (الرب) كل شئ على حاله (22مُدَّةَ كُلِّ أَيَّامِ الأَرْضِ: زَرْعٌ وَحَصَادٌ، وَبَرْدٌ وَحَرٌّ، وَصَيْفٌ وَشِتَاءٌ، وَنَهَارٌ وَلَيْلٌ، لاَ تَزَالُ» .

13وَكَانَ فِي السَّنَةِ الْوَاحِدَةِ وَالسِّتِّ مِئَةٍ، فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ، أَنَّ الْمِيَاهَ نَشِفَتْ عَنِ الأَرْضِ. فَكَشَفَ نُوحٌ الْغِطَاءَ عَنِ الْفُلْكِ وَنَظَرَ، فَإِذَا وَجْهُ الأَرْضِ قَدْ نَشِفَ. 14وَفِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ، جَفَّتِ الأَرْضُ.

15وَكَلَّمَ اللهُ نُوحًا قَائِلاً: 16«اخْرُجْ مِنَ الْفُلْكِ أَنْتَ وَامْرَأَتُكَ وَبَنُوكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ. 17وَكُلَّ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي مَعَكَ مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ: الطُّيُورِ، وَالْبَهَائِمِ، وَكُلَّ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، أَخْرِجْهَا مَعَكَ. وَلْتَتَوَالَدْ فِي الأَرْضِ وَتُثْمِرْ وَتَكْثُرْ عَلَى الأَرْضِ». 18فَخَرَجَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ. 19وَكُلُّ الْحَيَوَانَاتِ، كُلُّ الدَّبَّابَاتِ، وَكُلُّ الطُّيُورِ، كُلُّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، كَأَنْوَاعِهَا خَرَجَتْ مِنَ الْفُلْكِ.

20وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ. وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ، 21فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: «لاَ أَعُودُ أَلْعَنُ الأَرْضَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ، لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ

الإِنْسَانِ شِرِيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ. وَلاَ أَعُودُ أَيْضًا أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ. 22مُدَّةَ كُلِّ أَيَّامِ الأَرْضِ: زَرْعٌ وَحَصَادٌ، وَبَرْدٌ وَحَرٌّ، وَصَيْفٌ وَشِتَاءٌ، وَنَهَارٌ وَلَيْلٌ، لاَ تَزَالُ».

حياة نوح بعد الطوفان

الأَصحَاحُ التَّاسِعُ

1وَبَارَكَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ. 2وَلْتَكُنْ خَشْيَتُكُمْ وَرَهْبَتُكُمْ عَلَى كُلِّ حَيَوَانَاتِ الأَرْضِ وَكُلِّ طُيُورِ السَّمَاءِ، مَعَ كُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، وَكُلِّ أَسْمَاكِ الْبَحْرِ. قَدْ دُفِعَتْ إِلَى أَيْدِيكُمْ. 3كُلُّ دَابَّةٍ حَيَّةٍ تَكُونُ لَكُمْ طَعَامًا. كَالْعُشْبِ الأَخْضَرِ دَفَعْتُ إِلَيْكُمُ الْجَمِيعَ. 4غَيْرَ أَنَّ لَحْمًا بِحَيَاتِهِ، دَمِهِ، لاَ تَأْكُلُوهُ. 5وَأَطْلُبُ أَنَا دَمَكُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَقَطْ. مِنْ يَدِ كُلِّ حَيَوَانٍ أَطْلُبُهُ. وَمِنْ يَدِ الإِنْسَانِ أَطْلُبُ نَفْسَ الإِنْسَانِ، مِنْ يَدِ الإِنْسَانِ أَخِيهِ. 6سَافِكُ دَمِ الإِنْسَانِ بِالإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ. لأَنَّ اللهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الإِنْسَانَ. 7فَأَثْمِرُوا أَنْتُمْ وَاكْثُرُوا وَتَوَالَدُوا فِي الأَرْضِ وَتَكَاثَرُوا فِيهَا».

8وَكَلَّمَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ مَعَهُ قَائِلاً: 9«وَهَا أَنَا مُقِيمٌ مِيثَاقِي مَعَكُمْ وَمَعَ نَسْلِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ، 10وَمَعَ كُلِّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ: الطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ وَكُلِّ وُحُوشِ الأَرْضِ الَّتِي مَعَكُمْ، مِنْ جَمِيعِ الْخَارِجِينَ مِنَ الْفُلْكِ حَتَّى كُلُّ حَيَوَانِ الأَرْضِ. 11أُقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلاَ يَنْقَرِضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضًا بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ. وَلاَ يَكُونُ أَيْضًا طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الأَرْضَ». 12وَقَالَ اللهُ: «هذِهِ عَلاَمَةُ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَنَا وَاضِعُهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ كُلِّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ إِلَى أَجْيَالِ الدَّهْرِ: 13وَضَعْتُ قَوْسِي فِي السَّحَابِ فَتَكُونُ عَلاَمَةَ مِيثَاقٍ بَيْنِي وَبَيْنَ الأَرْضِ. 14فَيَكُونُ مَتَى أَنْشُرْ سَحَابًا عَلَى الأَرْضِ، وَتَظْهَرِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، 15أَنِّي أَذْكُرُ مِيثَاقِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ. فَلاَ تَكُونُ أَيْضًا الْمِيَاهُ طُوفَانًا لِتُهْلِكَ كُلَّ ذِي جَسَدٍ. 16فَمَتَى كَانَتِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، أُبْصِرُهَا لأَذْكُرَ مِيثَاقًا أَبَدِيًّا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ عَلَى الأَرْضِ». 17وَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: «هذِهِ عَلاَمَةُ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَنَا أَقَمْتُهُ بَيْنِي وَبَيْنَ كُلِّ ذِي جَسَدٍ عَلَى الأَرْضِ».

18وَكَانَ بَنُو نُوحٍ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ الْفُلْكِ سَامًا وَحَامًا وَيَافَثَ. وَحَامٌ هُوَ أَبُو كَنْعَانَ. 19هؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ بَنُو نُوحٍ. وَمِنْ هؤُلاَءِ تَشَعَّبَتْ كُلُّ الأَرْضِ.

20وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا . 21وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. 22فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا . 23فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا . 24فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، 25فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ» . 26وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. 27لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ» .

28وَعَاشَ نُوحٌ بَعْدَ الطُّوفَانِ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. 29فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ نُوحٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَمَاتَ.

أهم المغالطات في القصة نوح التوراتية

. ان الطوفان عم الأرض جميعا وليس المنطقة التي كان يعيش فيها نوح عليه السلام .

. لقد غضب الله على البشر وبالطوفان أراد أهلاكهم جميعا ماعدا نوح وما بقي معه وهذا يؤيد من قالوا ان نوحا عليه السلام هو أبو البشر الثاني .

. لم تذكر التوراة ان نوحا عليه السلام كان نبيا رسولا بل أكتفت بالقول انه كان بارا .

. عمر نوح عليه السلام 950 سنة

. مغالطات كثيرة تتعلق بعدد أيام الطوفان ومكان هبوط الفلك على جبل ارارات وأنواع الكائنات الحية التي حملها معه وعددها وأزواجها وغير ذلك .

. الاساءة الى نبي الله نوح بوصف حالته حينما كان (سكرانا) وتكشف (عورته) وسخرية أولاده منه .

. تعدد تسمية الخالق عز وجل فمرة تسميه (الله) ومرة (الرب) ومرة (الاله)

. اختلاف في أسلوب كتابة النص وتنوع مصادره وأختلاف في أزمنة كتابته .

ان هذه المغالطات والأخطاء والمشاهد المؤذية التي أحتوت عليها قصة الطوفان في التوراة هي أكبر دليل على أن كتاب التوراة لم يكونوا سوى ثلة من الكهان والعرافة ولصوص الدين الذين زيفوا تعاليم الله وشريعته .

سنرى في المحور التالي كيف يروي القرآن الكريم قصة نوح عليه السلام وقصة الطوفان كما حصلت فالله الذي كان شاهدا عليها هو الذي يمدنا بأخبار الأنبياء والرسل وما حدث لهم ومعهم .

نوح عليه السلام في النص القرآني

نثبت النصوص القرآنية التي تتحدث عن نوح عليه السلام :

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف : 59]

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس : 71]

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء : 76]

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان : 37]

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء : 105]

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء : 116]

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت : 14]

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [الذاريات : 46]

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴾ [النجم : 52]

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [التحريم : 10]

سورة هود

(24) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (25) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (26) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (27) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (29) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (30) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (31) قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (32) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (33) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (34) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (35) وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (37) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (39) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (41) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (42) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (43) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (44) وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (47) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (48) تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49) ﴾ [هود : 24 – 49]

سورة نوح

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (1) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (2) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (3) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (4) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (9) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (15) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (16) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (17) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (18) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ

بِسَاطًا (19) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (20) قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (21) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (22) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (23) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (24) مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (25) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (27) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (28) ﴾ [نوح : 1 – 28]

ويمكننا تلخيص قصة سيدنا نوح عليه السلام في القرآن الكريم بما يأتي :

نوح عليه السلام كان رسولا

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف : 59]

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس : 71]

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء : 76]

فلقد دعا نوح عليه السلام قومه الى عبادة الله تعالى باصرار وعقيدة وصبر وعزم لكن دعواته اليهم لم تلقى منهم أي قبول وبالرغم من طول زمن الدعوة عبر مئات السنين الا أن الذين استجابوا له قلة قليلة لا تذكر

وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36)

فلقد كذبوه ومن كان معه أو قبله من الرسل وهددوه بالرجم والقتل

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء : 105]

﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ [الشعراء : 116]

لذلك دعى الله سبحانه وتعالى أن يعاقبهم عقابا جماعيا ولا يترك منهم أحدا على وجه الأض فهم قوما فاسقين لا يرجى منهم أن يؤمنوا بالله ويقيموا شرعه .

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنبياء : 76]

ان هذه التفاصيل الدقيقة عن حياة النبي نوح عليه السلام ودعوته لقومه والصبر والدوام عليها وموقف قومه منه وعنتهم واصرارهم على الكفر لم نجد مثلها في النصوص التوراتية التي ذكرناها وهذه التفاصيل هي ضرورية من عدة نواحي العقائدية والعقلية والأدبية للدخول في صلب موضوع القصة وهو موضوع خطير جدا اذ يتعلق بحادثة كونية تتمثل في طوفان هائل عظيم أتى على مناطق جغرافية كبيرة وقضى على كل الكفار والفاسدين .

من أمن مع نوح من أهله

لقد رأينا أن التوراة تدعي ان عائلة نوح عليه السلام كلها قد آمنت معه زوجته وأولاده الثلاث وزوجاتهم بينما الايات القرآنية توضح لنا من أمن مع نوح من أهله ومن تخلف عنه :

فأمرأته كانت من الغابرين الذين أغرقهم الله (﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ)

وأبنه الذي لم تذكر النصوص القرآنية أسمه كان من المغرقين بالرغم من أن نوحا دعى ربه أن ينقذه :

وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46)

أما ما تبقى من أهله فلقد أنقذهم الله (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40)

فالذي سبق عليه القول من أهله هما زوجته وأبنه وماتبقى من أهله وفئة مؤمنة قليلة معه هم من أنقذهم الله

لم يبق أحياء سوى ذرية نوح عليه السلام من البشر

قال الله تعالى : (﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (75) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (77) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (78) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (80) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (81) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (82) وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (83) ﴾ [الصافات : 75 – 83] .

فالاية الكريمة تتحدث عن ان الله تعالى قد أنجى نوحا وأهله من هذه المحنه العظيمة الا من سبق عليه القول منهم زوجته وأحد أبناءه وفي الوقت نفسه تخبرنا بأن من بقي من البشر هم ذريته فقط .

وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ أى: وجعلنا ذريته من بعده هم الذين بقوا وبقي نسلهم من بعدهم، وذلك لأن الله-تبارك وتعالى- أهلك جميع الكافرين من قومه، أما من كان معه من المؤمنين من غير ذريته، فقد قيل إنهم ماتوا، ولم يبق سوى أولاده.

قال ابن كثير: قوله-تبارك وتعالى-: وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ: قال ابن عباس: لم تبق إلا ذرية نوح.

وقال قتادة: الناس كلهم من ذرية نوح.

وروى الترمذي وابن جرير وابن أبى حاتم عن سمرة عن النبي صلّى الله عليه وسلم في قوله:وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ قال: «هم سام، وحام، ويافث» .

وروى الإمام أحمد- بسنده- عن سمرة عن النبي صلّى الله عليه وسلم أنه قال: « سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم »

ان النص القرآني الذي يقول : قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (48) . فهمه البعض من انه يدل على وجود أمم أخرى غير التي هي من ذرية نوح عليه السلام فكيف فهمنا من قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ:) ان ذريته هم فقط الذين بقوا وتكاثروا فيما بعد ؟ يوحي الأمر وكأن هناك اشكال في النصين لكن الحقيقة فأن كلا النصين يعطينا معنى واحد وهو ان من بقي حيا فقط هم من ذرية نوح عليه السلام .

ذلك ان مفهوم الأمة في قوله تعالى (وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ) يشير الى الأمم التي ستنتج عن تكاثر وتوالد الباقين الناجين ممن كانوا في السفينة ولم يبقى منهم سوى ذرية نوح عليه السلام : (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ) فهم سيصبحون أمما وشعوبا صحيح انه كان مع نوح بشرا ليسوا من ذريته أنجاهم الله معه لكن هؤلاء كانوا قليل

(وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40) هود وهؤلاء قضت مشيئة الله أن يتوفاهم فلم يبقى حيا من الذين نجوا سوى أبناء نوح عليه السلام (ذريته) .

لكن لماذا أهلك الله ذلك الجيل من البشر ؟

تبين لنا سورة نوح الأسباب التي جعلت ربنا الكريم أن يمحي ذلك السلالة من البشر فلنتابع مع الايات القرآنية هذه الاسباب خطوة بخطوة :

. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (1) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (2) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (3) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (4)

في البداية دعا نوح عليه السلام قومه أن يعبدوا الله ويتقوه ويطيعوه .

.ولم يكل ويتعب من دعوتهم وضل مصرا عليها :

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (9) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14)

. لكن بالرغم من ذلك عصوه وعبدوا الأوثان والأصنام

(قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (21) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (22) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (23) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ((24

. هنا دعا نوح عليه السلام أن يبدهم هم وذريتهم ولا يترك لهم دارا قائمه

وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا . 27)

ذلك ان نوح عليه السلام بقي مع قومه ألف الا خمسون عاما واذا اعتبرنا ان عمر الجيل الواحد خمسون عاما فهو قد دعا مايقارب عشرين جيلا منهم وكان كل جيل يورث الشرك وعبادة الأصنام الى الجيل الذي بعده ولم يؤمن معه الا القليل من هذه الأجيال كلها وخلال هذه الفترة الزمنية الطويلة جدا .

وهذا يدل على فساد وشرك وكفر مستديم لا علاج له بالأصلاح والتربية والدعوة انما علاجه بقلعه من جذوره وتمهيد الطريق لأجيال جديدة تبنى على قواعد ايمانية فكانت بداية هذه الأجيال هم أبناء نوح النبي نفسه وهم كانوا مؤمنين معه لذلك فسيخلفون أجيالا مؤمنة الى حين من الزمن .

هل عمَّ طوفان نوح الكرة الأرضية ؟

تحدث العلماء في هذه المسألة واختلفوا فيما بينهم، ونذكر على سبيل المثال آراءهم في هذا الحدث التاريخي :

أجاب الشيخ محمد عبده عن هذا السؤال فقال

أما القرآن الكريم فلم يرد فيه نص قاطع على عموم الطوفان ولا على عموم رسالة نوح عليه السلام، وما ورد من الأحاديث على فرض صحة سنده فهو آحاد لا يوجب اليقين، والمطلوب في تقريرِ مثل هذه الحقائق هو اليقين لا الظن، إذا عُدّ اعتقادها من عقائد الدين، وأما المؤرخ ومريد الاطلاع فله أن يحصَل من الظن ما ترجحه عنده ثقته بالراوي أو المؤرخ أو صاحب الرأي، وما يذكره المؤرخون والمفسرون في هذه المسألة لا يخرج عن حد الثقة بالرواية، أو عدم الثقة بها، ولا يتخذ دليلاً قطعياً على معتقد ديني .

وأما مسألة عموم الطوفان في نفسها فهي موضوع نزاع بين أهل الأديان، وأهل النظر في طبقات الأرض، وموضوع خلاف بين مؤرخي الأمم، وأما أهل الكتاب وعلماء الأمة الإسلامية فعلى أن الطوفان كان عاماً لكل الأرض، ووافقهم على ذلك كثير من أهل النظر، واحتجوا على رأيهم بوجود بعض الأصداف والأسماك المتحجرة في أعالي الجبال؛ لأن هذه الأشياء مما لا تكون إلا في البحر، فظهورها في رؤوس الجبال دليل على أن الماء صعد إليها مرة من المرات، ولن يكون ذلك حتى يكون قد عم الأرض.

ويزعم أهل النظر من المتأخرين أن الطوفان لم يكن عاماً، ولهم على ذلك شواهد يطول شرحها، غير أنه لا يجوز لشخص مسلم أن ينكر قضية أن الطوفان كان عاماً لمجرد احتمال التأويل في آيات الكتاب العزيز، بل على كل من يعتقد بالدين ألّا ينفي شيئاً مما يدل على ظاهر الآيات والأحاديث التي صح سندها وينصرف عنها إلى التأويل إلا بدليل عقلي يقطع بأن الظاهر غير المراد، والوصول إلى ذلك في مثل هذه المسألة يحتاج إلى بحث طويل وعناء شديد، وعلم غزير في طبقات الأرض وما تحتوي عليه، وذلك يتوقف على علوم شتى عقلية ونقلية، ومن هذيَ برأيه دون علم يقيني فهو مجازف لا يسمع له قول، ولا يسمح له ببث جهالاته، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ويقول السيد محمد رشيد رضا

وخلاصة هذه الفتوى أن ظواهر القرآن والأحاديث أن الطوفان كان عاماً شاملاً لقوم نوح الذين لم يكن في الأرض غيرهم، فيجب اعتقاده ولكنه لا يقتضي أن يكون عاماً في الأرض، إذ لا دليل على أنهم كانوا يملؤون الأرض، وكذا وجود الأصداف والحيوانات البحرية في قمم الجبال لا يدل على أنها من أثر ذلك الطوفان، بل الأقرب أنه كان من أثر تكوين الجبال وغيرها من اليابسة في الماء، فإن صعود الماء إلى الجبال أياماً معدودة لا يكفي لحدوث ما ذكر منها، وكما قلنا : فإن هذه المسائل التاريخية ليست من مقاصد القرآن، ولذلك لم يبينها بنص قطعي، فنحن نقول بما تقدم إنه ظاهر النصوص ولا نتخذه عقيدة دينية قطعية، فإن أثبت علماء الجيولوجية خلافه لا يضرنا؛ لأنه لا ينقض نصاً قطعياً عندنا .(مهران، 1988، ج4 ص97

ويقول د. عمر إيمان أبو بكر

لا خلاف بين أهل العلم أن جميع الكفار من قوم نوح قد أهلكوا غرقاً بالماء، ولم ينج منهم إلا من كان على ظهر السفينة ممن آمن بدعوة نوح عليه السلام، ولكن يبقى السؤال: هل المياه عمت جميع أرجاء الأرض المعمورة منها وغير المعمورة ؟ أم أن الإغراق كان خاصاً بالقسم المعمور منها في ذلك الزمان؟

فإذا نظرنا إلى حمل اثنين من كل المخلوقات الأرضية من غير الإنسان، ترجح لدينا أن المياه قد عمت جميع أرجاء المعمورة وغير المعمورة، لأن الغرض من حملها إنما هو خوف انقراضها كلها، ولو كانت هناك مناطق أخرى سلمت من المياه تكون بعض تلك المخلوقات موجودة فيها، وعليه فلا يكون لحمل بعضها على السفينة حاجة، وهذا هو الذي يفهم من كلام ابن كثير حيث قال: وعم الماء جميع الأرض طولها، وعرضها، سهلها وحزنها، وجبالها وقفارها ورمالها، ولم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف، ولا صغير ولا كبير .(النجار، 2002، ص65 .

وإذا نظرنا إلى محدودية البشر في زمن نوح عليه السلام لكون زمنهم قريباً من زمن آدم، وأن كلهم كانوا في منطقة واحدة معينة، فإذا كان الأمر كذلك فإن الذي يظهر أن الغرق لم يعم جميع القارات الخمس بالمياه، علماً بأن بعضها لم يكتشف إلا قبل قرنين أو قريباً من ذلك، ثم إن النصوص وإن دلت على أن الغرق قد عم جميع الناس، لكن ليس فيها ما يقطع أن الغرق عم جميع أهل الأرض، ولكننا لا نجزم برجحان أحد القولين على الآخر، بل نكل علم ذلك إلى الله تعالى. (أبو بكر، 2017، ص 75) .

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور

وعموم الطوفان هو مقتضى ظواهر الكتاب والسنة، ومن قالوا إن الطوفان لم يعم الأرض فإنما أقدموا على إنكاره من جهة قصر المدة التي حددت بها كتب الإسرائيليين، وليس يلزم الاطمئنان لها في ضبط عمر الأرض وأحداثها وذلك ليس من القواطع، ويكون القصر إضافياً، أي لم يبق من قومه الذين أرسل إليهم، وقد يقال: نسلم أن الطوفان لم يعم الأرض، ولكنه عم البشر لأنهم كانوا منحصرين في البلاد التي أصابها الطوفان، ولئن كانت أدلة عموم الطوفان غير قطعية فإن مستندات الذين أنكروه غير ناهضة، فلا تترك ظواهر الأخبار لأجلها . (بن عاشور، 1983، ج12 ص125)

وقال الشيخ عبد الوهاب النجار

إنَّ بعض العلماء يميل إلى عمومه، ويقول بعض علماء الجيولوجيا إننا كلما بحثنا في أعالي الجبال وجدنا بقايا حيوانية من الأحياء التي لا تعيش إلا في الماء وهذا يستدعي وجود طوفان على هذه الجبال، بل عدد من الطوفانات لوجود الاختلاف في عمرِ هذه البقايا، فلا مانع من أن يكون طوفان نوح أحدها ، ويكون قد عمّ، ويستأنس لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ (الصافات: 77.

ويميل فريق من العلماء إلى أن الطوفان لم يكن عاماً ، بل طغيان الماء كان على الجهة التي كان يسكنها نوح وقومه، وأما بقية بقاع الأرض فلم يعمها هذا الطوفان، ويستأنس لذلك بأن الهندوس كانوا يزعمون أن عمران بلادهم يمتد

في الماضي إلى تاريخ أبعد من الذي قدرته التوراة لنوح وطوفانه، وأن عمرانهم متصل من أعمق أجيال التاريخ إلى اليوم، وأنتم تعلمون أني غير واثق من التاريخ الذي تقدره التوراة، فربما كان نوح أبعد من ذلك بعداً يشمل ما يدعيه أهل الهند .

وعلى كل حال فالمسألة ليس فيها نص من القرآن بل كل ما فيه من هذه الناحية: أن قوم نوح كفروا وعصوا الرسول فأغرقهم الله بالطوفان ونجى نوحاً ومن معه في الفلك وجعل ذريته الباقين، فالعموم محتمل والخصوص محتمل، والذي أميل إليه أن يكون خاصاً، وأن النوع الإنساني لم يكن منتشراً في جميع الكرة الأرضية، بل كانوا منحصرين في الناحية التي عمها الطوفان، وأنهم قد هلكوا وبقي نوح وذريته.

نميل نحن مع الذين قالوا ان الطوفان قد غطى منطقة جغرافية واحدة هي منطقة سكنى النبي نوح عليه السلام وقومه فكثير من الآيات القرآنية تدعم هذا القول بالاضافة الى بعض المعطيات العلمية والمكتشفات الأثرية وما أفرزته علوم الجيولوجية وغير ذلك ومن هذه الآيات القرآنية :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت : 14]

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [الذاريات : 46]

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴾ [النجم : 52]

فهذه الأيات وكثير من أمثالها يشير الى قوم نوح عليه السلام ولم يكن رسولا الى البشر جميعا فهل كان قوم نوح هم وحدهم في ذلك الوقت أم أنه كان هناك شعوبا وأقواما غيره في مناطق أخرى من العالم ؟

ان قوله تعالى : وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) يفيدنا في معرفة ذلك فالنبي نوح دعا ربه أن لايترك دارا للكافرين وأستجاب له ربه وهذا دليل على انه في ذلك الوقت كان قوم نوح ينتشرون في بقعة

جغرافية واسعة ولسعتها لم يسميها القرآن الكريم (قرية) أو مدينة بل (ديارا) وهي تسمية تدل على السعة الجغرافية للمكان ذلك ان عمر نوح عليه السلام بلغ حوالي ألف عام الا خمسين ومن المؤكد انه خلال ألف سنة يتزايد البشر بكثرة ويتمدد بالتالي مناطق سكناهم وتتوسع ويتوقع الكثيرون ان ديار نوح عليه السلام كانت منتشرة في مناطق دجلة والفرات وهي منطقة سهول واسعة جدا .

وهذا يؤكده مكان أستقرار سفينة نوح على جبل الجودي الذي يقع في الجبال الشماليه لوادي دجلة فمنطقة الطوفان أمتدت جغرافيا من الخليج العربي وصولا الى منطقة جنوب تركيا اليوم والله أعلم .

أدلة قرآنية أخرى تؤكد ذلك منها :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت : 14]

وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (37)

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف : 64]

تدل هذه الأيات الكريمة على :

ان الطوفان أغرق الظلمون من قوم نوح

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ [يونس : 73] أي ان الذين نجوا من قوم نوح عليه السلام أستخلفوا الأرض (المكان) من بعد مع أغرق الله الذين كذبوا .

لم تحدد النصوص القرآنية المتعلقة بقصة نوح عليه السلام أوصافا للسفينة التي بناها فيما يتعلق بطولها وعرضها وارتفاعها .

﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ [هود : 37]

تبين لنا هذه الاية الكريمة ان الله تعالى هو الذي أمر نوح بأن (يصنع) السفينة وكلمة (وأصنع) تدل على عمل حرفي (احترافي) في صناعة السفن يتطلب قياسات دقيقة وأوصاف مدروسة لتتمكن هذه السفينة من حمل هذه الأثقال كلها بمختلف أصنافها وأنواعها والسير في مواجهة أمواج كالجبال .

لذلك فلا يمكن لنوح عليه السلام عمل ذلك وحده نظرا لأن المكان الذي يعيش فيه كان في البر ولا يحتاج سكانه لتعلم صنع القوارب والسفن كما يحتاجها سكان السواحل كما أم ان المكان لا يحتوي على المواد اللازمة لصناعتها من هنا يقول الله سبحانه وتعالى (وأصنع الفلك بأعيننا ووحينا) وهذا يفيد ان الله سبحانه وتعالى أمد نوحا عليه السلام بمدد من مواد وصناع ينجزون العمل معه ومن يعاونه من أبناء قومه الذين أمنوا برسالته .

وحينما كان يعمل نوح عليه السلام ومن معه ببناء السفينة في موقع لا نهر فيه ولا بحر كان قومه يسخرون به

﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [هود : 38]

ثم بعد أن أكتمل كل شئ قال : ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [هود : 41]

والحقيقة ان صنع هذا الفلك العظيم ومجراه ومرساه ماهو الا معجزة ربانية الهية من صنع الله وتدبيره لذلك فكل ليس سوى تقدير العزيز الحكيم .

من كل زوجين اثنين

أختلفت الاراء والتفسيرات حول ما حملته سفينة نوح من مخلوقات أمره الله أن يصحبها معه ولقد رأينا أن النصوص التوراتية بينت ان نوح صحب معه كل المخلوقات الحية بمختلف أصنافها وهذا يعد من شبه المستحيلات فكثيرة جدا تلك المخلوقات التي لم تكن بيئتها المكان الذي أستقر فيه نوحا للعيش فيه كما ان الدلائل التي أشرنا اليها تفيدنا بأن هذا الطوفان شمل منطقة جغرافية واسعة ولم يشمل الكرة الأرضية ,لذلك فمن المرجح أن نوحا عليه السلام حمل معه تلك المخلوقات التي كانت تعيش معه في تلك البقعة الجغرافية

(حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40) .

وكلمة (من كل) في الاية المذكورة أعلاه تعني جميع الحيوانات الأهلية من غنم وبقر وماعز وابل وغير ذلك من الحيوانات الأليفة والداجنة و ومن كل زوجين اثنين لتستمر عملية تكاثرها وتوالدها .

وهنا نحن ندخل في مسألة غيبية لا يعلم حالها الحقيقي الا الله وحده لأن النصوص القرآنية التي بين يدينا لا تتحدث عن التفاصيل التي نحاول كشفها ومعرفتها فما سكتت عنه النصوص الشرعية من أمور الغيب وأحوال الماضي لا ينبغي البحث عنه ولا التقصي عن تفاصيله إلا بقدر ما ينفع، لأنه لا يترتب على ذلك عمل باطن ولا ظاهر! ويتأكد ذلك في الأمور المشتبهة، ومن جملتها الحكم على الغيب من خلال ما يعرف في الواقع، مع احتمال أو ثبوت الفرق المؤثر بينهما ، ففي قصة الطوفان مثلا، لا يصح الحكم على أشكال وأجناس الحيوانات بمصاحبة حكم الواقع، لأننا لا نستطيع القطع بكون الأرض نفسها كانت حينئذ على ما هي عليه الآن في الشكل والمناخ وما يعيش عليها الكائنات الحية! بل يقرر كثير من علماء الطبيعة والأحياء أوجها للفرق بين طبيعة الأرض وما عليها في عصرنا وبين ما كانت عليه في العصور التاريخية الغابرة، وأكبر وأجل الأحداث لإثبات هذه الفوارق هو طوفان نوح ـ عليه السلام ـ حتى قسمت الحياة على الأرض لعصر ما قبل الطوفان وعصر ما بعد الطوفان! والمقصود أن استبعاد أو استغراب حمل نوح ـ عليه السلام ـ لأنواع الأحياء معه في السفينة مبناه على استصحاب

حكم الواقع بتفاصيله وعلومه المعاصرة، وهذا في الحقيقة غير لازم، فإن السفينة بناها نوح - عليه السلام - بوحي وتعليم من الله، ولا نعرف حجمها ولا شكلها ولا تصميمها، وهي معجزة وآية لأهل الأرض، كما قال تعالى: فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ العنكبوت: 15 ﴾ . وقال سبحانه: وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ يس: 41

وهي سفينة نوح، كما قال عز وجل: فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ الشعراء: 119.

قال ابن كثير: المشحون - هو المملوء بالأمتعة والأزواج التي حمل فيه من كل زوجين اثنين

وقال البغوي : الموقر المملوء من الناس والطير والحيوانات كلها .

وهذه السفينة إن كانت معجزة وآية، فلا يصح قياسها على غيرها من السفن، وإلا فهل يمكن لسفينة عادية أن تجري في موج كالجبال كما جرى لسفينة نوح، ثم إن كون الطوفان عم جميع الأرض وإن كان يفهم من بعض الآيات، إلا إنه لم ينص عليه القرآن صراحة، وإنما المقطوع به أن قوم نوح - وهم البشر الذين كانوا يعيشون على الأرض في هذا الزمان - قد غرقوا جميعا إلا من ركب السفينة، فهل عم الطوفان جميع الأرض، أم كان خاصا بالبقاع التي يعيش فيها البشر؟ فهذه المسألة وإن جرى فيها الترجيح إلا إن القطع فيها غير متيسر، وعلى الاحتمال الثاني يكون ما حمله نوح هو أنواع الحيوانات التي كانت تعيش في تلك البقاع خاصة، قال صاحب الظلال: فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ . . من أنواع الحيوان والطيور والنبات المعروفة لنوح في ذلك الزمان، الميسرة كذلك لبني الإنسان. اهـ.

وقد روي في بيان كيفية الجمع بين أنواع الحيوان التي لا تجتمع عادة في مكان واحد، فضلا عن سفينة - روايات موقوفة وآثار مقطوعة، ولسنا في حاجة إلى إيراد شيء من ذلك، للأصل الذي أصلناه، وهو أن الأمر معجزة، فلا يصح قياسه بالعقل المجرد الذي تحكمه القوانين والسنن المطردة، وقد أحسن ابن عطية الأندلسي حينما قال في تفسيره المحرر الوجيز: وهذا كله قصص لا يصح إلا لو استند، والله أعلم كيف كان.

كم هو عمر البشرية منذ آدم عليه السلام

تحدد التوراة عمر الانسان منذ ان خلق الله آدم عليه السلام والى يومنا هذا بحوالي 6000 سنة .

[1]هذَا كِتَابُ مَوَالِيدِ آدَمَ، يَوْمَ خَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ. عَلَى شَبَهِ اللهِ عَمِلَهُ. [2]ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُ، وَبَارَكَهُ وَدَعَا اسْمَهُ آدَمَ يَوْمَ خُلِقَ. [3]وَعَاشَ آدَمُ مِئَةً وَثَلاَثِينَ سَنَةً، وَوَلَدَ وَلَدًا عَلَى شَبَهِهِ كَصُورَتِهِ وَدَعَا اسْمَهُ شِيثًا . [4]وَكَانَتْ أَيَّامُ آدَمَ بَعْدَ مَا وَلَدَ شِيثًا ثَمَانِيَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. [5]فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ آدَمَ الَّتِي عَاشَهَا تِسْعَ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً، وَمَاتَ.

وقطعا ان هذه المدة الزمنية غير صحيحة .

يقول " د . موريس بوكاي " أن عمر الإنسان على الأرض " أبعد بكثير من العصر الذي يُحدده سفر التكوين لأوائل البشر، هناك إذًا استحالة اتفاق واضحة بين ما يمكن استنتاجه من المعطيات الحسابية لسفر التكوين الخاصة بظهور الإنسان على الأرض وبين أكثر المعارف تأسيسًا في عصرنا" ويقول السيد سلامة غنمي " فإننا نجهل التاريخ التقريبي لظهور الإنسان على الأرض، غير أنه قد أُكتشف آثار لأعمال بشرية نستطيع وضع تاريخها فيما قبل الألف العاشرة من التاريخ المسيحي دون أن يكون هناك مكان للشك، وعليه فإننا لا نستطيع علميًا قبول صحة نص سفر التكوين الذي يعطي أنسابًا وتواريخ تُحدّد أصل الإنسان (خلق آدم) بحوالي 37 قرنًا قبل المسيح. . . إننا نستطيع أن نطمئن إلى أنه لن يمكن أبدًا إثبات أن الإنسان قد ظهر على الأرض منذ 5760 سنة كما يقول التاريخ العبري سنة 1999م، وبناء على ذلك فإن معطيات التوراة الخاصة بعمر الإنسان على الأرض غير صحيحة"(

ماذا يقول القرآن الكريم في هذا الشأن

ليس هناك نص صريح أو حتى نص يفهم منه او يستنتج كم مضى من القرون على وجود آدم عليه السلام على الأرض لكن هناك بعض المعطيات التي تخبرنا بها الايات القرآنية تفيد بأن خلق الانسان كان أخر مراحل الخلق الذي تحدث عنها القرآن الكريم .

فالله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض .

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : 54]

ثم خلق الأرض في يومين ثم جعل فيها رواسي وقدر أقواتها وكان ذلك كله في أربعة أيام

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (10) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11) ﴾ [فصلت : 9 – 11]

ولقد مضى زمنا لا يعلمه الا الله وحده ولم يكن الانسان فيه شيئًا يذكر .

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ [الإنسان : 1]

وبعد ذلك جعله في سلسلة خلقية طويلة

﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح : 14]

فكل ذلك يفيدنا بأن أزمانا ساحقة مرت وأنقضت بين خلق السموات والأرض وخلق الانسان وكان قبله قد خلق كل دابة على الأرض وكل ماعليها .

لكن بعض الدراسات الجينية الحديثة قد حددت عمر الانسان على الأرض بحوالي مئتي ألف عام ومنها ما نشره موقع هسبريس دراسة للدكتور عبد الله الحلوي في عام 2019 يقول الحلوي :

من مفاجآت الدراسات الجينية لسنة 2018 دراسة علمية أنجزها عالمان متخصصان في الدراسة الجينية، مفادها أن الإنسان المعاصر ينحدر من زوج (رجل وامرأة) عاشا بين 100 ألف و200 ألف سنة قبل اليوم، استطاعا أن ينجوا من كارثة عالمية أودت بحياة جميع الكائنات الإنسانية الأخرى.

شرت هذه الدراسة الهامة في أول الأمر في مجلة Human Evolution في شهر ماي من سنة 2018 بعد أن أتم إنجازها كل من عالمي الدراسات الجينية Mark Stoeckle من جامعة روكيفيلر الأمريكية، وDavid Thaler من جامعة بازل السويسرية. وهي دراسة استعملت تقنية "الباركودينك" Barcoding التي تعتمد على استعمال كمية صغيرة من DNA لعُضَيّ صغير يستعمل في تحديد النوع البيولوجي للكائن المدروس.

وتقوم مثل هذه الدراسة على البحث في جينة تسمى **1** Cytochrome Oxidase (تختصر في الرمز CO1)، مع العلم أن هذه الجينة ليست جزءا من نواة الخلية، بل هي جزء من عُضيّات رخوية الشكل (تسمى Mitochondrian) تسبح خارج نواة الخلية وتُمِدُّها بالطاقة.

وقد طُبقت هذه الدراسة على 5 ملايين كائن حي ينتمون لـ 100 ألف نوع بيولوجي، منهم النوع الإنساني، وخلصت إلى أن كل النوع الإنساني انحدر من زوج واحد one couple يسمى بأصل النسل (أو "عنق الزجاجة" bottleneck) عاش حوالي 100 ألف سنة إلى 200 ألف سنة قبل اليوم، وأن كل 9 أنواع من 10 أنواع حيوانية جاءت أيضا من زوج واحد .

كما خلصت الدراسة إلى أن الزوج (عنق الزجاجة) الأصلي الذي انحدرت منه الإنسانية كاملة قد نجا من كارثة عالمية (الجليد، أو التسمم الجماعي، أو الوباء، أو غير ذلك) أدّت إلى انقراض جميع سكان الأرض من النوع الإنساني، مما يسمح لنا بالحديث عن مرحلة ما قبل الكارثة وما بعد الكارثة.

حاول صاحب هذا المقال أن يبحث عن انتقادات علمية لهذه النتائج في المجلات العلمية المعتبرة، لكنه لم يجد أثرا سوى لانتقادات صحافي متخصص في كتابة الروبورتاجات حول أخبار العلم اسمه مايكل مارشال يكتب في مجلة رجال الأعمال "فوربز" المتخصصة في عالم المال والأعمال.

مايكل مارشال ليس عالما متخصصا، وآخر شهادة حصل عليها هي شهادة ماستر في البيولوجيا وأخرى في "التواصل العلمي". كما أن هذا الناقد الصحافي لم يعتمد على قراءة المقال العلمي المنشور لـ Mark Stoeckle و David Thaler بل مجرد تعليق على ما أوردته الجرائد والمجلات الأمريكية حول خبر هذا الاكتشاف المثير.

https://www.hespress.com/%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D8%AC%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D8%AB%D9%8A%D8%B1%D8%A9-%D8%AA%D9%83%D8%B4%D9%81-%D8%A3%D8%B5%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85-473844.html

هذا والله أعلم .

قصة ابراهيم عليه السلام

في النصوص التوراتية

مولد ابراهيم عليه السلام

الأَصحَاحُ الْحَادِي عَشَرَ

[27] وَهذِهِ مَوَالِيدُ تَارَحَ: وَلَدَ تَارَحُ أَبْرَامَ وَنَاحُورَ وَهَارَانَ. وَوَلَدَ هَارَانُ لُوطًا . [28] وَمَاتَ هَارَانُ قَبْلَ تَارَحَ أَبِيهِ فِي أَرْضِ مِيلاَدِهِ فِي أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ. [29] وَاتَّخَذَ أَبْرَامُ وَنَاحُورُ لأَنْفُسِهِمَا امْرَأَتَيْنِ: اسْمُ امْرَأَةِ أَبْرَامَ سَارَايُ، وَاسْمُ امْرَأَةِ نَاحُورَ مِلْكَةُ بِنْتُ هَارَانَ، أَبِي مِلْكَةَ وَأَبِي يِسْكَةَ. [30] وَكَانَتْ سَارَايُ عَاقِرًا لَيْسَ لَهَا وَلَدٌ . [31] وَأَخَذَ تَارَحُ أَبْرَامَ ابْنَهُ، وَلُوطًا بْنَ هَارَانَ، ابْنَ ابْنِهِ، وَسَارَايَ كَنَّتَهُ امْرَأَةَ أَبْرَامَ ابْنِهِ، فَخَرَجُوا مَعًا مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى حَارَانَ وَأَقَامُوا هُنَاكَ. [32] وَكَانَتْ أَيَّامُ تَارَحَ مِئَتَيْنِ وَخَمْسَ سِنِينَ. وَمَاتَ تَارَحُ فِي حَارَانَ.

تطلق التوراة على النبي ابراهيم اسم (ابرام) ووالده (تارح) وقد صار لتارح ثلاثة أولاد هم أبرام وناحور وهاران وهو والد النبي لوط عليه السلام .

وتزوج النبي ابراهيم عليه السلام من (ساراي) التي كانت عاقرا ليس لها ولد وخرج تارح وأولاده من أور ليذهبوا الى أرض كنعان وسكنوا حاران .

نلاحظ في النص التوراتي المثبت أعلاه اختلافه مع النصوص القرآنية التي تتحدث عن ابراهيم عليه السلام في عدة نقاط كما ان هذه النصوص تتضارب مع نفسها أيضا :

. اختلاف في تسمية اسم ابراهيم عليه السلام وإسم والده فلقد بين لنا القرآن الكريم ان والد ابراهيم هو (آزر)

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام : 74]

حيث أن أصل تارح في (البابلية) طارح وتأتي من الجذر العبري–الآرامي (طرح) وهي بمعنى (حمل ما يوقر ظهره) وهي بمعنى (وازر) في العربية ولم يقدّم على الاسم الأصلي (تارح أو طارح) حتى لا يتوهم متوهّم أنها بالمعنى العربي (طارح) اسم فاعل من طرح التي بمعنى ألقى او(تارح) من ترح بمعنى حَزِنَ فهو محزون.

اما لماذا تم تغيير اللفظ العربي من وازر لآزر فهو اشتقاق فقط لأن وازر تعني الآثم و هذا ليس مقصودا من معناه الذي سمي به آزر.

وقد استقى هذا الطرح من كتاب: إعجاز القرآن في أعجمي القرآن (١٩٩١م) د : رؤوف أبو سعدة. وهو أنفس ما عرفت في الباب. وله ترجمة إلى الإنجليزية تحت عنوان:

ان هذا الطرح يحاول قلب مجال الشبهة إلى حجة وإعجاز.

وهذا من حيث القياس في تعامل القرآن مع غيره من أسماء الأعلام الأعجمية غير معهود. لكنها فرضية ساحرة للجمع بين الاسمين. وصحيح أن جذر طَرَح (חרט) يفيد معنى الثقل والوزر في الآرامية والعبرية وهو المعنى المعتمد في اللغة السامية الافتراضية، بل حتى المعنى العربي قريب من ذلك فطرحك للشيء على الدابة مثلا هو إلقاء بثقله عليها. ولكن يبقى من الصعب اعتمادها إلا في حال الجدال.

فلا يُعلم يقينا معنى تارح أو أصله. ولكن المشهور قديما في معاجم أسماء الأعلام للكتاب المقدس: تأثيل تِرَح بمادة روح، وقد يفهم منها معنى السياحة في الأرض وهذا يتوافق مع كونه لقبا لأنه هاجر أو بمعنى خزع وأبطأ وبعضهم يقرّبها بالأكادية تُراحو وتعني "وعل الجبل".

وهناك فرضية العقاد في كتابه "إبراهيم أبو الأنبياء" في باب اللغة (ص128–129) ومفادها أن "آزر" هو تصحيح لنطق تِرَح أو آتيره. نتيجة تصحيف أو تحوّرٍ لساني قلب الزاي إلى حرف صفير مركب "تس" وقلب الهاء حاء. وربط في افتراضه "آزر" بـ: آسور أو آشوري (كاسم علم لأبيه أو الجد الجامع أو نسبةً إلى الوطن). وهذا يبدوا بعيدا وفيه تكلّف ظاهر ويخلو من منهجية واضحة في اللسانيات المقارنة.

أما السائد اليوم في البحوث الأركيولوجية، هو أن كلمة "تارح" توافق المعنى العبري للقمر أو الشهر "يارح". فبعد العثور على النصوص الأوغاريتية في ممارساتهم الدينية، تبيّن أن "تارح" اسم لإله القمر (وهو ذاته أبو الآلهة والخالق أو الإله "سين" في المعتقدات البابلية والآشورية).

ومعروف في سفر التكوين 11:31 هجرة تارح وأهله إلى حران[5] "مدينة عبادة إله القمر":

"وَأَخَذَ تَارَحُ أَبْرَامَ ابْنَهُ، وَلُوطًا بْنَ هَارَانَ، ابْنَ ابْنِهِ، وَسَارَايَ كَنَّتَهُ امْرَأَةَ أَبْرَامَ ابْنِهِ، فَخَرَجُوا مَعًا مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى حَارَانَ وَأَقَامُوا هُنَاكَ." وفي التعليقات المدراشية أنهم اكتسبوا فيها مكانة رفيعة وأراضي شاسعة.

طبعا ما يروجّه أصحاب النشأة الأسطورية هو أن أهل حاران –المدينة التي تعايش فيها الوثنيون والصابئة إلى جانب بقية أهل الكتاب– ادّعوا أن إبراهيم كان ابن إله القمر تارح ليَروُج الحج إلى مدينتهم وغيرهم من المنظّرين يعتبر "ابن إله القمر" لقب تشريف بمعنى المحفوظ تحت رعاية الإله.

ولو صحّ هذا فيمكن تصوّر أن تارح لم يكن اسمه البتة ولكن مجرد لقب كهنوتي كخادم لمعبد القمر.

ومن الطريف أن في اللغات الأمازيغية وهي ابنة عمة للغات السامية في التصنيف اللساني الحديث. أن مادة زر تعني القمر (زيري/تزيري).

ثم هناك من يُأوّل كلمة آزر والفرضيات تطول ... والله أعلم بمآل الأمور.

وإلى أن يثبت شيء مؤكد، فيظل القرآن هو الصحيح والتوراة خاطئة أو محمولة على التأويل.

. لم تتحدث النصوص القرآنية عن المكان الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلام كما انها تحدثت عن قصة ايمان ابراهيم ونبذه عبادة الأصنام وكيف كسرها وأراد قومه احراقه في النار ولقد أنجاه الله منها بمعجزة من عنده .

محاربة ابراهيم عليه السلام للأصنام

ومعجزة انقاذه من النار

لم تتحدث التوراة عن النبي ابراهيم عليه السلام كنبيا ورسولا يدعو الى عبادة الله كما لم تتحدث عن قصته في تحطيم الأصنام ثم محاولة احراقه وانقاذ الله تعالى له .

لكن هذه القصة وردت في عدة مواضع منها مايسمى بالمرداش اليهودي والتلمود البابلي وأنجيل برنابا غير المعترف فيه وسنتطرق الى سرد هذه القصة في تلك المصادر ثم نختم المبحث بسرد القصة وفق ماجاء في القرآن الكريم .

القصة في المرداش اليهودي

المرداش اليهودي يعني (هيئة المفسرين للتوراة) و يعتبر علماء اليهود أن هذه القصة من وحي خيال مفسري التوراة وهي قصة أسطورية لا أساس لها وفق زعمهم .

وردت القصة في كتاب التفسير اليهودي Bereishit Rabbah فصل 17 (تفسير تكوين 15:7 ولأنها وفق زعمهم

لم ترد في النصوص التوراتية وتم وضعها من قبل مفسرين أطلقوا عليها (أسطورة) أي خيالية وليست واقعية .

ترجمة كلير تسدال :

"إن تارح (والد إبراهيم) كان يصنع الأصنام، فخرج مرة إلى محل ما وأناب عنه إبراهيم في بيعها، فإذا أتى أحد يريد الشراء كان إبراهيم يقول له: كم عمرك؟ فيقول له: عمري خمسون أو ستون سنة، فكان إبراهيم يقول له: ويل لمن كان عمره ستين سنة ويرغب في عبادة الشيء الذي لم يظهر في حيز الوجود إلا منذ أيام قليلة. فكان يعتري الرجل الخجل وينصرف إلى حال سبيله. ومرة أتت امرأة وفي يدها صحن دقيق قمح، وقالت له : يا هذا، ضع هذا أمامهم. فقام وأخذ عصا في يده وكسرها كلها جذاذاً ووضع العصا في يد كبيرهم. فلما أتى أبوه قال له: من فعل بهم كذلك؟ فقال له إبراهيم: لا أخفي عليك شيئاً . إن امرأة أتت ومعها صحن دقيق قمح وقالت لي: يا هذا ضع هذا أمامهم. فوضعته أمامهم، فقال هذا: أريد أن آكل أولاً، وقال ذلك: أريد أنا أن آكل أولاً. فقام كبيرهم وأخذ العصا وكسرهم. فقال له أبوه: لماذا تلفق عليَّ خرافة؟ فهل هذه الأصنام تدرك وتعقل؟ فقال له إبراهيم: ألا تسمع أذناك ما تتكلم به شفتاك؟ فألقى والده القبض عليه وسلَّمه إلى نمرود، فقال له نمرود: فلنعبد النار. فقال له إبراهيم: فلنعبد المياه التي تطفئ النار. فقال له نمرود: فلنعبد المياه: فقال له إبراهيم: إذا كان الأمر كذلك فلنعبد السحاب الذي يجيء بالمياه. فقال له نمرود: فلنعبد السحاب، فقال له إبراهيم: إذا كان الأمر كذلك فلنعبد الرياح التي تسوق السحاب. فقال له نمرود: فلنعبد الرياح. فقال له إبراهيم: فلنعبد الإنسان الذي يقاوم الرياح. فقال له نمرود: إذا كان مرادك المحاولة فأنا لا أعبد إلا النار، وها أنا أُلقيك في وسطها، وليأت الله الذي تعبده وينقذك منها . ونزل إبراهيم في أتون النار ونجا" انتـــــــــهى.

و هذا الكتاب الذي يذكر القصة أقدم من القرآن بقرون

كما نذكر شهادة القديس جيروم [ت 420 م]، يتكلم عن هذا التفسير اليهودي للآية تكوين 15:7 من سفر التكوين

ويذكر هذه القصة.

ويزعم أحبار اليهود ان هذه القصة ألفها مفسر توراتي قبل الإسلام ، أما عن سبب تفسيره الخاطىء للآية التوراتية يعود لعوامل يوضحها لنا تيسدال في كتابه مصادر القرآن :

" لم يعتقد بصحة هذه القصة إلا عوام اليهود، أما كل عالِم مدقق فيعرف أن منشأ هذه الخرافة هو الاشتباه واللبس والخطأ، فإن أساس هذه القصة مبني على ما جاء في سفر التكوين، حيث قال الله لإبراهيم: »أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين« (تكوين 15: 7) . ومعنى أور بلغة البابليين القديمة »مدينة« . وجاءت جزءاً من كلمة »أورشليم« ومعناها » مدينة شليم « أي » مدينة إله السلام« . واسم أور الكلدانيين الآن »المغيَّر« وكان إبراهيم أولاً ساكناً في هذه المدينة. ولكن توجد في اللغة العبرية والأرامية والكلدانية لفظة أخرى وهي »أُوْر« تشبه »أور« في النطق والكتابة، غير أن معنى »أور« في اللغة العبرية »النور« أو »النار«، وبعد تدوين التوراة بسنين عديدة جاء مفسرٌ يهودي، اسمه يوناثان بن عزيل، لم تكن له أدنى معرفة بلغة البابليين القديمة، وأخذ يترجم هذه الآية إلى اللغة الكلدانية، فقال: »أنا !لرب الذي أخرجك من تنور نار الكلدانيين" وقال هذا المفسر الجاهل في تفسيره على تكوين 11: 28 : » لما طرح نمرود إبراهيم في أتون النار لامتناعه عن السجود لأصنامه لم يؤذن للنار أن تضره .

فالمؤلف يرى أن أحد المفسرين اليهود قد أستغل معنى كلمة (أور) والتي تعنى النار ليفسر النص التوراتي

الذي يقول : أنا !لرب الذي أخرجك من تنور نار الكلدانيين" وبنى بعدها المفسر التوراتي قصته عن احراق ابراهيم في النار وأنقاذ الله له .

القصة في انجيل برنابا

انجيل برنابا لا يعتبر من الأناجيل القانونية لدى النصارى، ولا يعترفون به، ولأهمية ما يحتويه من معلومات، ولما بينه وبين الأناجيل الأربعة من تشابه في التعريف بالمسيح عليه السلام ودعوته نُعرَف به هنا في نقاط مختصرة

أ- التعريف بـ برنابا

برنابا: اسمه (يوسف) ويلقب ابن الوعظ، وهو لاوي قبرصي الجنسية، وهو خال (مرقس) صاحب الإنجيل فيما يقال، وكان من دعاة النصرانية الأوائل، ويظهر من إنجيله أن له مكانة لدى المسيح عليه السلام، والنصارى يرون أنه من الدعاة الذين لهم أثر ونشاط ظاهر، وكان من أعماله البارزه أنه باع حقله وأتى بقيمته من النقود ووضعها تحت تصرف الدعاة، وحين ادَّعى بولس (شاؤول اليهودي) الدخول في دين المسيح عليه السلام خاف منه الحواريون لما يعلمون من سابق عداوته، فشفع له برنابا عندهم فقبلوه ضمن جماعتهم، ثم اختلف معه بعد فترة من العمل في الدعوة سويا وانفصلا

ب- التعريف بإنجيله

أقدم خبر عن إنجيل برنابا كان قريباً من عام (492) م، وذلك حين أصدر البابا (جلاسيوس) الأول أمراً يحرم فيه مطالعة عدد من الكتب، كان منها كتاب يسمَّى (إنجيل برنابا) وهذا كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، ثم لم يظهر له خبر بعد ذلك إلا في أواخر القرن السادس عشر الميلادي حيث عثر أحد الرهبان اللاتينيين وهو (فرامرينو) على رسائل (لإريانوس) يندد فيها ببولس، وأسند (إريانوس) تنديده هذا إلى إنجيل برنابا . فحرص هذا الراهب على الاطَلاع على هذا الإنجيل. واتفق أنه أصبح مقرباً للبابا (سكتس) الخامس، ودخل معه يوماً إلى مكتبته فأخذت البابا غفوة نام فيها، فأخذ (فرامرينو) يطالع في مكتبته رغبة في قطع الوقت، فوقعت يده على هذا الكتاب فوضعه في ثوبه وأخفاه، ثم استأذن بعد أن أفاق البابا، وخرج فطالع الكتاب بشغف شديد، ثم أسلم على إثر ذلك – بيَّن هذه المعلومات المستشرق سايل في مقدمة ترجمته للقرآن الكريم– ثم في أوائل القرن الثامن

عشر عام (1709) م، عثر (كريمر) أحد مستشاري ملك بروسيا على نسخة لإنجيل برنابا باللغة الايطالية، عند أحد وجهاء مدينة أمستردام– حيث كان يقيم وقتئذ – وأهداها (كريمر) إلى الأمير (إيوجين سافوي) لولعه بالعلوم والآثار التاريخية، ثم انتقلت تلك النسخة فيما بعد– وذلك عام (1738) م– مع جميع مكتبة ذلك الأمير إلى مكتبة البلاط الملكي في فينا، حيث هي موجودة الآن، ثم ترجمت إلى الإنجليزية، وعنها إلى العربية من قبل الدكتور خليل سعادة، وهو لبناني نصراني. وكان يوجد لهذا الكتاب نسخة أخرى بالإسبانية، يظن أنها منقولة عن الإيطالية عُثِرَ عليها في أوائل القرن الثامن عشر أيضاً، وكانت عند رجل يدعى الدكتور (هلم) أهداها إلى المستشرق (سايل)، ثم دفعها هذا بدوره إلى الدكتور (منكهوس) الذي ترجمها إلى الإنجليزية، ودفعها مع ترجمتها عام (1784) م، إلى الدكتور (هويت) أحد مشاهير الأساتذة في إكسفورد ببريطانيا، وعنده اختفت تلك النسخة مع ترجمتها . وقد أورد الدكتور (هويت) مقتطفات عديدة منها في دروسه، وقد اطَّلع على تلك المقتطفات خليل سعادة، مترجم كتاب إنجيل برنابا إلى العربية

وحين ظهر هذا الإنجيل أحدث دويًّا في الأوساط النصرانية لما فيه من المعلومات المضادة لعقائدهم، فحاولوا دفعه بوسائل كثيرة، ومما زعموه

أنه تأليف عربي مسلم، أو يهودي أندلسي تنصر ثم أسلم– وهذا في الواقع من التخرصات، ويدلُّ على بطلان تلك الدعاوى أمور منها

.. لماذا يؤلف رجل أسلم كتاباً للنصارى، ويفتري الكذب وهو قد دخل في الإسلام

.. أن في الكتاب معلومات غير موجودة في كتب اليهود والنصارى الآن

أن مترجم الكتاب إلى العربية– وهو خليل سعادة النصراني– قد وصف صاحب الإنجيل بأنه على إلمام واسع جدًّا بالعهد القديم والنصرانية أكثر ممن نذروا أنفسهم للدين النصراني وتفسيره وتعليمه، حتى إنه ليندر أن يكون فيهم من يقرب من إلمام صاحب هذا الإنجيل، فكيف يكون مسلماً وله هذا الإلمام الواسع ؟

إن مما يدفع أن يكون صاحبه مسلم أن فيه أخطاء لا يمكن أن تقع من المسلم لبداهتها، ومنها قوله : إن السموات

.عشرة. وخلطه بين اسم ميخائيل وميكائيل، ويقول: أدريل بدل إسرافيل

وعلى كل حال فهذا كتاب ظهر في بلاد نصرانية، وبخط ولغة نصرانية، ولم يرد عن أحد المسلمين أنه اطَّلع على الكتاب مع سعة اطلاع علماء المسلمين، وحرصهم على الرد على النصارى، وهو لاشك مما يظهره الله عزَّ وجلَّ .دليلاً للحق ودحراً للباطل وردًّا له

ج- أهم مبادئ إنجيل برنابا التي يختلف بها عن الأناجيل الأربعة

إن الذي جعل النصارى يحملون على هذا الإنجيل حملتهم، ويتنصلون منه، هو مخالفته لأناجيلهم المعتمدة وعقيدتهم في أخطر وأهم نقاطها، وهي

أولاً: أنه صرح أن المسيح عليه السلام إنسان، وليس إله ولا ابن إله، وبيّن أن سبب تأليف إنجيله هو رد هذه الفرية التي أطلقها بولس مع غيرها من الافتراءات، كترك الختان وإباحة أكل اللحوم النجسة، وفي هذا يقول في أول إنجيله: (أيها الأعزاء، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة، للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر الله به دائماً مجوزين كل لحم نجس، الذين ضلَّ في عدادهم أيضاً بولس، الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي .. ليسوع لكي تخلصوا، ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله

ثانياً: أنه نقل عن المسيح التصريح بأن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وليس إسحاق كما يزعم اليهود، وفي هذا يقول

أجاب يعقوب: يا معلم قل لنا من صنع هذا العهد، فإن اليهود يقولون بإسحاق، والإسماعيليون يقولون)

.بإسماعيل ؟ أجاب يسوع: صدقوني؛ لأني أقول لكم الحق، إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق

.حينئذ قال التلاميذ: يا معلم، هكذا كتب في كتاب موسى أن العهد صنع بإسحاق ؟

أجاب يسوع متأوهاً: هذا هو المكتوب، ولكن موسى لم يكتبه ولا يشوع، بل أحبارنا الذين لا يخافون الله

الحق أقول لكم: إنكم إذا أعملتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون حديث كتبتنا وفقهائنا؛ لأن الملاك قال: يا إبراهيم، سيعلم العالم كله كيف يحبك الله، ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله حقًّا، يجب عليك أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله، أجاب إبراهيم: هاهو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله، فكلَّم الله حينئذ إبراهيم قائلاً: خذ ابنك بكرك إسماعيل، واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة

فكيف يكون إسحاق البكر وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين ؟

فقال حينئذ التلاميذ: إن خداع الفقهاء لجلي، لذلك قل لنا أنت الحق؛ لأننا نعلم أنك مرسل من الله

وذكر برنابا أيضاً أن المسيح خاطب رئيس كهنة اليهود قائلاً له: (إن إبراهيم أحب الله حيث إنه لم يكتف بتحطيم الأصنام الباطلة تحطيماً ولا بهجر أبيه وأمه، ولكنه كان يريد أن يذبح ابنه طاعة لله

أجاب رئيس الكهنة: إنما أسألك هذا ولا أطلب قتلك، فقل لنا: من كان ابن إبراهيم هذا ؟

أجاب يسوع: إن غيرة شرفك يا الله تؤججني ولا أقدر أن أسكت. الحق أقول: إن ابن إبراهيم هو إسماعيل الذي يجب أن يأتي من سلالته مسيا الموعود به إبراهيم أن به تتبارك كل قبائل الأرض

فلما سمع هذا رئيس الكهنة حنق وصرخ: لنرجم هذا الفاجر؛ لأنه إسماعيلي، وقد جدف على موسى وعلى شريعة الله

ثالثاً:- أنه نقل عن المسيح التصريح بالبشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم باسمه وذلك في مواطن عدة من كتابه منها: أن اليهود سألوا المسيح عليه السلام عن اسم النبي المنتظر فقال: (فقال الكاهن حينئذ: ماذا يسمى مسيا، وما هي العلامة التي تعلن مجيئه ؟ فأجاب يسوع: إن اسمه المبارك (محمد). حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يا الله، أرسل لنا رسولك، يا محمد، تعال سريعاً لخلاص العالم.

وأورد أيضاً برنابا حواراً تمَّ بينه وبين المسيح عليه السلام بعد أن رفع إلى السماء، ثم عاد مرة أخرى ليطمئن أمه وحوارييه بأنه لم يمت، ثم ارتفع مرة أخرى إلى السماء، وهذا نصه: (فقال حينئذ الذي يكتب: يا معلم إذا كان الله رحيماً فلماذا عذبنا بهذا المقدار بما جعلنا نعتقد أنك كنت ميتاً، ولقد بكتك أمك حتى أشرفت على

الموت، وسمح الله أن يقع عليك عار القتل بين اللصوص على جبل الجمجمة وأنت قدوس الله ؟

أجاب يسوع: صدقني يا برنابا إن الله يعاقب على كل خطيئة- مهما كانت طفيفة- عقاباً عظيماً؛ لأن الله يغضب من الخطيئة، فلذلك لما كانت أمي وتلاميذي الأمناء الذين كانوا معي أحبوني قليلاً حبًّا عالميًّا، أراد الله البر أن يعاقب على هذا الحب بالحزن الحاضر حتى لا يعاقب عليه بلهب الجحيم، فلماذا كان الناس قد دعوني الله وابن الله على أني كنت بريئاً في العالم، أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا، معتقدين أنني أنا الذي مت على الصليب؛ لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة، وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله، الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله .

رابعاً: أن برنابا صرَّح أن المسيح لم يُصلب، وإنما رُفع إلى السماء، وأن الذي صلب هو يهوذا الإسخريوطي، وهو الذي وشى بالمسيح لدى اليهود، حيث أُلقِي عليه شبه المسيح، فقبض عليه وصلب بدلاً عن المسيح عليه السلام.

- وهذا نص كلامه

ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع، سمع يسوع دنو جم غفير، فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً، وكان الأحد عشر نياماً، فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم، فجاء الملائكة الأطهار، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب، فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد

ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع، وكان التلاميذ كلهم نياماً

فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغيّر يهوذا في النطق وفي الوجه، فصار شبيها بيسوع حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع، أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم، لذلك تعجبنا وأجبنا: أنت يا سيد هو معلمنا أنسيتنا الآن ؟

أما هو فقال متبسماً: هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا الإسخريوطي.

• (وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا؛ لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه

وبعد أن ذكر محاكمة يهوذا وجلده من قبل اليهود والوالي الروماني وهم يظنون أنه يسوع قال: (وأُسْلِمَ يهوذا للكتبة

• والفريسيين كأنه مجرم يستحق الموت، وحكموا عليه بالصلب وعلى لصين معه

(فقادوه إلى جبل الجمجمة حيث اعتادوا شنق المجرمين، وهناك صلبوه عرياناً مبالغة في تحقيره

هذه أهم مبادئ هذا الكتاب الذي أحدث بمبادئه وقت ظهوره دويًّا لدى النصارى، أما نحن المسلمين فلا يقدم عندنا هذا الكتاب ولا يؤخر، فنحن مطمئنون لكتاب ربنا الذي بين أيدينا نعرف به الحق، وعلى ضوئه نقيس الحق

لقد وردت سيرة إبراهيم عليه السلام في إنجيل برنابا وذكر عنه ما لم يذكره العهد القديم وطابق في بعض ما قاله القرآن الكريم أحيانا وخالفه في بعض ماقاله ، كما تكرر ذكر عهد الله لإبراهيم ونسله في إنجيل برنابا ، ما هو هذا العهد ؟ ولمن هو ؟

وعلى ما يذكر إنجيل برنابا فإن إبراهيم (عليه السلام)بدأ في البحث عن إلهه وهو ابن سبع سنين فصل 26 : 18 ـ 69 " فمتى كان أبوك أو أمك حجر عثرة لك في خدمة الله فانبذهم كأنهم أعداء . ألم يقل الله لإبراهيم [أخرج من بيت أبيك وأهلك وتعال أسكن في الأرض التي أعطيها لك ولنسلك] .ولماذا قال الله ذلك ؟ أليس لأن أبا إبراهيم كان صانع تماثيل يصنع ويعبد آلهة كاذبة ؟

لذلك بلغ العداء بينهما حدا أراد معه الأب أن يحرق ابنه . . . كان إبراهيم ابن سبع سنين لما ابتدأ يطلب الله .فقال يوما لأبيه [يا أبتاه من صنع الإنسان ؟]. أجاب الوالد الغبي [الإنسان .لأني أنا صنعتك وأبي صنعني] . فأجاب إبراهيم [يا أبي ليس الأمر كذلك .لأني سمعت شيخا ينتحب ويقول "يا إلهي لماذا لم تعطني أولادا "]. أجاب أبوه [حقا يا بني الله يساعد الإنسان ليصنع إنسانا ولكنه لا يضع يده فيه . فلا يلزم الإنسان إلا أن يتقدم ويضرع إلى إلهه ويقدم له حملانا وغنما يساعده إلهه].أجاب إبراهيم [كم إلها هنالك يا أبي ؟].أجاب الشيخ [لا عدد لهم يا بني]. فحينئذ أجاب إبراهيم [ماذا أفعل يا أبي إذا خدمت إلها وأراد بي الآخر شرا لأني

لا أخدمه ؟ ومهما يكن من الأمر فإنه يحصل بينهما شقاق ويقع الخصام بين الآلهة .ولكن إذا قتل الإله الذي يريد بي شرا إلهي فماذا أفعل ؟ من المؤكد أنه يقتلني أنا أيضا ؟]

فأجاب الشيخ ضاحكا [لا تخف يا بني لأنه لا يخاصم إله إلها . كلا فإن في الهيكل الكبير ألوفا من الآلهة مع الإله الكبير بعل . وقد بلغت الآن سبعين سنة من العمر ومع ذلك فإني لم أر قط إلها ضرب إلها آخر . ومن المؤكد أن الناس كلهم لا يعبدون إلها واحدا . بل يعبد واحد إلها وآخر آخر .]أجاب إبراهيم [فإذا يوجد وفاق بينهم؟] أجاب أبوه [نعم يوجد] .فقال حينئذ إبراهيم [يا أبي أي شيء تشبه الآلهة ؟] وأجاب الشيخ [يا غبي إني كل يوم أصنع إلها وأبيعه لآخرين لأشتري خبزا وأنت لا تعلم كيف تكون الآلهة !] . وكان في تلك الدقيقة يصنع تمثالا . فقال [هذا من خشب النخل وذاك من الزيتون وذلك التمثال الصغير من العاج . أنظر ما أجمله ألا يظهر كأنه حي . حقا لايعوزه إلا النفس]. أجاب إبراهيم [إذا يا أبي ليس للآلهة نفس فكيف يهبون الأنفاس ؟ ولما لم تكن لهم حياة فكيف يعطون إذا الحياة ؟ فمن المؤكد يا أبي أن هؤلاء ليسوا هم الله]. فحنق الشيخ لهذا الكلام قائلا [لو كنت بالغا من العمر ما تتمكن معه من الإدراك لشججت رأسك بهذه الفأس . ولكن اصمت إذ ليس لك إدراك .]أجاب إبراهيم [يا أبي إن كانت الآلهة تساعد على صنع الإنسان فكيف يتأتى للإنسان أن يصنع آلهة ؟وإذا كانت الآلهة مصنوعة من خشب فإن إحراق الخشب خطيئة كبرى .ولكن قل لي يا أبت كيف وأنت صنعت آلهة هذا عديدها لم تساعدك الآلهة لتصنع أولادا كثيرين فتصير أقوى رجل في العالم ؟]فحنق الأب لما سمع ابنه يتكلم هكذا . فأكمل الابن قائلا [يا أبت . هل وجد العالم حينا من الدهر بدون بشر ؟] أجاب الشيخ [نعم ولماذا ؟] قال إبراهيم [لأني أحب أن أعرف من صنع الإله الأول] .فقال الشيخ [انصرف الآن من بيتي ودعني أصنع هذا الإله سريعا ولا تكلمني كلاما .فمتى كنت جائعا فإنك تشتهي خبزا لا كلاما]. فقال إبراهيم [إنه لإله عظيم فإنك تقطعه كما تريد وهو لا يدافع عن نفسه !]فغضب الشيخ وقال [العالم بأسره يقول أنه إله وأنت أيها الغلام الغبي تقول كلا . فو آلهتي لو كنت رجلا لقتلتك]. ولما قال هذا ضرب إبراهيم ورفسه وطرده من البيت .

ولم يرد في العهد القديم ما يبين طرد أبو إبراهيم له .ولكنه ذكر أمر الله له "وقال الرب لإبرام انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض التي أريك ."(تكوين 12 :1)،بل يذكر أن تارح (أبو إبراهيم في العهد القديم) .اصطحب إبراهيم إلى حاران (تكوين 11 :31)

بينما ورد في القرآن الكريم " واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون .للشيطان وليا قال أ راغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا "(مريم :41 . 46)

وفي الفصل 27 :14 . 22 وفصل 28 يروي إنجيل برنابا ما حدث بينه وبين قومه وتحطيمه لأصنامهم " لما بلغ إبراهيم اثنتي عشر سنة من العمر قال أبوه يوما ما [غدا عيد كل الآلهة . فلذلك سنذهب إلى الهيكل الكبير ونحمل هدية لإلهي بعل العظيم . وأنت تنتخب لنفسك إلها .لأنك بلغت سنا يحق لك معه إتخاذ إله فأجاب إبراهيم بمكر [سمعا وطاعة يا أبي]. فبكّرا في الصباح إلى الهيكل قبل كل أحد . ولكن إبراهيم كان يحمل تحت صدرته فأسا مستورة . فلما دخلا الهيكل وازداد الجمع خبّأ إبراهيم نفسه وراء صنم في ناحية مظلمة من الهيكل .فلما انصرف أبوه ظن أن إبراهيم سبقه إلى البيت ولذلك لم يمكث ليفتش عليه .ولما انصرف كل أحد من الهيكل أقفل الكهنة الهيكل وانصرفوا .فأخذ إبراهيم إذ ذاك الفأس وقطع قوائم جميع الأصنام إلا الإله الكبير بعلا . فوضع الفأس عند قوائمه بين جذاذ التماثيل التي تساقطت قطعا لأنها كانت قديمة العهد ومؤلفة من أجزاء . ولما كان إبراهيم خارجا من الهيكل رآه جماعة من الناس فظنوا أنه دخل ليسرق شيئًا من الهيكل فأمسكوه . ولما بلغوا به الهيكل ورأوا آلهتهم محطمة قطعا صرخوا منتحبين [اسرعوا يا قوم ولنقتل الذي قتل آلهتنا] .فهرع إلى هناك نحو عشرة آلاف رجل مع الكهنة وسألوا إبراهيم عن السبب الذي لأجله حطّم آلهتهم .أجاب إبراهيم إنكم لأغبياء .أيقتل الإنسان الله .إن الذي قتلها إنما هو الإله الكبير.ألا ترون الفأس التي له

عند قدميه .إنه لا يبتغي أندادا] .فوصل حينئذ أبو إبراهيم الذي ذكر أحاديث إبراهيم في آلهتهم .وعرف الفأس التي حطم بها إبراهيم الأصنام .فصرخ [إنما قتل آلهتنا ابني الخائن هذا لأن هذه الفأس فأسي]. وقص عليهم كل ما جرى بينه وبين ابنه . فجمع القوم مقدارا كبيرا من الحطب . وربطوا يدي إبراهيم ورجليه . ووضعوه على الحطب ووضعوا نارا تحته .فإذا الله قد أمرالنار بواسطة ملاكه جبريل ألا تحرق عبده إبراهيم . فاضطرمت النار باحتدام وحرقت نحو ألفي رجل من الذين حكموا على إبراهيم بالموت . أما إبراهيم فقد وجد نفسه مطلق السراح إذ حمله ملاك الله إلى مقربة من بيت أبيه دون أن يرى من حمله .وهكذا نجا إبراهيم من الموت .

ويستطرد إنجيل برنابا في الفصل 29 ليستكمل ما حدث بعد ذلك فيقول " لما بلغ إبراهيم جوار بيت أبيه خاف أن يدخل البيت . فانتقل إلى بعد البيت وجلس تحت شجرة نخل حيث لبث منفردا . وقال [لابد من وجود إله ذي حياة وقوة أكثر من الإنسان لأنه يصنع الإنسان.والإنسان بدون الله لا يقدر أن يصنع الإنسان] .حينئذ التفت حوله وأجال نظره في النجوم والقمر والشمس فظن أنها هي الله .ولكن بعد التبصر في تغيراتها وحركاتها قال [يجب ألا تطرأ على الله الحركة ولا تحجبه الغيوم وإلا فني الناس].وبينما هو متحير سمع اسمه ينادى [يا إبراهيم] .فلما التفت ولم ير أحدا في جهة قال [إني قد سمعت يا إبراهيم]. ثم سمع كذلك اسمه ينادى مرتين أخريين [يا إبراهيم] . فأجاب [من يناديني ؟] حينئذ سمع قائلا يقول [إنه أنا ملاك الله جبريل]. فارتاع إبراهيم ولكن الملاك سكّن روعه قائلا [لا تخف يا إبراهيم لأنك خليل الله ، فإنك لما حطّمت آلهة الناس تحطيما . اصطفاك إله الملائكة والأنبياء حتى إنك كتبت في سفر الحياة] . حينئذ قال إبراهيم [ماذا يجب أن أفعل لأعبد إله الملائكة والأنبياء الأطهار ؟ فأجاب الملاك [إذهب إلى ذلك الينبوع واغتسل .لأن الله يريد أن يكلمك] . فأجاب إبراهيم [كيف ينبغي أن أغتسل ؟] فتبدّى له حينئذ الملاك يافعا جميلا واغتسل من الينبوع قائلا [افعل كذلك بنفسك يا إبراهيم] . فارتقى إبراهيم الجبل كما قال له الملاك .ولما جثا على ركبتيه قال لنفسه [متى يا ترى يكلمني إله الملائكة ؟] فسمع صوتا لطيفا يناديه [يا إبراهيم]. فأجاب إبراهيم [من يناديني؟]فأجاب الصوت [أنا إلهك يا إبراهيم] . أما إبراهيم فارتاع وعفّر بوجهه الأرض قائلا [كيف يصغي عبدك إليك وهو

تراب ورماد ؟] حينئذ قال الله [لا تخف بل انهض لأني قد اصطفيتك عبدا لي وإني أريد أن أباركك وأجعلك شعبا عظيما .فاخرج إذا من بيت أبيك وأهلك وتعالى أسكن في الأرض التي أعطيكها أنت ونسلك .] فأجاب إبراهيم [إني لفاعل كل ذلك يا رب ولكن أحرسني لكيلا يضرني إله آخر .] فتكلم الله قائلا [أنا الله أحد .ولا إله غيري .أضرب وأشفي . أميت وأحيي . أنزل الجحيم وأخرج منه . ولا يقدر أحد أن ينقذ نفسه من يدي .] ثم أعطاه الله عهد الختان وهكذا عرف الله أبونا إبراهيم

أي أن إنجيل برنابا يجعل عهد الختان سابقا لهجرة إبراهيم إلى الأرض المباركة .ويأتي ذكر الختان وأصله في الفصل 23 من إنجيل برنابا ومما جاء به "إلا أنه لم يكن في زمن إبراهيم سوى النزر اليسير من المختونين على الأرض . لأن عبادة الأوثان تكاثرت على الأرض . وعليه فقد أخبر الله إبراهيم بحقيقة الختان . وأثبت هذا العهد قائلا [النفس التي لاتختتن جسدها إياها أبدد من بين شعبي إلى الأبد] . فارتجف التلاميذ خوفا من كلمات يسوع لأنه تكلم باحتدام الروح . ثم قال يسوع [دعوا الخوف للذي لم يقطع غرلته لأنه محروم من الفردوس]"والإشارة إلى ما ورد في أشعيا 52 :1 .

ويروي القرآن الكريم تأمل إبراهيم لملكوت الله في سورة الأنعام :75 . 81 " وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هداني ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئًا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون *وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أن إبراهيم عليه السلام قد إهتدى لله قبل أن يحاول قومه إحراقه ، بخلاف ما جاء به إنجيل برنابا .

وفي القرآن الكريم أيضا (الأنعام :51 . 71) "ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال

مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أ أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطق فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أ فتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئًا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أ فلا تعقلون قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين ونجّيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) . "

كما ورد في سورة الشعراء : 69 . 89 " واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعوكم إذ تدعون أو ينفعوكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أ فرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ويحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئاتي يوم الدين رب هب لي حكما والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي إنه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ") . كما ورد في سورة العنكبوت :16 . 18 "وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون وإن تكذبوا فقد كذّب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين) . " . كذا جاء في سورة الصافات 83 . 99 "وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أإفكا دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبلوا إليه يزفون قال أ تعبدون ما

تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين وقال (إني ذاهب إلى ربي سيهدين) .

قصة ابراهيم عليه السلام في التلمود

لكننا نجد في التلمود بعض القصص التي تتناول حياة إبراهيم وتوضح بعضا من دينه فمنه أنه ولد في كهف وظل به لحين بلوغه ثلاثة عشر سنة وفي رواية أخري للتلمود أقل من ذلك . وتذكر إحدى الروايات أنه خرج من الكهف ليلا فرأى النجوم فقال هذه هي الأرباب .فلما أشرقت الشمس قال :كلا بل هذه هي الرب .فلما أفلت وظهر القمر قال بل هو هذا . . فلما أفل قال : ما هذه بأرباب إنما الرب المعبود هو الذي يديرها ويسيرها ويبديها ويخفيها .

وفي رواية أخرى أن أمه خرجت تتفقده بعد عشرين يوما من مولده فوجدت صبيا نائما أنبأها أنه هو إبراهيم .. وقال لها عندما تعجبت : إنها قدرة الله الذي يرى ولا يرى

كما يروي التلمود أنه بدأ بالدعوة لله عند ذاك : الإله الأحد الذي لا إله غيره :رب السماوات ورب الأرباب ورب النمرود . وأنذرهم أن يتركوا عبادة الصنم الذي صنعوه على مثال النمرود . فإن له فما ولكنه لا ينطق ، وعينا لكنه لا يبصر وأذنا ولكنه لايسمع ، وقدما ولكنه لايسعى ولا ينفع نفسه ولا يغني عن غيره شيئًا .كما يروي أنه أمسك بعرش النمروذ وصاح به :أيها الشقي ! إنك تنكر الله الحي الصمد وتنكر عبده إبراهيم خادم بيته الأمين .

كما يروي أن أبو إبراهيم كان مثالا يصنع الأصنام ، وأن إبراهيم اهتدى إلى ضلال هذه العبادة لأنه رأى أباه يصنعها ويصلحها ، وكان يبيعها لأبيه ، فعجب للذين يشترونها كيف يعبدون صنما مصنوعا بالأمس ومنهم من جاوز الخمسين .

ورأى إبراهيم يوما الأصنام تحترق فقال لأبيه " يا أبت ! إن النار أحق بعبادتك من أصنامك لأنها تحرقها "،ثم قال "بيد أني لا أحسب النار إلها لأن الماء يخمدها ، ولا أحسب الماء إلها لأن الأرض تبتلعه ، ولا أحسب الأرض إلها لأن الشمس تجففها وتنشر على الكون كله أشعتها ، ولا أحسب الشمس إلها لأن الظلام يحجبها ، ولا أحسب القمر والنجوم التي تظهر في الظلام آلهة لأنها تحتجب عند طلوع النهار ، وإنما الإله القدير على كل شيء هو خالق الشمس والقمر والكواكب والأرض وما عليها ،وخالقي وهادي إلى الحق المبين " .كما يروي التلمود أنه أهوى بقدوم على الأصنام فحطمها ووضع القدوم في يد كبيرها ، وعندما حضر أبوه على صوت التحطيم وسأله " ماذا دهاها ؟" قال "هذا أنحى عليها فكسرها ولا يزال القدوم في يديه " فصاح به أبوه "إنك تكذب فما في وسع هذا الصنم أن يفعل ما زعمت " . قال إبراهيم " عجبا لك يا أبتاه تعبد هذه العجزة التي لاتقدر على ضرر ولا نفع " ثم وثب على الصنم الكبير فأخذ القدوم من يده وضربه فألقاه ، وهرب من وجه أبيه .

وفي مدراش رباه وهي من أجزاء التلمود : أن أباه حنق عليه حين كسر الأصنام فخاصمه إلى النمروذ فسأله النمروذ [إن كنت لا تعبد الصور والمشبهات فلماذا لاتعبد النار ؟] قال إبراهيم [أولى من عبادة النار أن أعبد الماء الذي يطفئها]قال النمروذ [فأعبد الماء إذن ؟] قال إبراهيم [بل أولى من عبادة الماء أن أعبد السحاب الذي يحمله] قال النمروذ [إذن تعبد السحاب . .] قال إبراهيم [وأولى من السحاب بالعبادة ريح تبدده وتسير به من فضاء إلى فضاء]قال النمروذ [فما لك لا تعبد الريح ؟]قال إبراهيم [إن الإنسان يحتويها بأنفاسه فهو إذن أحق منها بالعبادة] . ومفاد الحوار أن الإنسان عندما ينظر في خلق الله يدرك أن هناك خالقا قديرا لايضيره شيء.

عند ذاك أمر النمروذ بسجنه سنة بدون ماء ولا طعام ولم يمت ، وضرب عنقه بالسيف فلم يعمل فيه السيف فأمر أحد أعوانه بإحراقه فخرج من الأتون لسان نار وإلتهم الجلاد ولم يقترب من إبراهيم . فاتفقوا على احراقه بإلقائه في النار بمنجنيق ،فضرع الملائكة إلى الله أن ينجيه فأذن لهم أن يعملوا لنجاته ما يستطيعون ، ولكنه أبى أن يعتمد في نجاته على أحد غير الله ، وإذا بالجمر من حوله كأنه فراش من الورد والريحان ..

وفي أحد مرويات التلمود أن تارح (أبوه حسب قول العهد القديم والتلمود)احترق بالنار حين اقترب منها ،ولكن هناك مرويات أخرى تناقض ذلك .

ويلاحظ أن النمروذ كنعاني وبالتالي يستحيل أن يكون له علاقة ما بموضوع محاولة احراق إبراهيم عليه السلام ، ولكن كان هناك حوار بين إبراهيم عليه السلام وآخر يغلب على الظن أنه النمروذ ،أورده القرآن الكريم في قوله تعالى " ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت قال أنا أحي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين "(البقرة) .

كما يبرأ إنجيل برنابا إبراهيم عليه السلام مما يتهمه به العهد القديم من كونه ديوثا قدّم زوجته سارة لفرعون مصر رغبة في المنفعة "قال لساراي امرأته . . فقولي إنك أختي حتى يحسن إلي بسببك وتحيا نفسي من أجلك. .ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة إلى بيته. فأحسن إلى أبرام (إبراهيم)بسببها فصار له غنم وبقر . . ."(تكوين 12 :11 . 16) فيقول "فرعون أخذ زوجته " فلم يكن هو من أعطاها له .

وهناك إجماع على أن بكر إبراهيم هو إسماعيل عليهما السلام ففي القرآن الكريم " ربي هب لي من الصالحين فبشّرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا تري قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشّرناه باسحاق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحاق " (سورة الصافات : 100 . 113) والمراد بالغلام الحليم إسماعيل وكونه قد بلغ معه السعي يعني أنه كان في حوالي العاشرة من عمره وتشير الآيات أن الله جازى إبراهيم على أنه رضي بتقديم ابنه البكر الوحيد آنذاك للذبح وبدأ فعلا بالتنفيذ ،بأن حفظ عليه ابنه وفداه بذبح عظيم ،وجعله نبيا رسولا. وأمرنا بالدعاء لإبراهيم وكل متبعي دينه في كل صلاة (حيث أن المسلمين هم المرادون بقوله تعالى "الآخرين " وبشره بإسحاق عليه السلام كما بارك

عليه فجعل إسماعيل نبيا رسولا ، وجعل من نسله النبي صلى الله عليه وسلم وبارك على إسحاق فجعل من نسله يعقوب ومن نسل الأخير يوسف(الوحيد من بني البشر نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي)عليهم جميعا السلام علاوة على أنبياء أخر . وأغلب مناسك الحج مأخوذة عن قصة إبراهيم عليه السلام.

وفي العهد القديم "وكان أبرام ابن ستة وثمانين سنة حين ولدت هاجر إسماعيل لأبرام"(تكوين 16 :16) بينما ولد إسحاق ولإبراهيم(عليهما السلام) من العمر مائة سنة (تكوين 21 :5)أي أنه يكبره بأربعة عشر عاما .أما إنجيل برنابا فيقول أنه يكبره بسبع سنوات (فصل 44 :11).

ذكرنا أول عهد منحه الله لإبراهيم وهو يأمره بترك بيت أبيه (تكوين 12 :1) ويأتي عهد آخر في سفر التكوين 15 :18 " في ذلك اليوم بتّ الرب مع إبراهيم عهدا قائلا لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات " وهذين العهدين تمّا قبل ميلاد إسحاق مما يعني أن المقصود بهما إسماعيل عليه السلام .

ويأتي ذكر لعهد في سفر التكوين 17 :1 ـ 21 " لما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة . . وقال له أنا الله القدير اسلك أمامي وكن كاملا . فاجعل عهدي بيني وبينك. . . . وأقيم عهدي بيني وبين نسلك من بعدك وأعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع أرض كنعان ملكا مؤبدا وأكون لهم الها . . . . وأنت فاحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك مدى أجيالهم . . . هذا هو عهدي الذي تحفظونه ابن ثمانية أيام يختن كل ذكر منكم مدى أجيالكم المولود في منازلكم والمشترى بفضة من كل غريب ليس من نسلكم . يختن المولود في بيتك والمشتري بفضتك فيكون عهدا مؤبدا . وأي أقلف من الذكور لم تختن القلفة من بدنه تقطع تلك النفس من شعبها اذ نقض عهدي. . . . سارة امرأتك ستلد لك ابنا وتسميه اسحاق في مثل هذا الوقت من قابل " ويفهم من هذا الاصحاح على اجماله أن العهد ليس مطلقا بل مشروطا فشريطته المبدئية أن يكون ابراهيم (عليه السلام) كاملا وأ ن يتخذ الله الها هو ونسله من بعده وأن يختتن ذكورهم وذكور الغرباء فمن لم يختتن سواء كان من نسله أو من الغرباء يخرج من عداد شعب الله ومن يتبع الشروط الواردة يظل في شعب الله وان لم يك من نسل ابراهيم عليه السلام . أي أن هذا العهد أيضا تم قبل ميلاد اسحاق عليه السلام .ولكن يلاحظ

أنه قصر المكان الموعود على أرض كنعان (فلسطين كما كانت قبل إحتلال إسرائيل على وجه التقريب) ويشير هذا لأن هناك عهدين بأرض وليس عهدا واحدا .

يذكر القرآن الكريم أن البشارة بإسحاق تزامنت مع تدمير قوم لوط (الحجر : 51 . 60) وهو ما نجده أيضا في سفر التكوين الاصحاح 18 :10 . 19 على لسان الملائكة الذين أرسلوا لتدمير قوم لوط " في مثل هذا الوقت من قابل وسيكون لسارة امرأتك ابن . . . فقال الرب . . . وابراهيم سيكون أمة كبيرة مقتدرة ويتبارك به جميع أمم الأرض . وقد علمت أنه سيوصي بنيه وأهله من بعده بأن يحفظوا طريق الرب ليعملوا بالبر والعدل حتى ينجز الرب لابراهيم ما وعـده به " أي أن هذا النص يؤكد كون العهد بالنبي الذي تتبارك به قبائل الأرض قد منح قبل ميلاد إسحاق عليه السلام وارتباط العهد بالعمل الصالح .

وفي سفر االتكوين الاصحاح 22 : 16 . 18 "" بذلتي أقسمت يقول الرب اني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطىء البحر ويرث نسلك باب أعدائه ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض . من أجل أنك سمعت لقولي " والمراد من هذا أن الله سيبارك نسله ويبارك به قبائل الأرض لأنه رضي بتقديم ابنه الوحيد للذبح (اسماعيل كما يفهم مما سبق) حيث لا يمكن أن يكون غير البكر وحيدا.

هنا يكتمل الابتلاء فقد قدّم ابراهيم عليه السلام ابنه الوحيد للذبح ، والذي لا يرجو له من عوض فقد بلغت زوجتاه سن اليأس ، وقد شاخ وطعن في السن ، امتثالا لأمر الله تعالى لذا منحه الله تعالى هذا الجزاء العظيم . ولا ينتقص من ذلك ما نص عليه سفر التكوين 22 :2 "قال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق" فمن غير المعقول أن يحب رجل أحد أبنائه دون الآخرين ناهيك أن يكون هذا الرجل نبيا في مثل قدر إبراهيم عليه السلام بل من الواضح من " فقال إبراهيم لله لو أن إسماعيل يحيا بين يديك "(تكوين 17 :18) مدى حب إبراهيم عليه السلام لابنه إسماعيل فالأجدر بالظن إذا أن كلمة إسحاق مضافة للنص. كذا فلو كان لإبراهيم عليه السلام ابنان أمر بذبح أحدهما فلن يكون لما فعله نفس المعنى لكونه أقدم على ذبح ابنه البكر الوحيد . ومع ملاحظة أنه

على حسب ما جاء في تكوين 12 :1 – 3 بأنه سيكون أمة كبيرة ويتبارك به كل قبائل الأرض ، وما جاء في تكوين 17 :4 . 9 بأنه سيكون أبا لجمهور أمم وذلك قبل ميلاد إسحاق فإذا كان قدأمره بعد ذلك بذبح إسحاق فهناك كان سيعلم إبراهيم بأن الله سينقذ إسحاق بطريقة أو ما فلا مجال للخوف فلا إحتمال أن يموت إسحاق ذبحا أو بأي طريقة أخرى قبل أن يكون له نسل وبالتالي فإنه لن يكون ثمة إبتلاء فيما فعل إبراهيم ليستحق عليه الجزاء العظيم. مما يجعل الظن يتجه إلى أن المكان الأصلي لأمر إبراهيم بذبح ابنه سابق على العهود المثبتة في سفر التكوين . وأنه قد عدلت بعض ألفاظه.وهو ما يشير بلا شك أن الذي كان سيذبح هو اسماعيل عليه السلام ، وأن من نسله النبي الذي يبارك به الله قبائل الأرض .يذكر إنجيل برنابا فصل 44 :1 . 12 " حينئذ قال التلاميذ [يا معلم هكذا كتب في كتاب موسى أن العهد صنع بإسحاق] .أجاب يسوع متأوها [هذا هو المكتوب . ولكن موسى لم يكتبه ولا يشوع .بل أحبارنا الذين لا يخافون الله .الحق أقول لكم أنكم إذا أعملتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا . لأن الملاك قال[يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله . ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله . حقا عليك أن تفعل شيئًا لأجل محبة الله] . أجاب إبراهيم [ها هو عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله] . فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلا [خذ ابنك بكرك إسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة] .فكيف يكون إسحاق البكر وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين . فقال حينئذ التلاميذ[إن خداع الفقهاء لجلي]" . ويبدو أن النص كان على هذه الصورة في أيام المسيح عليه السلام .فلا يمكن لكاتب إنجيل برنابا أن يستدل بنص غير موجود .

ومن واقعة الذبح سنت اقتداءا به في شريعة موسى عليه السلام أن تقدم ذبيحة عن كل ذكر بكر " قدس لي كل ذكر فاتح رحم . . " (خروج 13 :2) و "وافدي كل بكر من أولادي "(خروج 13 :15)كما سنت ذبيحة الفصح "كلما كل جماعة إسرائيل قائلين في العاشر من هذا الشهر يأخذون كل واحد شاة بحسب بيوت الآباء . . هو فصح للرب "(خروج 11 :3 و 13 :1 وغيرها)وفي شريعة النبي صلى الله عليه وسلم سنت اقتداءا بها الأضحية. . . والعقيقة .

ويأتي ذكر إبراهيم عليه السلام في إنجيل برنابا فصل 191 :3 . 10 " فقال من ثم الكاتب :[لقد رأيت كتيبا قديما مكتوبا بيد موسى ويشوع (الذي أوقف الشمس كما قد فعلت) خادمي ونبيي الله .وهو كتاب موسى الحقيقي .ففيه مكتوب أن إسماعيل هو أب لمسيا و إسحاق أب لرسول مسيا .وهكذا يقول الكتاب أن موسى قال (أيها الرب إله إسرائيل القدير الرحيم إظهر لعبدك في سناء مجدك . فأراه الله من ثم رسوله على ذراعي إسماعيل وإسماعيل على ذراعي إبراهيم . ووقف على مقربة من إسماعيل إسحاق وكان على ذراعيه طفل يشير بإصبعه إلى رسول الله قائلا :[هذا هو الذي لأجله خلق الله كل شيء] .فصرخ من ثم موسى بفرح [يا إسماعيل إن في ذراعيك العالم كله والجنة .أذكرني أنا عبد الله لأجد نعمة في نظر الله بسبب ابنك الذي لأجله صنع الله كل شيء]"

لقد أبتلي إبراهيم عليه السلام بأمره بترك بيت أبيه في صباه وهو بحكم سنه في أشد الحاجة لمن يرعاه فقبل، وها هو يبتلى وقد بلغ من العمر ما بلغ وهو في أشد الحاجة لابن يرعاه في شيخوخته ويحفظ اسمه بعد مماته بالأمر بذبحه وهو مع هذا يقبل أيضا .

ولا نجد في إنجيل برنابا أي ذكر للكعبة ولفاران (الاسم القديم لمكة المكرمة) وإن كان يمكن القول أنها ما أشار إليه بقوله "مدينة الآباء "(فصل 72 :23) .كما لا نجد به معجزة إحيائه للطير بإذن الله والتي ذكرها القرآن الكريم (البقرة :260)ولا نجد في العهد القديم الكثير عن دين إبراهيم (عليه السلام) وقد ورد به أن من يدعى ملكي صادق وهو كاهن لله العلي على ما يقول العهد القديم قد باركه "وأخرج ملكيصادق ملك شليم خبزا وخمرا لأنه كان كاهنا لله العلي .وباركه وقال مبارك ابرام من الله العلي مالك السماوات والأرض وتبارك الله العلي"(تكوين 14: 18 . 20)ولا سبب أمره بترك منزل أبيه.

ولإسحاق عليه السلام ولد ابنان عيسو ويعقوب عليه السلام (تكوين 25 :25 ، 26) وعندما كبر يعقوب عليه السلام ومنح النبوة سمي اسرائيل(أي عبد الله) وولد ليعقوب عليه السلام اثنى عشر ابنا منهم لاوي(ومن نسله موسى وهارون عليهما السلام) ومنهم يهوذا (ومن نسله داوود وسليمان عليهما السلام

) ومنهم يوسف عليه السلام . ولحق يعقوب عليه السلام وأبناؤه بيوسف عليه السلام في مصر وتكاثروا بها وأصبح نسل كل من أبنائه الاثنى عشر سبطا دعي باسم أبيه في عصر موسى عليه السلام ، وأصبح بنواسرائيل شعبا وأسماهم العهد القديم "إسرائيل " .

ولقد علمنا مما سبق أن هناك عهدا من الله لإبراهيم بنبي من نسل ابنه الذي كان سيذبحه (إسماعيل كما سبق وبيّنا وقد صارت تذكرة بني إسرائيل بهذا النبي يقول الله تعالى " وإختارموسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل و إياي اتهلكنا بما فعله السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا و إرحمنا و انت خير الغافرين و اكتب لنا في هذه الدنيا حسنة و في الاخرة انـّا هدنا اليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه و اتّبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون " (سورة الأعراف : 155 –157) . ومعنـــى . هدنا اليك . في الآية 156 ، عدنا اليك . ومنها سمي بنو اسرائيل يهودا . وللكلمة العبرية ذات المدلول .

تتمة قصة ابراهيم عليه السلام

في التوراة

أرض الميعاد

[1]وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ : « اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ . .

[4]فَذَهَبَ أَبْرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ وَذَهَبَ مَعَهُ لُوطٌ. وَكَانَ أَبْرَامُ ابْنَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً لَمَّا خَرَجَ مِنْ حَارَانَ. [5]فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ امْرَأَتَهُ، وَلُوطًا ابْنَ أَخِيهِ، وَكُلَّ مُقْتَنَيَاتِهِمَا الَّتِي اقْتَنَيَا وَالنُّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ. وَخَرَجُوا لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ .

وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ» . فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ.

السفر الى مصر

[10]وَحَدَثَ جُوعٌ فِي الأَرْضِ، فَانْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ، لأَنَّ الْجُوعَ فِي الأَرْضِ كَانَ شَدِيدًا . [11]وَحَدَثَ لَمَّا قَرُبَ أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ أَنَّهُ قَالَ لِسَارَايَ امْرَأَتِهِ: «إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ . [12]فَيَكُونُ إِذَا رَآكِ الْمِصْرِيُّونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هذِهِ امْرَأَتُهُ. فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَبْقُونَكِ. [13]قُولِي إِنَّكِ أُخْتِي، لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكِ وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ أَجْلِكِ» .

[14]فَحَدَثَ لَمَّا دَخَلَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ رَأَوْا الْمَرْأَةَ أَنَّهَا حَسَنَةٌ جِدًّا . [15]وَرَآهَا رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ وَمَدَحُوهَا لَدَى فِرْعَوْنَ، فَأُخِذَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ، [16]فَصَنَعَ إِلَى أَبْرَامَ خَيْرًا بِسَبَبِهَا ، وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ وَأُتُنٌ وَجِمَالٌ . [17]فَضَرَبَ الرَّبُّ فِرْعَوْنَ وَبَيْتَهُ ضَرَبَاتٍ عَظِيمَةً بِسَبَبِ سَارَايَ امْرَأَةِ أَبْرَامَ. [18]فَدَعَا فِرْعَوْنُ أَبْرَامَ وَقَالَ: «مَا هذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِي؟ لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّهَا امْرَأَتُكَ؟ [19]لِمَاذَا قُلْتَ: هِيَ أُخْتِي، حَتَّى أَخَذْتُهَا لِي لِتَكُونَ زَوْجَتِي؟ وَالآنَ هُوَذَا امْرَأَتُكَ! خُذْهَا وَاذْهَبْ!» . [20]فَأَوْصَى عَلَيْهِ فِرْعَوْنُ رِجَالاً فَشَيَّعُوهُ وَامْرَأَتَهُ وَكُلَّ مَا كَانَ لَهُ.

يظهر من هذه النصوص التوراتية كيف أن كتابها لا يعيرون أي اعتبار للأنبياء والمرسلين فهم يتحدثون عن جمال زوجة نبي الله وهي والدة نبي الله أسحاق كما يتحدث النص عن خديعة ابراهيم عليه السلام لفرعون مصر مدعيا ان سارة هي أخته وليست زوجته مما جعل فرعون يغرم بها (فَأُخِذَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ،)

ليس هذا فحسب بل ([16]فَصَنَعَ إِلَى أَبْرَامَ خَيْرًا بِسَبَبِهَا، وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ وَأُتُنٌ وَجِمَالٌ.)
أنظر أخي القارئ كيف يطعنون بأنبياءهم ورسلهم .

افتراق ابراهيم ولوط عليهما السلام

[1]فَصَعِدَ أَبْرَامُ مِنْ مِصْرَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ، وَلُوطٌ مَعَهُ إِلَى الْجَنُوبِ. [2]وَكَانَ أَبْرَامُ غَنِيًّا جِدًّا فِي الْمَوَاشِي وَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ. [3]وَسَارَ فِي رِحْلاَتِهِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى بَيْتِ إِيلَ، إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَتْ خَيْمَتُهُ فِيهِ فِي الْبَدَاءَةِ، بَيْنَ بَيْتِ إِيلَ وَعَايَ، [4]إِلَى مَكَانِ الْمَذْبَحِ الَّذِي عَمِلَهُ هُنَاكَ أَوَّلاً. وَدَعَا هُنَاكَ أَبْرَامُ بِاسْمِ الرَّبِّ.

[5]وَلُوطٌ السَّائِرُ مَعَ أَبْرَامَ، كَانَ لَهُ أَيْضًا غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَخِيَامٌ. [6]وَلَمْ تَحْتَمِلْهُمَا الأَرْضُ أَنْ يَسْكُنَا مَعًا، إِذْ كَانَتْ أَمْلاَكُهُمَا كَثِيرَةً، فَلَمْ يَقْدِرَا أَنْ يَسْكُنَا مَعًا . [7]فَحَدَثَتْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنَ رُعَاةِ مَوَاشِي أَبْرَامَ وَرُعَاةِ مَوَاشِي لُوطٍ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ وَالْفِرِزِّيُّونَ حِينَئِذٍ سَاكِنِينَ فِي الأَرْضِ. [8]فَقَالَ أَبْرَامُ لِلُوطٍ: «لاَ تَكُنْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ رُعَاتِي وَرُعَاتِكَ، لأَنَّنَا نَحْنُ أَخَوَانِ. [9]أَلَيْسَتْ كُلُّ الأَرْضِ أَمَامَكَ؟ اعْتَزِلْ عَنِّي. إِنْ ذَهَبْتَ شِمَالاً فَأَنَا يَمِينًا، وَإِنْ يَمِينًا فَأَنَا شِمَالاً».

[10]فَرَفَعَ لُوطٌ عَيْنَيْهِ وَرَأَى كُلَّ دَائِرَةِ الأُرْدُنِّ أَنَّ جَمِيعَهَا سَقْيٌ، قَبْلَمَا أَخْرَبَ الرَّبُّ سَدُومَ وَعَمُورَةَ، كَجَنَّةِ الرَّبِّ، كَأَرْضِ مِصْرَ. حِينَمَا تَجِيءُ إِلَى صُوغَرَ. [11]فَاخْتَارَ لُوطٌ لِنَفْسِهِ كُلَّ دَائِرَةِ الأُرْدُنِّ، وَارْتَحَلَ لُوطٌ شَرْقًا . فَاعْتَزَلَ الْوَاحِدُ عَنِ الآخَرِ. [12]أَبْرَامُ سَكَنَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَلُوطٌ سَكَنَ فِي مُدُنِ الدَّائِرَةِ، وَنَقَلَ خِيَامَهُ إِلَى سَدُومَ. [13]وَكَانَ أَهْلُ سَدُومَ أَشْرَارًا وَخُطَاةً لَدَى الرَّبِّ جِدًّا.

[14]وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ، بَعْدَ اعْتِزَالِ لُوطٍ عَنْهُ: «ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، [15]لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ . [16]وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، حَتَّى إِذَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّ تُرَابَ الأَرْضِ فَنَسْلُكَ أَيْضًا يُعَدُّ . [17]قُمِ امْشِ فِي الأَرْضِ طُولَهَا وَعَرْضَهَا، لأَنِّي لَكَ أُعْطِيهَا» . [18]فَنَقَلَ أَبْرَامُ خِيَامَهُ وَأَتَى وَأَقَامَ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا الَّتِي فِي حَبْرُونَ، وَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ.

أولاد ابراهيم عليه السلام

ولادة اسماعيل أولا

([1]وَأَمَّا سَارَايُ امْرَأَةُ أَبْرَامَ فَلَمْ تَلِدْ لَهُ. وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ مِصْرِيَّةٌ اسْمُهَا هَاجَرُ، [2]فَقَالَتْ سَارَايُ لأَبْرَامَ: «هُوَذَا الرَّبُّ قَدْ أَمْسَكَنِي عَنِ الْوِلاَدَةِ. ادْخُلْ عَلَى جَارِيَتِي لَعَلِّي أُرْزَقُ مِنْهَا بَنِينَ». فَسَمِعَ أَبْرَامُ لِقَوْلِ سَارَايَ. [3]فَأَخَذَتْ سَارَايُ امْرَأَةُ أَبْرَامَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةَ جَارِيَتَهَا، مِنْ بَعْدِ عَشَرِ سِنِينَ لإِقَامَةِ أَبْرَامَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَأَعْطَتْهَا لأَبْرَامَ رَجُلِهَا زَوْجَةً لَهُ. [4]فَدَخَلَ عَلَى هَاجَرَ فَحَبِلَتْ. وَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهَا حَبِلَتْ صَغُرَتْ مَوْلاَتُهَا فِي عَيْنَيْهَا. [5]فَقَالَتْ سَارَايُ لأَبْرَامَ: «ظُلْمِي عَلَيْكَ! أَنَا دَفَعْتُ جَارِيَتِي إِلَى حِضْنِكَ، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهَا حَبِلَتْ صَغُرْتُ فِي عَيْنَيْهَا. يَقْضِي الرَّبُّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ». [6]فَقَالَ أَبْرَامُ لِسَارَايَ: «هُوَذَا جَارِيَتُكِ فِي يَدِكِ. افْعَلِي بِهَا مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكِ». فَأَذَلَّتْهَا سَارَايُ، فَهَرَبَتْ مِنْ وَجْهِهَا.)

لم يذكر الله في كتابه الكريم هاجر زوجة ابراهيم عليه السلام انما تم الاشارة الى وجودها مع ابنها اسماعيل حينما أمر الله ابراهيم عليه السلام أن يأخذ اسماعيل وأمه ليسكنا الى جوار بيته الحرام (﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : 37] وذكر زوجته الثانية سارة حينما بشرتها الملائكة بأنها ستلد أسحاق عليه السلام (﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : 71] أما الرواية التوراتية فتدعي ان زوجة ابراهيم عليه السلام (هاجر) كانت قد طردتها (سارة) وهي حبلى باسماعيل عليه السلام .

[7]فَوَجَدَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ عَلَى عَيْنِ الْمَاءِ فِي الْبَرِّيَّةِ، عَلَى الْعَيْنِ الَّتِي فِي طَرِيقِ شُورَ. [8]وَقَالَ: «يَا هَاجَرُ جَارِيَةَ سَارَايَ، مِنْ أَيْنَ أَتَيْتِ؟ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبِينَ؟». فَقَالَتْ: «أَنَا هَارِبَةٌ مِنْ وَجْهِ مَوْلاَتِي سَارَايَ». [9]فَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «ارْجِعِي إِلَى مَوْلاَتِكِ وَاخْضَعِي تَحْتَ يَدَيْهَا». [10]وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ نَسْلَكِ فَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ». [11]وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «هَا أَنْتِ حُبْلَى، فَتَلِدِينَ ابْنًا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ

لِمَذَلَّتِكِ. [12]وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا، يَدُهُ عَلَى كُلّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ». [13]فَدَعَتِ اسْمَ الرَّبِّ الَّذِي تَكَلَّمَ مَعَهَا: «أَنْتَ إِيلُ رُئِي». لأَنَّهَا قَالَتْ: «أَههُنَا أَيْضًا رَأَيْتُ بَعْدَ رُؤْيَةٍ؟» [14]لِذلِكَ دُعِيَتِ الْبِئْرُ «بِئْرَ لَحَيْ رُئِي». هَا هِيَ بَيْنَ قَادِشَ وَبَارَدَ.

[15]فَوَلَدَتْ هَاجَرُ لأَبْرَامَ ابْنًا. وَدَعَا أَبْرَامُ اسْمَ ابْنِهِ الَّذِي وَلَدَتْهُ هَاجَرُ «إِسْمَاعِيلَ». [16]كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ لأَبْرَامَ.

ويلاحظ أن النص التوراتي يميز بين امرأتي ابراهيم عليه السلام فيسميها بجارية سارة ويدعوها لطاعة سيدتها كما تميز النصوص التوراتية بين ولديهما فبالرغم من ان اسماعيل هو بكر ابراهيم عليه السلام الأ ان التوراة لا تعترف ببكورته بل ونسبت اخيه الأصغر اسحاق حادثة الذبح عليهم جميعا السلام .

ولادة اسحاق عليه السلام

[1]وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً، [2]فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأُكَثِّرَكَ كَثِيرًا جِدًّا». [3]فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ. وَتَكَلَّمَ اللهُ مَعَهُ قَائِلاً: [4]«أَمَّا أَنَا فَهُوَذَا عَهْدِي مَعَكَ، وَتَكُونُ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ، [5]فَلاَ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ. [6]وَأُثْمِرُكَ كَثِيرًا جِدًّا، وَأَجْعَلُكَ أُمَمًا، وَمُلُوكٌ مِنْكَ يَخْرُجُونَ. [7]وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. [8]وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلهَهُمْ».

يلاحظ في النص التوراتي المذكور أعلاه ان الله بدل اسم (ابرام) باسم (ابراهيم) وفي النص أيضا تكرارا لوعد الرب بجعل أرض كنعان ملكا أبديا لذريته وطبعا هم لا يعتبرون اسماعيل وذريته من نسل ابراهيم عليهما السلام ولا يحق له الوراثة لذلك فأن الوارث هنا اسحاق ومن بعده يعقوب وأبناءه أي بني اسرائيل .

ومنذ ذلك الوقت حينما دون الكهان التوراة سجلوا معها هذا الأرث الألهي لبني اسرائيل .

[15]وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «سَارَايُ امْرَأَتُكَ لاَ تَدْعُو اسْمَهَا سَارَايَ، بَلِ اسْمُهَا سَارَةُ. [16]وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ أَيْضًا مِنْهَا ابْنًا . أُبَارِكُهَا فَتَكُونُ أُمَمًا ، وَمُلُوكُ شُعُوبٍ مِنْهَا يَكُونُونَ» . [17]فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ، وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: «هَلْ يُولَدُ لابْنِ مِئَةِ سَنَةٍ؟ وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟» .

[18]وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ للهِ: «لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ !» . [19]فَقَالَ اللهُ: «بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. [20]وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا . اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. [21]وَلكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الآتِيَةِ» . [22]فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ صَعِدَ اللهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ.

في النص التوراتي المدون أعلاه هناك عدة نقاط هامة يثيرها :

. ان كاتب التوراة بدل اسم (ساراي) الى (سارة) وأدعى ان الرب باركها وتعهدها .

. لقد طلب ابراهيم عليه السلام من ربه أن يبارك له في اسماعيل ولده لكن الرب رفض ذلك وبشر ابراهيم بولد اسمه اسحاق ستلده سارة هو من سيباركه الله ويجري معه عهدا ([19]فَقَالَ اللهُ: «بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ.) .

. لكن الرب وعد ابراهيم عليه السلام بأنه سيجعل من اسماعيل أمة كبيرة ([20]وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا . اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً) .

ضيوف ابراهيم عليه السلام

وفق الرواية التوراتية

وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ، [2]فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ [1] رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ، [3]وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ. [4]لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، [5]فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ، لأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ» . فَقَالُوا: «هكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ» . [6]فَأَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْخَيْمَةِ إِلَى سَارَةَ، وَقَالَ: «أَسْرِعِي بِثَلاَثِ كَيْلاَتٍ دَقِيقًا سَمِيذًا . اعْجِنِي وَاصْنَعِي خُبْزَ مَلَّةٍ» . [7]ثُمَّ رَكَضَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْبَقَرِ وَأَخَذَ عِجْلاً رَخْصًا وَجَيِّدًا وَأَعْطَاهُ لِلْغُلاَمِ فَأَسْرَعَ لِيَعْمَلَهُ. [8]ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا وَلَبَنًا ، وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ. وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا.

يتحدث النص التوراتي عن ثلاثة رجال قدموا اليه فيطلب منهم أن يغسلوا أرجلهم ويتكئوا تحت الشجرة وطلب من امرأته ان تصنع لهم ثلاث كيلات دقيق ثم أخذ عجلا رخصا وجيدا للغلام ليصنع منه طعاما لهم وأضاف مع العجل المطبوخ زبدا ولبنا وقدمه للضيوف .

ان أكثر ما جاء في هذه النصوص هي هذه التفاصيل الكثيرة التي لا تجعل المرء يصدق أن هذا كلام الله ففي النص القرآني المقابل الذي يتحدث عن هذه القصة نجد انه قد أختصر هذا الكلام وأوجزه في جملة واحدة

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (25) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26)

فاختصرت الايات القرآنية نوع الطعام بكلمة واحدة (فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ) وأختصر الكلام بقول الضيوف سلاما فرد عليهم بمثلها .فبلاغة القرآن الكريم وروعته وأسلوبه تجعلك تقر مرغما بعظمة كاتبه وعلمه وقدرته .

فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (27) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (28) .

لقد وجد ابراهيم عليه السلام ان هؤلاء الضيوف ليسوا ضيوفا عاديين وصفتهم الاية (بالمكرمين) فخاف منهم لكنهم حينما شعروا بذلك قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم هنا دخلت زوجته وعلمت بقصة الغلام فضحكت : (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (29) .

وبقولهم (قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (30)) علموا انها بشارة من الله وان هؤلاء رسل ربهم هنا عرفهم ابراهيم عليه السلام وسماهم بأسمهم (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ) فيخبروه بمهمتهم قائلين : (قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (32) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (33) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (34) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (35) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (36) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (37) ﴾ [الذاريات : 23 – 37]

نتابع هنا سرد القصة وفق الرواية التوراتية :

وَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ سَارَةُ امْرَأَتُكَ؟» فَقَالَ: «هَا هِيَ فِي الْخَيْمَةِ». [10] فَقَالَ: «إِنِّي أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ [9] وَيَكُونُ لِسَارَةَ امْرَأَتِكَ ابْنٌ». وَكَانَتْ سَارَةُ سَامِعَةً فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَهُوَ وَرَاءَهُ. [11] وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ شَيْخَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي الأَيَّامِ، وَقَدِ انْقَطَعَ أَنْ يَكُونَ لِسَارَةَ عَادَةٌ كَالنِّسَاءِ. [12] فَضَحِكَتْ سَارَةُ فِي بَاطِنِهَا قَائِلَةً: «أَبَعْدَ فَنَائِي يَكُونُ لِي تَنَعُّمٌ، وَسَيِّدِي قَدْ شَاخَ؟» [13] فَقَالَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ: «لِمَاذَا ضَحِكَتْ سَارَةُ قَائِلَةً: أَفَبِالْحَقِيقَةِ أَلِدُ وَأَنَا قَدْ شِخْتُ؟ [14] هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى الرَّبِّ شَيْءٌ؟ فِي الْمِيعَادِ أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ ابْنٌ». [15] فَأَنْكَرَتْ سَارَةُ قَائِلَةً: «لَمْ أَضْحَكْ». لأَنَّهَا خَافَتْ. فَقَالَ: «لاَ! بَلْ ضَحِكْتِ».

[16] ثُمَّ قَامَ الرِّجَالُ مِنْ هُنَاكَ وَتَطَلَّعُوا نَحْوَ سَدُومَ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ مَاشِيًا مَعَهُمْ لِيُشَيِّعَهُمْ. [17] فَقَالَ الرَّبُّ: «هَلْ أُخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ، [18] وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ؟ [19] لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلاً، لِكَيْ يَأْتِيَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ».

[20]وَقَالَ الرَّبُّ: «إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ، وَخَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا . [21]أَنْزِلُ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالتَّمَامِ حَسَبَ صُرَاخِهَا الآتِي إِلَيَّ، وَإِلاَّ فَأَعْلَمُ» . [22]وَانْصَرَفَ الرِّجَالُ مِنْ هُنَاكَ وَذَهَبُوا نَحْوَ سَدُومَ، وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ قَائِمًا أَمَامَ الرَّبِّ.

فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «أَفَتُهْلِكُ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ؟ [24]عَسَى أَنْ يَكُونَ خَمْسُونَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ. أَفَتُهْلِكُ الْمَكَانَ[23] وَلاَ تَصْفَحُ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ الْخَمْسِينَ بَارًّا الَّذِينَ فِيهِ؟ [25]حَاشَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ، أَنْ تُمِيتَ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ، فَيَكُونُ الْبَارُّ كَالأَثِيمِ. حَاشَا لَكَ! أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ لاَ يَصْنَعُ عَدْلاً؟» [26]فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنْ وَجَدْتُ فِي سَدُومَ خَمْسِينَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ، فَإِنِّي أَصْفَحُ عَنِ الْمَكَانِ كُلِّهِ مِنْ أَجْلِهِمْ» . [27]فَأَجَابَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أُكَلِّمُ الْمَوْلَى وَأَنَا تُرَابٌ وَرَمَادٌ . [28]رُبَّمَا نَقَصَ الْخَمْسُونَ بَارًّا خَمْسَةً. أَتُهْلِكُ كُلَّ الْمَدِينَةِ بِالْخَمْسَةِ؟» فَقَالَ: «لاَ أُهْلِكُ إِنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ» . [29]فَعَادَ يُكَلِّمُهُ أَيْضًا وَقَالَ: «عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ أَرْبَعُونَ» . فَقَالَ: «لاَ أَفْعَلُ مِنْ أَجْلِ الأَرْبَعِينَ» . [30]فَقَالَ: «لاَ يَسْخَطِ الْمَوْلَى فَأَتَكَلَّمَ. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ ثَلاَثُونَ» . فَقَالَ: «لاَ أَفْعَلُ إِنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ ثَلاَثِينَ» . [31]فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أُكَلِّمُ الْمَوْلَى. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ عِشْرُونَ» . فَقَالَ: «لاَ أُهْلِكُ مِنْ أَجْلِ الْعِشْرِينَ» . [32]فَقَالَ: «لاَ يَسْخَطِ الْمَوْلَى فَأَتَكَلَّمَ هذِهِ الْمَرَّةَ فَقَطْ. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ عَشَرَةٌ» . فَقَالَ: «لاَ أُهْلِكُ مِنْ أَجْلِ الْعَشَرَةِ» . [33]وَذَهَبَ الرَّبُّ عِنْدَمَا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، وَرَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَكَانِهِ) .

ان تفاصيل هذا الجدال الذي دار بين المرسلين وابراهيم عليه السلام – على فرض صحة – لا نجده في النصوص القرآنية لكن نجد فيها الى ما يشير اليه :

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (74) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (75) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (76) هود

فهذه الاية الكريمة تبين ان جدلا قد حصل ومن سياق الايات يمكن ان نتوقع الهدف منه وهو طلب ابراهيم من ربه أن يعفو عن قوم لوط لذلك قال عنه ربه : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ) وطلب منه ربه أن يكف عن ذلك : (يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (76) هود

فكل هذه النص التوراتي التي يتحدث عن تتمة القصة لا قيمة لغوية أو معرفية أو بلاغية له انما هو من ترتيب كاتب النصوص ومن خياله ومن رداءة أسلوبه في التعبير .

حديث الملائكة مع لوط عليه السلام

وفق الرواية التوراتية

[1] فَجَاءَ الْمَلاَكَانِ إِلَى سَدُومَ مَسَاءً، وَكَانَ لُوطٌ جَالِسًا فِي بَابِ سَدُومَ. فَلَمَّا رَآهُمَا لُوطٌ قَامَ لاسْتِقْبَالِهِمَا، وَسَجَدَ بِوَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ. [2] وَقَالَ: «يَا سَيِّدَيَّ، مِيلاَ إِلَى بَيْتِ عَبْدِكُمَا وَبِيتَا وَاغْسِلاَ أَرْجُلَكُمَا، ثُمَّ تُبَكِّرَانِ وَتَذْهَبَانِ فِي طَرِيقِكُمَا». فَقَالاَ: «لاَ، بَلْ فِي السَّاحَةِ نَبِيتُ». [3] فَأَلَحَّ عَلَيْهِمَا جِدًّا، فَمَالاَ إِلَيْهِ وَدَخَلاَ بَيْتَهُ، فَصَنَعَ لَهُمَا ضِيَافَةً وَخَبَزَ فَطِيرًا فَأَكَلاَ.

[4] وَقَبْلَمَا اضْطَجَعَا أَحَاطَ بِالْبَيْتِ رِجَالُ الْمَدِينَةِ، رِجَالُ سَدُومَ، مِنَ الْحَدَثِ إِلَى الشَّيْخِ، كُلُّ الشَّعْبِ مِنْ أَقْصَاهَا. [5] فَنَادَوْا لُوطًا وَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ الرَّجُلاَنِ اللَّذَانِ دَخَلاَ إِلَيْكَ اللَّيْلَةَ؟ أَخْرِجْهُمَا إِلَيْنَا لِنَعْرِفَهُمَا». [6] فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ لُوطٌ إِلَى الْبَابِ وَأَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَهُ [7] وَقَالَ: «لاَ تَفْعَلُوا شَرًّا يَا إِخْوَتِي. [8] هُوَذَا لِي ابْنَتَانِ لَمْ تَعْرِفَا رَجُلاً. أُخْرِجُهُمَا إِلَيْكُمْ فَافْعَلُوا بِهِمَا كَمَا يَحْسُنُ فِي عُيُونِكُمْ. وَأَمَّا هذَانِ الرَّجُلاَنِ فَلاَ تَفْعَلُوا بِهِمَا شَيْئًا، لأَنَّهُمَا قَدْ دَخَلاَ تَحْتَ ظِلِّ سَقْفِي». [9] فَقَالُوا: «ابْعُدْ إِلَى هُنَاكَ». ثُمَّ قَالُوا: «جَاءَ هذَا الإِنْسَانُ لِيَتَغَرَّبَ، وَهُوَ يَحْكُمُ حُكْمًا. الآنَ نَفْعَلُ بِكَ شَرًّا أَكْثَرَ مِنْهُمَا». فَأَلَحُّوا عَلَى الرَّجُلِ لُوطٍ جِدًّا وَتَقَدَّمُوا لِيُكَسِّرُوا الْبَابَ، [10] فَمَدَّ الرَّجُلاَنِ أَيْدِيَهُمَا وَأَدْخَلاَ لُوطًا إِلَيْهِمَا إِلَى الْبَيْتِ وَأَغْلَقَا الْبَابَ. [11] وَأَمَّا الرِّجَالُ الَّذِينَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ فَضَرَبَاهُمْ بِالْعَمَى، مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ، فَعَجِزُوا عَنْ أَنْ يَجِدُوا الْبَابَ.

[12]وَقَالَ الرَّجُلاَنِ لِلُوطٍ: «مَنْ لَكَ أَيْضًا ههُنَا ؟ أَصْهَارَكَ وَبَنِيكَ وَبَنَاتِكَ وَكُلَّ مَنْ لَكَ فِي الْمَدِينَةِ، أَخْرِجْ مِنَ الْمَكَانِ، [13]لأَنَّنَا مُهْلِكَانِ هذَا الْمَكَانَ، إِذْ قَدْ عَظُمَ صُرَاخُهُمْ أَمَامَ الرَّبِّ، فَأَرْسَلَنَا الرَّبُّ لِنُهْلِكَهُ» . [14]فَخَرَجَ لُوطٌ وَكَلَّمَ أَصْهَارَهُ الآخِذِينَ بَنَاتِهِ وَقَالَ: «قُومُوا اخْرُجُوا مِنْ هذَا الْمَكَانِ، لأَنَّ الرَّبَّ مُهْلِكٌ الْمَدِينَةَ» . فَكَانَ كَمَازِحٍ فِي أَعْيُنِ أَصْهَارِهِ. [15]وَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ كَانَ الْمَلاَكَانِ يُعَجِّلاَنِ لُوطًا قَائِلَيْنِ: «قُمْ خُذِ امْرَأَتَكَ وَابْنَتَيْكَ الْمَوْجُودَتَيْنِ لِئَلاَّ تَهْلِكَ بِإِثْمِ الْمَدِينَةِ» . [16]وَلَمَّا تَوَانَى، أَمْسَكَ الرَّجُلاَنِ بِيَدِهِ وَبِيَدِ امْرَأَتِهِ وَبِيَدِ ابْنَتَيْهِ، لِشَفَقَةِ الرَّبِّ عَلَيْهِ، وَأَخْرَجَاهُ وَوَضَعَاهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ. [17]وَكَانَ لَمَّا أَخْرَجَاهُمْ إِلَى خَارِجٍ أَنَّهُ قَالَ: «اهْرُبْ لِحَيَاتِكَ. لاَ تَنْظُرْ إِلَى وَرَائِكَ، وَلاَ تَقِفْ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ. اهْرُبْ إِلَى الْجَبَلِ لِئَلاَّ تَهْلِكَ» . [18]فَقَالَ لَهُمَا لُوطٌ: «لاَ يَا سَيِّدُ . [19]هُوَذَا عَبْدُكَ قَدْ وَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ، وَعَظَّمْتَ لُطْفَكَ الَّذِي صَنَعْتَ إِلَيَّ بِاسْتِبْقَاءِ نَفْسِي، وَأَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَهْرُبَ إِلَى الْجَبَلِ لَعَلَّ الشَّرَّ يُدْرِكُنِي فَأَمُوتَ. [20]هُوَذَا الْمَدِينَةُ هذِهِ قَرِيبَةٌ لِلْهَرَبِ إِلَيْهَا وَهِيَ صَغِيرَةٌ. أَهْرُبُ إِلَى هُنَاكَ. أَلَيْسَتْ هِيَ صَغِيرَةً؟ فَتَحْيَا نَفْسِي» . [21]فَقَالَ لَهُ: «إِنِّي قَدْ رَفَعْتُ - [27]وَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْغَدِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَقَفَ فِيهِ أَمَامَ الرَّبِّ، [28]وَتَطَلَّعَ نَحْوَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ، وَنَحْوَ كُلِّ أَرْضِ الدَّائِرَةِ، وَنَظَرَ وَإِذَا دُخَانُ الأَرْضِ يَصْعَدُ كَدُخَانِ الأَتُونِ. [29]وَحَدَثَ لَمَّا أَخْرَبَ اللهُ مُدُنَ الدَّائِرَةِ أَنَّ اللهَ ذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَرْسَلَ لُوطًا مِنْ وَسَطِ الانْقِلاَبِ. حِينَ قَلَبَ الْمُدُنَ الَّتِي سَكَنَ فِيهَا لُوطٌ.)

ملخص ماجاء في هذا النص التوراتي :

. انها تحدد عدد المرسلين بأثنين ومرة تسميهم الملاكان ومرة بالرجلان بينما يقول عنهم القرآن الكريم (ضيوف مكرمين) ومرة قال عنهم (رسلنا) .

. وصل المرسلين سدوم ليلا وأستقبلهم لوط عليه السلام استقبالا طبيعيا (فَمَالاَ إِلَيْهِ وَدَخَلاَ بَيْتَهُ، فَصَنَعَ لَهُمَا ضِيَافَةً وَخَبَزَ فَطِيرًا فَأَكَلاَ.) بينما في النص القرآني الوضع يختلف تماما فلقد خاف لوط عليه السلام

على الضيوف من أفعال أهل بلدته (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (77) فمن اللحظة الأولى ضاق بهم ذرعا وتوقع أن يمر عليه يوما عصيبا من قدومهم الى هذه البلدة الفاجرة .

. وبعد أن سمع أهل المدينة بضيوف لوط عليه السلام فلقد قدم كبيرهم وصغيرهم (أَحَاطَ بِالْبَيْتِ رِجَالُ الْمَدِينَةِ، رِجَالُ سَدُومَ، مِنَ الْحَدَثِ إِلَى الشَّيْخِ، كُلُّ الشَّعْبِ مِنْ أَقْصَاهَا .

بينما كعادته فأن النص القرآني يروي الوقائع الضرورية فورا ويدخل في صلب الموضوع (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (78) هود

وأكتفى النص القرآني بالقول على لسان لوط (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (78) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (79) هود بينما تفضح النصوص التوراتية المسألة ([7]وَقَالَ: «لاَ تَفْعَلُوا شَرًّا يَا إِخْوَتِي. [8]هُوَذَا لِي ابْنَتَانِ لَمْ تَعْرِفَا رَجُلاً. أُخْرِجُهُمَا إِلَيْكُمْ فَافْعَلُوا بِهِمَا كَمَا يَحْسُنُ فِي عُيُونِكُمْ. وَأَمَّا هذَانِ الرَّجُلاَنِ فَلاَ تَفْعَلُوا بِهِمَا شَيْئًا، لأَنَّهُمَا قَدْ دَخَلاَ تَحْتَ ظِلِّ سَقْفِي». [9]فَقَالُوا: «ابْعُدْ إِلَى هُنَاكَ».

. تتحدث النصوص التوراتية عن عمي أصاب الذين أحاطوا بيت لوط من قومه ([11]وَأَمَّا الرِّجَالُ الَّذِينَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ فَضَرَبَاهُمْ بِالْعَمَى، مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ، فَعَجِزُوا عَنْ أَنْ يَجِدُوا الْبَابَ.) .

. نرى في النصوص التوراتية طلبا من الرسل يطالبون لوطا أن يخرج من المدينة هو وزوجته وبناته وأصهاره ([12]وَقَالَ الرَّجُلاَنِ لِلُوطٍ: «مَنْ لَكَ أَيْضًا ههُنَا؟ أَصْهَارَكَ وَبَنِيكَ وَبَنَاتِكَ وَكُلَّ مَنْ لَكَ فِي الْمَدِينَةِ، أَخْرِجْ مِنَ الْمَكَانِ، [13]لأَنَّنَا مُهْلِكَانِ هذَا الْمَكَانَ) .

بينما النص القرآني يتحدث عن استثناء زوجته من الذين سينقذهم الله لأنها كانت من الغابرين (﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (80) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ

وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (81) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (82) ﴾ [هود : 80 – 82] هود

ونجد ان النص القرآني المثبت اعلاه يحدد نوعان من العقوبة ستطال هذه البلدة المغضوب عليها بأن يجعل الله عاليها سافلها وأن يمطر عليها حجارة فيها نار بينما النص التوراتي يتحدث عن ما حصل فيها ويشير الى عملية قلب الأعلى الى الأسفل والدخان المتصاعد وهو دليل الحمم البركانية .

[28]وَتَطَلَّعَ نَحْوَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ، وَنَحْوَ كُلِّ أَرْضِ الدَّائِرَةِ، وَنَظَرَ وَإِذَا دُخَانُ الأَرْضِ يَصْعَدُ كَدُخَانِ الأَتُونِ. [29]وَحَدَثَ لَمَّا أَخْرَبَ اللهُ مُدُنَ الدَّائِرَةِ أَنَّ اللهَ ذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَرْسَلَ لُوطًا مِنْ وَسَطِ الانْقِلاَبِ. حِينَ قَلَبَ الْمُدُنَ الَّتِي سَكَنَ فِيهَا لُوطٌ.)

الطعن في كرامة الأنبياء

قصة بنات لوط مع أبيهم

تتابع الروايات التوراتية قصة النبي لوط عليه السلام بروايتها حدثا غريبا ومعيبا جاء في نهاية القصة ولا أدري كيف سمح الكاتب التوراتي لنفسه بأن يضيف أحداثا هدفها فقط هو الطعن بالأنبياء والمرسلين على عادة التوراة التي تختم حديثها عنهم بأكاذيب واتهامات باطلة .

أقرأوا معي هذه الحادثة المعيبة :

[30]وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. [31]وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. [32]هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً». [33]فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا . [34]وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلاً» .

[35]فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، [36]فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا . [37]فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. [38]وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ.) .

فهذه القصة خيالية تماما وغير واقعية وهي من فعل كاتب مغرض له هدف واضح في الاساءة لله وأنبياءه ورسله

فبنات لوط عليه السلام هم من المؤمنين الذين أنقذهم الله من الهلاك لكونهما كذلك وليس بأعتبارهما بناتا للنبي ولقد حدث أن أهلك الله ولد نوح عليه السلام لأنه كافر بينما أمهما زوجة لوط كانت من الغابرين فالمؤمنات يعلمن حدود الله وهن قد رأوا كيف أهلك الله المدن أمام أعينهم فكيف لهم بعد ذلك أن يعملا الفاحشة ومع من مع أباهم النبي ؟

فهذه الرواية لا يقبلها ذي عقل وذي دين وأخلاق فكيف تذكر (كنصوص دينية في كتاب يفترض أنه نزل على نبي الله موسى عليه السلام) .

ونكتفي بهذا التعليق .

قصة سارة وهاجر مرة ثانية
وفق ماجاء في التوراة

لضرورات البحث فنحن نسير مع النصوص التوراتية خطوة بخطوة لذلك نجد صعوبات كبيرة في ترتيب محور البحث ومواضيعه لذلك نرجو أخذ ذلك بعين الاعتبار .

تعود التوراة للتحدث عن قصة سارة وهاجر في الاصحاح الحادي والعشرين من سفر التكوين :

[1]وَافْتَقَدَ الرَّبُّ سَارَةَ كَمَا قَالَ، وَفَعَلَ الرَّبُّ لِسَارَةَ كَمَا تَكَلَّمَ. [2]فَحَبِلَتْ سَارَةُ وَوَلَدَتْ لإِبْرَاهِيمَ ابْنًا فِي شَيْخُوخَتِهِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَكَلَّمَ اللهُ عَنْهُ. [3]وَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ابْنِهِ الْمَوْلُودِ لَهُ، الَّذِي وَلَدَتْهُ لَهُ سَارَةُ «إِسْحَاقَ». [4]وَخَتَنَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ ابْنَهُ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ. [5]وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ حِينَ وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ

ابْنُهُ. [6]وَقَالَتْ سَارَةُ: «قَدْ صَنَعَ إِلَيَّ اللهُ ضِحْكًا. كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ يَضْحَكُ لِي». [7]وَقَالَتْ: «مَنْ قَالَ لإِبْرَاهِيمَ: سَارَةُ تُرْضِعُ بَنِينَ؟ حَتَّى وَلَدْتُ ابْنًا فِي شَيْخُوخَتِهِ!». [8]فَكَبِرَ الْوَلَدُ وَفُطِمَ. وَصَنَعَ إِبْرَاهِيمُ وَلِيمَةً عَظِيمَةً يَوْمَ فِطَامِ إِسْحَاقَ.

[9]وَرَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي وَلَدَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَمْزَحُ، [10]فَقَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لأَنَّ ابْنَ هذِهِ الْجَارِيَةِ لاَ يَرِثُ مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ». [11]فَقَبُحَ الْكَلاَمُ جِدًّا فِي عَيْنَيْ إِبْرَاهِيمَ لِسَبَبِ ابْنِهِ. [12]فَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «لاَ يَقْبُحُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْغُلاَمِ وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَتِكَ. فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا، لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. [13]وَابْنُ الْجَارِيَةِ أَيْضًا سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً لأَنَّهُ نَسْلُكَ».

[14]فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَأَخَذَ خُبْزًا وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَأَعْطَاهُمَا لِهَاجَرَ، وَاضِعًا إِيَّاهُمَا عَلَى كَتِفِهَا، وَالْوَلَدَ، وَصَرَفَهَا. فَمَضَتْ وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ. [15]وَلَمَّا فَرَغَ الْمَاءُ مِنَ الْقِرْبَةِ طَرَحَتِ الْوَلَدَ تَحْتَ إِحْدَى الأَشْجَارِ، [16]وَمَضَتْ وَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ بَعِيدًا نَحْوَ رَمْيَةِ قَوْسٍ، لأَنَّهَا قَالَتْ: «لاَ أَنْظُرُ مَوْتَ الْوَلَدِ». فَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا وَبَكَتْ. [17]فَسَمِعَ اللهُ صَوْتَ الْغُلاَمِ، وَنَادَى مَلاَكُ اللهِ هَاجَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ لَهَا: «مَا لَكِ يَا هَاجَرُ؟ لاَ تَخَافِي، لأَنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ لِصَوْتِ الْغُلاَمِ حَيْثُ هُوَ. [18]قُومِي احْمِلِي الْغُلاَمَ وَشُدِّي يَدَكِ بِهِ، لأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً». [19]وَفَتَحَ اللهُ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ، فَذَهَبَتْ وَمَلأَتِ الْقِرْبَةَ مَاءً وَسَقَتِ الْغُلاَمَ. [20]وَكَانَ اللهُ مَعَ الْغُلاَمِ فَكَبِرَ، وَسَكَنَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَكَانَ يَنْمُو رَامِيَ قَوْسٍ. [21]وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ) .

يثير هذا النص التوراتي جملة من المسائل منها ما يتعلق بقضية النسب العربي :

. يتحدث النص عن وضع سارة لأبنها اسحاق وسط حالة الذهول والتعجب التي أصابها باعتبار كانت عاقرة وتلد وهي عجوز .

. طلبت سارة من ابراهيم عليه السلام طرد هاجر (الجارية) و أعلمته بأن ابنه اسماعيل لا يرث مع ابنها اسحاق .

يتأثر ابراهيم عليه السلام من قولها لكن كاتب التوراة يعمل لادخال (الرب) هنا ليدعم ما قالته سارة لزوجها (فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا، لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. [13]وَابْنُ الْجَارِيَةِ أَيْضًا سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً لأَنَّهُ نَسْلُكَ » .وهكذا جعل كاتب التوراة كلام سارة للنبي ابراهيم زجها وكأنه وحي يوحى .

. تذكر التوراة بأن أصل هاجر هو مصر ([9]وَرَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ) .

. تدعي هذه النصوص ان ابراهيم عليه السلام قد سمع كلام سارة وطردها هي وابنها وتاهت في بادية بئر السبع [15]وَلَمَّا فَرَغَ الْمَاءُ مِنَ الْقِرْبَةِ طَرَحَتِ الْوَلَدَ تَحْتَ إِحْدَى الأَشْجَارِ،) .

وهذا القول يعارض كما ذكرنا ما جاء في القرآن الكريم من ان ابراهيم عليه السلام هو الذي أسكن ذريته في وادي غير ذي زرع قرب بيته الحرام فالموقع الذي اودع فيه ابراهيم عليه السلام معروف ومقصود هذا دليل ان ذلك تم بطلب من الله تعالى الذي أراد أن يسكن اسماعيل عليه السلام فيه مع ذريته الذي يأتي منها أخر الأنبياء وهو محمد عليه الصلاة والسلام لذلك بنى ابراهيم وولده اسماعيل عليهما السلام قواعد البيت ودعوا الله أن يأتيه الناس من كل مكان وهذا الذي حصل .

كل هذه الأمور لا يذكرها كاتب التوراة لهدف افراغ التوراة من مضمونها العقائدي الديني وتحويلها الى سيرة ذاتية عنصرية أبطالها شخصيات معينة ومن ذلك التركيز على سارة وأعتبارها السيدة أم البطل والتقليل من شخصية هاجر (الخادمة) وحرمان أبنها اسماعيل من الميراث النبوي والأبوي .

وحينما فعل كاتب التوراة فعلته هذه لم يكن يعتقد بأنه من ذرية النبي اسماعيل عليه السلام سيظهر أخر الأنبياء والرسل وقد زوده الله بكتاب مبين يكشف تزويرهم وتلاعبهم بكلم الله .

. تتحدث التوراة عن وقائع أصبحت فيما بعد بتقدير الله وحكمته مناسكا للحج الى بيته الحرام وكاتب التوراة لم يكن يعلم ان هذا كله سوف يشرعه الله ويجعله منسكا للمسلمين .

فالمكان الذي وضعت فيه هاجر وولدها اسماعيل أصبح أعظم الأمكنة المقدسة على وجه الأرض والماء الذي نبع بين يدي الطفل الصغير أصبح معجزة بذاته فبالرغم من مرور الأف السنين فلا زال الناس ترتوي منه ولقد أرتوى مليارات البشر منه أما هرولة هاجر عليها السلام روحة وجيئة فأصبحت سعيا وركنا من أركان الحج قام به مليارات من البشر على مر العصور .

. تقول الرواية التوراتية : ([21] وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ) .

وهذا يفيدنا في أمرين هامين جدا الأمر الأول ان برية فاران هي منطقة (مكة وماحولها) وهذا ما أكدته الايات القرآنية من أن النبي ابراهيم عليه السلام قد أودع أهله هناك .

والأمر الثاني وهو ان هاجر عليها السلام اتخذت لأبنها اسماعيل امرأة مصرية زوجة له وهذه الرواية صحيحة ويبنى عليها أمرا بالغ الأهمية وهو أن أصل العرب العاربة هم بنو اسماعيل وليس كما تدعي كتب الأنساب العربية من أنهم مستعربة أخذوا لغتهم من (جرهم) القبيلة العربية التي ناسبها النبي اسماعيل عليه السلام ومنها تعلم العربية وأستعرب فهذا تصور باطل تم كشفه في كتابين من كتبنا الأول (العقل البشري وفلسفة القرأن) و كتاب (مسيرة العقل العربي من الجاهلية الى العلمانية) .

التضحية والقربان

في الروايات التوراتية

تتطرق النصوص التوراتية المثبتة أدناه الى قضية هامة تعتبر أحدى أهم مناسك الحج في العقيدة الاسلامية ويحتفل بها المسلمون وجعلوها عيدا لهم وهي قضية التضحية والأضحية لكن كعادته فأن كاتب التوراة وتمشيا مع مذهبه التعصبي لسارة فلقد جعل أبنها اسحاق عليه السلام بطلا لهذه القصة بلا منازع .

يتحدث كاتب التوراة عن هذا الحدث في الأصحَاحُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ قائلا :

[1]وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا». [2]فَقَالَ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ». [3]فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَشَدَّ عَلَى حِمَارِهِ، وَأَخَذَ اثْنَيْنِ مِنْ غِلْمَانِهِ مَعَهُ، وَإِسْحَاقَ ابْنَهُ، وَشَقَّقَ حَطَبًا لِمُحْرَقَةٍ، وَقَامَ وَذَهَبَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ. [4]وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ الْمَوْضِعَ مِنْ بَعِيدٍ، [5]فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِغُلاَمَيْهِ: «اجْلِسَا أَنْتُمَا ههُنَا مَعَ الْحِمَارِ، وَأَمَّا أَنَا وَالْغُلاَمُ فَنَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ وَنَسْجُدُ، ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَيْكُمَا». [6]فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ وَوَضَعَهُ عَلَى إِسْحَاقَ ابْنِهِ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ النَّارَ وَالسِّكِّينَ. فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا. [7]وَكَلَّمَ إِسْحَاقُ إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ وَقَالَ: «يَا أَبِي!». فَقَالَ: «هأَنَذَا يَا ابْنِي». فَقَالَ: «هُوَذَا النَّارُ وَالْحَطَبُ، وَلكِنْ أَيْنَ الْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟» [8]فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «اللهُ يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي». فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا.

[9]فَلَمَّا أَتَيَا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ، بَنَى هُنَاكَ إِبْرَاهِيمُ الْمَذْبَحَ وَرَتَّبَ الْحَطَبَ وَرَبَطَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ. [10]ثُمَّ مَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَأَخَذَ السِّكِّينَ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ. [11]فَنَادَاهُ مَلاَكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا» [12]فَقَالَ: «لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ، فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي». [13]فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ، فَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضًا عَنِ ابْنِهِ. [14]فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذلِكَ الْمَوْضِعِ «يَهْوَهْ يِرْأَهْ». حَتَّى إِنَّهُ يُقَالُ الْيَوْمَ: «فِي جَبَلِ الرَّبِّ يُرَى».

[15]وَنَادَى مَلاَكُ الرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ ثَانِيَةً مِنَ السَّمَاءِ [16]وَقَالَ:-«بِذَاتِي أَقْسَمْتُ يَقُولُ الرَّبُّ، أَنِّي مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَعَلْتَ هذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، [17]أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً، وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ تَكْثِيرًا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ أَعْدَائِهِ، [18]وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي». [19]ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى غُلاَمَيْهِ، فَقَامُوا وَذَهَبُوا مَعًا إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ. وَسَكَنَ إِبْرَاهِيمُ فِي بِئْرِ سَبْعٍ.

نلاحظ ان هذه النصوص التوراتية تتناقض كليا مع الوقائع والأحداث الحقيقية كما جاءت في القرآن الكريم :

. ان الرواية التوراتية تتحدث عن طلب مباشر من الله تعالى لابراهيم عليه السلام يطلب منه ذبح ابنه

(فَقَالَ لَهُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ!» . فَقَالَ: «هأَنَذَا» . [2]فَقَالَ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا ، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ»

هذا النص يلفت انتباهنا الى قضية جوهرية مختلف عليها حتى في الفكر الديني الاسلامي وتتعلق بولد ابراهيم الذبيح هل كان اسماعيل أم اسحاق ذلك ان النصوص القرآنية المتعلقة بقصة التضحية لا تذكر صراحة أحدهما لذلك فجمهور العلماء يرجحون أن يكون الذبيح اسماعيل والبعض يقول أنه اسحاق ونثبت تلك الايات القرآنية التي تتحدث عن الواقعة قال الله تعالى :

﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (112) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (113) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (114) ﴾ [الصافات : 101 – 114

للوصول الى نتيجة عقلية توصلنا الى معرفة من كان الذبيح من النبيين عليهما وعلى أبوهما السلام علينا أن نستخرج من النصوص التوراتية ما يفيدنا في ذلك :

. ان النص التوراتي يقول («خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ،) ان هذا النص مشكوك في صحته لأن الله لم يطلب من (ابراهيم) ذبح أبنه مباشرة أو وجاها بل ان ابراهيم عليه السلام رأى في منامه أنه يذبح ابنه وهذا تناقض واضح في أصول القصة والنص مشكوك فيه لجهة وجود زيادة لا معنى لها في الجملة فكان يكفي أن يقول الله على حد زعمهم لأبراهيم (خذ ابنك) فأضافة وحيدك والذي تحبه ثم اضافة اسم هذا الوحيد والذي يحبه وهو اسحاق وفق زعمهم تعتبر اضافات مقصودة ولا يحتاج لا (الرب) ولا (ابراهيم) هذه الاضافات كلها

لمعرفة من هو المقصود ومشكوك في النص لجهة ان اسحاق لم يكن ابنه الوحيد بل كان له اسماعيل الذي بقي اربعة عشر عاما وحيدا لأبيه قبل أن يولد اسحاق الذي لم يستفرد بصفة البكر والوحدانية مطلقا لوجود أخ ولد قبله .

أما النص القرآني يتحدث عن بشارة ابراهيم عن مولود قادم له نعته (بغلام حليم) هذا الغلام الحليم وهو اسماعيل عليه السلام وهذه أول بشارة بينما الثانية فكانت لسارة بأعتبارها كانت عاقرا .

(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) أي لما بلغ هذا الغلام العمر الذي يستطيع أن يعمل مع والده فالسعي مع فلان أي العمل معه وليس عملا يقدر أن يؤسس به لنفسه ويبني به وفي القرآن الكريم أيات تعلمنا بأن اسماعيل ساعد والده في اقامة قواعد بيت الله الحرام

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) ﴾ [البقرة

أليس هذا بدليل حاسم في هذه المسألة ؟

ذلك ان ابراهيم عليه السلام حينما أودع هاجر وأبنها اسماعيل انما أودعهم بأمر من الله في المكان الذي حدده الله له (﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : 37]

والتوراة تؤكد على نفس المكان والمنطقة وتتحدث عن معاناة هاجر وظهور ماء زمزم كما بينا من قبل وحينما كبر اسماعيل عليه السلام ووصل الى عمر السعي قام بمساعدة والده برفع قواعد البيت ودعا سوية ربهما ان يجعل ذاك المكان بلدا أمنا ويرزقه من الثمرات .

فالتوراة التي تتحدث عن عهد الله وميثاقه الذي منحه لأبراهيم عليه السلام فأنما تتحدث عن ميثاق عنصري تسلطي استعماري في حين ان الميثاق والعهد الحقيقة كان مع ابراهيم وولده اسماعيل لننظر هذه الاية الكريمة كيف توضح لنا ذلك :

﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)

فلقد جعل الله ابراهيم عليه السلام أماما للناس هو القدوة الأولى في بناء عقيدة اسلامية تقوم على عبادة الله وحده لا شريك له فهو أماما لملته الحنيفة المسلمة لذلك قال تعالى له لن ينال (عهدي الظالمين) من ذرية ابراهيم وهناك دعوا بهذه الادعية لتوثيق عهدهم مع الله (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) ﴾ [البقرة : 123 – 128]

فقضية التضحية والقربان هي عقيدة ابراهيمية اسلامية لذلك اصبحت مشعرا هاما للمسلمين وعيدا لهم وحينما يضحي المسلمون اليوم فأنهم يفعلون ذلك أسوة بأباءهم ابراهيم واسماعيل وفي ذات المكان الذي كاد أن يذبح ابراهيم ابنه اسماعيل عليهما السلام لولا تدخل الله وفداه بذبح عظيم .

ان هذه التضحية لا مثيل لها في التاريخ الانساني والتاريخ الديني فلماذا لا يجعل منها اليهود والنصارى مشعرا لهم والجواب هو انهم يعلمون تمام العلم ان توراتهم محرفة ومزورة وان الذبيح هو اسماعيل وليس اسحاق عليهما السلام .

نحن هنا لسنا في صدد البحث عن أيهما أعلى درجة اسماعيل أم اسحاق عليهما السلام فكلاهما أنبياء الله ولا نفضل بين أحدا من رسله بل الله هو صاحب الفضل العظيم لكن هدفنا هو كشف حقيقة الذين لعبوا وزوروا وخانوا دين الله وكتاب الله بلخانوا الله خالقهم نفسه .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : 91]

ان اسماعيل الذبيح عليه السلام الذي رفع قواعد بيت الله مع ابيه ابراهيم الخليل عليه السلام ترفع ذريته التي كان فخرها محمد رسول الله وأتباعه اليوم اسم الله الواحد الأحد وتتمسك بكتابه الحق المبين بينما تتهالك وتسقط عقائد الذين أدعوا كذبا على الله بأنهم أحباب الله وأبناءه .

قصة اسماعيل واسحاق ويعقوب عليهم السلام في التوراة

مجمل قصة النبي اسماعيل عليه السلام

تحدثنا في نصوص توراتية وأيات قرآنية عن حياة النبي اسماعيل عليه السلام منذ ان كان غلاما حليما وكيف أضطهد وأمه هاجر وأودعه الله عند بيته الحرام وتحدثنا عن معاناتهما هنا ومن ثم ما حل عليهم من نعم الله ومشاركته لأبيه النبي ابراهيم عليه السلام في بناء الكعبة المشرفة لتكون منارة للناس وحجا ثم بيننا الدلائل التي تؤكد ان ذبيح الله هو اسماعيل عليه السلام بعينه .

كما تحدثنا عن التهميش الذي لاقته سيرته في التوراة بفعل مقصود من كاتب التوراة الذي أعطى دورا وأهمية أكبر لأخيه أسحاق عليه السلام لغرض تعصبي سياسي .

ولم تتحدث التوراة عن اسماعيل عليه السلام كثيرا بقدر ماتحدثت عن اسحاق عليه السلام وأخر ماذكرته عنه هي مشاركته مع أخيه اسحاق في دفن والدهما النبي ابراهيم عليهم جميعا السلام .

جاء في التوراة ([8]وَأَسْلَمَ إِبْرَاهِيمُ رُوحَهُ وَمَاتَ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ، شَيْخًا وَشَبْعَانَ أَيَّامًا، وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ. [9]وَدَفَنَهُ إِسْحَاقُ وَإِسْمَاعِيلُ ابْنَاهُ فِي مَغَارَةِ الْمَكْفِيلَةِ فِي حَقْلِ عِفْرُونَ بْنِ صُوحَرَ الْحِثِّيِّ .

ثم تحدثت التوراة بعد ذلك مباشرة عن مواليد اسماعيل وأبناءه قبل التحدث عن اسحاق وهذا مؤشر لم ينتبه اليه كاتب التوراة من ان اسماعيل هو البكر والأكبر سنا لذلك جرى ذكر مواليده قبل أخوه

([12]وَهذِهِ مَوَالِيدُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي وَلَدَتْهُ هَاجَرُ الْمِصْرِيَّةُ جَارِيَةُ سَارَةَ لإِبْرَاهِيمَ. [13]وَهذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بِأَسْمَائِهِمْ حَسَبَ مَوَالِيدِهِمْ: نَبَايُوتُ بِكْرُ إِسْمَاعِيلَ، وَقِيدَارُ، وَأَدَبْئِيلُ وَمِبْسَامُ [14]وَمِشْمَاعُ وَدُومَةُ وَمَسَّا [15]وَحَدَارُ وَتَيْمَا وَيَطُورُ وَنَافِيشُ وَقِدْمَةُ. [16]هؤُلاَءِ هُمْ بَنُو إِسْمَاعِيلَ، وَهذِهِ أَسْمَاؤُهُمْ بِدِيَارِهِمْ وَحُصُونِهِمْ. اثْنَا عَشَرَ رَئِيسًا حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ. [17]وَهذِهِ سِنُو حَيَاةِ إِسْمَاعِيلَ: مِئَةٌ وَسَبْعٌ وَثَلاَثُونَ سَنَةً، وَأَسْلَمَ رُوحَهُ وَمَاتَ وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ. [18]وَسَكَنُوا مِنْ حَوِيلَةَ إِلَى شُورَ الَّتِي أَمَامَ مِصْرَ حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ أَشُّورَ. أَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ نَزَلَ.) .

بينما لم تذكر النصوص القرآنية هذه التفصيلات بل تحدثت عن النبي اسماعيل عليه السلام كمؤسس للديانة الاسلامية مع أبيه حيث بنى الكعبة معه وجعلها مركزا دينيا محوريا لديانة التوحيد .

والآيات القرآنية التي ذكرت اسم اسماعيل النبي عليه السلام هي :

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا }
[البقرة : 125] {بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ

[البقرة : 127] {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ}
[البقرة : 133] {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى}
[البقرة : 136] {وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ

أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ}
[البقرة : 140] {أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى}

[آل عمران : 84] {وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ}

[النساء : 163] {وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا

[الأنعام : 86] {وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ}

[إبراهيم : 39] {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ}

[مريم : 54] {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا}

[الأنبياء : 85] {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ}

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص : 48]

مجمل قصة النبي إسحاق عليه السلام
في النصوص التوراتية

قلنا ان النصوص التوراتية هدفت منذ بداية الحديث عن ابراهيم عليه السلام ومن ثم اسحاق ومن ثم يعقوب وأبناءه هدفت لبناء هرم مرجعي لبني اسرائيل وفق هذا التسلسل في النسب ليكونوا هم وحدهم شعب الله المختار وورثة الأرض الموعودة وكان نقطة الوصل فيه هو النبي اسحاق عليه السلام لذلك فمن اللحظة التي بشرت فيها الملائكة بمولده كان مباركا من الله والذي أعطاه العهد والوعد ولقد رأينا كيف ان التوراة في بعض الايات لا تعترف سوى بأسحاق ولدا لأبراهيم عليه السلام ولا تعطيه أي حق وراثي لا سماعيل عليه السلام كما راينا كيف ألصقت التوراة قصة التضحية بأسحاق وأستبعدت أخيه لتحقيق الغرض الذي أشرنا اليه أعلاه .

أما في القرآن الكريم فأنه يذكر مولد أسحاق النبي على أنه معجزة فلقد جاء من أب بلغ من العمر عتيا ومن أم عجوز عقيم وقد ورد اسمه في الايات القرآنية 16 مرة وفي كل مكان يذكر فيه مع اخيه اسماعيل يجري تقديم اسماعيل عليه في الترتيب أما مجمل الايات التي ذكر فيها اسحاق في القرآن الكريم فهي :

أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ} [البقرة : 133] {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ} [البقرة : 136] {وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ

أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ} [البقرة : 140] {أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ} [آل عمران : 84] {وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} [النساء : 163] {وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ} [الأنعام : 84] {وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

[هود : 71] {وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ}

وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن} [يوسف : 6] {قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى}

[يوسف : 38] {النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ

[إبراهيم : 39] {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ}

[مريم : 49] {فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا}

[الأنبياء : 72] {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ}

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ}

[العنكبوت : 27] {الصَّالِحِينَ

[الصافات : 112] {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ}

[الصافات : 113] {وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ}

﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ [ص : 45]

وان هذه الايات جميعها تذكر اسحاق عليه السلام أنه كان نبيا من الصالحين وأن في ذريته الكتاب والنبوة والله قد هداه وولده يعقوب ولم تذكر له تلك االايات أي قصة حدثت معه .

مجمل قصة يعقوب عليه السلام في التوراة

ولادة يعقوب عليه السلام وفق النصوص التوراتية

[19]وَهذِهِ مَوَالِيدُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ: وَلَدَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ. [20]وَكَانَ إِسْحَاقُ ابْنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمَّا اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ زَوْجَةً، رِفْقَةَ بِنْتَ بَتُوئِيلَ الأَرَامِيِّ، أُخْتَ لاَبَانَ الأَرَامِيِّ مِنْ فَدَّانِ أَرَامَ. [21]وَصَلَّى إِسْحَاقُ إِلَى الرَّبِّ لأَجْلِ امْرَأَتِهِ لأَنَّهَا كَانَتْ عَاقِرًا، فَاسْتَجَابَ لَهُ الرَّبُّ، فَحَبِلَتْ رِفْقَةُ امْرَأَتُهُ. [22]وَتَزَاحَمَ الْوَلَدَانِ

فِي بَطْنِهَا، فَقَالَتْ: «إِنْ كَانَ هكَذَا فَلِمَاذَا أَنَا ؟» فَمَضَتْ لِتَسْأَلَ الرَّبَّ. [23]فَقَالَ لَهَا الرَّبُّ: «فِي بَطْنِكِ أُمَّتَانِ، وَمِنْ أَحْشَائِكِ يَفْتَرِقُ شَعْبَانِ: شَعْبٌ يَقْوَى عَلَى شَعْبٍ، وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ» .

منذ اللحظة التي كان فيها يعقوب عليه السلام فلقد بدأت التوراة في الأعداد له ليصبح هو وأبناءه من بعده ورثة ابراهيم وأسحاق فهذا النص يبين لنا أن ثمة صراعا سيحدث على (السلطة) كما حدث من قبل بين اسماعيل واسحاق عليهما السلام وفق ما فهمنا من النصوص التوراتية .

لكن هذه المرة بين عيسو ويعقوب أبناء اسحاق عليه السلام حيث يدعي كاتب التوراة ([23]فَقَالَ لَهَا الرَّبُّ: «فِي بَطْنِكِ أُمَّتَانِ، وَمِنْ أَحْشَائِكِ يَفْتَرِقُ شَعْبَانِ: شَعْبٌ يَقْوَى عَلَى شَعْبٍ، وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ» . فالرب التوراتي يتحدث عن صراع بين شعب قوي وشعب فقير وعن استعباد الكبير للصغير .

والسؤال الذي يطرح نفسه أليس هؤلاء الذين تتحدث عنهم التوراة هم أحفاد ابي الأنبياء ابراهيم عليه السلام أليس من الواجب لها ان تتحدث عن الدين والعقيدة والشريعة وغير ذلك باعتبارها كتابا مقدسا لكن كما قلنا في مقدمة كتابنا هذا ورأينا الكثير من الشواهد والادله عليه هو ان التوراة لا يهمها بشكل عام شريعة أو عقيدة ولا اعلاء كلمة الله في الأرض بقدر ما يهمها ترسيخ فكرتها العنصرية السياسية في مقولتين متكاملتين (شعب الله المختار و الأرض الموعودة) .

تابع النصوص التوراتية تعاطفها مع الأخ الأصغر يعقوب حتى ان أمه كانت تحبه أكثر من أخيه عيسو :

([24]فَلَمَّا كَمُلَتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ إِذَا فِي بَطْنِهَا تَوْأَمَانِ. [25]فَخَرَجَ الأَوَّلُ أَحْمَرَ، كُلُّهُ كَفَرْوَةِ شَعْرٍ، فَدَعَوْا اسْمَهُ «عِيسُوَ». [26]وَبَعْدَ ذلِكَ خَرَجَ أَخُوهُ وَيَدُهُ قَابِضَةٌ بِعَقِبِ عِيسُو، فَدُعِيَ اسْمُهُ «يَعْقُوبَ». وَكَانَ إِسْحَاقُ ابْنَ سِتِّينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْهُمَا .

[27]فَكَبِرَ الْغُلاَمَانِ، وَكَانَ عِيسُو إِنْسَانًا يَعْرِفُ الصَّيْدَ، إِنْسَانَ الْبَرِّيَّةِ، وَيَعْقُوبُ إِنْسَانًا كَامِلاً يَسْكُنُ الْخِيَامَ. [28]فَأَحَبَّ إِسْحَاقُ عِيسُوَ لأَنَّ فِي فَمِهِ صَيْدًا، وَأَمَّا رِفْقَةُ فَكَانَتْ تُحِبُّ يَعْقُوبَ. [29]وَطَبَخَ يَعْقُوبُ طَبِيخًا، فَأَتَى

عِيسُو مِنَ الْحَقْلِ وَهُوَ قَدْ أَعْيَا . [30]فَقَالَ عِيسُو لِيَعْقُوبَ: «أَطْعِمْنِي مِنْ هذَا الأَحْمَرِ لأَنِي قَدْ أَعْيَيْتُ» . لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهُ «أَدُومَ» . [31]فَقَالَ يَعْقُوبُ: «بِعْنِي الْيَوْمَ بَكُورِيَّتَكَ» . [32]فَقَالَ عِيسُو: «هَا أَنَا مَاضٍ إِلَى الْمَوْتِ، فَلِمَاذَا لِي بَكُورِيَّةٌ؟» [33]فَقَالَ يَعْقُوبُ: « احْلِفْ لِيَ الْيَوْمَ » . فَحَلَفَ لَهُ، فَبَاعَ بَكُورِيَّتَهُ لِيَعْقُوبَ . [34]فَأَعْطَى يَعْقُوبُ عِيسُوَ خُبْزًا وَطَبِيخَ عَدَسٍ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ وَقَامَ وَمَضَى . فَاحْتَقَرَ عِيسُو الْبَكُورِيَّةَ .

في هذه النص التوراتي يتحدث الكاتب كعادته عن حدث غريب وعجيب وهو (بيع البكورية) ومثل هذا البيع لم نرى له مثيلا سوى في التوراة .

لكن السؤال هنا اذا كانت التوراة تتحدث عن مخلوقين توأمين خرج الثاني (يعقوب) وهو يقبض عقب أخيه ويجره فهذا يعني أنهما خرجا معا في لحظة زمنية واحدة فالفارق الزمني بينهما لحظات ليس أكثر فعلى أي أساس يعتبر أحدهما بكرا دون الأخر .

فكاتب التوراة التي يروي احداثا على أساس أنها من كلام الله وهي ليست من كلامه فهو افتراء ليس كمثله افتراء هذا الكاتب يبين لنا ان عيسو باع بكوريته ليعقوب لقاء خبز وطبيخ عدس وبعد أن شبع أحتقر عيسو البكورية

أما ايات القرآن الكريم التي تشعر برهبة وخشوع حينما تقرأها فليس فيها شيئًا يذكر (عيسو) كله على بعضه والأغفال عن ذكر أسمه على فرض أنه ابن النبي أسحاق كما تدعي التوراة يضعنا في احتمالين اثنين :

أولهما : ان هذا الشخص غير موجود بتاتا وليس لأسحاق عليه السلام سوى ولد واحد قد بشر الله به قبل مولده بكثير (وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود : 71

وان اختراع هذا الأبن من قبل التوراة كان الغرض منه مجرد (سيناريو درامي) ليعطي ثقلا ووزنا ليعقوب عليه السلام فوضع منافس وهمي له لتحقيق غايته تلك .

وثانيهما : ان عيسو لم يكن له أي دور لسبب لايعلمه الا الله لذلك لم يذكره الله في الايات التي تحدثت عن اسحاق ويعقوب عليهما السلام واننا نرجح الاحتمال الأول وبقوة .

التوراة وفن صناعة الأبطال

كثيرة هي المشاهد والصور الدرامية التي تقدمها لنا التوراة ومن ذلك ما سنراه في المقطع الأتي والذي يتحدث عن قصة غريبة أخرى اثنين من أبطالها هما من أنبياء الله فتقول ان اسحاق عليه السلام حينما شاخ وضعف بصره طلب من ابنه الأكبر (عيسو) طعاما ونفهم من كلمة (الأكبر) أنه (بكره) وهنا يكذب كاتب التوراة على نفسه وعلينا حينما أدعى في النص الذي سبق هذا ان عيسو باع بكوريته وتخلى عنها لأخيه يعقوب عليه السلام

[1]وَحَدَثَ لَمَّا شَاخَ إِسْحَاقُ وَكَلَّتْ عَيْنَاهُ عَنِ النَّظَرِ، أَنَّهُ دَعَا عِيسُوَ ابْنَهُ الأَكْبَرَ وَقَالَ لَهُ: « يَا ابْنِي » . فَقَالَ لَهُ: «هأَنَذَا» . [2]فَقَالَ: «إِنَّنِي قَدْ شِخْتُ وَلَسْتُ أَعْرِفُ يَوْمَ وَفَاتِي. [3]فَالآنَ خُذْ عُدَّتَكَ: جُعْبَتَكَ وَقَوْسَكَ، وَاخْرُجْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ وَتَصَيَّدْ لِي صَيْدًا، [4]وَاصْنَعْ لِي أَطْعِمَةً كَمَا أُحِبُّ، وَأْتِنِي بِهَا لآكُلَ حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ» .وَكَانَتْ رِفْقَةُ سَامِعَةً إِذْ تَكَلَّمَ إِسْحَاقُ مَعَ عِيسُو ابْنِهِ. فَذَهَبَ عِيسُو إِلَى الْبَرِّيَّةِ كَيْ يَصْطَادَ صَيْدًا لِيَأْتِيَ بِهِ. [6]وَأَمَّا رِفْقَةُ فَكَلمتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا قَائِلَةً

بعد ذلك ان (رفقة) زوجة اسحاق عليه السلام وأم ولديه (عيسو ويعقوب) كانت قد سمعت كل ماقاله اسحاق لأبنه عيسو فكلمت يعقوب ابنها الأصغر قائلة :

[5] «إِنِي قَدْ سَمِعْتُ أَبَاكَ يُكَلِّمُ عِيسُوَ أَخَاكَ قَائِلاً: [7]اِئْتِنِي بِصَيْدٍ وَاصْنَعْ لِي أَطْعِمَةً لآكُلَ وَأُبَارِكَكَ أَمَامَ الرَّبِّ قَبْلَ وَفَاتِي. [8]فَالآنَ يَا ابْنِي اسْمَعْ لِقَوْلِي فِي مَا أَنَا آمُرُكَ بِهِ: [9]اِذْهَبْ إِلَى الْغَنَمِ وَخُذْ لِي مِنْ هُنَاكَ جَدْيَيْنِ جَيِّدَيْنِ مِنَ الْمِعْزَى، فَأَصْنَعَهُمَا أَطْعِمَةً لأَبِيكَ كَمَا يُحِبُّ، [10]فَتُحْضِرَهَا إِلَى أَبِيكَ لِيَأْكُلَ حَتَّى يُبَارِكَكَ قَبْلَ وَفَاتِهِ» . [11]فَقَالَ يَعْقُوبُ لِرِفْقَةَ أُمِّهِ: «هُوَذَا عِيسُو أَخِي رَجُلٌ أَشْعَرُ وَأَنَا رَجُلٌ أَمْلَسُ. [12]رُبَّمَا يَجُسُّنِي أَبِي فَأَكُونُ فِي عَيْنَيْهِ كَمُتَهَاوِنٍ، وَأَجْلِبُ عَلَى نَفْسِي لَعْنَةً لاَ بَرَكَةً » . [13]فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: « لَعْنَتُكَ عَلَيَّ يَا ابْنِي. اِسْمَعْ لِقَوْلِي فَقَطْ وَاذْهَبْ خُذْ لِي» . [14]فَذَهَبَ وَأَخَذَ وَأَحْضَرَ لأُمِّهِ، فَصَنَعَتْ أُمُّهُ أَطْعِمَةً كَمَا كَانَ أَبُوهُ يُحِبُّ. [15]وَأَخَذَتْ رِفْقَةُ ثِيَابَ عِيسُو ابْنِهَا الأَكْبَرِ الْفَاخِرَةَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهَا فِي الْبَيْتِ وَأَلْبَسَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا الأَصْغَرَ، [16]وَأَلْبَسَتْ يَدَيْهِ وَمَلاَسَةَ عُنُقِهِ جُلُودَ جَدْيَيِ الْمِعْزَى. [17]وَأَعْطَتِ الأَطْعِمَةَ وَالْخُبْزَ الَّتِي صَنَعَتْ فِي يَدِ يَعْقُوبَ ابْنِهَا .

لا ندري كيف أستطاع كاتب التوراة أن يقلب طبائع الفطرة السليمة عند الأم والتي تقوم على عدم التمييز بين أولادها ثم ما الذي جعلها تفعل ذلك وكان بامكانها الطلب من أباهم أن يدعو لولديها الأثنين معا هذا هو التصرف الأمومي والمنطقي في مثل هذه الحالة وليس بصنع مؤامرة مع أحد أولادها للايقاع بأبيه وأخيه) . لكن كاتب النص التوراتي يضرب كل قواعد الأمومة والمنطق والعقل للوصل الى هدفه وهو صناعة (الرمز أو البطل) الذي سيحمل أهداف مشروعه العنصري الى أخر المطاف فما أن ينتهي دور أحد هؤلاء الأبطال يسرع الكاتب في صناعة غيره .

فهل أنطوت هذه الحيلة على الأب (النبي)

[18]فَدَخَلَ (يعقوب) إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: « يَا أَبِي » . فَقَالَ: « هأَنَذَا . مَنْ أَنْتَ يَا ابْنِي؟» [19]فَقَالَ يَعْقُوبُ لأَبِيهِ: « أَنَا عِيسُو بِكْرُكَ. قَدْ فَعَلْتُ كَمَا كَلَّمْتَنِي. قُمِ اجْلِسْ وَكُلْ مِنْ صَيْدِي لِكَيْ تُبَارِكَنِي نَفْسُكَ » . [20]فَقَالَ إِسْحَاقُ لابْنِهِ: « مَا هذَا الَّذِي أَسْرَعْتَ لِتَجِدَ يَا ابْنِي؟» فَقَالَ: «إِنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قَدْ يَسَّرَ لِي» . [21]فَقَالَ إِسْحَاقُ لِيَعْقُوبَ: «تَقَدَّمْ لأَجُسَّكَ يَا ابْنِي. أَأَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو أَمْ لاَ؟» . [22]فَتَقَدَّمَ يَعْقُوبُ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ، فَجَسَّهُ وَقَالَ: «الصَّوْتُ صَوْتُ يَعْقُوبَ، وَلكِنَّ الْيَدَيْنِ يَدَا عِيسُو» . [23]وَلَمْ يَعْرِفْهُ لأَنَّ يَدَيْهِ كَانَتَا مُشْعِرَتَيْنِ كَيَدَيْ عِيسُو أَخِيهِ، فَبَارَكَهُ. [24]وَقَالَ: «هَلْ أَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو؟» فَقَالَ: «أَنَا هُوَ» . [25]فَقَالَ: «قَدِّمْ لِي لآكُلَ مِنْ صَيْدِ ابْنِي حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي» . فَقَدَّمَ لَهُ فَأَكَلَ، وَأَحْضَرَ لَهُ خَمْرًا فَشَرِبَ. [26]فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ أَبُوهُ: «تَقَدَّمْ وَقَبِّلْنِي يَا ابْنِي» . ،

ان الهدف من هذا السيناريو والحوار الاحتيالي الذي صنعه كاتب التوراة هو الوصول الى النتيجة والهدف الاتي :

وَقَالَ: [27]فَتَقَدَّمَ وَقَبَّلَهُ، فَشَمَّ رَائِحَةَ ثِيَابِهِ وَبَارَكَهُ «انْظُرْ! رَائِحَةُ ابْنِي كَرَائِحَةِ حَقْل قَدْ بَارَكَهُ الرَّبُّ. [28]فَلْيُعْطِكَ اللهُ مِنْ نَدَى السَّمَاءِ وَمِنْ دَسَمِ الأَرْضِ. وَكَثْرَةَ حِنْطَةٍ وَخَمْرٍ. [29]لِيُسْتَعْبَدْ لَكَ شُعُوبٌ، وَتَسْجُدْ لَكَ قَبَائِلُ. كُنْ سَيِّدًا لإِخْوَتِكَ، وَلْيَسْجُدْ لَكَ بَنُو أُمِّكَ. لِيَكُنْ لاَعِنُوكَ مَلْعُونِينَ، وَمُبَارِكُوكَ مُبَارَكِينَ » .

أن يعطيه الله المال والمدد والقوة ليستعبد كل الشعوب والقبائل وتخضع له وتسجد وأن يكون سيدا على أخوته وتسجد له أمه .

هذا هو هدف الكاتب كما ذكرنا ذلك مرارا وتكرارا أن يصنع مجدا تاريخيا مزيفا لبني اسرائيل .

لكن السؤال هنا وعلى فرض صحة الرواية التوراتية التي ذكرناها أعلاه ألم يكن يخطر في بال الكاتب خاطرا بسيطا وهو يمكن أحدا ما أن يخدع النبي لكن هل يمكن أن يخدع الله فاذا صعب على اسحاق عليه السلام كشف حقيقة هذه الحيلة فهل ستمر على الله الخالق العليم البصير ؟

يقول الله سبحانه وتعالى في مثل هؤلاء (﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة : 9]

من يعقوب الى اسرائيل

تتحدث التوراة عن تغيير الله لأسم يعقوب وجعله (اسرائيل)

[9] وَظَهَرَ اللهُ لِيَعْقُوبَ أَيْضًا حِينَ جَاءَ مِنْ فَدَّانَ أَرَامَ وَبَارَكَهُ. [10] وَقَالَ لَهُ اللهُ: «اسْمُكَ يَعْقُوبُ. لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِيمَا بَعْدُ يَعْقُوبَ، بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِسْرَائِيلَ». فَدَعَا اسْمَهُ «إِسْرَائِيلَ». [11] وَقَالَ لَهُ اللهُ: «أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. أَثْمِرْ وَاكْثُرْ. أُمَّةٌ وَجَمَاعَةُ أُمَمٍ تَكُونُ مِنْكَ، وَمُلُوكٌ سَيَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِكَ. [12] وَالأَرْضُ الَّتِي أَعْطَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، لَكَ أُعْطِيهَا، وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِي الأَرْضَ». [13] ثُمَّ صَعِدَ اللهُ عَنْهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ تَكَلَّمَ مَعَهُ. [14] فَنَصَبَ يَعْقُوبُ عَمُودًا فِي الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ تَكَلَّمَ مَعَهُ، عَمُودًا مِنْ حَجَرٍ، وَسَكَبَ عَلَيْهِ سَكِيبًا، وَصَبَّ عَلَيْهِ زَيْتًا. [15] وَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ تَكَلَّمَ اللهُ مَعَهُ «بَيْتَ إِيلَ».

في عدة أصحاح متتالية تتحدث النصوص التوراتية عن قصص من هنا وهناك عن زواج ومصاهرة وخلافات وليس فيها ما يستحق ذكره وبيانه ومقارنته وبذلك نختم الحديث عن يعقوب عليه السلام وفق ما جاء في التوراة وقبل أن ننتقل للبحث في قصة نبي الله يوسف عليه السلام سنرى كيف تحدثت الايات القرآنية عن النبي يعقوب عليه السلام .

يعقوب عليه السلام في القرأن الكريم

جاء ذكر يعقوب عليه السلام ست عشرة مرة في كتاب الله ونثبتها أدناه :

﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : 132]

﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : 133]

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : 136]

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : 140]

﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : 84]

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ [النساء : 163]

﴿ ووَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأنعام : 84]

﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : 71]

﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [يوسف : 6]

﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يوسف : 38]

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : 68]

﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم : 6]

﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ [مريم : 49]

﴿ ووَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ [الأنبياء : 72]

﴿ ووَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [العنكبوت : 27]

﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ [ص : 45]

تبين لنا هذه الايات الكريمة ان يعقوب عليه السلام كان نبيا من الصالحين وجعل الله في ذريته النبوة والكتاب وهو الذي بشرت به الملائكة وسمته حين بشرت سيدنا ابراهيم باسحاق عليهم جميعا السلام .

وتظهر لنا شخصية يعقوب عليه السلام في قصة يوسف ابنه عليه السلام وسنرى في المبحث التالي تفاصيل قصة يوسف في التوراة والقرآن الكريم .

قصة يوسف عليه السلام

- في النصوص التوراتية

تعتبر قصة النبي يوسف عليه السلام من أحسن القصص وفق ما وصفها القرآن الكريم (﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف : 3]

وقبل ان ندخل في أحداث القصة القرآنية سنتوقف لمتابعة وقائعها كما جاء في التوراة .

وقائع القصة في التوراة

[1]وَسَكَنَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ غُرْبَةِ أَبِيهِ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. [2]هٰذِهِ مَوَالِيدُ يَعْقُوبَ: يُوسُفُ إِذْ كَانَ ابْنَ سَبْعَ عَشَرَةَ سَنَةً، كَانَ يَرْعَى مَعَ إِخْوَتِهِ الْغَنَمَ وَهُوَ غُلاَمٌ عِنْدَ بَنِي بِلْهَةَ وَبَنِي زِلْفَةَ امْرَأَتَيْ أَبِيهِ، وَأَتَى يُوسُفُ بِنَمِيمَتِهِم الرَّدِيئَةِ إِلَى أَبِيهِمْ. [3]وَأَمَّا إِسْرَائِيلُ فَأَحَبَّ يُوسُفَ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ بَنِيهِ لأَنَّهُ ابْنُ شَيْخُوخَتِهِ، فَصَنَعَ لَهُ قَمِيصًا مُلَوَّنًا. [4]فَلَمَّا رَأَى إِخْوَتُهُ أَنَّ أَبَاهُمْ أَحَبَّهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ أَبْغَضُوهُ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُكَلِّمُوهُ بِسَلاَمٍ.

[5]وَحَلُمَ يُوسُفُ حُلْمًا وَأَخْبَرَ إِخْوَتَهُ، فَازْدَادُوا أَيْضًا بُغْضًا لَهُ. [6]فَقَالَ لَهُمْ: «اسْمَعُوا هٰذَا الْحُلْمَ الَّذِي حَلُمْتُ: [7]فَهَا نَحْنُ حَازِمُونَ حُزَمًا فِي الْحَقْلِ، وَإِذَا حُزْمَتِي قَامَتْ وَانْتَصَبَتْ، فَاحْتَاطَتْ حُزَمُكُمْ وَسَجَدَتْ لِحُزْمَتِي». [8]فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: «أَلَعَلَّكَ تَمْلِكُ عَلَيْنَا مُلْكًا أَمْ تَتَسَلَّطُ عَلَيْنَا تَسَلُّطًا؟» وَازْدَادُوا أَيْضًا بُغْضًا لَهُ مِنْ أَجْلِ أَحْلاَمِهِ وَمِنْ أَجْلِ كَلاَمِهِ. [9]ثُمَّ حَلُمَ أَيْضًا حُلْمًا آخَرَ وَقَصَّهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ حَلُمْتُ حُلْمًا أَيْضًا، وَإِذَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا سَاجِدَةٌ لِي». [10]وَقَصَّهُ عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى إِخْوَتِهِ، فَانْتَهَرَهُ أَبُوهُ وَقَالَ لَهُ: «مَا هٰذَا الْحُلْمُ الَّذِي حَلُمْتَ؟ هَلْ نَأْتِي أَنَا وَأُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ لِنَسْجُدَ لَكَ إِلَى الأَرْضِ؟» [11]فَحَسَدَهُ إِخْوَتُهُ، وَأَمَّا أَبُوهُ فَحَفِظَ الأَمْرَ.

[12]وَمَضَى إِخْوَتُهُ لِيَرْعَوْا غَنَمَ أَبِيهِمْ عِنْدَ شَكِيمَ. [13]فَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: «أَلَيْسَ إِخْوَتُكَ يَرْعَوْنَ عِنْدَ شَكِيمَ؟ تَعَالَ فَأُرْسِلَكَ إِلَيْهِمْ». فَقَالَ لَهُ: «هأَنَذَا». [14]فَقَالَ لَهُ: «اذْهَبِ انْظُرْ سَلاَمَةَ إِخْوَتِكَ وَسَلاَمَةَ الْغَنَمِ وَرُدَّ لِي خَبَرًا». فَأَرْسَلَهُ مِنْ وَطَاءِ حَبْرُونَ فَأَتَى إِلَى شَكِيمَ. [15]فَوَجَدَهُ رَجُلٌ وَإِذَا هُوَ ضَالٌّ فِي الْحَقْلِ. فَسَأَلَهُ الرَّجُلُ قَائِلاً: «مَاذَا تَطْلُبُ؟» [16]فَقَالَ: «أَنَا طَالِبٌ إِخْوَتِي. أَخْبِرْنِي «أَيْنَ يَرْعَوْنَ؟»». [17]فَقَالَ الرَّجُلُ: «قَدِ ارْتَحَلُوا مِنْ هُنَا، لأَنِّي سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ: لِنَذْهَبْ إِلَى دُوثَانَ». فَذَهَبَ يُوسُفُ وَرَاءَ إِخْوَتِهِ فَوَجَدَهُمْ فِي دُوثَانَ.

[18]فَلَمَّا أَبْصَرُوهُ مِنْ بَعِيدٍ، قَبْلَمَا اقْتَرَبَ إِلَيْهِمِ، احْتَالُوا لَهُ لِيُمِيتُوهُ. [19]فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هُوَذَا هٰذَا صَاحِبُ الأَحْلاَمِ قَادِمٌ. [20]فَالآنَ هَلُمَّ نَقْتُلْهُ وَنَطْرَحْهُ فِي إِحْدَى الآبَارِ وَنَقُولُ: وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ. فَنَرَى مَاذَا تَكُونُ أَحْلاَمُهُ». [21]فَسَمِعَ رَأُوبَيْنُ وَأَنْقَذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَقَالَ: «لاَ نَقْتُلُهُ». [22]وَقَالَ لَهُمْ رَأُوبَيْنُ: «لاَ تَسْفِكُوا دَمًا. اِطْرَحُوهُ

فِي هذِهِ الْبِئْرِ الَّتِي فِي الْبَرِّيَّةِ وَلاَ تَمُدُّوا إِلَيْهِ يَدًا» . لِكَيْ يُنْقِذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ لِيَرُدَّهُ إِلَى أَبِيهِ. [23]فَكَانَ لَمَّا جَاءَ يُوسُفُ إِلَى إِخْوَتِهِ أَنَّهُمْ خَلَعُوا عَنْ يُوسُفَ قَمِيصَهُ، الْقَمِيصَ الْمُلَوَّنَ الَّذِي عَلَيْهِ، [24]وَأَخَذُوهُ وَطَرَحُوهُ فِي الْبِئْرِ. وَأَمَّا الْبِئْرُ فَكَانَتْ فَارِغَةً لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ.

تبدأ قصة يوسف عليه السلام في التوراة بالحديث عن المكان الذي كان يقيم في يعقوب عليه السلام في أرض كنعان ويجمع المؤرخون على أن أرض كنعان لم تكن مقصورة على جزء صغير من بلاد الشام وهو فلسطين، أو جزء صغير من شبه الجزيرة العربية ، وإنما هم أقاموا حضارتهم على أجزاء واسعة من بلاد الشام، فلسطين وشرق الأردن وسوريا ولبنان، حيث لم تظهر هذه التسميات الجزئية إلا أثناء السيطرة الرومانية على بلاد الشام.

وتقول التوراة : [2]هذِهِ مَوَالِيدُ يَعْقُوبَ: يُوسُفُ إِذْ كَانَ ابْنَ سَبْعَ عَشَرَةَ سَنَةً، كَانَ يَرْعَى مَعَ إِخْوَتِهِ الْغَنَمَ وَهُوَ غُلاَمٌ وقد جاء في القرآن من أنه كان غلاما (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19) ومعنى غلام الغُلامُ: صبيٌّ حين يولد إلى أن يَشبّ أو حين يقارب سنَّ البلوغ) .

([3]وَأَمَّا إِسْرَائِيلُ فَأَحَبَّ يُوسُفَ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ بَنِيهِ لأَنَّهُ ابْنُ شَيْخُوخَتِهِ، فَصَنَعَ لَهُ قَمِيصًا مُلَوَّنًا. [4]فَلَمَّا رَأَى إِخْوَتُهُ أَنَّ أَبَاهُمْ أَحَبَّهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ أَبْغَضُوهُ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُكَلِّمُوهُ بِسَلاَمٍ) .

وتتحدث التوراة عن سبب محبة يعقوب ليوسف عليهما السلام اذ انه ابن شيخوخته وهذه المحبة أدخلت في قلوب أخوته الحسد والبغضاء .

وهذا يطابق ما جاء في الايات القرآنية (﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف : 8]

الحلم الأول ليوسف

نتابع من التوراة

(وَحَلَمَ يُوسُفُ حُلْمًا وَأَخْبَرَ إِخْوَتَهُ، فَازْدَادُوا أَيْضًا بُغْضًا لَهُ. [6]فَقَالَ لَهُمْ: «اسْمَعُوا هذَا الْحُلْمَ الَّذِي حَلُمْتُ: [7]فَهَا نَحْنُ حَازِمُونَ حُزَمًا فِي الْحَقْلِ، وَإِذَا حُزْمَتِي قَامَتْ وَانْتَصَبَتْ، فَاحْتَاطَتْ حُزَمُكُمْ وَسَجَدَتْ لِحُزْمَتِي». [8]فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: «أَلَعَلَّكَ تَمْلِكُ عَلَيْنَا مُلْكًا أَمْ تَتَسَلَّطُ عَلَيْنَا تَسَلُّطًا؟» وَازْدَادُوا أَيْضًا بُغْضًا لَهُ مِنْ أَجْلِ أَحْلاَمِهِ وَمِنْ أَجْلِ كَلاَمِهِ) .

وكلام التوراة عن حلم يوسف عليه السلام لا يحتاج الى توضيح لكن هذا الحلم لم تذكره الايات القرآنية مطلقا ولعل السبب في ذلك ان الحلم الثاني الذي جاء ذكره في القرآن الكريم يعطي معنى أوضح وأوسع لفهمه وتأويله لذلك ذكره القرأن ونحن نعلم دقة وأسلوب التعبير القصصي فيه والقائم على عدم الاطالة والتكرار .

وهذا يدل أيضا على ان القرآن الكريم هو مصدره الوحي وليس كما يدعي البعض من ان الرسول الكريم أخذ قصص الأنبياء من التوراة فما الذي كان يمنعه من اضافة هذا الحلم ليطابق مصدره التوراتي (المفترض) .

الحلم الثاني ليوسف عليه السلام

نتابع سرد التوراة

[9]ثُمَّ حَلُمَ أَيْضًا حُلْمًا آخَرَ وَقَصَّهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ حَلُمْتُ حُلْمًا أَيْضًا، وَإِذَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا سَاجِدَةٌ لِي ». [10]وَقَصَّهُ عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى إِخْوَتِهِ، فَانْتَهَرَهُ أَبُوهُ وَقَالَ لَهُ: «مَا هذَا الْحُلْمُ الَّذِي حَلُمْتَ؟ هَلْ نَأْتِي أَنَا وَأُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ لِنَسْجُدَ لَكَ إِلَى الأَرْضِ؟» [11]فَحَسَدَهُ إِخْوَتُهُ، وَأَمَّا أَبُوهُ فَحَفِظَ الأَمْرَ.

ولقد ذكر في القرآن الكريم حلم يوسف هذا بقوله تعالى : (﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف : 4]

ونلاحظ اختلاف بين ماجاء في التوراة ومع ما يقابله في الايات القرآنية فالنص التوراتي يفيد بأن يوسف قد قص رؤياه على أبيه وعلى أخوته بينما في النص القرآني نجد أن يعقوب منع ابنه يوسف من أن يقص حلمه على أخوته :

(﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [يوسف : 5]

نتابع القصة مع الرواية التوراتية :

[12]وَمَضَى إِخْوَتُهُ لِيَرْعَوْا غَنَمَ أَبِيهِمْ عِنْدَ شَكِيمَ. [13]فَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: «أَلَيْسَ إِخْوَتُكَ يَرْعَوْنَ عِنْدَ شَكِيمَ؟ تَعَالَ فَأُرْسِلَكَ إِلَيْهِمْ». فَقَالَ لَهُ: «هأَنَذَا». [14]فَقَالَ لَهُ: «اذْهَبِ انْظُرْ سَلاَمَةَ إِخْوَتِكَ وَسَلاَمَةَ الْغَنَمِ وَرُدَّ لِي خَبَرًا». فَأَرْسَلَهُ مِنْ وَطَاءِ حَبْرُونَ فَأَتَى إِلَى شَكِيمَ. [15]فَوَجَدَهُ رَجُلٌ وَإِذَا هُوَ ضَالٌّ فِي الْحَقْلِ. فَسَأَلَهُ الرَّجُلُ قَائِلاً: «مَاذَا تَطْلُبُ؟» [16]فَقَالَ: «أَنَا طَالِبٌ إِخْوَتِي. أَخْبِرْنِي «أَيْنَ يَرْعَوْنَ؟». [17]فَقَالَ الرَّجُلُ: «قَدِ ارْتَحَلُوا مِنْ هُنَا، لأَنِّي سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ: لِنَذْهَبْ إِلَى دُوثَانَ». فَذَهَبَ يُوسُفُ وَرَاءَ إِخْوَتِهِ فَوَجَدَهُمْ فِي دُوثَانَ.

[18]فَلَمَّا أَبْصَرُوهُ مِنْ بَعِيدٍ، قَبْلَمَا اقْتَرَبَ إِلَيْهِمِ، احْتَالُوا لَهُ لِيُمِيتُوهُ. [19]فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هُوَذَا هذَا صَاحِبُ الأَحْلاَمِ قَادِمٌ. [20]فَالآنَ هَلُمَّ نَقْتُلْهُ وَنَطْرَحْهُ فِي إِحْدَى الآبَارِ وَنَقُولُ: وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ. فَنَرَى مَاذَا تَكُونُ أَحْلاَمُهُ». [21]فَسَمِعَ رَأُوبَيْنُ وَأَنْقَذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَقَالَ: «لاَ نَقْتُلُهُ». [22]وَقَالَ لَهُمْ رَأُوبَيْنُ: «لاَ تَسْفِكُوا دَمًا. اِطْرَحُوهُ فِي هذِهِ الْبِئْرِ الَّتِي فِي الْبَرِّيَّةِ وَلاَ تَمُدُّوا إِلَيْهِ يَدًا». لِكَيْ يُنْقِذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ لِيَرُدَّهُ إِلَى أَبِيهِ. [23]فَكَانَ لَمَّا جَاءَ يُوسُفُ إِلَى إِخْوَتِهِ أَنَّهُمْ خَلَعُوا عَنْ يُوسُفَ قَمِيصَهُ، الْقَمِيصَ الْمُلَوَّنَ الَّذِي عَلَيْهِ، [24]وَأَخَذُوهُ وَطَرَحُوهُ فِي الْبِئْرِ. وَأَمَّا الْبِئْرُ فَكَانَتْ فَارِغَةً لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ.

تدعي الرواية التوراتية ان يعقوب عليه السلام هو الذي أرسل يوسف الى عمد أخوته في البرية (شكيم) فحينما وصل الى هناك لم يجد أخوته فدله رجل الى المكان الذي يتواجد فيه أخوته في داثان .

ونستدل من هذه الواقعة ان يوسف لم يكن فعلا قد بلغ السابعة عشر فهو قد تاه في البرية ولولا الرجل الدلال لما عرف الطريق الى اخوته وتثبت التوراة أمرا كان يعقوب منعه على ولده يوسف وهو عدم قص رؤياه على أخواته كما جاء في النص القرآني لذلك لما رأى اخوة يوسف أخاهم قادم من بعيد قالوا (هوذا صاحب الأحلام قادم)

ويوحي لنا كاتب التوراة بذلك من ان الاحلام التي كان يراها يوسف عليه السلام ويقصها على أخوته هي التي زادت كرههم وحقدهم وغيرتهم بينما ذكر القرآن الكريم سببا واحدا منطقيا وهو محبة والده له أكثر منهم .

﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف : 8]

على العموم فهذا الواقعة تختلف كليا عما جاء في القرآن الكريم التي تتحدث آياته من أن أخوة يوسف هم الذين طلبوا من أباهم أن يرسل يوسف معهم (قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (11) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (12) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (14) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15)

فهم الذين طلبوا من أباهم طلبا واضحا بأرسال يوسف معهم اذ انهم كانوا قد عقدوا العزم على قتله أو القاءه في البئر .

(اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) وألحوا على والدهم بقولهم : (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (12) ولم يقولوا يرتع ويلعب معنا وهذا يدل على أنه غلاما صغيرا سوف يلهي ويلعب وهم معه لكن النبي يعقوب عليه السلام دخل الشك في نفسه وأحتج بعدم أرساله معهم بالخوف من أن يأكله الذئب وفي النهاية سمح لهم والدهم أن يأخذوه معهم .

نتابع الرواية التوراتية

[18] فَلَمَّا أَبْصَرُوهُ مِنْ بَعِيدٍ، قَبْلَمَا اقْتَرَبَ إِلَيْهِمِ، احْتَالُوا لَهُ لِيُمِيتُوهُ. [19] فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هُوَذَا هذَا صَاحِبُ الأَحْلاَمِ قَادِمٌ. [20] فَالآنَ هَلُمَّ نَقْتُلْهُ وَنَطْرَحْهُ فِي إِحْدَى الآبَارِ وَنَقُولُ: وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ. فَنَرَى مَاذَا تَكُونُ أَحْلاَمُهُ». [21] فَسَمِعَ رَأُوبَيْنُ وَأَنْقَذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَقَالَ: «لاَ نَقْتُلُهُ». [22] وَقَالَ لَهُمْ رَأُوبَيْنُ: «لاَ تَسْفِكُوا دَمًا. اِطْرَحُوهُ فِي هذِهِ الْبِئْرِ الَّتِي فِي الْبَرِّيَّةِ وَلاَ تَمُدُّوا إِلَيْهِ يَدًا». لِكَيْ يُنْقِذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ لِيَرُدَّهُ إِلَى أَبِيهِ. [23] فَكَانَ لَمَّا جَاءَ يُوسُفُ إِلَى إِخْوَتِهِ أَنَّهُمْ خَلَعُوا عَنْ يُوسُفَ قَمِيصَهُ، الْقَمِيصَ الْمُلَوَّنَ الَّذِي عَلَيْهِ، [24] وَأَخَذُوهُ وَطَرَحُوهُ فِي الْبِئْرِ. وَأَمَّا الْبِئْرُ فَكَانَتْ فَارِغَةً لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ. [25] ثُمَّ جَلَسُوا لِيَأْكُلُوا طَعَامًا. فَرَفَعُوا عُيُونَهُمْ وَنَظَرُوا وَإِذَا قَافِلَةُ إِسْمَاعِيلِيِّينَ مُقْبِلَةٌ مِنْ جِلْعَادَ، وَجِمَالُهُمْ حَامِلَةٌ كَثِيرَاءَ وَبَلَسَانًا وَلاَذَنًا، ذَاهِبِينَ لِيَنْزِلُوا بِهَا إِلَى مِصْرَ. [26] فَقَالَ يَهُوذَا لإِخْوَتِهِ: «مَا الْفَائِدَةُ أَنْ

نَقْتُلَ أَخَانَا وَنُخْفِي دَمَهُ؟ [27]تَعَالَوْا فَنَبِيعَهُ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ، وَلاَ تَكُنْ أَيْدِينَا عَلَيْهِ لأَنَّهُ أَخُونَا وَلَحْمُنَا». فَسَمِعَ لَهُ إِخْوَتُهُ. [28]وَاجْتَازَ رِجَالٌ مِدْيَانِيُّونَ تُجَّارٌ، فَسَحَبُوا يُوسُفَ وَأَصْعَدُوهُ مِنَ الْبِئْرِ، وَبَاعُوا يُوسُفَ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ بِعِشْرِينَ مِنَ الْفِضَّةِ. فَأَتَوْا بِيُوسُفَ إِلَى مِصْرَ. [29]وَرَجَعَ رَأُوبَيْنُ إِلَى الْبِئْرِ، وَإِذَا يُوسُفُ لَيْسَ فِي الْبِئْرِ، فَمَزَّقَ ثِيَابَهُ. [30]ثُمَّ رَجَعَ إِلَى إِخْوَتِهِ وَقَالَ: «الْوَلَدُ لَيْسَ مَوْجُودًا، وَأَنَا إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟».

فَأَخَذُوا قَمِيصَ يُوسُفَ وَذَبَحُوا تَيْسًا مِنَ الْمِعْزَى وَغَمَسُوا الْقَمِيصَ فِي الدَّمِ. [32]وَأَرْسَلُوا الْقَمِيصَ الْمُلَوَّنَ[31] وَأَحْضَرُوهُ إِلَى أَبِيهِمْ وَقَالُوا: «وَجَدْنَا هذَا. حَقِّقْ أَقَمِيصُ ابْنِكَ هُوَ أَمْ لاَ؟» [33]فَتَحَقَّقَهُ وَقَالَ: «قَمِيصُ ابْنِي! وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ، افْتُرِسَ يُوسُفُ افْتِرَاسًا». [34]فَمَزَّقَ يَعْقُوبُ ثِيَابَهُ، وَوَضَعَ مِسْحًا عَلَى حَقَوَيْهِ، وَنَاحَ عَلَى ابْنِهِ أَيَّامًا كَثِيرَةً. [35]فَقَامَ جَمِيعُ بَنِيهِ وَجَمِيعُ بَنَاتِهِ لِيُعَزُّوهُ، فَأَبَى أَنْ يَتَعَزَّى وَقَالَ: «إِنِّي أَنْزِلُ إِلَى ابْنِي نَائِحًا إِلَى الْهَاوِيَةِ». وَبَكَى عَلَيْهِ أَبُوه

ووفق ما تقوله النصوص التوراتية فأن أخوة يوسف لما رأوه قادم اليهم لم يترددوا في قتله لكن ([22]وَقَالَ لَهُمْ رَأُوبَيْنُ: «لاَ تَسْفِكُوا دَمًا. اِطْرَحُوهُ فِي هذِهِ الْبِئْرِ الَّتِي فِي الْبَرِّيَّةِ وَلاَ تَمُدُّوا إِلَيْهِ يَدًا». لِكَيْ يُنْقِذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ لِيَرُدَّهُ إِلَى أَبِيهِ.

فَكَانَ لَمَّا جَاءَ يُوسُفُ إِلَى إِخْوَتِهِ أَنَّهُمْ خَلَعُوا عَنْ يُوسُفَ قَمِيصَهُ، الْقَمِيصَ الْمُلَوَّنَ الَّذِي عَلَيْهِ، [24]وَأَخَذُوهُ[23] وَطَرَحُوهُ فِي الْبِئْرِ. وَأَمَّا الْبِئْرُ فَكَانَتْ فَارِغَةً لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ

لكن الايات القرآنية تتحدث عن اجماع واتفاق بين الاخوة جميعا على القاءه في الجب (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15)

وهنا نجد ان النص القرأني يشير الى حدث لم يتطرق اليه النص التوراتي وهو الأيحاء الى يوسف عليه السلام بأنه سوف يعلمهم مستقبلا بما صنعوا معه وهم يجهلونه وهذا النوع من الوحي ليس له علاقة بسن الرشد أو أن يكون الموحى اليه نبيا أو رسولا أو حتى بشرا فمثل هذا الوحي حدث مع أم موسى عليه السلام (﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ

مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : 7] وقد يكون على شكل هاتف سمعه أو غير ذلك والله أعلم .

وبعد أن رموه في الجب وجلسوا لتناول طعامهم تابع مع الرواية التوراتية (فَرَفَعُوا عُيُونَهُمْ وَنَظَرُوا وَإِذَا قَافِلَةُ إِسْمَاعِيلِيِّينَ مُقْبِلَةٌ مِنْ جِلْعَادَ، وَجِمَالُهُمْ حَامِلَةٌ كَثِيرَاءَ وَبَلَسَانًا وَلاَذَنًا، ذَاهِبِينَ لِيَنْزِلُوا بِهَا إِلَى مِصْرَ. [26]فَقَالَ يَهُوذَا لإِخْوَتِهِ: «مَا الْفَائِدَةُ أَنْ نَقْتُلَ أَخَانَا وَنُخْفِيَ دَمَهُ؟ [27]تَعَالَوْا فَنَبِيعَهُ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ، وَلاَ تَكُنْ أَيْدِينَا عَلَيْهِ لأَنَّهُ أَخُونَا وَلَحْمُنَا». فَسَمِعَ لَهُ إِخْوَتُهُ. [28]وَاجْتَازَ رِجَالٌ مِدْيَانِيُّونَ تُجَّارٌ، فَسَحَبُوا يُوسُفَ وَأَصْعَدُوهُ مِنَ الْبِئْرِ، وَبَاعُوا يُوسُفَ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ بِعِشْرِينَ مِنَ الْفِضَّةِ. فَأَتَوْا بِيُوسُفَ إِلَى مِصْرَ. [29]وَرَجَعَ رَأُوبَيْنُ إِلَى الْبِئْرِ، وَإِذَا يُوسُفُ لَيْسَ فِي الْبِئْرِ، فَمَزَّقَ ثِيَابَهُ. [30]ثُمَّ رَجَعَ إِلَى إِخْوَتِهِ وَقَالَ: «الْوَلَدُ لَيْسَ مَوْجُودًا، وَأَنَا إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟».

فهم رأوا قافلة (اسماعيليين) وهم عرب بنو اسماعيل عليه السلام حيث كان يطلق عليهم الهاجريين مرة والاسماعيليين مرة أخرى فباعوا يوسف اليهم بعشرين قطعة من الفضة ويخالف هذا القول ماجاء في الايات القرآنية حيث لم تذكر ان من اشترى يوسف هم من الاسماعيليين بل ذكرهم (بالسيارة) كم أنها لم تذكر مقدار المال الذي حصلوا عليه (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (20)

ان الاية القرأنية المذكورة أنفا فيها قمة البلاغة والوصف البديع ففيها عدة وقائع حصلت بشكل دراماتيكي عبر عنها بعدد قليل جدا من الجمل الاخبارية فتحدث عن رحالة حضروا المكان وفور وصولهم الى المكان الذي في الجب أنزلوا دلوهم وتعلق يوسف بالدلو وصعد به ثم اشتروه بثمن قليل .

حزن يعقوب على يوسف عليهما السلام

تابع بقية القصة في النصوص التوراتية

(وَرَجَعَ رَأُوبَيْنُ إِلَى الْبِئْرِ، وَإِذَا يُوسُفُ لَيْسَ فِي الْبِئْرِ، فَمَزَّقَ ثِيَابَهُ. [30]ثُمَّ رَجَعَ إِلَى إِخْوَتِهِ وَقَالَ: «الْوَلَدُ لَيْسَ مَوْجُودًا، وَأَنَا إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟». [31]فَأَخَذُوا قَمِيصَ يُوسُفَ وَذَبَحُوا تَيْسًا مِنَ الْمِعْزَى وَغَمَسُوا الْقَمِيصَ فِي الدَّمِ.

[32]وَأَرْسَلُوا الْقَمِيصَ الْمُلَوَّنَ وَأَحْضَرُوهُ إِلَى أَبِيهِمْ وَقَالُوا: «وَجَدْنَا هذَا. حَقِّقْ أَقَمِيصُ ابْنِكَ هُوَ أَمْ لاَ؟» [33]فَتَحَقَّقَهُ وَقَالَ: «قَمِيصُ ابْنِي! وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ، افْتُرِسَ يُوسُفُ افْتِرَاسًا». [34]فَمَزَّقَ يَعْقُوبُ ثِيَابَهُ، وَوَضَعَ مِسْحًا عَلَى حَقَوَيْهِ، وَنَاحَ عَلَى ابْنِهِ أَيَّامًا كَثِيرَةً. [35]فَقَامَ جَمِيعُ بَنِيهِ وَجَمِيعُ بَنَاتِهِ لِيُعَزُّوهُ، فَأَبَى أَنْ يَتَعَزَّى وَقَالَ: «إِنِّي أَنْزِلُ إِلَى ابْنِي نَائِحًا إِلَى الْهَاوِيَةِ». وَبَكَى عَلَيْهِ أَبُوهُ.) .

تتحدث القصة على رجوع رأوبين الى البئر لكنه لم يجده فمزق ثيابه فأخذ أولاد يعقوب قميص يوسف وذبحوا تيسا ولطخوا قميص أخوهم بدم التيس للتمويه وطلبوا من أباهم أن يتحقق اذا كان القميص ليوسف فتأكد يعقوب عليه السلام من ذلك وقال («قَمِيصُ ابْنِي! وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ، افْتُرِسَ يُوسُفُ افْتِرَاسًا».

فَمَزَّقَ يَعْقُوبُ ثِيَابَهُ، وَوَضَعَ مِسْحًا عَلَى حَقَوَيْهِ، وَنَاحَ عَلَى ابْنِهِ أَيَّامًا كَثِيرَةً. [35]فَقَامَ جَمِيعُ بَنِيهِ وَجَمِيعُ بَنَاتِهِ لِيُعَزُّوهُ، فَأَبَى أَنْ يَتَعَزَّى وَقَالَ: «إِنِّي أَنْزِلُ إِلَى ابْنِي نَائِحًا إِلَى الْهَاوِيَةِ». وَبَكَى عَلَيْهِ أَبُوهُ.) .

قلنا ان الايات القرآنية لم تذكر أسماء أخوة يوسف ولم تتحدث عن فعل فردي قام به أحدهم بل أعتبرت الجميع شارك في هذا الفعل كما هناك اختلاف واضح في سردها للأحداث فبينما التوراة تتحدث عن قافلة من الاسماعليين قد أكتشفت وجود يوسف في الجب وأنتشلته منه وأشترته من أخوته في نفس اليوم تتحدث الايات القرآنية عن هذه الوقائع على أنها حصلت في اليوم التالي : (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (16) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (20)

هذه الايات القرآنية تحدثنا عن مجريات قصة يوسف بتسلسل واقعي حقيقي دون تكليف فأخوة يوسف بعد أن رموه في البئر وعادوا الي ديارهم مساءا هم الذين أعلموا أباءهم كذبا بقصة أكل الذئب ليوسف وراحوا يبكون

عليه زورا وبهتانا ودفعو بقميصه الملطخ بدم كاذب الى أباهم لكن يعقوب عليه السلام يكتشف أمرهم على الفور وأتهمهم فورا بأنهم قد تأمروا عليه جميعا وصنعوا به أمرا فطلب من ربه أن يعينه في صبره .

وفي اليوم التالي تأتي قافلة سيارة وتجد يوسف عليه السلام وتخرجه وكان أخوته أو بعضا منهم موجودين فباعوه للسيارة بثمن بخس وتخلصوا منه في ذهنهم للأبد .

وفي هذه اللحظات يدفعك النص القرآني لتطلق عنان خيالك وتتصور الساعات التي عاشها يوسف عليه السلام وهو في الجب وحيدا منفردا و في الظلام وفي بادية مليئة بالوحوش وفي بئر مهجورة قد تكون مرتعا للأفاعي وينتقل بك التصور للتنبئ بحالة أخوة يوسف عليه السلام حينما عادوا الى موقع الجب ووجدوا أخاهم حيا يرزق فيه وكيف أصروا على بيعه والتخلص منه دون رحمة أو شفقة ؟

هذه التصورات لا يجيب عليها سوى أمرا واحدا وهو عناية الله ورعايته ليوسف عليه السلام ليقضي على يديه أمرا قضاه الله وهذا ما حدث بالفعل ولايمكن حدوث أي تغيير فيما أراد له الله أن يتم فلو ندم أخوة يوسف وأخرجوه من البئر وأعادوه معهم لما سمعنا اليوم ببني اسرائيل وظهور موسى عليه السلام منهم ثم مغادرتهم لمصر واستقرارهم في فلسطين ومنذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا لازلنا نشاهد توالي النتائج المستمرة وغير المنقطعة عن الحدث الأول وهو بقاء يوسف عليه السلام حيا في الجب والعثور عليه من القافلة وشراءه ووصوله الى مصر حيث ستبدا هناك رسالته ومهمته فذلك كله تقدير العزيز الحكيم .

قصة غريبة تقطع قصة يوسف عليه السلام في
الأصحَاحُ الثَّامِنُ وَالثَّلاَثُونَ

أنتهت قصة يوسف عليه السلام في الأصحاح السابع والثلاثون عند النص 36 والذي جاء فيه

وَأَمَّا الْمِدْيَانِيُّونَ فَبَاعُوهُ فِي مِصْرَ لِفُوطِيفَارَ خَصِيِّ فِرْعَوْنَ، رَئِيسِ الشُّرَطِ.

وفي النص الأول من الأصحاح التاسع والثلاثون تذكر التوراة ما يلي : وَأَمَّا يُوسُفُ فَأُنْزِلَ إِلَى مِصْرَ، وَاشْتَرَاهُ فُوطِيفَارُ خَصِيُّ فِرْعَوْنَ رَئِيسُ الشُّرَطِ، رَجُلٌ مِصْرِيٌّ، مِنْ يَدِ الإِسْمَاعِيلِيِّينَ الَّذِينَ أَنْزَلُوهُ إِلَى هُنَاكَ .

ففي النص الأول يتحدث عن المديانيون الذين باعوا يوسف لفوطيفار وفي النص الثاني يتحدث عن فوطيفار الذي أشترى يوسف من يد الاسماعيليين فهل هذا يعني أن المديانيون هم نفسهم الاسماعيليون أم أن هناك خطأ وقع فيه كاتب التوراة من جديد .

وفق مايرى اكثر الباحثين فأن المديانيون والاسماعيليون شعب عربي واحد ولقد حاول بعض الباحثين الفصل بينهم كان من المفروض أن نرى تتابع أحداث قصة يوسف عليه السلام في الأصحاح الثامن والثلاثون لكن كاتب التوراة خصص هذا الأصحاح للحديث عن موضوع أخر ليس له علاقة لا من قريب أو بعيد بقصة يوسف عليه السلام سنثبت هذه القصة دون أن نعلق عليها نظرا لما تحتويه على الكثير من التناقضات ولا مجال لذكرها هنا في كتابنا هذا .

الأصحاح الثامن والثلاثون

[1] وَحَدَثَ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ أَنَّ يَهُوذَا نَزَلَ مِنْ عِنْدِ إِخْوَتِهِ، وَمَالَ إِلَى رَجُل عَدُلاَّمِيٍّ اسْمُهُ حِيرَةُ. [2] وَنَظَرَ يَهُوذَا هُنَاكَ ابْنَةَ رَجُل كَنْعَانِيٍّ اسْمُهُ شُوعٌ، فَأَخَذَهَا وَدَخَلَ عَلَيْهَا، [3] فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَا اسْمَهُ «عِيرًا». [4] ثُمَّ حَبِلَتْ أَيْضًا وَوَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «أُونَانَ». [5] ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَيْضًا ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «شِيلَةَ». وَكَانَ فِي كَزِيبَ حِينَ وَلَدَتْهُ.

[6] وَأَخَذَ يَهُوذَا زَوْجَةً لِعِيرٍ بِكْرِهِ اسْمُهَا ثَامَارُ. [7] وَكَانَ عِيرٌ بِكْرُ يَهُوذَا شِرِّيرًا فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، فَأَمَاتَهُ الرَّبُّ. [8] فَقَالَ يَهُوذَا لأُونَانَ: «ادْخُلْ عَلَى امْرَأَةِ أَخِيكَ وَتَزَوَّجْ بِهَا، وَأَقِمْ نَسْلاً لأَخِيكَ». [9] فَعَلِمَ أُونَانُ أَنَّ النَّسْلَ لاَ يَكُونُ لَهُ، فَكَانَ إِذْ دَخَلَ عَلَى امْرَأَةِ أَخِيهِ أَنَّهُ أَفْسَدَ عَلَى الأَرْضِ، لِكَيْ لاَ يُعْطِيَ نَسْلاً لأَخِيهِ. [10] فَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ مَا فَعَلَهُ، فَأَمَاتَهُ أَيْضًا. [11] فَقَالَ يَهُوذَا لِثَامَارَ كَنَّتِهِ: «اقْعُدِي أَرْمَلَةً فِي بَيْتِ أَبِيكِ حَتَّى يَكْبُرَ شِيلَةُ ابْنِي». لأَنَّهُ قَالَ: «لَعَلَّهُ يَمُوتُ هُوَ أَيْضًا كَأَخَوَيْهِ». فَمَضَتْ ثَامَارُ وَقَعَدَتْ فِي بَيْتِ أَبِيهَا.

[12]وَلَمَّا طَالَ الزَّمَانُ مَاتَتِ ابْنَةُ شُوعٍ امْرَأَةُ يَهُوذَا . ثُمَّ تَعَزَّى يَهُوذَا فَصَعِدَ إِلَى جُزَّازِ غَنَمِهِ إِلَى تِمْنَةَ، هُوَ وَحِيرَةُ صَاحِبُهُ الْعَدُلاَّمِيُّ. [13]فَأُخْبِرَتْ ثَامَارُ وَقِيلَ لَهَا: «هُوَذَا حَمُوكِ صَاعِدٌ إِلَى تِمْنَةَ لِيَجُزَّ غَنَمَهُ». [14]فَخَلَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا، وَتَغَطَّتْ بِبُرْقُعٍ وَتَلَفَّفَتْ، وَجَلَسَتْ فِي مَدْخَلِ عَيْنَايِمَ الَّتِي عَلَى طَرِيقِ تِمْنَةَ، لأَنَّهَا رَأَتْ أَنَّ شِيلَةَ قَدْ كَبُرَ وَهِيَ لَمْ تُعْطَ لَهُ زَوْجَةً. [15]فَنَظَرَهَا يَهُوذَا وَحَسِبَهَا زَانِيَةً، لأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ غَطَّتْ وَجْهَهَا . [16]فَمَالَ إِلَيْهَا عَلَى الطَّرِيقِ وَقَالَ: «هَاتِي أَدْخُلْ عَلَيْكِ» . لأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهَا كَنَّتُهُ. فَقَالَتْ: «مَاذَا تُعْطِينِي لِكَيْ تَدْخُلَ عَلَيَّ؟» [17]فَقَالَ: «إِنِّي أُرْسِلُ جَدْيَ مِعْزَى مِنَ الْغَنَمِ» . فَقَالَتْ: «هَلْ تُعْطِينِي رَهْنًا حَتَّى تُرْسِلَهُ؟» . [18]فَقَالَ: «مَا الرَّهْنُ الَّذِي أُعْطِيكِ؟» فَقَالَتْ: «خَاتِمُكَ وَعِصَابَتُكَ وَعَصَاكَ الَّتِي فِي يَدِكَ» . فَأَعْطَاهَا وَدَخَلَ عَلَيْهَا ، فَحَبِلَتْ مِنْهُ . [19]ثُمَّ قَامَتْ وَمَضَتْ وَخَلَعَتْ عَنْهَا بُرْقُعَهَا وَلَبِسَتْ ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا .

[20]فَأَرْسَلَ يَهُوذَا جَدْيَ الْمِعْزَى بِيَدِ صَاحِبِهِ الْعَدُلاَّمِيِّ لِيَأْخُذَ الرَّهْنَ مِنْ يَدِ الْمَرْأَةِ، فَلَمْ يَجِدْهَا . [21]فَسَأَلَ أَهْلَ مَكَانِهَا قَائِلاً: «أَيْنَ الزَّانِيَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي عَيْنَايِمَ عَلَى الطَّرِيقِ؟» فَقَالُوا: «لَمْ تَكُنْ ههُنَا زَانِيَةٌ» . [22]فَرَجَعَ إِلَى يَهُوذَا وَقَالَ: «لَمْ أَجِدْهَا . وَأَهْلُ الْمَكَانِ أَيْضًا قَالُوا: لَمْ تَكُنْ ههُنَا زَانِيَةٌ» . [23]فَقَالَ يَهُوذَا: «لِتَأْخُذْ لِنَفْسِهَا، لِئَلاَّ نَصِيرَ إِهَانَةً. إِنِّي قَدْ أَرْسَلْتُ هذَا الْجَدْيَ وَأَنْتَ لَمْ تَجِدْهَا»

[24]وَلَمَّا كَانَ نَحْوُ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ، أُخْبِرَ يَهُوذَا وَقِيلَ لَهُ: «قَدْ زَنَتْ ثَامَارُ كَنَّتُكَ، وَهَا هِيَ حُبْلَى أَيْضًا مِنَ الزِّنَا» . فَقَالَ يَهُوذَا: «أَخْرِجُوهَا فَتُحْرَقَ» . [25]أَمَّا هِيَ فَلَمَّا أُخْرِجَتْ أَرْسَلَتْ إِلَى حَمِيهَا قَائِلَةً: «مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي هذِهِ لَهُ أَنَا حُبْلَى!» وَقَالَتْ: «حَقِّقْ لِمَنِ الْخَاتِمُ وَالْعِصَابَةُ وَالْعَصَا هذِهِ» . [26]فَتَحَقَّقَهَا يَهُوذَا وَقَالَ: «هِيَ أَبَرُّ مِنِّي، لأَنِّي لَمْ أُعْطِهَا لِشِيلَةَ ابْنِي» . فَلَمْ يَعُدْ يَعْرِفُهَا أَيْضًا .

[27]وَفِي وَقْتِ وِلاَدَتِهَا إِذَا فِي بَطْنِهَا تَوْأَمَانِ. [28]وَكَانَ فِي وِلاَدَتِهَا أَنَّ أَحَدَهُمَا أَخْرَجَ يَدًا فَأَخَذَتِ الْقَابِلَةُ وَرَبَطَتْ عَلَى يَدِهِ قِرْمِزًا، قَائِلَةً: «هذَا خَرَجَ أَوَّلاً» . [29]وَلكِنْ حِينَ رَدَّ يَدَهُ، إِذَا أَخُوهُ قَدْ خَرَجَ. فَقَالَتْ: «لِمَاذَا اقْتَحَمْتَ؟ عَلَيْكَ اقْتِحَامٌ!» . فَدُعِيَ اسْمُهُ «فَارِصَ» . [30]وَبَعْدَ ذلِكَ خَرَجَ أَخُوهُ الَّذِي عَلَى يَدِهِ الْقِرْمِزُ. فَدُعِيَ اسْمُهُ «زَارَحَ» .

يوسف عليه السلام في مصر
وفق الرواية التوراتية

جاء في الأصحاح التاسع والثلاثون تتمة لقصة يوسف عليه السلام :

الأَصحَاحُ التَّاسِعُ وَالثَّلاَثُونَ

[1]وَأَمَّا يُوسُفُ فَأُنْزِلَ إِلَى مِصْرَ، وَاشْتَرَاهُ فُوطِيفَارُ خَصِيُّ فِرْعَوْنَ رَئِيسُ الشُّرَطِ، رَجُلٌ مِصْرِيٌّ، مِنْ يَدِ الإِسْمَاعِيلِيِّينَ الَّذِينَ أَنْزَلُوهُ إِلَى هُنَاكَ. [2]وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يُوسُفَ فَكَانَ رَجُلاً نَاجِحًا، وَكَانَ فِي بَيْتِ سَيِّدِهِ الْمِصْرِيِّ.

[3]وَرَأَى سَيِّدُهُ أَنَّ الرَّبَّ مَعَهُ، وَأَنَّ كُلَّ مَا يَصْنَعُ كَانَ الرَّبُّ يُنْجِحُهُ بِيَدِهِ. [4]فَوَجَدَ يُوسُفُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْهِ، وَخَدَمَهُ، فَوَكَّلَهُ عَلَى بَيْتِهِ وَدَفَعَ إِلَى يَدِهِ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ. [5]وَكَانَ مِنْ حِينِ وَكَّلَهُ عَلَى بَيْتِهِ، وَعَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ، أَنَّ الرَّبَّ بَارَكَ بَيْتَ الْمِصْرِيِّ بِسَبَبِ يُوسُفَ. وَكَانَتْ بَرَكَةُ الرَّبِّ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ فِي الْبَيْتِ وَفِي الْحَقْلِ، [6]فَتَرَكَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ فِي يَدِ يُوسُفَ. وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ يَعْرِفُ شَيْئًا إِلاَّ الْخُبْزَ الَّذِي يَأْكُلُ. وَكَانَ يُوسُفُ حَسَنَ الصُّورَةِ وَحَسَنَ الْمَنْظَرِ.

يصف النص التوراتي يوسف عليه السلام بأنه كان رجلا ناجحا وان الرب معه وكل ماكان يقوم به كان بتوفيق من الله ووكله على بيته وقد حلت البركة ببيت المصري (فوطيفار) وفي حقله وكان أمينا لا يأخذ شيئًا سوى الأكل من معلمه وكان يوسف حسن الصورة والمنظر .

بينما نرى الايات القرآنية الكريمة تختصر الكثير من الكلام وتوجزه في جمل معبرة :

(وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22) . سورة يوسف

فالنص لم يذكر لنا اسم الذي أشترى يوسف عليه السلام الذي طلب من زوجته أن تكرمه فلعله ينفعهم أو يتخذوه ولدا .

ثم تتحدث عن فضل الله على يوسف عليه السلام وجملة مكنا ليوسف في الأرض أي جعل له سكنا وموضعا يحويه حتى يبلغ أشده أي يكبر ويشتد عوده ويعلمه الله تأويل الأحاديث والتأويل : إرجاع الشيء إلى حقيقته ودليله .

والأحاديث : يصح أن يكون جمع حديث بمعنى الشيء الحادث ، فتأويل الأحاديث : إرجاع الحوادث إلى عللها وأسبابها بإدراك حقائقها على التمام ، وهو المعني بالحكمة ، وذلك بالاستدلال بأصناف الموجودات على قدرة الله وحكمته ، ويصح أن يكون الأحاديث جمع حديث بمعنى الخبر المتحدث به ، فالتأويل تعبير الرؤيا . سميت أحاديث لأن المرائي يتحدث بها الراءون وعلى هذا المعنى حملها بعض المفسرين . واستدلوا بقوله في آخر القصة وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل . ولعل كلا المعنيين مراد بناء على صحة استعمال المشترك في معنييه وهو الأصح ، أو يكون اختيار هذا اللفظ إيجازا معجزا ، إذ يكون قد حكي به كلام طويل صدر من يعقوب – عليه السلام – بلغته يعبر عن تأويل الأشياء بجميع تلك المعاني .

وفوق ذلك فأن الله أعطاه علما وحكما وأعتبره من المحسنين وهي عطاءات عظيمة تعبر عن رضى الله ومحبته وعنايته .

قصة يوسف عليه السلام مع زوجة العزيز
في النصوص التوراتية

نتابع قراءة الحدث في التوراة :

[7]وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ امْرَأَةَ سَيِّدِهِ رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا إِلَى يُوسُفَ وَقَالَتِ: «اضْطَجِعْ مَعِي» . [8]فَأَبَى وَقَالَ لامْرَأَةِ سَيِّدِهِ: «هُوَذَا سَيِّدِي لاَ يَعْرِفُ مَعِي مَا فِي الْبَيْتِ، وَكُلُّ مَا لَهُ قَدْ دَفَعَهُ إِلَى يَدِي. [9]لَيْسَ هُوَ فِي هـذَا الْبَيْتِ أَعْظَمَ مِنِي. وَلَمْ يُمْسِكْ عَنِي شَيْئًا غَيْرَكِ، لأَنَّكِ امْرَأَتُهُ. فَكَيْفَ أَصْنَعُ هـذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللهِ؟» . [10]وَكَانَ إِذْ كَلَّمَتْ يُوسُفَ يَوْمًا فَيَوْمًا أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ لَهَا أَنْ يَضْطَجعَ بِجَانِبِهَا لِيَكُونَ مَعَهَا .

[11]ثُمَّ حَدَثَ نَحْوَ هذَا الْوَقْتِ أَنَّهُ دَخَلَ الْبَيْتَ لِيَعْمَلَ عَمَلَهُ، وَلَمْ يَكُنْ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ هُنَاكَ فِي الْبَيْتِ. [12]فَأَمْسَكَتْهُ بِثَوْبِهِ قَائِلَةً: «اضْطَجعْ مَعِي!» . فَتَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارجٍ. [13]وَكَانَ لَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ إِلَى خَارجٍ، [14]أَنَّهَا نَادَتْ أَهْلَ بَيْتِهَا، وَكَلَّمَتْهُمْ قَائِلَةً: «انْظُرُوا ! قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا بِرَجُل عِبْرَانِيٍّ لِيُدَاعِبَنَا ! دَخَلَ إِلَيَّ لِيَضْطَجعَ مَعِي، فَصَرَخْتُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ. [15]وَكَانَ لَمَّا سَمِعَ أَنِّي رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارجٍ» .

[16]فَوَضَعَتْ ثَوْبَهُ بِجَانِبِهَا حَتَّى جَاءَ سَيِّدُهُ إِلَى بَيْتِهِ. [17]فَكَلَّمَتْهُ بِمِثْلِ هذَا الْكَلاَمِ قَائِلَةً: «دَخَلَ إِلَيَّ الْعَبْدُ الْعِبْرَانِيُّ الَّذِي جِئْتَ بِهِ إِلَيْنَا لِيُدَاعِبَنِي. [18]وَكَانَ لَمَّا رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ إِلَى خَارجٍ» .

وتتحدث النصوص التوراتية من أن امرأة العزيز وضعت عينها على يوسف وقالت له صراحة («اضْطَجعْ مَعِي» .

فرفض ذلك وقال أن سيده قد أكرمه وقدره فلا أصنع معه هذا الشر وأخطئ الى الله .

وهناك تشابه بين هذا النص التوراتي والايات القرآنية المقابلة لها الى حد ما حيث جاء في القرآن الكريم

وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24) يوسف

وتوضح الاية القرآنية المشهد أكثر مما رأيناه في النص التوراتي فبعد أن أغلقت الأبواب طلبت منه وقالت هأنذا لك أمتنع عن فعل ذلك وقال ان سيده أحسن مثواه وهو لايظلمه .

والاية القرآنية تضيف مشهدا واقعيا حسيا لم نراه مثله في التوراة فجملة (همت به وهم بها) تصور مشهدا حسيا واقعيا حيث تجعلنا نتخيل أن امرأة حسناء تهيأت تماما لشاب في مقتبل العمر تتطلب منه أن يجامعها

فمن المؤكد أن يستفز ذلك غريزة يوسف عليه السلام وفي حينها لم يكن قد بلغ بأن الله أختاره ليكون نبيا رسولا له لكن في تلك اللحظة (رأى برهان ربه) الذي صرف عنه السوء والفحشاء فهو من عباد الله المخلصين .

وهنا أختلف العلماء والمفسرين حينما أرادوا أن يعرفوا ما هو هذا البرهان الذي أراه الله ليوسف عليه السلام ؟

اختلف فيه العلماء فلم يذكر في آية من كتاب الله تعالى. . . قال بعض المفسرين: نودي بالنهي عن الوقوع في الخطيئة.

وقال بعضهم رأى صورة أبيه يعقوب على الجدران عاضا على أصبعه يتوعده. . . . وقال بعضهم: قامت المرأة إلى صنم لها في البيت فسترته حياء منه واحتراماً له فقال يوسف : أنا أولى أن أستحيي من الله تعالى.

وقال بعضهم رأى في سقف البيت مكتوباً "وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً" وقيل رأى مكتوبا "وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ"، "أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت" ذكر هذه الأقوال وغيرها الطبري والقرطبي وغيرهما . . .

وعقب عليها القرطبي بقوله: وبالجملة فذلك البرهان آية من آيات الله تعالى رءاها يوسف عليه السلام حتى قوي إيمانه وامتنع عن المعصية. كما قال الله تعالى: كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ .

وفي فهمنا المتواضع نرى ان هذا البرهان ليس سوى الايحاء الذي جاءه أول مرة حينما قرر أخوته أن يلقوه في الجب :

وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15) يوسف حيث ذكره هذا الوحي بأنه من المخلصين لله ولا يوقع نفسه في هذه الخطيئة والمعصية فهو سيكون من الأنبياء والمرسلين هذا والله أعلم .

محاولة ثانية في النص التوراتي

[10] وَكَانَ إِذْ كَلَّمَتْ يُوسُفَ يَوْمًا فَيَوْمًا أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ لَهَا أَنْ يَضْطَجِعَ بِجَانِبِهَا لِيَكُونَ مَعَهَا .

[11] ثُمَّ حَدَثَ نَحْوَ هذَا الْوَقْتِ أَنَّهُ دَخَلَ الْبَيْتَ لِيَعْمَلَ عَمَلَهُ، وَلَمْ يَكُنْ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ هُنَاكَ فِي الْبَيْتِ. [12] فَأَمْسَكَتْهُ بِثَوْبِهِ قَائِلَةً: «اضْطَجِعْ مَعِي!» . فَتَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ. [13] وَكَانَ لَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ إِلَى خَارِجٍ، [14] أَنَّهَا نَادَتْ أَهْلَ بَيْتِهَا، وَكَلَّمَتْهُمْ قَائِلَةً: «انْظُرُوا ! قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا بِرَجُل عِبْرَانِيٍّ

لِيُدَاعِبَنَا ! دَخَلَ إِلَيّ لِيَضْطَجِعَ مَعِي، فَصَرَخْتُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ. [15]وَكَانَ لَمَّا سَمِعَ أَنِّي رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ ».

[16]فَوَضَعَتْ ثَوْبَهُ بِجَانِبِهَا حَتَّى جَاءَ سَيِّدُهُ إِلَى بَيْتِهِ. [17]فَكَلَّمَتْهُ بِمِثْلِ هذَا الْكَلاَمِ قَائِلَةً: «دَخَلَ إِلَيَّ الْعَبْدُ الْعِبْرَانِيُّ الَّذِي جِئْتَ بِهِ إِلَيْنَا لِيُدَاعِبَنِي. [18]وَكَانَ لَمَّا رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ إِلَى خَارِجٍ».

ان النص التوراتي يتحدث عن مرات متعددة تطلب فيها زوجة العزيز من يوسف عليه السلام أن (يضاجعها) بينما في النص القرآني فهو طلب واحد أنتهى بالفشل .

أما أخر هذه الطلبات وفق ماترويه النصوص التوراتية فكان على النحو التالي :

فهي قد طلبت منه وأمسكت بثوبه ثم أفلت منها وبقي قطعة من ثوبه في يدها وحينما رأت ثوبه في يدها وكأن دليلا صار معها صاحت أهل بيتها وقالت : انْظُرُوا ! قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا بِرَجُلٍ عِبْرَانِيٍّ لِيُدَاعِبَنَا ! دَخَلَ إِلَيَّ لِيَضْطَجِعَ مَعِي، فَصَرَخْتُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ. [15]وَكَانَ لَمَّا سَمِعَ أَنِّي رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ ».

[16]فَوَضَعَتْ ثَوْبَهُ بِجَانِبِهَا حَتَّى جَاءَ سَيِّدُهُ إِلَى بَيْتِهِ. [17]فَكَلَّمَتْهُ بِمِثْلِ هذَا الْكَلاَمِ قَائِلَةً: «دَخَلَ إِلَيَّ الْعَبْدُ الْعِبْرَانِيُّ الَّذِي جِئْتَ بِهِ إِلَيْنَا لِيُدَاعِبَنِي. [18]وَكَانَ لَمَّا رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ إِلَى خَارِجٍ ».

ان في هذه أخطاء كثيرة حينما كتب مؤلف التوراة هذه القصة وستكشف هذه الأخطاء من خلال مطابقتها للقصة الحقيقية التي روتها الايات القرآنية التي جاءت لتكشف الزيف والتزوير الذي نال التوراة على يد الرهبان وغيرهم ونتابع روايه القصة القرآنية :

وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ

وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28) يوسف

ان هذه الايات تصور لنا المشهد وفق التالي :

. ان يوسف سبقها الى الباب ليفتحه ويهرب ولحقت به ل وأمسكت بقميصه من الخلف وانتزعت قطعة منه وبقي في يدها في هذه اللحظة لقت سيدها في الباب في حين ان الرواية اليهودية تدعي أن يوسف ترك قميصه في يدها وهرب فالمشهد الصحيح هو كما وصفته الاية القرآنية وهو أثناء هروب يوسف متجها نحو الباب أمسكت بثوبه فتخلص منها وتمزق ثوبه وبقي قطعة صغيرة بيدها .

. في النص القرآني تقول الرواية بأن سيدهما وصل الى الباب في اللحظة التي خرج يوسف منه وربما هو الذي فتح الباب الموصد من الخارج بناء على طلبها من الخادمات في حين ان الرواية التوراتية لم تتحدث عن اغلاق الأبواب وهو حدث رئيسي في المشهد كما ان الرواية التوراتية تدعي من أن الزوجة أنتظرت زوجها حتى قدم ثم أخبرته .وحينما ظهر سيدهما قالت له : (قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25) .

. لكن يوسف عليه السلام دافع عن نفسه قائلا : هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي

. فالقضية هنا لا بد لها من دليل ومثل هذا الدليل لا نجده في الرواية التوراتية بينما ذكرته الايات القرآنية وهذا الشاهد كان من أقرباءها ألهمه الله أن ينطق الحق حيث قال : اذا كان قميص يوسف قد قطع من الأمام فهو المذنب أما اذا كان قميصه قد قطع من الخلف فهي المذنبة وحينها نظر زوجها فوجد ان قميص يوسف قد قطع من الخلف فقال لها : إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28) يوسف

. في النص التوراتي نجد ان كاتب التوراة قد حسم المسألة وقرر اعتبار يوسف عليه السلام مذنبا فقرر أن يودعه السجن :

[19]فَكَانَ لَمَّا سَمِعَ سَيِّدُهُ كَلاَمَ امْرَأَتِهِ الَّذِي كَلَّمَتْهُ بِهِ قَائِلَةً: «بِحَسَبِ هذَا الْكَلاَمِ صَنَعَ بِي عَبْدُكَ»، أَنَّ غَضَبَهُ حَمِيَ. [20]فَأَخَذَ يُوسُفَ سَيِّدُهُ وَوَضَعَهُ فِي بَيْتِ السِّجْنِ، الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ أَسْرَى الْمَلِكِ مَحْبُوسِينَ فِيهِ. وَكَانَ هُنَاكَ فِي بَيْتِ السِّجْنِ.

مشهد النسوة

في قصة يوسف عليه السلام

وليمة امرأة العزيز للنسوة تمثل حلقة في تسلسل منطقي لسياق الأحداث في قصة سيدنا يوسف – عليه السلام – مع امرأة العزيز؛ إذ إنها مكرت بهن لما أنكرت عليها فتنتها وشغفها بيوسف عليه السلام كما أن الخبر قد شاع في المدينة، فلم يعد هناك ما تخشاه بعد شيوعه، فاستدعى ذلك أن توقعهم في نفس الفتنة بجمال يوسف عليه السلام.

عدم ذكر التوراة لهذا المشهد من القصة وغيره ليس دليلا على إنكارها بل دليل على أن القرآن وحي من الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وأنه لم يؤخذ من مصادر بشرية، وهو الكتاب الخاتم المعصوم المصون الذي ذكر الحقائق؛ ولم يترك شيئًا ذا بال تؤخذ منه الحكمة إلا ذكره.

تزييف الحقائق شأن كتاب التوراة دائما، فقد كتبوا ما يتفق مع أهوائهم وميولهم، فلا يذكرون أية فضيلة لأنبياء الله، ولا لغيرهم؛ حتى يجدوا مسوغا لفسادهم في الأرض، وطغيانهم على العالمين.

التفاصيل

أولا. مكر النسوة بامرأة العزيز ومكرها بهن يتسق منطقيا مع بقية الأحداث في قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز أما الزعم أن امرأة العزيز تفضح نفسها بهذا التصرف فمردود بأنها فعلت هذا بعد أن شاع الأمر في المدينة، وجرى على ألسنة النسوة؛ فهي تريد أن تثبت لهن – وهن من بنات جنسها – أن جماله لا يقاوم؛ فيعذرنها في هواها ويكففن عن لومها والتشهير بها.

إذن فأحداث هذا المشهد وقعت في إطار من التسلسل المنطقي لسياق الموقف، وهو ما أخفاه كاتب التوراة؛ لأسباب سنذكرها فيما بعد .

عرض أحداث المشهد:

إذا كان يوسف –عليه السلام – يستطيع أن يكتم هذا الأمر عن الناس جميعا ، ويسره في نفسه – على مضض – فهل تستطيع تلك المفتونة بحبه أن تكتم ذلك فلا تحدث به المقربات إليها من بنات جنسها على ما عرف من النساء من الثرثرة، وكثرة التناجي فيما بينهن؟ !كما لا ننسى أن واقعة مراودة امرأة العزيز ليوسف – عليه السلام . شاعت بين ساكني القصر من: خدم وحراس، ومعلوم أن الخدم والحراس يعلمون أسرار البيوت وينشرونها في الناس .

وبذلك شاع الخبر في المدينة، وتناقلته النسوة فيما بينهن حتى وصل حديثهن إلى صاحبة الشأن فأرسلت إليهن ومكرت بهن كما أردن المكر بها ، فكان من أمرها وأمرهن ما حكاه القرآن، قال تعالى: (وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين (30) فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم (31) قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين (32)((يوسف) .

فالنسوة حين سمعن الخبر لم يطقن صبرا على عدم رؤية هذا الغلام الذي جمع أروع آيات الجمال، فوصفن امرأة العزيز، بما كان ينبغي أن يصفن به أنفسهن، فهن اللاتى قد شغفن به حبا ، دون أن يرينه – والأذن تعشق قبل العين أحيانا – فأردن أن ينلن منه ما يطمع النساء فيه من الرجال فسخرن من ينقل إلى امرأة العزيز هذه المقولة لعلها تسمح لهن برؤيته ليعذرنها فيه وهذا من مكرهن، فبادلتهن امرأة العزيز مكرا بمكر، فكانت أعظم كيدا ، فأعتدت لهن متكأ حافلا بالفواكه والأطعمة الشهية، وآتت كل واحدة منهن سكينا حادة، وأمرت يوسف أن يخرج عليهن فلما رأينه أعظمنه، وهممن بالوقوف له، وجرحن أيديهن جروحا بالغة عبر عنها القرآن بالتقطيع، وذلك حين

أصابهن الذهول، وملأت شغاف قلوبهن مهابته، وروعته، وجماله، فأيقن أنهن أمام ملك كريم، وليس أمام واحد من البشر.

ونجحت امرأة العزيز في خطتها، وشفت منهن غيظ قلبها، فقالت لهن – والدماء تنزف من أيديهن –:(فذلكن الذي لمتنني فيه،) فأنتن من أول نظرة قد وقع لكن من أمره ما وقع، فكيف بي وهو يلازمني في بيتي، ويدنو مني وأدنو منه، وأدعوه إلى فيأبى على، ولكني سوف أنال منه ما أريد، أو يكون مصيره السجن في ذلة، وصغار.

لقد اعترفت لهن بإدانتها، واعترفت ببراءته من السوء والفحشاء، واستعصامه بربه منها ومن شرها، لكنه اعتراف لا يدينها، إذ إنهن لا يملكن من الأمر شيئًا، وليس لهن سلطان عليها، ومن الهين اليسير أن تعترف المرأة للمرأة بما تخفيه عن الرجل، ولو كان من المقربين إليها.

ولعلها أرادت أن تغيظهن، وتظهر لهن عدم الاكتراث بمكرهن وتشنيعهن عليها هنا وهناك، وأنها السيدة المطاعة التي إذا قالت فعلت، وإذا أرادت شيئًا فلا مرد له.

وهكذا تستبد المرأة بالأمر الذي تظن أنها قادرة عليه تبعا لشهواتها الجامحة وأهوائها المنحرفة، ولا سيما إذا كانت تحت رجل يعد من عظماء القوم وسادتهم.

ونلاحظ أن هذه المرأة لم يؤتها الله شيئًا من الحكمة، ولم يكن لها من العقل ما تعرف به أقدار الرجال، وما تدرك به عواقب الأمور، ولو كان لديها شيء من الفهم لعرفت من أول نظرة من هو يوسف عليه السلام ولعرفت أنه الرجل الذي اجتمعت فيه كل خصال الخير، وكل أوصاف الكمال البشري، وأنه بطبعه مصون من كل رذيلة، معصوم بفطرته من كل شر.

إن النسوة اللاتي مكرت بهن كن أعقل وأقدر على فهم طبائع الرجال منها، فقد أصدرن حكمهن عليه من أول نظرة، فقلن ما قد حكى القرآن عنهن:(ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) (31)((يوسف)

ثانيا. عدم ذكر التوراة لهذا المشهد من القصة وغيره ليس دليلا على إنكاره:

إن ذكر القرآن بعض التفاصيل التي لم ترد في الكتاب المقدس يعد أكبر دليل على أن القرآن وحي من الله إلى رسوله، وأنه لم يؤخذ عن مصادر بشرية، بل هو الكتاب الخاتم الذي صوب، وأضاف، فالتوراة لم تغفل فقط قصة وليمة امرأة العزيز للنسوة، بل أغفلت أيضا مسألة استباقهما إلى الباب أثناء مراودتها له (واستبقا الباب (25)((يوسف) كما أغفلت مسألة الشاهد من أهل المرأة الذي فصل في القضية، وحكم ليوسف عليه السلام بالبراءة. وأغفلت أيضا البرهان الذي رآه يوسف عليه السلام من ربه؛ وبذلك ينفون عصمته عن الزلل، وامتناعه عن الرذيلة، وتمسكه بالفضيلة، والأمانة، وحفظ أعراض الغير.

أما ما ذكرته التوراة في هذا الشأن فهو فقط غواية المرأة ليوسف عليه السلام: "ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله، ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك في البيت. فأمسكته بثوبه قائلة: "اضطجع معي!". فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج إلى خارج". (التكوين: 39: 11، 12

وهذا كلام يفتقد العدد من التفاصيل الدقيقة التي وردت في القرآن الكريم، والتي تعد عناصر رئيسة في صلب القصة كغلقها للأبواب، التي تعبر عن استعدادها النفسي، واتخاذ الخطوات التي تؤدي إلى إنجاح وتحقيق هدفها، وبالتالي تضييق دائرة الصراع على يوسف، ولن تجد أيضا ذكرا للبرهان الذي أتى إلى يوسف عليه السلام من ربه؛ ليخلصه من هذا الكيد بعد أن اكتنفه ظلام الفتنة؛ (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين (24)((يوسف

إن كل ما تحكيه التوراة قصة مراودة فقط، بل الأعجب من ذلك ما تحكيه التوراة أن يوسف عليه السلام ترك قميصه معها وهرب عاريا ! ألا يعد ذلك انتقاصا لقدراته العقلية؟ ! إذ كيف يخرج عاريا ويثبت الجريمة على نفسه، وكأنه المهاجم، والمرأة هي المدافعة، إن القرآن الكريم يصف هذا المشهد من القصة وصفا دقيقا محكما حين يقرر أن يوسف عليه السلام امتنع عنها لما رأى برهان ربه وقام مبادرا إلى باب البيت هاربا مما أرادته فاتبعته المرأة فتعلقت بقميصه وذلك هو قول الله تعالى في كتابه: (واستبقا الباب (25)((يوسف)، أدركته المرأة فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته إليها لتمنعه من الخروج، فهو يريد فتح مغلق الباب، وهي تريد أن تحول بينه وبين

ما يريده؛ وهو الإفلات من يدها دون قضاء حاجتها وهنا شقت قميصه من الخلف؛ لأن يوسف عليه السلام كان الهارب والمرأة الطالبة .

كما حكى القرآن تتمة المشهد قائلا: (وألفيا سيدها لدى الباب (25)((يوسف)

يمكنك الآن رؤية المشهد كاملا بكل تفاصيله وأبعاده بعد أن نقله القرآن بكل دقة فتجده كالآتي:

- امرأة العزيز تراود يوسف عليه السلام بعد أن غلقت الأبواب وتأكدت من عدم وجود أحد بالمكان .
- يوسف عليه السلام يري برهان ربه، فيأبى ويمتنع، ويعظها ويذكرها بالله.
- امرأة العزيز لا تتعظ وتصر على مراودته، فيهرب يوسف عليه السلام متجها إلى الباب.
- تتبعه امرأة العزيز وتجذبه من قميصه؛ لتمنعه من الفرار؛ فيتمزق قميصه من الخلف.
- يتابع يوسف عليه السلام فراره منها، وهي في أثره فينفتح الباب؛ ليجدا العزيز أمامها .

ومن ثم يأتي السرد القرآني المحكم؛ الذي يسلم أي مبدع وقاص وناقد ببراعته، وقوة حبكته ودقة تفاصيله، كما أن كل شيء أتى به القرآن في القصة لم يأت به عبثا؛ بل أتى به لحكمة تستطيع أن تستخرجها بوضوح بعد إتمامك للسرد القرآني للقصة الكاملة؛ التي كانت ترجمة لحدث حقيقي حدث على أرض الواقع، تشهد بذلك التوراة، التي لم تذكر أحداث القصة بهذه الدقة، كما افتقرت إلى كثير من الأحداث والتفاصيل الدقيقة التي نص عليها القرآن، وكأن الله يريد أن يقول لليهود الذين يدعون المعرفة الشاملة والدقيقة بتفاصيل حياة الأنبياء: آن لكم أن تتعلموا، وأن تعلموا أن ما تعلمونه قليل، وأن التوراة قليل في علم الله، بل كنقطة من بحر لا ساحل له لذا كان القرآن الكريم مهيمنا على ما سبقه من كتب بحول الله وقوته وعلمه وإرادته.

ولا يفوتنا أن نذكر أن التوراة كما أهملت ذكر تغليق الأبواب، ووعظ يوسف عليه السلام لامرأة العزيز وتذكيرها بالله، وإصرارها على مراودته بعد ذلك، وهروبه من أمامها، واستبقاهما للباب، وقدها قميصه من الخلف، ودخول العزيز قد أهملت قصة الشاهد الذي حكم ببراءة يوسف عليه السلام وهو من أهلها امرأة العزيز.

إذن فهي الطالبة، وهو المدافع، وهذا هو مبلغ الحكمة في الأسلوب القرآني.

إن مسألة البرهان: أي عصمة سيدنا يوسف عليه السلام وصرف السوء والفحشاء عنه على أصح الأقوال لم تذكرها التوراة، بل ركزت على ضغط المرأة اللعوب على يوسف عليه السلام ولم توضح موقف يوسف عليه السلام من تهمة زوجة العزيز له، في حين ذكر القرآن الكريم أن الله قد عصم يوسف عليه السلام فصرف عنه السوء والفحشاء، قال تعالى: (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين (24)((يوسف.

ويفهم من سياق الآية أن السوء والفحشاء عدوان يهاجمان يوسف عليه السلام فصرفهما الله عنه، ولو مال يوسف للمرأة كما توهم بعض المعلقين على القصة لما قال الله تعالى: (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء (24)((يوسف)، وكانت المكافأة من الله تعالى: إنه من عبادنا المخلصين (24)((يوسف)، أي المجتبين المطهرين الأخيار، ودلائل براءة يوسف قد شهد الله له بها وهي كثيرة وفصل فيها القول.

أيضا أغفلت التوراة المحرفة دعوة يوسف عليه السلام لصاحبيه في السجن إلى التوحيد الخالص، وترك الشرك والوثنية، فلم يعرف اليهود يوما إلها واحدا معبودا بحق، بل تجدهم على مر العصور يحاربون الله ورسله، ويقتلون الأنبياء، ويصادرون أمن الآمنين.

إذن فهدفهم من ذلك إبعاد مسألة الدعوة عن عقيدتهم، إذ لو دعا بها نبي من أنبياء بني إسرائيل "كسيدنا يوسف عليه السلام" لوجب اتباعها ولكانت شاهدا على كفرهم وفسادهم في الأرض، وهذا ما لا يريدونه.

إضافة إلى إغفالهم أن يوسف عليه السلام فسر رؤيا الملك قبل خروجه من السجن، لينفوا بذلك فضيلة الإحسان إلى من أساء، فقد سجن ظلما، ورغم ذلك لم يساومهم على تفسير الرؤية بخروجه من السجن فليس هذا من أخلاق الأنبياء الذين أدبهم ربهم فأحسن تأديبهم، فما يريده اليهود هو: الإساءة لمن أساء ولمن أحسن أيضا، هذا هو دينهم وديدنهم في كل العصور: العبث، والفساد في الأرض.

نعود إلى حديث القرآن عن قصة النسوة مع امرأة العزيز، والسؤال الآن: لماذا أغفلت التوراة قصة الوليمة ؟!

والإجابة عن هذا السؤال من وجهين :

1. لقد تفرد القرآن الكريم بالحديث عن شيوع خبر المرأة مع يوسف عليه السلام في المدينة وتحدث النسوة به، قال تعالى: (وقال نسوة في المدينة (30)((يوسف) فكما تحكي الآيات أن امرأة العزيز دعت النسوة اللاتي تهكمن عليها، واستنكرن فعلها لأنها عشقت فتاها، فأعدت لهن مائدة، وحرصت على أن يكون السكين في أيديهن، وهي تدرك مدى تأثير يوسف عليه السلام عليهن، وحدث ما توقعت فقد ركزن الأبصار والعقول على جمال يوسف عليه السلام وفي ذهول قطعت السكاكين أيديهن دون أن يشعرن بألم نتيجة انشغالهن بتأمل محاسنه، وجماله المشهود له فقد أوتي نصف الحسن إلى درجة أن فقدن صوابهن؛ فقطعن أيديهن دون شعورهن بآلام القطع في أيديهن. فهذا أمر معتاد وأصبح الآن تحت الدراسة، ولا يوجد من لا يعرف تأثير المنوم المغناطيسي على المنوم، وفي معارفنا أن هناك من يغيب عن إحساسه بمن حوله لمجرد التركيز في مسألة أو موضوع ما . فماذا لو كان وجها وضيئا أخاذا كوجه يوسف عليه السلام الذي أعطاه الله نصف الحسن، لقد عقب النسوة في ذهول على أثر رؤيتهن له قائلات: ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم (31)((يوسف

نقول: إن هذه القصة التي أثبتها القرآن أغفلتها التوراة، مع أن تسلسل الأحداث لا يتم إلا بها، ولكن كتاب التوراة ابتعدوا عن قصة هؤلاء النسوة لأنها تثبت للمؤرخين حضارة مصر العظيمة، وتوضح أن أهلها عرفوا وسائل المدنية من قديم الزمان، ومنها آداب المائدة، وأدوات الطعام، ومنها السكين، والأثاث المريح، وهذا ما أثبته المستشرق هنري برستد حين قال: "إن التقدم السياسي والاجتماعي وتطور الحضارة البشرية على وجه عام كان ظهورها كلها في وادي النيل متقدما بعدة قرون على أمثاله في غربي آسيا، الحقيقة أن الحضارة في بابل أتت متأخرة في تطورها الديني، والاجتماعي، والسياسي عن حضارة مصر، بما لا يقل عن ألف سنة

2. أغفلت التوراة – عمدا – هذه القصة؛ لأنهم بإثبات العصمة والفضيلة ليوسف عليه السلام يحرمون نساء الغير عليهم، وهم يريدون أن يعثوا في الأرض فسادا، فالمعروف أن دعوة موسى عليه السلام كان فيها الدعوة إلى الصفات الحميدة والأخلاق النبيلة من: عدم احتقار الغير، وعدم التعدي على أمواله وحرماته، وفي زمان سبي بابل حرف اليهود التوراة، وامتنعوا عن دعوة الأمم إلى معرفة الله، وأباحوا لأنفسهم أخذ الربا من الأميين، والزنا بنسائهم، وسفك دمائهم، وغيرها من ذميم الصفات، وكتبوا ما يدل على ذلك في التوراة، وحذفوا من التوراة – حال تحريفهم لها – ما يمنعهم عن ظلم الأميين. ومما حذفوه قول النسوة ليوسف عليه السلام (ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم (31)((يوسف)، فشهادة النسوة ليوسف عليه السلام بهذا الخلق الحميد يتعارض مع أهوائهم، وما اتفقوا عليه من العبث بنسائهم ونساء غيرهم.

ثالثا. تزييف الحقائق شأن كتاب التوراة دائما، فقد كتبوا ما يتفق مع أهوائهم، فلا يذكرون أية فضيلة لأنبياء الله ولا لغيرهم؛ حتى يجدوا مبررا لفسادهم وطغيانهم في الأرض:

درج اليهود على تزييف الحقائق بما يتفق مع ميلهم للفساد كما يثبت التاريخ، وحذف ما ينسب الفضل لغيرهم، لذا فالتوراة عبثت بها أيدي البشر وحرفت الكثير من نصوصها، إن لم نقل معظمها وبالتالي فنحن لا نصدق كل ما جاء بها، فما عرضناه منها على القرآن واتفق معه فهو صحيح، وإن تعارض فالقرآن هو الكتاب الخاتم الشامل الكامل الذي جاء مصوبا لأخطاء السابقين ومضيفا للكتب السابقة ما لم يرد منها، ومستدركا عليها ما وقع فيها من تحريف على أيدي البشر.

وقد رد القرآن الكريم على افتراءاتهم المتتالية على أنبياء الله، ومن ذلك قولهم: إن لوطا عليه السلام زنا بابنتيه. (التكوين 19: 31 – 38)، وإن سليمان الملك عليه السلام ابن زنا، وقد أحب نساء غريبات. (الملوك الأول 11: 1)، وأن داود عليه السلام ينظر إلى نساء الغير، وأنجب سليمان عليه السلام نتيجة علاقته المحرمة مع زوجة قائده أوريا الحثي. (صموئيل الثاني 11: 2 – 27)، كما أن نوحا عليه السلام وهو من أولي العزم من الرسل

نجده على حد تعبير توراتهم المحرفة يشرب الخمر حتى يترنح سكرا . (التكوين 9: 21)، وأن إبراهيم الخليل عليه السلام ديوث لا يغار على عرضه. (التكوين 12: 12 – 15)... إلخ، أليس هذا ظلما وعدوانا على أفضل الخلق قاطبة .

كما لم يعصم نبيهم المفضل صاحب التوراة وحامل ألواحها موسى عليه السلام من كذبهم وافترائهم، فهو قاتل لأخيه هارون عليه السلام الذي عبد العجل مع قومه حسب زعمهم، ألا قاتلهم الله أنى يؤفكون. فهل يتصور ممن كان هذا ديدنهم أن يكتبوا حقا أو يقولوا صدقا ؟ وإذا كان ما كتب في توراتهم بغية التعدي على نساء الأمم، فإن عقل أي عاقل لا يتصور أن يثبتوا عفة يوسف عليه السلام عن نساء الأمم.

يوسف عليه السلام في السجن
وفق الرواية التوراتية

تتحدث الرواية التوراتية عن بدايات دخول يوسف عليه السلام السجن :

[21]وَلكِنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَ يُوسُفَ، وَبَسَطَ إِلَيْهِ لُطْفًا، وَجَعَلَ نِعْمَةً لَهُ فِي عَيْنَيْ رَئِيسِ بَيْتِ السِّجْنِ. [22]فَدَفَعَ رَئِيسُ بَيْتِ السِّجْنِ إِلَى يَدِ يُوسُفَ جَمِيعَ الأَسْرَى الَّذِينَ فِي بَيْتِ السِّجْنِ. وَكُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ هُنَاكَ كَانَ هُوَ الْعَامِلَ. [23]وَلَمْ يَكُنْ رَئِيسُ بَيْتِ السِّجْنِ يَنْظُرُ شَيْئًا الْبَتَّةَ مِمَّا فِي يَدِهِ، لأَنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَهُ، وَمَهْمَا صَنَعَ كَانَ الرَّبُّ يُنْجِحُهُ.

تذكر التوراة ان رئيس السجن قد أحب يوسف عليه السلام كثيرا وجعل جميع الأسرى (السجناء) بأمرته

وتعتبر التوراة ان سبب ذلك لأن الرب كان معه وبسط له لطفه وفق تعبيرها .

لكن التوراة لم تتحدث عن الجانب النبوي أو الرسلي ليوسف عليه السلام كداعية الى الله ونعتقد ان أغفالها لهذا الجانب هو عمل مقصود تقصد به كاتب التوراة وهذا ماوجدناه في جميع القصص التوراتية التي تحدثت عن أنبياء الله فمن كتب التوراة لايهمه رسالات الأنبياء ودعواتهم فما يهمه هو تكريس الوجه العنصري لبني أسرائيل فقط لاغير .

بينما أيات القرآن الكريم تذكر دائما ما دعا به الأنبياء والرسل الى الايمان بالله وحده لاشريك له وبينت الايات القرآنية ما أنذر به الرسل أقوامهم وما بشروهم به .

فلنرى ماذا كان يفعل يوسف عليه السلام وهو في السجن وفق ما ترويه لنا الايات القرآنية :

(قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40) يوسف .

لقد حفظ القرآن الكريم مكانة الأنبياء وكرامتهم وأستذكر كلامهم ودعواتهم وبين لنا صبرهم وجلدهم وقوة ايمانهم وتمسكهم برسالة الله بينما التوراة لا تتحدث عن هذه الجوانب المضيئة والمشرقة في حياتهم بل عمدت الى نزع عصمتهم وطهارتهم واتهمت الكثير منهم بالزنا وشرب الخمر والخيانة والأحتيال والكذب والدياثة فالتوراة التي بين ايدينا تدمر قدسيتها بنفسها وتنزع شرعيتها بنفسها اذ من المفترض هي كتاب من عند الله ووحي منه وى نجد ما يدلنا على أن ذلك ابدا .

يوسف عليه السلام وتأويل الأحلام

وفق الرواية التوراتية

نتابع ما تبقى من قصة النبي يوسف عليه السلام في التوراة

الأَصحَاحُ الأَرْبَعُونَ

[1] وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ سَاقِيَ مَلِكِ مِصْرَ وَالْخَبَّازَ أَذْنَبَا إِلَى سَيِّدِهِمَا مَلِكِ مِصْرَ. [2] فَسَخَطَ فِرْعَوْنُ عَلَى خَصِيَّيْهِ: رَئِيسِ السُّقَاةِ وَرَئِيسِ الْخَبَّازِينَ، [3] فَوَضَعَهُمَا فِي حَبْسِ بَيْتِ رَئِيسِ الشُّرَطِ، فِي بَيْتِ السِّجْنِ، الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يُوسُفُ مَحْبُوسًا فِيهِ. [4] فَأَقَامَ رَئِيسُ الشُّرَطِ يُوسُفَ عِنْدَهُمَا فَخَدَمَهُمَا . وَكَانَا أَيَّامًا فِي الْحَبْسِ.

يمنح النص صفتين لحاكم مصر فمرة يقول عنه الملك ومرة فرعون لكن في أكثر النصوص التوراتية التي تتحدث عن قصة يوسف عليه السلام يستعمل كاتب التوراة صفة (فرعون) ليطلقها على حاكم مصر آنذاك وهذا ينافي ما جاءت به الايات القرآنية التي تفيدنا بأن حاكم مصر في تلك الحقبة التاريخية كان ملكا وليس فرعونا وهو الأمر الذي أكدته المكتشفات الاثرية الحديثة .

ونلاحظ ان كاتب النص قد أخبرنا من قبل بأن رئيس السجن وضع جميع الآسرى المسجونين تحت آمرته و وخدمته و في هذا النص يجعله (خادما) لرئيس السقاة ورئيس الخبازين ([4]فَأَقَامَ رَئِيسُ الشُّرَطِ يُوسُفَ عِنْدَهُمَا فَخَدَمَهُمَا) وهذا تناقض فاضح .

تأويل يوسف عليه السلام للحلم الأول

حلم رئيس السقاة ورئيس الخبازين :

[5]وَحَلُمَا كِلاَهُمَا حُلْمًا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، كُلُّ وَاحِدٍ حُلْمَهُ، كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ تَعْبِيرِ حُلْمِهِ، سَاقِي مَلِكِ مِصْرَ وَخَبَّازُهُ، الْمَحْبُوسَانِ فِي بَيْتِ السِّجْنِ. [6]فَدَخَلَ يُوسُفُ إِلَيْهِمَا فِي الصَّبَاحِ وَنَظَرَهُمَا، وَإِذَا هُمَا مُغْتَمَّانِ. [7]فَسَأَلَ خَصِيَّيْ فِرْعَوْنَ اللَّذَيْنِ مَعَهُ فِي حَبْسِ بَيْتِ سَيِّدِهِ قَائِلاً: «لِمَاذَا وَجْهَاكُمَا مُكْمَدَّانِ الْيَوْمَ؟» [8]فَقَالاَ لَهُ: «حَلُمْنَا حُلْمًا وَلَيْسَ مَنْ يُعَبِّرُهُ» . فَقَالَ لَهُمَا يُوسُفُ: «أَلَيْسَتْ للهِ التَّعَابِيرُ؟ قُصَّا عَلَيَّ» .

[9]فَقَصَّ رَئِيسُ السُّقَاةِ حُلْمَهُ عَلَى يُوسُفَ وَقَالَ لَهُ: «كُنْتُ فِي حُلْمِي وَإِذَا كَرْمَةٌ أَمَامِي. [10]وَفِي الْكَرْمَةِ ثَلاَثَةُ قُضْبَانٍ، وَهِيَ إِذْ أَفْرَخَتْ طَلَعَ زَهْرُهَا، وَأَنْضَجَتْ عَنَاقِيدُهَا عِنَبًا . [11]وَكَانَتْ كَأْسُ فِرْعَوْنَ فِي يَدِي، فَأَخَذْتُ الْعِنَبَ وَعَصَرْتُهُ فِي كَأْسِ فِرْعَوْنَ، وَأَعْطَيْتُ الْكَأْسَ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ» . [12]فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ: «هذَا تَعْبِيرُهُ: الثَّلاَثَةُ الْقُضْبَانِ هِيَ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ. [13]فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَيْضًا يَرْفَعُ فِرْعَوْنُ رَأْسَكَ وَيَرُدُّكَ إِلَى مَقَامِكَ، فَتُعْطِي كَأْسَ فِرْعَوْنَ فِي يَدِهِ كَالْعَادَةِ الأُولَى حِينَ كُنْتَ سَاقِيَهُ. [14]وَإِنَّمَا إِذَا ذَكَرْتَنِي عِنْدَكَ حِينَمَا يَصِيرُ لَكَ خَيْرٌ، تَصْنَعُ إِلَيَّ إِحْسَانًا وَتَذْكُرُنِي

لِفِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُنِي مِنْ هذَا الْبَيْتِ. [15]لأَنِّي قَدْ سُرِقْتُ مِنْ أَرْضِ الْعِبْرَانِيِّينَ، وَهُنَا أَيْضًا لَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا حَتَّى وَضَعُونِي فِي السِّجْنِ».

[16]فَلَمَّا رَأَى رَئِيسُ الْخَبَّازِينَ أَنَّهُ عَبَّرَ جَيِّدًا، قَالَ لِيُوسُفَ: «كُنْتُ أَنَا أَيْضًا فِي حُلْمِي وَإِذَا ثَلاَثَةُ سِلاَلٍ حُوَّارَى عَلَى رَأْسِي. [17]وَفِي السَّلِّ الأَعْلَى مِنْ جَمِيعِ طَعَامِ فِرْعَوْنَ مِنْ صَنْعَةِ الْخَبَّازِ. وَالطُّيُورُ تَأْكُلُهُ مِنَ السَّلِّ عَنْ رَأْسِي». [18]فَأَجَابَ يُوسُفُ وَقَالَ: «هذَا تَعْبِيرُهُ: الثَّلاَثَةُ السِّلاَلِ هِيَ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ. [19]فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَيْضًا يَرْفَعُ فِرْعَوْنُ رَأْسَكَ عَنْكَ، وَيُعَلِّقُكَ عَلَى خَشَبَةٍ، وَتَأْكُلُ الطُّيُورُ لَحْمَكَ عَنْكَ».

[20]فَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، يَوْمِ مِيلاَدِ فِرْعَوْنَ، أَنَّهُ صَنَعَ وَلِيمَةً لِجَمِيعِ عَبِيدِهِ، وَرَفَعَ رَأْسَ رَئِيسِ السُّقَاةِ وَرَأْسَ رَئِيسِ الْخَبَّازِينَ بَيْنَ عَبِيدِهِ. [21]وَرَدَّ رَئِيسَ السُّقَاةِ إِلَى سَقْيِهِ فَأَعْطَى الْكَأْسَ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ. [22]وَأَمَّا رَئِيسُ الْخَبَّازِينَ فَعَلَّقَهُ، كَمَا عَبَّرَ لَهُمَا يُوسُفُ. [23]وَلكِنْ لَمْ يَذْكُرْ رَئِيسُ السُّقَاةِ يُوسُفَ بَلْ نَسِيَهُ.

نلاحظ في هذا النص التوراتي الذي يتحدث عن حلم سجينين كانا مع يوسف عليه السلام في السجن :

. يتحدث النص عن مقدمات لا قيمة لها للدخول في موضوع المشهد والغرض منها الاطالة فقط فهو تحدث عن حالة السجينين حينما رآهما : ([6]فَدَخَلَ يُوسُفُ إِلَيْهِمَا فِي الصَّبَاحِ وَنَظَرَهُمَا، وَإِذَا هُمَا مُغْتَمَّانِ.) .

فيبادر الى سؤالهما عن سبب غمهم فيبادران للحديث عن أحلامهم ليوسف عليه السلام .

أما المشهد نفسه فيبدأ في القصة القرآنية مباشرة دون مقدمات ودون أن يخبرنا ماهي صنعة السجينين الذين سألوا يوسف عن حلمهما (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ) فقط بكلمات معدودات تختصر الايات القرآنية المشهد .

. ان مشهد قص السجينين لرؤيتهما أستغرقت مع الكاتب صفحة كاملة :

[9]فَقَصَّ رَئِيسُ السُّقَاةِ حُلْمَهُ عَلَى يُوسُفَ وَقَالَ لَهُ: «كُنْتُ فِي حُلْمِي وَإِذَا كَرْمَةٌ أَمَامِي. [10]وَفِي الْكَرْمَةِ ثَلاَثَةُ قُضْبَانٍ، وَهِيَ إِذْ أَفْرَخَتْ طَلَعَ زَهْرُهَا، وَأَنْضَجَتْ عَنَاقِيدُهَا عِنَبًا. [11]وَكَانَتْ كَأْسُ فِرْعَوْنَ فِي يَدِي، فَأَخَذْتُ الْعِنَبَ وَعَصَرْتُهُ فِي كَأْسِ فِرْعَوْنَ، وَأَعْطَيْتُ الْكَأْسَ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ». [12]فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ: «هذَا تَعْبِيرُهُ: الثَّلاَثَةُ

الْقُضْبَانِ هِيَ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ. [13]فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَيْضًا يَرْفَعُ فِرْعَوْنُ رَأْسَكَ وَيَرُدُّكَ إِلَى مَقَامِكَ، فَتُعْطِي كَأْسَ فِرْعَوْنَ فِي يَدِهِ كَالْعَادَةِ الأُولَى حِينَ كُنْتَ سَاقِيَهُ. [14]وَإِنَّمَا إِذَا ذَكَرْتَنِي عِنْدَكَ حِينَمَا يَصِيرُ لَكَ خَيْرٌ، تَصْنَعُ إِلَيَّ إِحْسَانًا وَتَذْكُرُنِي لِفِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُنِي مِنْ هذَا الْبَيْتِ. [15]لأَنِّي قَدْ سُرِقْتُ مِنْ أَرْضِ الْعِبْرَانِيِّينَ، وَهُنَا أَيْضًا لَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا حَتَّى وَضَعُونِي فِي السِّجْنِ».

[16]فَلَمَّا رَأَى رَئِيسُ الْخَبَّازِينَ أَنَّهُ عَبَّرَ جَيِّدًا، قَالَ لِيُوسُفَ: «كُنْتُ أَنَا أَيْضًا فِي حُلْمِي وَإِذَا ثَلاَثَةُ سِلاَلِ حُوَّارَى عَلَى رَأْسِي. [17]وَفِي السَّلِّ الأَعْلَى مِنْ جَمِيعِ طَعَامِ فِرْعَوْنَ مِنْ صَنْعَةِ الْخَبَّازِ. وَالطُّيُورُ تَأْكُلُهُ مِنَ السَّلِّ عَنْ رَأْسِي». [18]فَأَجَابَ يُوسُفُ وَقَالَ: «هذَا تَعْبِيرُهُ: الثَّلاَثَةُ السِّلاَلِ هِيَ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ. [19]فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَيْضًا يَرْفَعُ فِرْعَوْنُ رَأْسَكَ عَنْكَ، وَيُعَلِّقُكَ عَلَى خَشَبَةٍ، وَتَأْكُلُ الطُّيُورُ لَحْمَكَ عَنْكَ».

[20]فَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، يَوْمِ مِيلاَدِ فِرْعَوْنَ، أَنَّهُ صَنَعَ وَلِيمَةً لِجَمِيعِ عَبِيدِهِ، وَرَفَعَ رَأْسَ رَئِيسِ السُّقَاةِ وَرَأْسَ رَئِيسِ الْخَبَّازِينَ بَيْنَ عَبِيدِهِ. [21]وَرَدَّ رَئِيسَ السُّقَاةِ إِلَى سَقْيِهِ فَأَعْطَى الْكَأْسَ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ. [22]وَأَمَّا رَئِيسُ الْخَبَّازِينَ فَعَلَّقَهُ، كَمَا عَبَّرَ لَهُمَا يُوسُفُ. [23]وَلكِنْ لَمْ يَذْكُرْ رَئِيسُ السُّقَاةِ يُوسُفَ بَلْ نَسِيَهُ.

ولننظر كيف أختصر النص القرآني وعبر عن المشهد بدقة وبلاغة :

(وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36) يوسف

(يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (41) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (42) يوسف

وهنا نرى الفرق بين الأسلوب الالهي والأسلوب البشري في التعبير والايجاز والاعجاز فلو كان كاتب المشهدين واحدا لبقى وصفه وتعبيره وأسلوبه في روايته واحدا لا يتغير لكن ظهور هذا التباين سببه ان من كتب التوراة التي

بين أيدينا اليوم هو بشر بينما من يتحدث في الايات القرآنية فهو الله سبحانه وتعالى : نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (3) فهو وحي يوحى وليس خاطرة أو تصور

. ان حادثة نسيان وصية يوسف عليه السلام للساقي أن يذكره عند الملك لم يبين النص التوراة السبب الذي جعل الساقي ينسى هذه الوصية وهل هو نسيان من النوع الطبيعي أم بفعل أخر أجبر الساقي على عدم ذكر يوسف عليه السلام .

أما في النص القرآني فأرجع سبب ذلك الى الشيطان الذي أنساه ذكر ربه لذلك فأن الله سبحانه وتعالى نساه : (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ . (42) يوسف

ان هذا النص ينبهنا الى مسألة مهمة جدا في قصة يوسف عليه السلام وهي قضية العناية الالهيه والتدخل المباشر في تفاصيل حياته ولقد راينا ذلك في بدايات القصة حينما تأمر أخوته عليه فأوحى الله له أنه سيعلمهم بفعلتهم وكذلك نجد مثل هذا التدخل الباشر حينما رأى برهان ربه الذي أبعد عنه الوقوع في الفاحشة ونرى في هذا النص أعلاه أنه حينما توكل يوسف عليه السلام على وساطة صاحبه في السجن ليذكره عند الملك لأن الشيطان أنساه ذكر ربه وفضله عليه لذلك فبقي في السجن بضع سنين أخرى .

بينما لا نجد أي دور للعناية الالهية ليوسف عليه السلام في النصوص التوراتية سوى بضع كلمات دلت على محبة الله ورعايته له .

ومن ناحية أخرى تستوقفنا جملة أخرى في هذه الايه وهي قوله تعالى : (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا)

ولم تقل الاية (وقال للذي سينجو منهما) والسبب في ذلك ان تأويل يوسف عليه السلام للرؤيا هو تأويل ظني وليس قطعي ذلك ان تحقق تأويل رؤياه في الواقع هو ليس ل بيد يوسف بل بيد الله سبحانه وتعالى فقد يحققه ويقدره الله أو لا يحققه لذلك فهو ظن قابل للتحقق وحينما يتحقق يصبح يقينا .

حلم الملك وتأويله

وفق الرؤية التوراتية

نتابع قصة يوسف عليه السلام كما جاءت في التوراة

الأَصحَاحُ الْحَادِي والأَرْبَعُونَ

[1]وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ سَنَتَيْنِ مِنَ الزَّمَانِ أَنَّ فِرْعَوْنَ رَأَى حُلْمًا: وَإِذَا هُوَ وَاقِفٌ عِنْدَ النَّهْرِ، [2]وَهُوَذَا سَبْعُ بَقَرَاتٍ طَالِعَةٍ مِنَ النَّهْرِ حَسَنَةِ الْمَنْظَرِ وَسَمِينَةِ اللَّحْمِ، فَارْتَعَتْ فِي رَوْضَةٍ. [3]ثُمَّ هُوَذَا سَبْعُ بَقَرَاتٍ أُخْرَى طَالِعَةٍ وَرَاءَهَا مِنَ النَّهْرِ قَبِيحَةِ الْمَنْظَرِ وَرَقِيقَةِ اللَّحْمِ، فَوَقَفَتْ بِجَانِبِ الْبَقَرَاتِ الأُولَى عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ، [4]فَأَكَلَتِ الْبَقَرَاتُ الْقَبِيحَةُ الْمَنْظَرِ وَالرَّقِيقَةُ اللَّحْمِ الْبَقَرَاتِ السَّبْعَ الْحَسَنَةَ الْمَنْظَرِ وَالسَّمِينَةَ. وَاسْتَيْقَظَ فِرْعَوْنُ.

ثُمَّ نَامَ فَحَلُمَ ثَانِيَةً: وَهُوَذَا سَبْعُ سَنَابِلَ طَالِعَةٍ فِي سَاق وَاحِدٍ سَمِينَةٍ وَحَسَنَةٍ. [6]ثُمَّ هُوَذَا سَبْعُ سَنَابِلَ رَقِيقَةٍ وَمَلْفُوحَةٍ بِالرِّيحِ الشَّرْقِيَّةِ نَابِتَةٍ وَرَاءَهَا . [7]فَابْتَلَعَتِ السَّنَابِلُ الرَّقِيقَةُ السَّنَابِلَ السَّبْعَ السَّمِينَةَ الْمُمْتَلِئَةَ. وَاسْتَيْقَظَ فِرْعَوْنُ، وَإِذَا هُوَ حُلْمٌ. [8]وَكَانَ فِي الصَّبَاحِ أَنَّ نَفْسَهُ انْزَعَجَتْ، فَأَرْسَلَ وَدَعَا جَمِيعَ سَحَرَةِ مِصْرَ وَجَمِيعَ حُكَمَائِهَا . وَقَصَّ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ حُلْمَهُ، فَلَمْ يَكُنْ مَنْ يُعَبِّرُهُ لِفِرْعَوْنَ.

ان هذين الحلمين المذكورين في هذه النصوص التوراتية تختصره أيتين قصيرتين في سورة يوسف حيث جاء فيهما :) وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43)

يتابع الراوي التوراتي الحديث عن المشهد التالي :

[9]ثُمَّ كَلَّمَ رَئِيسُ السُّقَاةِ فِرْعَوْنَ قَائِلاً: «أَنَا أَتَذَكَّرُ الْيَوْمَ خَطَايَايَ. [10]فِرْعَوْنُ سَخِطَ عَلَى عَبْدَيْهِ، فَجَعَلَنِي فِي حَبْسِ بَيْتِ رَئِيسِ الشُّرَطِ أَنَا وَرَئِيسَ الْخَبَّازِينَ. [11]فَحَلُمْنَا حُلْمًا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ أَنَا وَهُوَ. حَلُمْنَا كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ تَعْبِيرِ حُلْمِهِ. [12]وَكَانَ هُنَاكَ مَعَنَا غُلاَمٌ عِبْرَانِيٌّ عَبْدٌ لِرَئِيسِ الشُّرَطِ، فَقَصَصْنَا عَلَيْهِ، فَعَبَّرَ لَنَا حُلْمَيْنَا . عَبَّرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ حُلْمِهِ. [13]وَكَمَا عَبَّرَ لَنَا هكَذَا حَدَثَ. رَدَّنِي أَنَا إِلَى مَقَامِي، وَأَمَّا هُوَ فَعَلَّقَهُ» .

[14]فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ وَدَعَا يُوسُفَ، فَأَسْرَعُوا بِهِ مِنَ السِّجْنِ. فَحَلَقَ وَأَبْدَلَ ثِيَابَهُ وَدَخَلَ عَلَى فِرْعَوْنَ. [15]فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «حَلُمْتُ حُلْمًا وَلَيْسَ مَنْ يُعَبِّرُهُ. وَأَنَا سَمِعْتُ عَنْكَ قَوْلاً، إِنَّكَ تَسْمَعُ أَحْلاَمًا لِتُعَبِّرَهَا». [16]فَأَجَابَ يُوسُفُ فِرْعَوْنَ: «لَيْسَ لِي. اَللهُ يُجِيبُ بِسَلاَمَةِ فِرْعَوْنَ».

[25]فَقَالَ يُوسُفُ لِفِرْعَوْنَ: «حُلْمُ فِرْعَوْنَ وَاحِدٌ. قَدْ أَخْبَرَ اللهُ فِرْعَوْنَ بِمَا هُوَ صَانِعٌ. [26]اَلْبَقَرَاتُ السَّبْعُ الْحَسَنَةُ هِيَ سَبْعُ سِنِينَ، وَالسَّنَابِلُ السَّبْعُ الْحَسَنَةُ هِيَ سَبْعُ سِنِينَ. هُوَ حُلْمٌ وَاحِدٌ. [27]وَالْبَقَرَاتُ السَّبْعُ الرَّقِيقَةُ الْقَبِيحَةُ الَّتِي طَلَعَتْ وَرَاءَهَا هِيَ سَبْعُ سِنِينَ، وَالسَّنَابِلُ السَّبْعُ الْفَارِغَةُ الْمَلْفُوحَةُ بِالرِّيحِ الشَّرْقِيَّةِ تَكُونُ سَبْعَ سِنِينَ جُوعًا. [28]هُوَ الأَمْرُ الَّذِي كَلَّمْتُ بِهِ فِرْعَوْنَ. قَدْ أَظْهَرَ اللهُ لِفِرْعَوْنَ مَا هُوَ صَانِعٌ. [29]هُوَذَا سَبْعُ سِنِينَ قَادِمَةٌ شِبَعًا عَظِيمًا فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. [30]ثُمَّ تَقُومُ بَعْدَهَا سَبْعُ سِنِينَ جُوعًا، فَيُنْسَى كُلُّ الشِّبَعِ فِي أَرْضِ مِصْرَ وَيُتْلِفُ الْجُوعُ الأَرْضَ. [31]وَلاَ يُعْرَفُ الشِّبَعُ فِي الأَرْضِ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ الْجُوعِ بَعْدَهُ، لأَنَّهُ يَكُونُ شَدِيدًا جِدًّا. [32]وَأَمَّا عَنْ تَكْرَارِ الْحُلْمِ عَلَى فِرْعَوْنَ مَرَّتَيْنِ، فَلأَنَّ الأَمْرَ مُقَرَّرٌ مِنْ قِبَلِ اللهِ، وَاللهُ مُسْرِعٌ لِيَصْنَعَهُ.

في بداية هذا المشهد يتذكر رئيس السقاة حلمه الذي رأه في السجن وقام يوسف عليه السلام بتفسيره له

ثم يتحدث لفرعون عن يوسف وكيف فسر حلمه فيسارع فرعون في طلب يوسف اليه والذي أتوا به الى الملك في حينه وهذا يخالف ما جاء في النصوص القرآنية التي تقول ان صاحب يوسف عليه السلام هو الذي ذهب اليه في السجن يطلب منه تفسيرا لرؤية الملك : (وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (49)

لكن أي المشهدين منهما يمثل الواقع كما جرى وكلا الروايتين القرآنية والتوراتية تتحدثان عن قصة واحدة

ان هدف الملك الوحيد هو معرفة تفسير حلمه الذي عجز عن تفسيره المقربون منه وقالوا له أضغاث أحلام وظهور الساقي أمامه ليعلمه أنه يعرف شخصا يفهم في تفسير الاحلام وسبق أن فسرها له وتحققت تماما فيطلب من الملك أن يذهب لعنده في السجن (يوسف عليه السلام) ليفسر له الحلم فذهب الى هناك وحصل على مايريد ورجع الى الملك ليخبره بالتفسير هنا يطلب الملك أن يحضروا له المفسر (يوسف) .

لذلك فالملك لم يرسل في طلب يوسف عليه السلام مباشرة وفورا بل وافق على اقتراح الساقي بأن يذهب هو لعند يوسف ويرى فلربما يوسف لم يستطيع تفسير هكذا حلم وما الفائدة من احضاره وقتها .

ووراء هذا التدبير حكمة الهية أراد الله فيها أن يظهر براءة يوسف عليه السلام وقد سنح له الفرصة لذلك فلو انه ذهب مباشرة فور الطلب منه وفق ما تدعي التوراة لرضخ يوسف للأمر ولا يستطيع أن يرفض طلب الملك بالمثول أمامه وبعد انتهاء تفسيره سيعاد الى الحبس لينفذ عقوبته لكن حكمة الله قد أقتضت أن يبرأ يوسف عليه السلام في القضية يكون فيها الملك نفسه قاضيا وبذلك تتعزز مكانة يوسف وأمانته وصدقه عند الملك وخاصه بعد أن فسر له حلمه بتفسير وحيد لا أحتمال أخر له حتى ان يوسف عليه السلام لم يقل لصاحبه أنه يريد تفسير الرؤية للملك نفسه وكانت فرصته الوحيدة لمقابلته وطلب العدل منه لكن يوسف عليه السلام لم يقع في الخطأ الذي وقع به من قبل حينما أنساه الشيطان ذكر الله وقال لصاحبه أذكرني عند ربك لكن هذه المرة قام بتفسير الرؤية لصاحبه والذي نقلها بدوره الى الملك ولم يطلب منه أي وساطة أو رجاء أو توصية وكل هذا الذي كان يريده حققه الله له بتقدير وتدبير منه فاثبت الله براءته وجعل له مكانة خاصة عند الملك ثم أصبح يدير ثروة مصر كلها .

مشهد اعادة الاعتبار ليوسف عليه السلام

ان مشهدا اعادة الاعتبار ليوسف عليه السلام لم تذكره التوراة والسبب في ذلك انها لم تذكر مشهد النسوة حينما طلبت امراة العزيز منهن أن يحضروا ليروا يسف عليه السلام ولقد ذكرنا في حينه سبب تغاضي التوراة عن التطرق لهذا المشهد وفيه أحداثا هامة جدا لاعطاء القصة بشكل عام صدقيتها والهدف منها

لذلك جاء مشهد اعادة الاعتبار في قصة يوسف القرآنية لتأكيد براءته أمام محكمة برأسها الملك نفسه فتهمته وزجه في السجن انما جاء بتصرف فردي ظالم وحين يحصل على هذه البراءه باقرار وندم من الذين أتهموه فهذا سيعزز مكانته وأمانته وصدقه عند الملك وهذا الذي قد حصل بالفعل .

تابع هذا المشهد في الايات القرآنية الاتية :

(وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (50) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

فهذه الشهادة ليس فقط انها برئت يوسف عليه السلام مما نسب اليه من التحرش بهن بل فيها اطراء وتذكية له وهو الذي تربى في كنفها (قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ) وقالت امرأت العزيز : (الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) .

هنا أمام هذا الموقف الذي تبين فيه للملك صدق يوسف عليه السلام وصبره وتحمله للظلم وفوق ذلك أمانته وعلمه وقدرته على تفسير الأحلام جعل الملك يقف ويقول : وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54 يوسف) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (57 يوسف .

وفي هذه الايات الكريمة يمن الله فيها على نبيه يوسف عليه السلام بأن مكنه في الأرض (مصر) أي جعله مسؤولا عن خيراتها يديرها كيفما شاء

ما ذكرته التوراة

في تزكية فرعون ليوسف عليه السلام

نتابع الرواية التوراتية :

[33]«فَالآنَ لِيَنْظُرْ فِرْعَوْنُ رَجُلاً بَصِيرًا وَحَكِيمًا وَيَجْعَلْهُ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ. [34]يَفْعَلْ فِرْعَوْنُ فَيُوَكِّلْ نُظَّارًا عَلَى الأَرْضِ، وَيَأْخُذْ خُمْسَ غَلَّةِ أَرْضِ مِصْرَ فِي سَبْعِ سِنِي الشَّبَعِ، [35]فَيَجْمَعُونَ جَمِيعَ طَعَامِ هذِهِ السِّنِينَ الْجَيِّدَةِ الْقَادِمَةِ، وَيَخْزِنُونَ قَمْحًا تَحْتَ يَدِ فِرْعَوْنَ طَعَامًا فِي الْمُدُنِ وَيَحْفَظُونَهُ. [36]فَيَكُونُ الطَّعَامُ ذَخِيرَةً لِلأَرْضِ لِسَبْعِ سِنِي الْجُوعِ الَّتِي تَكُونُ فِي أَرْضِ مِصْرَ، فَلاَ تَنْقَرِضُ الأَرْضُ بِالْجُوعِ» .

تبين هذه النصوص التوراتية العمل الذي كلف فيه فرعون يوسف عليه السلام الذي تصفه بالرجل البصير الحكيم وجعله على أرض مصر حيث سيجعل يوسف لفرعون وكلاء يشرفون على جمع المحاصيل خلال سنوات الشبع وتخزينها ثم بيعها للناس في سنوات الجوع .

[37]فَحَسُنَ الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ وَفِي عُيُونِ جَمِيعِ عَبِيدِهِ. [38]فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِعَبِيدِهِ: «هَلْ نَجِدُ مِثْلَ هذَا رَجُلاً فِيهِ رُوحُ اللهِ؟» [39]ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «بَعْدَ مَا أَعْلَمَكَ اللهُ كُلَّ هذَا، لَيْسَ بَصِيرٌ وَحَكِيمٌ مِثْلَكَ. [40]أَنْتَ تَكُونُ عَلَى بَيْتِي، وَعَلَى فَمِكَ يُقَبِّلُ جَمِيعُ شَعْبِي إِلاَّ إِنَّ الْكُرْسِيَّ أَكُونُ فِيهِ أَعْظَمَ مِنْكَ» .

وفي هذا النص التوراتي يعطي فرعون مكانة خاصة ليوسف عليه السلام فأصبح بمنزلة الملك لكن دون كرسي فرعون وجميع أهل مصر يسمعون كلامه ويطيعوه .

[41]ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «انْظُرْ، قَدْ جَعَلْتُكَ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ» . [42]وَخَلَعَ فِرْعَوْنُ خَاتِمَهُ مِنْ يَدِهِ وَجَعَلَهُ فِي يَدِ يُوسُفَ، وَأَلْبَسَهُ ثِيَابَ بُوصٍ، وَوَضَعَ طَوْقَ ذَهَبٍ فِي عُنُقِهِ، [43]وَأَرْكَبَهُ فِي مَرْكَبَتِهِ الثَّانِيَةِ، وَنَادَوْا أَمَامَهُ «ارْكَعُوا» . وَجَعَلَهُ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. [44]وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «أَنَا فِرْعَوْنُ. فَبِدُونِكَ لاَ يَرْفَعُ إِنْسَانٌ يَدَهُ وَلاَ رِجْلَهُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ» .

[45]وَدَعَا فِرْعَوْنُ اسْمَ يُوسُفَ «صَفْنَاتَ فَعْنِيحَ»، وَأَعْطَاهُ أَسْنَاتَ بِنْتَ فُوطِي فَارَعَ كَاهِنِ أُونَ زَوْجَةً. فَخَرَجَ يُوسُفُ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ. - [46]وَكَانَ يُوسُفُ ابْنَ ثَلاَثِينَ سَنَةً لَمَّا وَقَفَ قُدَّامَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ. فَخَرَجَ يُوسُفُ مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ وَاجْتَازَ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ.

اخوة يوسف عليه السلام في مصر
وفق الرواية التوراتية

(ثُمَّ كَمِلَتْ سَبْعُ سِنِي الشَّبَعِ الَّذِي كَانَ فِي أَرْضِ مِصْرَ. [54]وَابْتَدَأَتْ سَبْعُ سِنِي الْجُوعِ تَأْتِي كَمَا قَالَ يُوسُفُ، فَكَانَ جُوعٌ فِي جَمِيعِ الْبُلْدَانِ. وَأَمَّا جَمِيعُ أَرْضِ مِصْرَ فَكَانَ فِيهَا خُبْزٌ. [55]وَلَمَّا جَاعَتْ جَمِيعُ أَرْضِ مِصْرَ وَصَرَخَ الشَّعْبُ إِلَى فِرْعَوْنَ لأَجْلِ الْخُبْزِ، قَالَ فِرْعَوْنُ لِكُلِّ الْمِصْرِيِّينَ: «اذْهَبُوا إِلَى يُوسُفَ، وَالَّذِي يَقُولُ لَكُمُ افْعَلُوا». [56]وَكَانَ الْجُوعُ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ، وَفَتَحَ يُوسُفُ جَمِيعَ مَا فِيهِ طَعَامٌ وَبَاعَ لِلْمِصْرِيِّينَ. وَاشْتَدَّ الْجُوعُ فِي أَرْضِ مِصْرَ. [57]وَجَاءَتْ كُلُّ الأَرْضِ إِلَى مِصْرَ إِلَى يُوسُفَ لِتَشْتَرِيَ قَمْحًا، لأَنَّ الْجُوعَ كَانَ شَدِيدًا فِي كُلِّ الأَرْضِ.)

تتحدث هذه المقدمة التوراتية عن سبع سنين من القحط ضرب مصر وسائر البلدان وحينما يطلب الشعب من فرعون الخبز يقول للمصريين : «اذْهَبُوا إِلَى يُوسُفَ، وَالَّذِي يَقُولُ لَكُمُ افْعَلُوا». وصارت كل البلاد تأتي الى مصر لشراء القمح (لأَنَّ الْجُوعَ كَانَ شَدِيدًا فِي كُلِّ الأَرْضِ) .

ولا نجد مثل هذه التفصيلات في ايات القرآن الكريم وكما ذكرنا فأن الخطاب القرآني لا يحتاج الى مثل هذه التمهيدات للدخول في صلب المواضيع والقصص التي يرويها فبعد أن أنتهى النص القرآني الذي يتحدث عن تمكين يوسف عليه السلام ينتقل مباشرة للحديث عن أخوة يوسف : (وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (58) فمن هذا النص القصير نستنتج ما يلي :

. ان أخوة يوسف عليه السلام جاءوا الى مصر بسبب ما أصابهم من قحط ليشتروا الحنطة كما فعل غيرهم من القرى المجاورة لمصر .

. وحين طلبوا شراء الحنطة علم القائمون على بيعها أنهم من كنعان من بلد يوسف وقد يكون يوسف عليه السلام هو الذي أعطاهم الأمر بذلك على أن يعلموه بخبر أي قافلة تصل من أرض كنعان لتشتري الحنطة .

. فحينما قادهم الحرس الى عند يوسف عليه السلام عرفهم لكن هم لم يعرفوه .

وهنا تتجلى معجزة القرآن البيانية والتعبيرية والتي لا نجد لها مثيلا في أي نص وضعي حيث يحفز أسلوبه العقل ويطلق عنانه للتدبر والفهم واستخراج المفاهيم والعبر والأحكام والمشاهد المخفية .

بينما سنرى في النصوص التوراتية الأتية كيف تتناول هذا المشهد بتفاصيل مملة :

الأَصحَاحُ الثَّانِي وَالأَرْبَعُونَ

[1]فَلَمَّا رَأَى يَعْقُوبُ أَنَّهُ يُوجَدُ قَمْحٌ فِي مِصْرَ، قَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ: «لِمَاذَا تَنْظُرُونَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ؟» [2]وَقَالَ «إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ يُوجَدُ قَمْحٌ فِي مِصْرَ. انْزِلُوا إِلَى هُنَاكَ وَاشْتَرُوا لَنَا مِنْ هُنَاكَ لِنَحْيَا وَلاَ نَمُوتَ». [3]فَنَزَلَ عَشَرَةٌ مِنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ لِيَشْتَرُوا قَمْحًا مِنْ مِصْرَ. [4]وَأَمَّا بَنْيَامِينُ أَخُو يُوسُفَ فَلَمْ يُرْسِلْهُ يَعْقُوبُ مَعَ إِخْوَتِهِ، لأَنَّهُ قَالَ: «لَعَلَّهُ تُصِيبُهُ أَذِيَّةٌ».

[5]فَأَتَى بَنُو إِسْرَائِيلَ لِيَشْتَرُوا بَيْنَ الَّذِينَ أَتَوْا، لأَنَّ الْجُوعَ كَانَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. [6]وَكَانَ يُوسُفُ هُوَ الْمُسَلَّطَ عَلَى الأَرْضِ، وَهُوَ الْبَائِعَ لِكُلِّ شَعْبِ الأَرْضِ. فَأَتَى إِخْوَةُ يُوسُفَ وَسَجَدُوا لَهُ بِوُجُوهِهِمْ إِلَى الأَرْضِ. [7]وَلَمَّا نَظَرَ يُوسُفُ إِخْوَتَهُ عَرَفَهُمْ، فَتَنَكَّرَ لَهُمْ وَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ بِجَفَاءٍ، وَقَالَ لَهُمْ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟» فَقَالُوا: «مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ لِنَشْتَرِيَ طَعَامًا». [8]وَعَرَفَ يُوسُفُ إِخْوَتَهُ، وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَعْرِفُوهُ .

نعيد ونؤكد ان كل هذه التفاصيل أوجزها قوله تعالى : ((وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (58)

الدخول في صلب الموضوع

[9]فَتَذَكَّرَ يُوسُفُ الأَحْلاَمَ الَّتِي حَلُمَ عَنْهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «جَوَاسِيسُ أَنْتُمْ! لِتَرَوْا عَوْرَةَ الأَرْضِ جِئْتُمْ» [10]فَقَالُوا لَهُ: «لاَ يَا سَيِّدِي، بَلْ عَبِيدُكَ جَاءُوا لِيَشْتَرُوا طَعَامًا. [11]نَحْنُ جَمِيعُنَا بَنُو رَجُل وَاحِدٍ. نَحْنُ أُمَنَاءُ، لَيْسَ عَبِيدُكَ جَوَاسِيسَ». [12]فَقَالَ لَهُمْ: «كَلاَّ! بَلْ لِتَرَوْا عَوْرَةَ الأَرْضِ جِئْتُمْ». [13]فَقَالُوا: «عَبِيدُكَ اثْنَا عَشَرَ أَخًا. نَحْنُ بَنُو رَجُل وَاحِدٍ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. وَهُوَذَا الصَّغِيرُ عِنْدَ أَبِينَا الْيَوْمَ، وَالْوَاحِدُ مَفْقُودٌ». [14]فَقَالَ لَهُمْ يُوسُفُ: «ذلِكَ مَا كَلَّمْتُكُمْ بِهِ قَائِلاً: جَوَاسِيسُ أَنْتُمْ! [15]بِهذَا تُمْتَحَنُونَ. وَحَيَاةِ فِرْعَوْنَ لاَ تَخْرُجُونَ مِنْ هُنَا إِلاَّ بِمَجِيءِ أَخِيكُمُ الصَّغِيرِ إِلَى هُنَا. [16]أَرْسِلُوا مِنْكُمْ وَاحِدًا لِيَجِيءَ بِأَخِيكُمْ، وَأَنْتُمْ تُحْبَسُونَ، فَيُمْتَحَنَ كَلاَمُكُمْ هَلْ عِنْدَكُمْ صِدْقٌ. وَإِلاَّ فَوَحَيَاةِ فِرْعَوْنَ إِنَّكُمْ لَجَوَاسِيسُ!». [17]فَجَمَعَهُمْ إِلَى حَبْسٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ

[18]ثُمَّ قَالَ لَهُمْ يُوسُفُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ: «افْعَلُوا هذَا وَاحْيَوْا. أَنَا خَائِفُ اللهِ. [19]إِنْ كُنْتُمْ أُمَنَاءَ فَلْيُحْبَسْ أَخٌ وَاحِدٌ مِنْكُمْ فِي بَيْتِ حَبْسِكُمْ، وَانْطَلِقُوا أَنْتُمْ وَخُذُوا قَمْحًا لِمَجَاعَةِ بُيُوتِكُمْ. [20]وَأَحْضِرُوا أَخَاكُمُ الصَّغِيرَ إِلَيَّ، فَيَتَحَقَّقَ كَلاَمُكُمْ وَلاَ تَمُوتُوا». فَفَعَلُوا هكَذَا. [21]وَقَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «حَقًّا إِنَّنَا مُذْنِبُونَ إِلَى أَخِينَا الَّذِي رَأَيْنَا ضِيقَةَ نَفْسِهِ لَمَّا اسْتَرْحَمَنَا وَلَمْ نَسْمَعْ. لِذلِكَ جَاءَتْ عَلَيْنَا هذِهِ الضِّيقَةُ». [22]فَأَجَابَهُمْ رَأُوبَيْنُ قَائِلاً: «أَلَمْ أُكَلِّمْكُمْ قَائِلاً: لاَ تَأْثَمُوا بِالْوَلَدِ، وَأَنْتُمْ لَمْ تَسْمَعُوا؟ فَهُوَذَا دَمُهُ يُطْلَبُ». [23]وَهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ يُوسُفَ فَاهِمٌ؛ لأَنَّ التُّرْجُمَانَ كَانَ بَيْنَهُمْ. [24]فَتَحَوَّلَ عَنْهُمْ وَبَكَى، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ وَكَلَّمَهُمْ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ شِمْعُونَ وَقَيَّدَهُ أَمَامَ عُيُونِهِمْ.

ان هذه الأحداث والوقائع والسيناريو لا أساس له من الصحة وذلك ليس لأن ايات القرآن الكريم لم تذكرها بل لوجود تناقض في تسلسل الأحداث وتواليها :

. ماعلاقة الأحلام التي رأها لكي يتهمهم بهذه التهمة التي مصيرها الموت وكان من الأحرى أن يتذكر ما فعلوه به حيث ألقوه في الجب وباعوه عبدا بثمن بخس .

. يذكر النص ان يوسف عليه السلام أقسم (بحياة فرعون) وهذا اتهام واضح بالشرك بالله وحاشى يوسف عليه السلام أن يفعل ذلك .

. ان طلب يوسف عليه السلام منهم بأن يأتوا بأخيهم وان لم يأتوا به سيبقوا في السجن طلب غير واقعي وغريب ويثير الشك عندهم .

. ثم خفف الطلب عليهم وأمر بحبس واحد منهم كرهينة لحين يأتوا بأخاهم أما اتهامهم بالتجسس فلقد تخلى عنها وهي تهمة خطيرة .

فكل هذه الفبركة التي صنعها كاتب النص التوراتي لأجل تحقيق هدف واحد وهو احضار أخيه الصغير

أما الايات القرآنية فتبسط هذا المشهد وتجعله قابلا للتصديق ويختصر كثيرا من الحوار الذي لاقيمة له :

المشهد وفق الرواية القرآنية

(وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (58) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (59) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (60) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (61) وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (62) .

نلاحظ في هذا النص ان يوسف عليه السلام لم يدع أخوته يشكون في أي شئ وطلب منهم أن يأتوا بأخ لهم من أباهم ولقد عرف ذلك من خلال المعلومات التي أخذها منهم فهم الذين قالوا له ان لنا أخا من أبانا وبقي عند والده لأنه يخاف عليه ولولا انهم أنفسهم قد قال لهم سوف يشكون ويقولون له من أين عرفت ان لنا أخا آخر وسوف ينكشف أمره عندها وهو لايريد ذلك .

وقد بينت النصوص التوراتية التي تهتم بالتفاصيل بهذا الأمر وأوضحت ان أخوة يوسف عليه السلام هم الذين أخبروه : ([6]فَقَالَ إِسْرَائِيلُ: «لِمَاذَا أَسَأْتُمْ إِلَيَّ حَتَّى أَخْبَرْتُمُ الرَّجُلَ أَنَّ لَكُمْ أَخًا أَيْضًا؟» [7]فَقَالُوا: «إِنَّ الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَ عَنَّا وَعَنْ عَشِيرَتِنَا، قَائِلاً: هَلْ أَبُوكُمْ حَيٌّ بَعْدُ؟ هَلْ لَكُمْ أَخٌ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ بِحَسَبِ هذَا الْكَلاَمِ. هَلْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ يَقُولُ: انْزِلُوا بِأَخِيكُمْ؟» .

لكن يوسف عليه السلام أقنعهم أن حصتهم سوف تزيد وليزيد طمعهم أكثر ترك لهم المال الذي أشتروا به في رحالهم لعلهم يرجعون أي ليكون عندهم حافزا وطمعا بالرجوع اليه .

وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (62)

وهذا الذي ذكرناه فهو أكبر دليل ان القرآن الكريم هو كلام الله لذلك حينما قص علينا القصص ومنها قصة يوسف عليه السلام لأنه تعالى شاهدا قائما عليها والله خير الشاهدين وان ادعاء البعض من ان الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام قد أخذ هذه القصص من التوراة والكتب السابقة هو ادعاء باطل وزائف ولا يمكن له لو كان فعل ذلك وأخذ هذه القصة من مصدرها التوراتي أن يتجرأ ويحذف هذه المقطع التوراتي المثبت أعلاه و الهام جدا وعدم ورود هذا المقطع كنص حرفي وتبيان معناه في النص القرآني فهذا الاعجاز البياني بعينه .

يعقوب عليه السلام يوافق

على ارسال أصغر أولاده

تابع قصة يوسف عليه السلام وفق النصوص التوراتية

الأَصحَاحُ الثَّالِثُ والأَرْبَعُونَ

وَكَانَ الْجُوعُ شَدِيدًا فِي الأَرْضِ. [2]وَحَدَثَ لَمَّا فَرَغُوا مِنْ أَكْلِ الْقَمْحِ الَّذِي جَاءُوا بِهِ مِنْ مِصْرَ، أَنَّ أَبَاهُمْ قَالَ لَهُمْ: «ارْجِعُوا اشْتَرُوا لَنَا قَلِيلاً مِنَ الطَّعَامِ» . [3]فَكَلَّمَهُ يَهُوذَا قَائِلاً: «إِنَّ الرَّجُلَ قَدْ أَشْهَدَ عَلَيْنَا قَائِلاً: لاَ تَرَوْنَ وَجْهِي بِدُونِ أَنْ يَكُونَ أَخُوكُمْ مَعَكُمْ. [4]إِنْ كُنْتَ تُرْسِلُ أَخَانَا مَعَنَا، نَنْزِلُ وَنَشْتَرِي لَكَ طَعَامًا، [5]وَلكِنْ إِنْ كُنْتَ لاَ تُرْسِلُهُ لاَ نَنْزِلُ. لأَنَّ الرَّجُلَ قَالَ لَنَا: لاَ تَرَوْنَ وَجْهِي بِدُونِ أَنْ يَكُونَ أَخُوكُمْ مَعَكُمْ

فَقَالَ إِسْرَائِيلُ: «لِمَاذَا أَسَأْتُمْ إِلَيَّ حَتَّى أَخْبَرْتُمُ الرَّجُلَ أَنَّ لَكُمْ أَخًا أَيْضًا؟» [7]فَقَالُوا: «إِنَّ الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَ عَنَّا وَعَنْ عَشِيرَتِنَا، قَائِلاً: هَلْ أَبُوكُمْ حَيٌّ بَعْدُ؟ هَلْ لَكُمْ أَخٌ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ بِحَسَبِ هذَا الْكَلاَمِ. هَلْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ يَقُولُ: انْزِلُوا بِأَخِيكُمْ؟».

[8]وَقَالَ يَهُوذَا لإِسْرَائِيلَ أَبِيهِ: «أَرْسِلِ الْغُلاَمَ مَعِي لِنَقُومَ وَنَذْهَبَ وَنَحْيَا وَلاَ نَمُوتَ، نَحْنُ وَأَنْتَ وَأَوْلاَدُنَا جَمِيعًا. [9]أَنَا أَضْمَنُهُ. مِنْ يَدِي تَطْلُبُهُ. إِنْ لَمْ أَجِئْ بِهِ إِلَيْكَ وَأُوقِفْهُ قُدَّامَكَ، أَصِرْ مُذْنِبًا إِلَيْكَ كُلَّ الأَيَّامِ. [10]لأَنَّنَا لَوْ لَمْ نَتَوَانَ لَكُنَّا قَدْ رَجَعْنَا الآنَ مَرَّتَيْنِ».

[11]فَقَالَ لَهُمْ إِسْرَائِيلُ أَبُوهُمْ: «إِنْ كَانَ هكَذَا فَافْعَلُوا هذَا: خُذُوا مِنْ أَفْخَرِ جَنَى الأَرْضِ فِي أَوْعِيَتِكُمْ، وَأَنْزِلُوا لِلرَّجُلِ هَدِيَّةً. قَلِيلاً مِنَ الْبَلَسَانِ، وَقَلِيلاً مِنَ الْعَسَلِ، وَكَثِيرَاءَ وَلاَذَنًا وَفُسْتُقًا وَلَوْزًا. [12]وَخُذُوا فِضَّةً أُخْرَى فِي أَيَادِيكُمْ. وَالْفِضَّةَ الْمَرْدُودَةَ فِي أَفْوَاهِ عِدَالِكُمْ رُدُّوهَا فِي أَيَادِيكُمْ، لَعَلَّهُ كَانَ سَهْوًا. [13]وَخُذُوا أَخَاكُمْ وَقُومُوا ارْجِعُوا إِلَى الرَّجُلِ. [14]وَاللهُ الْقَدِيرُ يُعْطِيكُمْ رَحْمَةً أَمَامَ الرَّجُلِ حَتَّى يُطْلِقَ لَكُمْ أَخَاكُمُ الآخَرَ وَبَنْيَامِينَ. وَأَنَا إِذَا عَدِمْتُ الأَوْلاَدَ عَدِمْتُهُمْ».

هذا المقطع التوراتي يبين ان يعقوب عليه السلام وبعد جدال مع أولاده يوافق على أرسال ولده الصغير معهم الى مصر بناء على طلب يوسف عليه السلام ويوصيهم بأن يأخذوا معهم هدية وأن يردوا اليه الفضة التي رددت اليهم قد يكون ردها اليهم خطأً .

[15]فَأَخَذَ الرِّجَالُ هذِهِ الْهَدِيَّةَ، وَأَخَذُوا ضِعْفَ الْفِضَّةِ فِي أَيَادِيهِمْ، وَبَنْيَامِينَ، وَقَامُوا وَنَزَلُوا إِلَى مِصْرَ وَوَقَفُوا أَمَامَ يُوسُفَ. [16]فَلَمَّا رَأَى يُوسُفُ بَنْيَامِينَ مَعَهُمْ، قَالَ لِلَّذِي عَلَى بَيْتِهِ: «أَدْخِلِ الرِّجَالَ إِلَى الْبَيْتِ وَاذْبَحْ ذَبِيحَةً وَهَيِّئْ، لأَنَّ الرِّجَالَ يَأْكُلُونَ مَعِي عِنْدَ الظُّهْرِ». [17]فَفَعَلَ الرَّجُلُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ. وَأَدْخَلَ الرَّجُلُ الرِّجَالَ إِلَى بَيْتِ يُوسُفَ.

[18]فَخَافَ الرِّجَالُ إِذْ أُدْخِلُوا إِلَى بَيْتِ يُوسُفَ، وَقَالُوا: «لِسَبَبِ الْفِضَّةِ الَّتِي رَجَعَتْ أَوَّلاً فِي عِدَالِنَا نَحْنُ قَدْ أُدْخِلْنَا لِيَهْجِمَ عَلَيْنَا وَيَقَعَ بِنَا وَيَأْخُذَنَا عَبِيدًا وَحَمِيرَنَا». [19]فَتَقَدَّمُوا إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي عَلَى بَيْتِ يُوسُفَ، وَكَلَّمُوهُ فِي

بَاب الْبَيْتِ [20]وَقَالُوا: «اسْتَمِعْ يَا سَيِّدِي، إِنَّنَا قَدْ نَزَلْنَا أَوَّلاً لِنَشْتَرِيَ طَعَامًا. [21]وَكَانَ لَمَّا أَتَيْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ أَنَّنَا فَتَحْنَا عِدَالَنَا، وَإِذَا فِضَّةُ كُلِّ وَاحِدٍ فِي فَمِ عِدْلِهِ. فِضَّتُنَا بِوَزْنِهَا. فَقَدْ رَدَدْنَاهَا فِي أَيَادِينَا. [22]وَأَنْزَلْنَا فِضَّةً أُخْرَى فِي أَيَادِينَا لِنَشْتَرِيَ طَعَامًا. لاَ نَعْلَمُ مَنْ وَضَعَ فِضَّتَنَا فِي عِدَالِنَا».

[23]فَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكُمْ، لاَ تَخَافُوا. إِلهُكُمْ وَإِلهُ أَبِيكُمْ أَعْطَاكُمْ كَنْزًا فِي عِدَالِكُمْ. فِضَّتُكُمْ وَصَلَتْ إِلَيَّ». ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ شِمْعُونَ. [24]وَأَدْخَلَ الرَّجُلُ الرِّجَالَ إِلَى بَيْتِ يُوسُفَ وَأَعْطَاهُمْ مَاءً لِيَغْسِلُوا أَرْجُلَهُمْ، وَأَعْطَى عَلِيقًا لِحَمِيرِهِمْ. [25]وَهَيَّأُوا الْهَدِيَّةَ إِلَى أَنْ يَجِيءَ يُوسُفُ عِنْدَ الظُّهْرِ، لأَنَّهُمْ سَمِعُوا أَنَّهُمْ هُنَاكَ يَأْكُلُونَ طَعَامًا.

[26]فَلَمَّا جَاءَ يُوسُفُ إِلَى الْبَيْتِ أَحْضَرُوا إِلَيْهِ الْهَدِيَّةَ الَّتِي فِي أَيَادِيهِمْ إِلَى الْبَيْتِ، وَسَجَدُوا لَهُ إِلَى الأَرْضِ. [27]فَسَأَلَ عَنْ سَلاَمَتِهِمْ، وَقَالَ: «أَسَالِمٌ أَبُوكُمُ الشَّيْخُ الَّذِي قُلْتُمْ عَنْهُ؟ أَحَيٌّ هُوَ بَعْدُ؟» [28]فَقَالُوا: «عَبْدُكَ أَبُونَا سَالِمٌ. هُوَ حَيٌّ بَعْدُ». وَخَرُّوا وَسَجَدُوا.

[29]فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ بَنْيَامِينَ أَخَاهُ ابْنَ أُمِّهِ، وَقَالَ: «أَهذَا أَخُوكُمُ الصَّغِيرُ الَّذِي قُلْتُمْ لِي عَنْهُ؟» ثُمَّ قَالَ: «اللهُ يُنْعِمُ عَلَيْكَ يَا ابْنِي». [30]وَاسْتَعْجَلَ يُوسُفُ لأَنَّ أَحْشَاءَهُ حَنَّتْ إِلَى أَخِيهِ وَطَلَبَ مَكَانًا لِيَبْكِيَ، فَدَخَلَ الْمِخْدَعَ وَبَكَى هُنَاكَ.

[31]ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَخَرَجَ وَتَجَلَّدَ، وَقَالَ: «قَدِّمُوا طَعَامًا». [32]فَقَدَّمُوا لَهُ وَحْدَهُ، وَلَهُمْ وَحْدَهُمْ، وَلِلْمِصْرِيِّينَ الآكِلِينَ عِنْدَهُ وَحْدَهُمْ، لأَنَّ الْمِصْرِيِّينَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَأْكُلُوا طَعَامًا مَعَ الْعِبْرَانِيِّينَ، لأَنَّهُ رِجْسٌ عِنْدَ الْمِصْرِيِّينَ. [33]فَجَلَسُوا قُدَّامَهُ: الْبِكْرُ بِحَسَبِ بَكُورِيَّتِهِ، وَالصَّغِيرُ بِحَسَبِ صِغَرِهِ، فَبُهِتَ الرِّجَالُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. [34]وَرَفَعَ حِصَصًا مِنْ قُدَّامِهِ إِلَيْهِمْ، فَكَانَتْ حِصَّةُ بَنْيَامِينَ أَكْثَرَ مِنْ حِصَصِ جَمِيعِهِمْ خَمْسَةَ أَضْعَافٍ. وَشَرِبُوا وَرَوُوا مَعَهُ.)

المشهد نفسه في النص القرآني

قال الله تعالى في سورة يوسف :

(فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (63) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (64) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (65) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (66)

تبين لنا هذه الايات الكريمة وصول اخوة يوسف لديارهم وقاموا بأخبار أباهم بأنهم منعوا من الكيل مرة ثانية حتى يأتوا بأخ لهم لكن يعقوب عليه السلام أمتنع للوهلة الأولى وتذكر مافعلوه مع يوسف حينما أرسله معهم لكن أبناء يعقوب عليه السلام حينما رأوا ان فضتهم ردت اليهم وسوف يأتون بأحمال أكثر اذا كان معهم أخاهم المطلوب فأقنعوا والدهم بذلك بعد أن أعطوه موثقا وتوكل على الله وأرسله معهم .

ثم يطلب منه النبي يعقوب عليه السلام طلبا غريبا لم يفهموه :

وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (67) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (68)

: فالحاجة التي كانت في نفس يعقوب عليه السلام هي

الطمأنينة على أبنائه و الخوف عليهم من العين، لأنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة ومنظر وبهاء ، بالإضافة ،إلى أن دخولهم من باب واحد فيه نوع من الاجتماع

وقوله عليه السلام: ((لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ)) فيها أخذٌ بالأسباب، وقوله: ((وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)) فيها تسليم بقضاء الله .وقدره، وصدق التوكل على الله في جميع الأمور

وفي الآية دليل على أن يعقوب عليه السلام، صاحب علم عظيم، ولكن هذا العلم لم يحصل عليه بحوله وقوته، وإنما من فضل الله عليه وتعليمه إياه ((وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ)) .

ان النصوص القرآنية تصف لنا الآحداث متسارعة ولا تهتم كثيرا بالتفاصيل الهامشية والتي لا فائدة منها سوى الاطالة والمبالغة فبمجرد وصول أخوة يوسف عليه السلام ومعهم أخاهم الصغير الى عند يوسف فضمه اليه وأعلمه انه أخاه يوسف وراح يعد الأمور ليعلم والده بالخبر .

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (69) يوسف

مشهد لقاء يوسف بأخاه الصغير

في النص التوراتي

[15]فَأَخَذَ الرِّجَالُ هذِهِ الْهَدِيَّةَ، وَأَخَذُوا ضِعْفَ الْفِضَّةِ فِي أَيَادِيهِمْ، وَبَنْيَامِينَ، وَقَامُوا وَنَزَلُوا إِلَى مِصْرَ وَوَقَفُوا أَمَامَ يُوسُفَ. [16]فَلَمَّا رَأَى يُوسُفُ بَنْيَامِينَ مَعَهُمْ، قَالَ لِلَّذِي عَلَى بَيْتِهِ: «أَدْخِلِ الرِّجَالَ إِلَى الْبَيْتِ وَاذْبَحْ ذَبِيحَةً وَهَيِّئْ، لأَنَّ الرِّجَالَ يَأْكُلُونَ مَعِي عِنْدَ الظُّهْرِ» . [17]فَفَعَلَ الرَّجُلُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ. وَأَدْخَلَ الرَّجُلُ الرِّجَالَ إِلَى بَيْتِ يُوسُفَ.

[18]فَخَافَ الرِّجَالُ إِذْ أُدْخِلُوا إِلَى بَيْتِ يُوسُفَ، وَقَالُوا: «لِسَبَبِ الْفِضَّةِ الَّتِي رَجَعَتْ أَوَّلاً فِي عِدَالِنَا نَحْنُ قَدْ أُدْخِلْنَا لِيَهْجِمَ عَلَيْنَا وَيَقَعَ بِنَا وَيَأْخُذَنَا عَبِيدًا وَحَمِيرَنَا» . [19]فَتَقَدَّمُوا إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي عَلَى بَيْتِ يُوسُفَ، وَكَلَّمُوهُ فِي بَابِ الْبَيْتِ [20]وَقَالُوا: «اسْتَمِعْ يَا سَيِّدِي، إِنَّنَا قَدْ نَزَلْنَا أَوَّلاً لِنَشْتَرِيَ طَعَامًا . [21]وَكَانَ لَمَّا أَتَيْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ أَنَّنَا فَتَحْنَا عِدَالَنَا، وَإِذَا فِضَّةُ كُلِّ وَاحِدٍ فِي فَمِ عِدْلِهِ. فِضَّتُنَا بِوَزْنِهَا . فَقَدْ رَدَدْنَاهَا فِي أَيَادِينَا . [22]وَأَنْزَلْنَا فِضَّةً أُخْرَى فِي أَيَادِينَا لِنَشْتَرِيَ طَعَامًا . لاَ نَعْلَمُ مَنْ وَضَعَ فِضَّتَنَا فِي عِدَالِنَا» .

[23]فَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكُمْ، لاَ تَخَافُوا . إِلهُكُمْ وَإِلهُ أَبِيكُمْ أَعْطَاكُمْ كَنْزًا فِي عِدَالِكُمْ. فِضَّتُكُمْ وَصَلَتْ إِلَيَّ» . ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ شِمْعُونَ. [24]وَأَدْخَلَ الرَّجُلُ الرِّجَالَ إِلَى بَيْتِ يُوسُفَ وَأَعْطَاهُمْ مَاءً لِيَغْسِلُوا أَرْجُلَهُمْ، وَأَعْطَى عَلِيقًا لِحَمِيرِهِمْ. [25]وَهَيَّأُوا الْهَدِيَّةَ إِلَى أَنْ يَجِيءَ يُوسُفُ عِنْدَ الظُّهْرِ، لأَنَّهُمْ سَمِعُوا أَنَّهُمْ هُنَاكَ يَأْكُلُونَ طَعَامًا .

[26]فَلَمَّا جَاءَ يُوسُفُ إِلَى الْبَيْتِ أَحْضَرُوا إِلَيْهِ الْهَدِيَّةَ الَّتِي فِي أَيَادِيهِمْ إِلَى الْبَيْتِ، وَسَجَدُوا لَهُ إِلَى الأَرْضِ. [27]فَسَأَلَ عَنْ سَلاَمَتِهِمْ، وَقَالَ: «أَسَالِمٌ أَبُوكُمُ الشَّيْخُ الَّذِي قُلْتُمْ عَنْهُ؟ أَحَيٌّ هُوَ بَعْدُ؟» [28]فَقَالُوا: «عَبْدُكَ أَبُونَا سَالِمٌ. هُوَ حَيٌّ بَعْدُ». وَخَرُّوا وَسَجَدُوا.

[29]فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ بَنْيَامِينَ أَخَاهُ ابْنَ أُمِّهِ، وَقَالَ: «أَهذَا أَخُوكُمُ الصَّغِيرُ الَّذِي قُلْتُمْ لِي عَنْهُ؟» ثُمَّ قَالَ: «اللهُ يُنْعِمُ عَلَيْكَ يَا ابْنِي». [30]وَاسْتَعْجَلَ يُوسُفُ لأَنَّ أَحْشَاءَهُ حَنَّتْ إِلَى أَخِيهِ وَطَلَبَ مَكَانًا لِيَبْكِيَ، فَدَخَلَ الْمَخْدَعَ وَبَكَى هُنَاكَ.

[31]ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَخَرَجَ وَتَجَلَّدَ، وَقَالَ: «قَدِّمُوا طَعَامًا». [32]فَقَدَّمُوا لَهُ وَحْدَهُ، وَلَهُمْ وَحْدَهُمْ، وَلِلْمِصْرِيِّينَ الآكِلِينَ عِنْدَهُ وَحْدَهُمْ، لأَنَّ الْمِصْرِيِّينَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَأْكُلُوا طَعَامًا مَعَ الْعِبْرَانِيِّينَ، لأَنَّهُ رِجْسٌ عِنْدَ الْمِصْرِيِّينَ. [33]فَجَلَسُوا قُدَّامَهُ: الْبِكْرُ بِحَسَبِ بَكُورِيَّتِهِ، وَالصَّغِيرُ بِحَسَبِ صِغَرِهِ، فَبُهِتَ الرِّجَالُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. [34]وَرَفَعَ حِصَصًا مِنْ قُدَّامِهِ إِلَيْهِمْ، فَكَانَتْ حِصَّةُ بَنْيَامِينَ أَكْثَرَ مِنْ حِصَصِ جَمِيعِهِمْ خَمْسَةَ أَضْعَافٍ. وَشَرِبُوا وَرَوُوا مَعَهُ.

مشهد صاع الملك في النص التوراتي

الأَصحَاحُ الرَّابعُ والأَرْبَعُونَ

[1]ثُمَّ أَمَرَ الَّذِي عَلَى بَيْتِهِ قَائِلاً: «امْلأْ عِدَالَ الرِّجَالِ طَعَامًا حَسَبَ مَا يُطِيقُونَ حِمْلَهُ، وَضَعْ فِضَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ فِي فَمِ عِدْلِهِ. [2]وَطَاسِي، طَاسَ الْفِضَّةِ، تَضَعُ فِي فَمِ عِدْلِ الصَّغِيرِ، وَثَمَنَ قَمْحِهِ». فَفَعَلَ بِحَسَبِ كَلاَمِ يُوسُفَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ. [3]فَلَمَّا أَضَاءَ الصُّبْحُ انْصَرَفَ الرِّجَالُ هُمْ وَحَمِيرُهُمْ. [4]وَلَمَّا كَانُوا قَدْ خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَبْتَعِدُوا، قَالَ يُوسُفُ لِلَّذِي عَلَى بَيْتِهِ: «قُمِ اسْعَ وَرَاءَ الرِّجَالِ، وَمَتَى أَدْرَكْتَهُمْ فَقُلْ لَهُمْ: لِمَاذَا جَازَيْتُمْ شَرًّا عِوَضًا عَنْ خَيْرٍ؟ [5]أَلَيْسَ هذَا هُوَ الَّذِي يَشْرَبُ سَيِّدِي فِيهِ؟ وَهُوَ يَتَفَاءَلُ بِهِ. أَسَأْتُمْ فِي مَا صَنَعْتُمْ».

[6]فَأَدْرَكَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ هذَا الْكَلاَمَ. [7]فَقَالُوا لَهُ: «لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ سَيِّدِي مِثْلَ هذَا الْكَلاَمِ؟ حَاشَا لِعَبِيدِكَ أَنْ يَفْعَلُوا مِثْلَ هذَا الأَمْرِ! [8]هُوَذَا الْفِضَّةُ الَّتِي وَجَدْنَا فِي أَفْوَاهِ عِدَالِنَا رَدَدْنَاهَا إِلَيْكَ مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ. فَكَيْفَ نَسْرِقُ مِنْ بَيْتِ

سَيِّدِكَ فِضَّةً أَوْ ذَهَبًا ؟ [9]اَلَّذِي يُوجَدُ مَعَهُ مِنْ عَبِيدِكَ يَمُوتُ، وَنَحْنُ أَيْضًا نَكُونُ عَبِيدًا لِسَيِّدِي» . [10]فَقَالَ: «نَعَم، الآنَ بِحَسَبِ كَلاَمِكُمْ هكَذَا يَكُونُ. اَلَّذِي يُوجَدُ مَعَهُ يَكُونُ لِي عَبْدًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَكُونُونَ أَبْرِيَاءَ» . [11]فَاسْتَعْجَلُوا وَأَنْزَلُوا كُلُّ وَاحِدٍ عِدْلَهُ إِلَى الأَرْضِ، وَفَتَحُوا كُلُّ وَاحِدٍ عِدْلَهُ. [12]فَفَتَّشَ مُبْتَدِئًا مِنَ الْكَبِيرِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الصَّغِيرِ، فَوُجِدَ الطَّاسُ فِي عِدْلِ بَنْيَامِينَ. [13]فَمَزَّقُوا ثِيَابَهُمْ وَحَمَّلَ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حِمَارِهِ وَرَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ .

[14]فَدَخَلَ يَهُوذَا وَإِخْوَتُهُ إِلَى بَيْتِ يُوسُفَ وَهُوَ بَعْدُ هُنَاكَ، وَوَقَعُوا أَمَامَهُ عَلَى الأَرْضِ. [15]فَقَالَ لَهُمْ يُوسُفُ: «مَا هذَا الْفِعْلُ الَّذِي فَعَلْتُمْ؟ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَجُلاً مِثْلِي يَتَفَاءَلُ؟» [16]فَقَالَ يَهُوذَا: «مَاذَا نَقُولُ لِسَيِّدِي؟ مَاذَا نَتَكَلَّمُ؟ وَبِمَاذَا نَتَبَرَّرُ؟ اللهُ قَدْ وَجَدَ إِثْمَ عَبِيدِكَ. هَا نَحْنُ عَبِيدٌ لِسَيِّدِي، نَحْنُ وَالَّذِي وُجِدَ الطَّاسُ فِي يَدِهِ جَمِيعًا» . [17]فَقَالَ: «حَاشَا لِي أَنْ أَفْعَلَ هذَا ! الرَّجُلُ الَّذِي وُجِدَ الطَّاسُ فِي يَدِهِ هُوَ يَكُونُ لِي عَبْدًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَاصْعَدُوا بِسَلاَمٍ إِلَى أَبِيكُمْ» .

[18]ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَهُوذَا وَقَالَ: «اسْتَمِعْ يَا سَيِّدِي. لِيَتَكَلَّمْ عَبْدُكَ كَلِمَةً فِي أُذُنَيْ سَيِّدِي وَلاَ يَحْمَ غَضَبُكَ عَلَى عَبْدِكَ، لأَنَّكَ مِثْلُ فِرْعَوْنَ. [19]سَيِّدِي سَأَلَ عَبِيدَهُ قَائِلاً: هَلْ لَكُمْ أَبٌ أَوْ أَخٌ؟ [20]فَقُلْنَا لِسَيِّدِي: لَنَا أَبٌ شَيْخٌ، وَابْنُ شَيْخُوخَةٍ صَغِيرٌ، مَاتَ أَخُوهُ وَبَقِيَ هُوَ وَحْدَهُ لأُمِّهِ، وَأَبُوهُ يُحِبُّهُ. [21]فَقُلْتَ لِعَبِيدِكَ: انْزِلُوا بِهِ إِلَيَّ فَأَجْعَلَ نَظَرِي عَلَيْهِ. [22]فَقُلْنَا لِسَيِّدِي: لاَ يَقْدِرُ الْغُلاَمُ أَنْ يَتْرُكَ أَبَاهُ، وَإِنْ تَرَكَ أَبَاهُ يَمُوتُ. [23]فَقُلْتَ لِعَبِيدِكَ: إِنْ لَمْ يَنْزِلْ أَخُوكُمُ الصَّغِيرُ مَعَكُمْ لاَ تَعُودُوا تَنْظُرُونَ وَجْهِي. [24]فَكَانَ لَمَّا صَعِدْنَا إِلَى عَبْدِكَ أَبِي أَنَّنَا أَخْبَرْنَاهُ بِكَلاَمِ سَيِّدِي. [25]ثُمَّ قَالَ أَبُونَا: ارْجِعُوا اشْتَرُوا لَنَا قَلِيلاً مِنَ الطَّعَامِ. [26]فَقُلْنَا: لاَ نَقْدِرُ أَنْ نَنْزِلَ، وَإِنَّمَا إِذَا كَانَ أَخُونَا الصَّغِيرُ مَعَنَا نَنْزِلُ، لأَنَّنَا لاَ نَقْدِرُ أَنْ نَنْظُرَ وَجْهَ الرَّجُلِ وَأَخُونَا الصَّغِيرُ لَيْسَ مَعَنَا . [27]فَقَالَ لَنَا عَبْدُكَ أَبِي: أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ لِي اثْنَيْنِ، [28]فَخَرَجَ الْوَاحِدُ مِنْ عِنْدِي، وَقُلْتُ: إِنَّمَا هُوَ قَدِ افْتُرِسَ افْتِرَاسًا، وَلَمْ أَنْظُرْهُ إِلَى الآنَ. [29]فَإِذَا أَخَذْتُمْ هذَا أَيْضًا مِنْ أَمَامِ وَجْهِي وَأَصَابَتْهُ أَذِيَّةٌ، تُنْزِلُونَ شَيْبَتِي بِشَرّ إِلَى الْهَاوِيَةِ. [30]فَالآنَ مَتَى جِئْتُ إِلَى عَبْدِكَ أَبِي، وَالْغُلاَمُ لَيْسَ مَعَنَا، وَنَفْسُهُ مُرْتَبِطَةٌ بِنَفْسِهِ، [31]يَكُونُ مَتَى رَأَى أَنَّ الْغُلاَمَ مَفْقُودٌ، أَنَّهُ يَمُوتُ، فَيُنْزِلُ عَبِيدُكَ شَيْبَةَ عَبْدِكَ أَبِينَا بِحُزْنٍ إِلَى الْهَاوِيَةِ، [32]لأَنَّ عَبْدَكَ ضَمِنَ الْغُلاَمَ لأَبِي قَائِلاً: إِنْ لَمْ أَجِئْ بِهِ إِلَيْكَ أَصِرْ مُذْنِبًا إِلَى أَبِي كُلَّ الأَيَّامِ. [33]فَالآنَ لِيَمْكُثْ

عَبْدُكَ عِوَضًا عَنِ الْغُلاَمِ، عَبْدًا لِسَيِّدِي، وَيَصْعَدِ الْغُلاَمُ مَعَ إِخْوَتِهِ. [34]لأَنِّي كَيْفَ أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَالْغُلاَمُ لَيْسَ مَعِي؟ لِئَلاَّ أَنْظُرَ الشَّرَّ الَّذِي يُصِيبُ أَبِي»

مشهد صواع الملك في القرآن الكريم

ووفق الرواية القرآنية :

(فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (70) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (71) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (72) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (73) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (74) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (75) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (76) قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (77) قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (78) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ (79) يوسف

هناك تطابق في موضع المشهد وهو فقدان صواع الملك كما تسمية الايات القرآنية والطاس كما تسميه التوراة

فالعملية سماها النص القرآن الكريم (كيد) أي حيلة أعانه الله على تحقيقها والمراد منها ليس الشر والضرر بأخوته بل أبقاء أخوه يوسف الصغير الى جانبه بدون أن يشعر بقية أخوانه بذلك .

ونلاحظ ان نهاية هذا المشهد تنتهي بنهايتين مختلفتين ففي الرواية التوراتية يضطر يوسف عليه السلام بسبب فقدان صبره وتحمله أن يكشف عن نفسه ويعرف أخوته عليه :

[1]فَلَمْ يَسْتَطِعْ يُوسُفُ أَنْ يَضْبِطَ نَفْسَهُ لَدَى جَمِيعِ الْوَاقِفِينَ عِنْدَهُ فَصَرَخَ: «أَخْرِجُوا كُلَّ إِنْسَانٍ عَنِّي». فَلَمْ يَقِفْ أَحَدٌ عِنْدَهُ حِينَ عَرَّفَ يُوسُفُ إِخْوَتَهُ بِنَفْسِهِ. [2]فَأَطْلَقَ صَوْتَهُ بِالْبُكَاءِ، فَسَمِعَ الْمِصْرِيُّونَ وَسَمِعَ بَيْتُ فِرْعَوْنَ. [3]وَقَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: «أَنَا يُوسُفُ. أَحَيٌّ أَبِي بَعْدُ؟» فَلَمْ يَسْتَطِعْ إِخْوَتُهُ أَنْ يُجِيبُوهُ، لأَنَّهُمُ ارْتَاعُوا مِنْهُ.

[4]فَقَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: «تَقَدَّمُوا إِلَيَّ». فَتَقَدَّمُوا. فَقَالَ: «أَنَا يُوسُفُ أَخُوكُمُ الَّذِي بِعْتُمُوهُ إِلَى مِصْرَ. [5]وَالآنَ لاَ تَتَأَسَّفُوا وَلاَ تَغْتَاظُوا لأَنَّكُمْ بِعْتُمُونِي إِلَى هُنَا، لأَنَّهُ لاسْتِبْقَاءِ حَيَاةٍ أَرْسَلَنِيَ اللهُ قُدَّامَكُمْ. [6]لأَنَّ لِلْجُوعِ فِي الأَرْضِ الآنَ سَنَتَيْنِ. وَخَمْسُ سِنِينَ أَيْضًا لاَ تَكُونُ فِيهَا فَلاَحَةٌ وَلاَ حَصَادٌ. [7]فَقَدْ أَرْسَلَنِي اللهُ قُدَّامَكُمْ لِيَجْعَلَ لَكُمْ بَقِيَّةً فِي الأَرْضِ وَلِيَسْتَبْقِيَ لَكُمْ نَجَاةً عَظِيمَةً. [8]فَالآنَ لَيْسَ أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمُونِي إِلَى هُنَا بَلِ اللهُ. وَهُوَ قَدْ جَعَلَنِي أَبًا لِفِرْعَوْنَ وَسَيِّدًا لِكُلِّ بَيْتِهِ وَمُتَسَلِّطًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. [9]أَسْرِعُوا وَاصْعَدُوا إِلَى أَبِي وَقُولُوا لَهُ: هكَذَا يَقُولُ ابْنُكَ يُوسُفُ: قَدْ جَعَلَنِيَ اللهُ سَيِّدًا لِكُلِّ مِصْرَ. اِنْزِلْ إِلَيَّ. لاَ تَقِفْ. [10]فَتَسْكُنَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ وَتَكُونَ قَرِيبًا مِنِّي، أَنْتَ وَبَنُوكَ وَبَنُو بَنِيكَ وَغَنَمُكَ وَبَقَرُكَ وَكُلُّ مَا لَكَ. [11]وَأَعُولُكَ هُنَاكَ، لأَنَّهُ يَكُونُ أَيْضًا خَمْسُ سِنِينَ جُوعًا. لِئَلاَّ تَفْتَقِرَ أَنْتَ وَبَيْتُكَ وَكُلُّ مَا لَكَ. [12]وَهُوَذَا عُيُونُكُمْ تَرَى، وَعَيْنَا أَخِي بَنْيَامِينَ، أَنَّ فَمِي هُوَ الَّذِي يُكَلِّمُكُمْ. [13]وَتُخْبِرُونَ أَبِي بِكُلِّ مَجْدِي فِي مِصْرَ وَبِكُلِّ مَا رَأَيْتُمْ، وَتَسْتَعْجِلُونَ وَتَنْزِلُونَ بِأَبِي إِلَى هُنَا».

[14]ثُمَّ وَقَعَ عَلَى عُنُقِ بَنْيَامِينَ أَخِيهِ وَبَكَى، وَبَكَى بَنْيَامِينُ عَلَى عُنُقِهِ. [15]وَقَبَّلَ جَمِيعَ إِخْوَتِهِ وَبَكَى عَلَيْهِمْ. وَبَعْدَ ذلِكَ تَكَلَّمَ إِخْوَتُهُ مَعَهُ.

أما النص القرآني فيستمر في سرد مشاهد أخرى ومنها مشهد اتفاقهم على العودة لديارهم بعد أن يأسوا من اصطحاب أخاهم الصغير (الذي سرق صاع الملك) :

فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (80) ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (81) يوسف

في هذا النص القرآني يظهر أخاهم الكبير وهو يوبيخهم ويذكرهم بأن أباهم قد أخذ منهم ميثاقا ليرجعوا أخاهم معهم وقبل ذلك قد فرطوا في يوسف فقرر البقاء في مصر وأن يعودوا هم لديارهم ليخبروا والدهم بما جرى .

ومشهد لقاءهم بأباهم وكيف حزن أشد الحزن وطلب منهم العودة الى مصر وطلب الرحمة من يوسف عليه السلام ليطلق سراح أخيهم :

(ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (81) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (82) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (84) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (85) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (86) يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (87) يوسف

في هذه النصوص القرآنية الكريمة نرى دروسا وعبرا كثيرة نستلمها من هذه القصة الحزينة والمؤثرة فالنبي والأب المنكوب يعقوب عليه السلام تذكره حادثة فقدان ابنه الثاني بفقدان الأول وهما شقيقان لذلك ليس له سبيل سوى أن يشكو الى الله وحده همه ومأساته وهو لايزال يثق بقدرة ربه أن يجمعه بهما ولم ييأس من روح الله فطلب منهم العودة الى مصر ولديه ثقة كاملة بأن ولديه سيردون له .

عودة أبناء يعقوب عليه السلام الى مصر

نتابع ما تبقى من قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم وقد وصلت الى خواتمها :

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (88)

لم يبقى أمام أخوة يوسف عليه السلام الا التظلم أمامه وطلب الرحمة والمعونة حتى أنهم لم يعد يمتلكوا الفضة لشراء القمح وجاءوا ببضاعة مزجاة أي قليلة رديئة كاسدة ، لا تنفق في ثمن الطعام إلا بتجوز من البائع فيها .

هنا رق قلب يوسف عليه السلام على أباه وأخوته واهله وما أصابهم وسارع في اخبارهم عن الحقيقة التي أخفاها عنهم طوال هذه المدة :

قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (91) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (92)

العودة الى أباهم للبشرى

تصف لنا الايات القرآنية الاتية في كلمات يعجز البشر الاتيان بها كيف استقبل يعقوب عليه السلام نبأ سلامة ولديه يوسف وشقيقه وكيف شم رائحة قميص يوسف قبل أن يصل اليه أبناءه :

اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (93) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (94) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (95) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (96) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (97) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (98) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (99) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101)

ليس هناك خاتمة أعظم من هذه التي اختممت بها سورة يوسف عليه السلام قصته ففيها أستغفار وعفو ولقاء ورحمة وشفاء وتحقيق حلم عظيم وايمان بالله وفضله وعونه ولطفه .

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (102) يوسف

يقول الله سبحانه وتعالى مخاطبا نبيه الكريم : ان تلك القصة كانت من أخبار الماضي الذي لم تكن تعرفه لكن الله ذكره لك فلم تكن حضرا حينما تآمروا على يوسف وكيف كان مكرهم .

وفي ختام السورة تذكر الايات القرآنية ان في هذه القصص الكثير من العبر لأصحاب العقل وليست مجرد أحاديث مفترية كما صنعها البعض بل هي تصديق لما جاءهم في توراتهم من الحق وفيها تفاصيل لكل مجرياتها وفيها هدى ورحمة للمؤمنين .

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١) ﴾ [يوسف : ١ – ١١١]

نهاية قصة يوسف عليه السلام في التوراة

[1]فَلَمْ يَسْتَطِعْ يُوسُفُ أَنْ يَضْبِطَ نَفْسَهُ لَدَى جَمِيعِ الْوَاقِفِينَ عِنْدَهُ فَصَرَخَ: «أَخْرِجُوا كُلَّ إِنْسَانٍ عَنِّي» . فَلَمْ يَقِفْ أَحَدٌ عِنْدَهُ حِينَ عَرَّفَ يُوسُفُ إِخْوَتَهُ بِنَفْسِهِ. [2]فَأَطْلَقَ صَوْتَهُ بِالْبُكَاءِ، فَسَمِعَ الْمِصْرِيُّونَ وَسَمِعَ بَيْتُ فِرْعَوْنَ. [3]وَقَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: «أَنَا يُوسُفُ. أَحَيٌّ أَبِي بَعْدُ ؟» فَلَمْ يَسْتَطِعْ إِخْوَتُهُ أَنْ يُجِيبُوهُ، لأَنَّهُمُ ارْتَاعُوا مِنْهُ.

[4]فَقَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: «تَقَدَّمُوا إِلَيَّ» . فَتَقَدَّمُوا . فَقَالَ: «أَنَا يُوسُفُ أَخُوكُمُ الَّذِي بِعْتُمُوهُ إِلَى مِصْرَ. [5]وَالآنَ لاَ تَتَأَسَّفُوا وَلاَ تَغْتَاظُوا لأَنَّكُمْ بِعْتُمُونِي إِلَى هُنَا، لأَنَّهُ لاسْتِبْقَاءِ حَيَاةٍ أَرْسَلَنِيَ اللهُ قُدَّامَكُمْ. [6]لأَنَّ لِلْجُوعِ فِي الأَرْضِ الآنَ سَنَتَيْنِ. وَخَمْسُ سِنِينَ أَيْضًا لاَ تَكُونُ فِيهَا فَلاَحَةٌ وَلاَ حَصَادٌ. [7]فَقَدْ أَرْسَلَنِي اللهُ قُدَّامَكُمْ لِيَجْعَلَ لَكُمْ بَقِيَّةً فِي الأَرْضِ وَلِيَسْتَبْقِيَ لَكُمْ نَجَاةً عَظِيمَةً. [8]فَالآنَ لَيْسَ أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمُونِي إِلَى هُنَا بَلِ اللهُ. وَهُوَ قَدْ جَعَلَنِي أَبًا لِفِرْعَوْنَ وَسَيِّدًا لِكُلِّ بَيْتِهِ وَمُتَسَلِّطًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. [9]أَسْرِعُوا وَاصْعَدُوا إِلَى أَبِي وَقُولُوا لَهُ: هكَذَا يَقُولُ ابْنُكَ يُوسُفُ: قَدْ جَعَلَنِيَ اللهُ سَيِّدًا لِكُلِّ مِصْرَ. اِنْزِلْ إِلَيَّ. لاَ تَقِفْ. [10]فَتَسْكُنَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ وَتَكُونَ قَرِيبًا مِنِّي، أَنْتَ وَبَنُوكَ وَبَنُو بَنِيكَ وَغَنَمُكَ وَبَقَرُكَ وَكُلُّ مَا لَكَ. [11]وَأَعُولُكَ هُنَاكَ، لأَنَّهُ يَكُونُ أَيْضًا خَمْسُ سِنِينَ جُوعًا . لِئَلاَّ تَفْتَقِرَ أَنْتَ وَبَيْتُكَ وَكُلُّ مَا لَكَ. [12]وَهُوَذَا عُيُونُكُمْ تَرَى، وَعَيْنَا أَخِي بَنْيَامِينَ، أَنَّ فَمِي هُوَ الَّذِي يُكَلِّمُكُمْ. [13]وَتُخْبِرُونَ أَبِي بِكُلِّ مَجْدِي فِي مِصْرَ وَبِكُلِّ مَا رَأَيْتُمْ، وَتَسْتَعْجِلُونَ وَتَنْزِلُونَ بِأَبِي إِلَى هُنَا» .

[14]ثُمَّ وَقَعَ عَلَى عُنُقِ بَنْيَامِينَ أَخِيهِ وَبَكَى، وَبَكَى بَنْيَامِينُ عَلَى عُنُقِهِ. [15]وَقَبَّلَ جَمِيعَ إِخْوَتِهِ وَبَكَى عَلَيْهِمْ. وَبَعْدَ ذلِكَ تَكَلَّمَ إِخْوَتُهُ مَعَهُ.

[16]وَسُمِعَ الْخَبَرُ فِي بَيْتِ فِرْعَوْنَ، وَقِيلَ: «جَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ». فَحَسُنَ فِي عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ وَفِي عُيُونِ عَبِيدِهِ. [17]فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «قُلْ لإِخْوَتِكَ: افْعَلُوا هذَا: حَمِّلُوا دَوَابَّكُمْ وَانْطَلِقُوا، اذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. [18]وَخُذُوا أَبَاكُمْ وَبُيُوتَكُمْ وَتَعَالَوْا إِلَيَّ، فَأُعْطِيَكُمْ خَيْرَاتِ أَرْضِ مِصْرَ وَتَأْكُلُوا دَسَمَ الأَرْضِ. [19]فَأَنْتَ قَدْ أُمِرْتَ، افْعَلُوا هذَا: خُذُوا لَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ عَجَلاَتٍ لأَوْلاَدِكُمْ وَنِسَائِكُمْ، وَاحْمِلُوا أَبَاكُمْ وَتَعَالَوْا. [20]وَلاَ تَحْزَنْ عُيُونُكُمْ عَلَى أَثَاثِكُمْ، لأَنَّ خَيْرَاتِ جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ لَكُمْ».

[21]فَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ هكَذَا. وَأَعْطَاهُمْ يُوسُفُ عَجَلاَتٍ بِحَسَبِ أَمْرِ فِرْعَوْنَ، وَأَعْطَاهُمْ زَادًا لِلطَّرِيقِ. [22]وَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حُلَلَ ثِيَابٍ، وَأَمَّا بَنْيَامِينُ فَأَعْطَاهُ ثَلاَثَ مِئَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ وَخَمْسَ حُلَلِ ثِيَابٍ. [23]وَأَرْسَلَ لأَبِيهِ هكَذَا: عَشَرَةَ حَمِيرٍ حَامِلَةً مِنْ خَيْرَاتِ مِصْرَ، وَعَشَرَ أُتُنٍ حَامِلَةً حِنْطَةً، وَخُبْزًا وَطَعَامًا لأَبِيهِ لأَجْلِ الطَّرِيقِ. [24]ثُمَّ صَرَفَ إِخْوَتَهُ فَانْطَلَقُوا، وَقَالَ لَهُمْ: «لاَ تَتَغَاضَبُوا فِي الطَّرِيقِ».

[25]فَصَعِدُوا مِنْ مِصْرَ وَجَاءُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، إِلَى يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ. [26]وَأَخْبَرُوهُ قَائِلِينَ: «يُوسُفُ حَيٌّ بَعْدُ، وَهُوَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ». فَجَمَدَ قَلْبُهُ لأَنَّهُ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ. [27]ثُمَّ كَلَّمُوهُ بِكُلِّ كَلاَمِ يُوسُفَ الَّذِي كَلَّمَهُمْ بِهِ، وَأَبْصَرَ الْعَجَلاَتِ الَّتِي أَرْسَلَهَا يُوسُفُ لِتَحْمِلَهُ. فَعَاشَتْ رُوحُ يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ. [28]فَقَالَ إِسْرَائِيلُ: «كَفَى! يُوسُفُ ابْنِي حَيٌّ بَعْدُ. أَذْهَبُ وَأَرَاهُ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ».

[31]ثُمَّ قَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ وَلِبَيْتِ أَبِيهِ: «أَصْعَدُ وَأُخْبِرُ فِرْعَوْنَ وَأَقُولُ لَهُ: إِخْوَتِي وَبَيْتُ أَبِي الَّذِينَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ جَاءُوا إِلَيَّ. [32]وَالرِّجَالُ رُعَاةُ غَنَمٍ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ مَوَاشٍ، وَقَدْ جَاءُوا بِغَنَمِهِمْ وَبَقَرِهِمْ وَكُلِّ مَا لَهُمْ. [33]فَيَكُونُ إِذَا دَعَاكُمْ فِرْعَوْنُ وَقَالَ: مَا صِنَاعَتُكُمْ؟ [34]أَنْ تَقُولُوا: عَبِيدُكَ أَهْلُ مَوَاشٍ مُنْذُ صِبَانَا إِلَى الآنَ، نَحْنُ وَآبَاؤُنَا جَمِيعًا. لِكَيْ تَسْكُنُوا فِي أَرْضِ جَاسَانَ. لأَنَّ كُلَّ رَاعِي غَنَمٍ رِجْسٌ لِلْمِصْرِيِّينَ».

وفاة ووصية يعقوب عليه السلام في التوراة

[21]وَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: «هَا أَنَا أَمُوتُ، وَلكِنَّ اللهَ سَيَكُونُ مَعَكُمْ وَيَرُدُّكُمْ إِلَى أَرْضِ آبَائِكُمْ. [22]وَأَنَا قَدْ وَهَبْتُ لَكَ سَهْمًا وَاحِدًا فَوْقَ إِخْوَتِكَ، أَخَذْتُهُ مِنْ يَدِ الأَمُورِيِّينَ بِسَيْفِي وَقَوْسِي».

[1]وَدَعَا يَعْقُوبُ بَنِيهِ وَقَالَ: «اجْتَمِعُوا لأُنْبِئَكُمْ بِمَا يُصِيبُكُمْ فِي آخِرِ الأَيَّامِ. [2]اجْتَمِعُوا وَاسْمَعُوا يَا بَنِي يَعْقُوبَ، وَاصْغَوْا إِلَى إِسْرَائِيلَ أَبِيكُمْ: [3]رَأُوبَيْنُ، أَنْتَ بِكْرِي، قُوَّتِي وَأَوَّلُ قُدْرَتِي، فَضْلُ الرِّفْعَةِ وَفَضْلُ الْعِزِّ. [4]فَائِرًا كَالْمَاءِ لاَ تَتَفَضَّلُ، لأَنَّكَ صَعِدْتَ عَلَى مَضْجَعِ أَبِيكَ. حِينَئِذٍ دَنَّسْتَهُ. عَلَى فِرَاشِي صَعِدَ. [5]شِمْعُونُ وَلاَوِي أَخَوَانِ، آلاَتُ ظُلْمٍ سُيُوفُهُمَا. [6]فِي مَجْلِسِهِمَا لاَ تَدْخُلُ نَفْسِي. بِمَجْمَعِهِمَا لاَ تَتَّحِدُ كَرَامَتِي. لأَنَّهُمَا فِي غَضَبِهِمَا قَتَلاَ إِنْسَانًا، وَفِي رِضَاهُمَا عَرْقَبَا ثَوْرًا. [7]مَلْعُونٌ غَضَبُهُمَا فَإِنَّهُ شَدِيدٌ، وَسَخَطُهُمَا فَإِنَّهُ قَاسٍ. أُقَسِّمُهُمَا فِي يَعْقُوبَ، وَأُفَرِّقُهُمَا فِي إِسْرَائِيلَ. [8]يَهُوذَا، إِيَّاكَ يَحْمَدُ إِخْوَتُكَ، يَدُكَ عَلَى قَفَا أَعْدَائِكَ، يَسْجُدُ لَكَ بَنُو أَبِيكَ. [9]يَهُوذَا جَرْوُ أَسَدٍ، مِنْ فَرِيسَةٍ صَعِدْتَ يَا ابْنِي، جَثَا وَرَبَضَ كَأَسَدٍ وَكَلَبْوَةٍ. مَنْ يُنْهِضُهُ؟ [10]لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ. [11]رَابِطًا بِالْكَرْمَةِ جَحْشَهُ، وَبِالْجَفْنَةِ ابْنَ أَتَانِهِ، غَسَلَ بِالْخَمْرِ لِبَاسَهُ، وَبِدَمِ الْعِنَبِ ثَوْبَهُ. [12]مُسْوَدُّ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الْخَمْرِ، وَمُبْيَضُّ الأَسْنَانِ مِنَ اللَّبَنِ. [13]زَبُولُونُ، عِنْدَ سَاحِلِ الْبَحْرِ يَسْكُنُ، وَهُوَ عِنْدَ سَاحِلِ السُّفُنِ، وَجَانِبُهُ عِنْدَ صَيْدُونَ. [14]يَسَّاكَرُ، حِمَارٌ جَسِيمٌ رَابِضٌ بَيْنَ الْحَظَائِرِ. [15]فَرَأَى الْمَحَلَّ أَنَّهُ حَسَنٌ، وَالأَرْضَ أَنَّهَا نَزِهَةٌ، فَأَحْنَى كَتِفَهُ لِلْحِمْلِ وَصَارَ لِلْجِزْيَةِ عَبْدًا. [16]دَانُ، يَدِينُ شَعْبَهُ كَأَحَدِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ. [17]يَكُونُ دَانُ حَيَّةً عَلَى الطَّرِيقِ، أُفْعُوانًا عَلَى السَّبِيلِ، يَلْسَعُ عَقِبَيِ الْفَرَسِ فَيَسْقُطُ رَاكِبُهُ إِلَى الْوَرَاءِ. [18]لِخَلاَصِكَ انْتَظَرْتُ يَا رَبُّ.

[19]جَادُ، يَزْحَمُهُ جَيْشٌ، وَلكِنَّهُ يَزْحَمُ مُؤَخَّرَهُ. [20]أَشِيرُ، خُبْزُهُ سَمِينٌ وَهُوَ يُعْطِي لَذَّاتِ مُلُوكٍ. [21]نَفْتَالِي، أَيِّلَةٌ مُسَيَّبَةٌ يُعْطِي أَقْوَالاً حَسَنَةً. [22]يُوسُفُ، غُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ، غُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ عَلَى عَيْنٍ. أَغْصَانٌ قَدِ ارْتَفَعَتْ فَوْقَ حَائِطٍ. [23]فَمَرَّرَتْهُ وَرَمَتْهُ وَاضْطَهَدَتْهُ أَرْبَابُ السِّهَامِ. [24]وَلكِنْ ثَبَتَتْ بِمَتَانَةٍ قَوْسُهُ، وَتَشَدَّدَتْ سَوَاعِدُ يَدَيْهِ. مِنْ يَدَيْ عَزِيزِ يَعْقُوبَ، مِنْ هُنَاكَ، مِنَ الرَّاعِي صَخْرِ إِسْرَائِيلَ، [25]مِنْ إِلهِ أَبِيكَ الَّذِي يُعِينُكَ، وَمِنَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

الَّذِي يُبَارِكُكَ، تَأْتِي بَرَكَاتُ السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَبَرَكَاتُ الْغَمْرِ الرَّابِضِ تَحْتُ. بَرَكَاتُ الثَّدْيَيْنِ وَالرَّحِمِ. [26] بَرَكَاتُ أَبِيكَ فَاقَتْ عَلَى بَرَكَاتِ أَبَوَيَّ. إِلَى مُنْيَةِ الآكَامِ الدَّهْرِيَّةِ تَكُونُ عَلَى رَأْسِ يُوسُفَ، وَعَلَى قِمَّةِ نَذِيرِ إِخْوَتِهِ. [27] بَنْيَامِينُ ذِئْبٌ يَفْتَرِسُ. فِي الصَّبَاحِ يَأْكُلُ غَنِيمَةً، وَعِنْدَ الْمَسَاءِ يُقَسِّمُ نَهْبًا» .

لايمكن مقارن هذه الوصية ليعقوب عليه السلام بوصيته التي ذكرها القرآن الكريم باي شكل من الأشكال فوصية يوسف التوراتية تتحدث عن مدح أولاده جميعا وتتحدث عن تنبوءات وتوقعات خرافية لهم .

نص وصية يعقوب عليه السلام في القرآن الكريم

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة : 133] .

سورة يوسف عليه السلام كاملة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (3) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4) قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (5) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6) لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (7) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (10) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (11) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (12) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (14) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ

وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ
عِشَاءً يَبْكُونَ (16) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ
كُنَّا صَادِقِينَ (17) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ
عَلَى مَا تَصِفُونَ (18) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (20) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ
مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ
الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22) وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ
رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ
السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ
شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ
فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28) يُوسُفُ
أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (29) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا
عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (30) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً
وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا
إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ
لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (32) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ
أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (34) ثُمَّ بَدَا لَهُمْ
مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (35) وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا

وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (41) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (42) وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (44) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (49) وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (50) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51) ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53) وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55) وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (

56) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (57) وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (58) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (59) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (60) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (61) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (63) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (64) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (65) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (66) وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (67) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (68) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (69) فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (70) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (71) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (72) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (73) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (74) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (75) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (76) قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (77) قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (78) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ (79) فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ

خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (80) ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (81) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (82) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (84) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (85) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (86) يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (87) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (88) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (91) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (92) اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (93) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (94) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (95) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (96) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (97) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (98) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (99) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (102) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103) وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (104) وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ

عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (107) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (109) حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110) لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111) ﴾ [يوسف : 1 – 111]

قصة النبي موسى عليه السلام
في التوراة والقرآن الكريم

ذكرت قصة موسى عليه في بدايات سفر الخروج في التوراة وسنسلط الضوء على اهم الأحداث التي رصدتها النصوص التوراتية في مسيرة هذا النبي كليم الله عليه السلام .

أما في القرآن الكريم فلم تذكر قصته في سورة واحدة كما ذكر النبي يوسف عليه السلام في سورة يوسف لكن سيرة موسى عليه السلام نجدها في سور عديدة وسوف نستخلص منها أهم مراحل حياته ورسالته وجداله مع بني اسرائيل .

قصة النبي موسى عليه السلام
وفق الرواية التوراتية

يتحدث سفر الخروج عن خروج بني اسرائيل من مصر على يد نبي الله موسى عليه السلام ويروي في اصحاحه الأولى قصة مولده ونشأته وسوف نتابع هذه الوقائع خطوة خطوة ونثبت ما يقابل النصوص التوراتية هذه بالايات القرآنية التي تتحدث عن حياة موسى عليه السلام ومسيرته .

سفر اَلْخُرُوجُ

كالعادة تبدأ التوراة أسفارها بمقدمات تتحدث عن المواليد والاسماء

الأصحَاحُ الأَوَّلُ

[1]وَهذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى مِصْرَ. مَعَ يَعْقُوبَ جَاءَ كُلُّ إِنْسَانٍ وَبَيْتُهُ: [2]رَأُوبَيْنُ وَشِمْعُونُ وَلاَوِي وَيَهُوذَا [3]وَيَسَّاكَرُ وَزَبُولُونُ وَبَنْيَامِينُ [4]وَدَانُ وَنَفْتَالِي وَجَادُ وَأَشِيرُ. [5]وَكَانَتْ جَمِيعُ نُفُوسِ الْخَارِجِينَ مِنْ صُلْبِ يَعْقُوبَ سَبْعِينَ نَفْسًا. وَلكِنْ يُوسُفُ كَانَ فِي مِصْرَ. [6]وَمَاتَ يُوسُفُ وَكُلُّ إِخْوَتِهِ وَجَمِيعُ ذلِكَ الْجِيلِ. [7]وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَأَثْمَرُوا وَتَوَالَدُوا وَنَمَوْا وَكَثُرُوا كَثِيرًا جِدًّا، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ مِنْهُمْ.

يتحدث المقطع عن اسماء أولاد يعقوب عليه السلام الذين أستقروا في مصر ومات أكثرهم فيها الا أنهم خلفوا وتوالدوا وكثروا .

[8]ثُمَّ قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ. [9]فَقَالَ لِشَعْبِهِ: «هُوَذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ شَعْبٌ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنَّا. [10]هَلُمَّ نَحْتَالُ لَهُمْ لِئَلاَّ يَنْمُوا، فَيَكُونَ إِذَا حَدَثَتْ حَرْبٌ أَنَّهُمْ يَنْضَمُّونَ إِلَى أَعْدَائِنَا وَيُحَارِبُونَنَا وَيَصْعَدُونَ مِنَ الأَرْضِ». [11]فَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءَ تَسْخِيرٍ لِكَيْ يُذِلُّوهُمْ بِأَثْقَالِهِمْ، فَبَنَوْا لِفِرْعَوْنَ مَدِينَتَيْ مَخَازِنَ: فِيثُومَ، وَرَعَمْسِيسَ. [12]وَلكِنْ بِحَسْبِمَا أَذَلُّوهُمْ هكَذَا نَمَوْا وَامْتَدُّوا. فَاخْتَشَوْا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. [13]فَاسْتَعْبَدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعُنْفٍ، [14]وَمَرَّرُوا حَيَاتَهُمْ بِعُبُودِيَّةٍ قَاسِيَةٍ فِي الطِّينِ وَاللِّبْنِ وَفِي كُلِّ عَمَل فِي الْحَقْلِ. كُلِّ عَمَلِهِمِ الَّذِي عَمِلُوهُ بِوَاسِطَتِهِمْ عُنْفًا.

في هذا المقطع يتحدث كاتب التوراة عن قيام ملك جديد (لا ندري لماذا لم يذكر اسمه) الذي تخوف من ازدياد اعداد بني اسرائيل في مصر فخاف من ذاك على دولته وشعبه لذلك فأستعبد المصريون بني اسرائيل بعنف وبعبودية ويشغلونهم في أعمال السخرة والبناء والحقول .

بداية قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة القصص الذي خصصت بداياتها الحديث عن موسى عليه السلام :

(نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (3) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ

اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6) القصص

فالمولى عز وجل يخاطب الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بأنه سوف يقرأ عليه من نبأ موسى وفرعون بالحق هنا يسمي القرآن الكريم حاكم مصر (فرعون) بينما أطلق عليه صفة (الملك) في قصة يوسف عليه السلام وذلك بعكس ما ترويه التوراة حيث أطلقت في بعض المقاطع على حاكم مصر صفة (الملك) حينا ثم صفة (فرعون) حينا آخر وقد بينت المكتشفات الاثرية دقة تسمية القرآن الكريم حاكم مصر بالملك زمن يوسف عليه السلام وتسميته (فرعون) زمن موسى عليه السلام .

وكلمة نبأ موسى وفرعون أي من أخبارهم وليس كلها بتفاصيلها وكل ذلك بالحق أي كما حدثت ووقعت دون اضافة أو شطب ودون زيادة أو نقصان وفي هذا أشارة واضحة من ان قصة موسى في التوراة (المحرفة) قد جرى التلاعب فيها ولم تعد قصة حقيقية واقعية .

وأول نبأ وخبر بدأت به الايات القرآنية قصة موسى وفرعون كما سمتها هو الحديث عن فرعون أي عن الظلم والفساد والقتل والنفي واستباحة الاعراض فالظلم مهما كان أنواعه وحجمه وأشكاله لا يقبله المولى عز وجل فكيف اذا كان ظلما عاما يصيب شعبا بأسره هذه المقدمة توحي لنا بأمور عظيمة أولها ان الخلق عيال الله وهو لا يرضى أن يوقع بهم أحدا الاذى والضرر ويستضعفهم لذلك فوجب المولى القدير على نفسه ان يساعد المستضعفين ويمن عليهم وينقذهم ويري الذين ظلموا أي منقلب سيقلبون فالقضية هنا قضية عدالة سماوية وقصاص الهي وثاني هذه الأمور ان على الشعب المستضعف والذي لاحول ولاقوة له أن يؤمن بالله وقدرته على خلاصه وهذا يحتاج الى صبر ومصابرة ويقين بمؤازرة الله ونصره وهذه دروس كان على الشعوب المسلمة المستضعفة في وقتنا الراهن أن تأخذ بها وتلجأ الى ربها فهو القادر الوحيد على انقاذها .

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) هذا النص يطابق ماجاء في النص التوراتي لتعرض بني اسرائيل للاهانة والذل والاستعباد على يد (

ملك مصر وشعبه) فلقد تكبر فرعون في الأرض وجعل اهل مصر شيعا وأستضعف طائفة منهم (بني اسرائيل) فيقتل أبناءهم ويعتدي على نساءهم .

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5)

وتشير هذه الاية الى بني اسرائيل دون أن تذكرهم صراحة بينما بعض النصوص تفصح عن ذلك :

(﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف : 137] .

فنصر الله لبني اسرائيل وعونهم للخلاص من فرعون جاء بسبب الظلم والمعاناة والفقر الذي عانوا منه لذلك كانوا (مستضعفين) وأراد الله أن يعينهم فهو وحده القوي العزيز لكن ماسر تفضيلهم على الناس .

سر تفضيل بني اسرائيل

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) الآية الكريمة في ظاهرها تُبيّن أنّ اليهود أفضل من أمة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم، بل أفضل من جميع الناس، والمقصود بالتفضيل الوارد في هذه الآية الكريمة ثلاثة وجوه، بيانها كالآتي :

إنّ المقصود بالعالم في الآية الجمع الكثير من الناس، وعلى هذا يكون تفضيل بني إسرائيل على مجموعةٍ من الناس لا على جميع البشر، والدليل على ذلك مأخوذٌ من قولِ الله سُبحانه وتعالى في سورة الأنبياء: (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) فالمُراد بالعالمين الواردة في الآية لا يشمل جَميع الناس، إنّما هو مَخصوصٌ بفئةٍ مُعيّنة من الخلق، وكذلك الأمر بالنسبة للأرض لا يُراد بها كلّ بقاعها وإنّما إشارة إلى أرض مُعيّنة ومخصوصة.

المقصود بالتفضيل هنا أي بما أفاض الله سبحانه وتعالى عليهم من النعم دون غيرهم، والتي خصَّهم بها عن الناس، بالإضافة إلى جعل النبوة والملك في أسلافهم، باعتبار أنّ الخطاب كان موجّهاً لهم وقت نزول القرآن الكريم، ودليل

ذلك قول الله سبحانه وتعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ)

المقصود بالتفضيل الوارد في الآية هو فقط في زمانهم، والدليل على ذلك قول الله سبحانه وتعالى: (وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) ,

بماذا فضّل الله بني إسرائيل فضّل الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل على عالمي زمانهم حسبما فسّر العلماء قول الله سبحانه وتعالى:(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)، بأن أنعم عليهم نِعماً عظيمة: نِعماً دنيويّة، وأخرى دينيّة؛ فقد جعل فيهم الأنبياء والرُّسل هذا من الناحية الدينيّة، أمّا من الناحية الدنيويّة فقد جَعلهم ملوكاً، وهو كذلك لم يؤتِ أحداً من العالمين مثل النعم التي آتاها لبني إسرائيل في ذلك الوقت.

الحكمة من ذكر تفضيل بني إسرائيل في القرآن الكريم توجد العديد من الحِكم لذكر تفضيل بني إسرائيل على العالمين في القرآن الكريم، وهي كالآتي:

كان تفضيل الله سبحانه وتعالى لبني إسرائيل على العالمين قبل بعثة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم، غير أنَّهم لم يكونوا كما أَمَرَهم الله سُبحانه وتعالى. الله سبحانه وتعالى وحده الذي يُفضّل من يشاء من عباده بعضهم على بعض؛ فليس لأحدٍ أن يُجادل في ذلك، لأنّ الأمر كله بيد الله وحده سبحانه. يدخل في تفضيل بني إسرائيل أن جعل فيهم أنبياء، وجعل منهم ملوكاً، وآتاهم ما لم يؤتِ أحداً من العالمين. من النّعم التي أنعم بها الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل تَفضيلهم على العالمين. يتوجّب على من أنعم الله سبحانه وتعالى عليه أن يخرّ ساجداً لله، يُطيعه في كلّ ما أمر، ويَبتعد عن كلّ ما نهى عنه. التّفضيل لا يمنع العقاب إذا اقترف المَفضل جرماً، فيتوجّب عليه العقاب على الجرم الذي اقترفه. التفضيل يَستلزم إقامة حكم الله سبحانه وتعالى في كُتبه وأوامره. من بني إسرائيل أمّة مقتصدةٌ، وكثير منهم ساء ما يعملون، ولكنّ الله سبحانه وتعالى يَنتظر من عباده المؤمنين فعل الخيرات،

وذلك لخلافته على الأرض وعمارتها، وهذا يحتاج إلى الصّبر والاجتهاد. نِعم الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل ذكر القرآن الكريم عشر نِعم أنعم الله سبحانه وتعالى بها على بني إسرائيل وهي :

نَجاتهم من فرعون؛ فقد كان يُذيقهم العذاب الشديد؛ يُذبّح الذكور مِنهم، ويُبقي الإناث أحياء. عبور بَني إسرائيل للبحر الأحمر سالمين بعد تَهيئة الله سبحانه وتعالى للطّريقِ اليابس في البحر ليسلكوه، وغرق فِرعون وجنوده. قبولُ الله سُبحانه وتعالى لتوبة بني إسرائيل، وعَفوه عنهم. إنزال التّوراة على نبيّ الله موسى عليه الصلاة والسلام، ليَهتدوا بها، ويتدبّروها، ويسيروا على شرعها. التخلّص بشكلٍ جماعيّ من المجرمين بعد أن اتّخذ بنو إسرائيل العجل إلهاً، فعَبدوه من دونِ الله. وِقايتهم من حرّ الشّمس أثناء وجودهم في وادي التيه (الموجود بين الشام ومصر) مدّة أربعين سنة، وذلك من خلال سترهم بالسّحاب الأبيض الرقيق. إنعام الله سُبحانه وتعالى على بني إسرائيل بأنواع كثيرة من الطّعام والشّراب كالمنّ، والسلوى. الإنعام عليهم بعد خروجهم من التّيه بدخولِ القرية، قال جمهور العلماء بأنها بيت المقدس، وقيل بأنّها أريحا من بيت المقدس. الإنعام عليهم بسقياهم؛ حيث إنّهم طلبوا من نبيّ الله موسى عليه السّلام السقيا، فأمره الله أن يضرب بعَصاه أي حجر فانفجرت منه المياه بقوة، وخرجت منه اثنتا عشرة عيناً، لكلّ جماعةٍ منهم عيناً يَشربون منها.

متابعة قصة موسى عليه السلام في التوراة

القابلات العبريات

[15] وَكَلَّمَ مَلِكُ مِصْرَ قَابِلَتَيِ الْعِبْرَانِيَّاتِ اللَّتَيْنِ اسْمُ إِحْدَاهُمَا شِفْرَةُ وَاسْمُ الأُخْرَى فُوعَةُ، [16] وَقَالَ: «حِينَمَا تُوَلِّدَانِ الْعِبْرَانِيَّاتِ وَتَنْظُرَانِهِنَّ عَلَى الْكَرَاسِيِّ، إِنْ كَانَ ابْنًا فَاقْتُلاَهُ، وَإِنْ كَانَ بِنْتًا فَتَحْيَا». [17] وَلكِنَّ الْقَابِلَتَيْنِ خَافَتَا اللهَ وَلَمْ تَفْعَلاَ كَمَا كَلَّمَهُمَا مَلِكُ مِصْرَ، بَلِ اسْتَحْيَتَا الأَوْلاَدَ. [18] فَدَعَا مَلِكُ مِصْرَ الْقَابِلَتَيْنِ وَقَالَ لَهُمَا: «لِمَاذَا فَعَلْتُمَا هذَا الأَمْرَ وَاسْتَحْيَيْتُمَا الأَوْلاَدَ؟» [19] فَقَالَتِ الْقَابِلَتَانِ لِفِرْعَوْنَ: «إِنَّ النِّسَاءَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لَسْنَ كَالْمِصْرِيَّاتِ، فَإِنَّهُنَّ قَوِيَّاتٌ يَلِدْنَ قَبْلَ

أَنْ تَأْتِيَهُنَّ الْقَابِلَةُ». [20]فَأَحْسَنَ اللهُ إِلَى الْقَابِلَتَيْنِ، وَنَمَا الشَّعْبُ وَكَثُرَ جِدًّا . [21]وَكَانَ إِذْ خَافَتِ الْقَابِلَتَانِ اللهَ أَنَّهُ صَنَعَ لَهُمَا بُيُوتًا . [22]ثُمَّ أَمَرَ فِرْعَوْنُ جَمِيعَ شَعْبِهِ قَائِلاً: «كُلُّ ابْنٍ يُولَدُ تَطْرَحُونَهُ فِي النَّهْرِ، لكِنَّ كُلَّ بِنْتٍ تَسْتَحْيُونَهَا» .

تتحدث التوراة عن قابلتين عبريتين كلفهما (ملك مصر) بقتل كل مولود ذكر تلده عبرانية اما اذا كان المولود انثى فتتركه لكنهما خافتا الله ولم تفعلا ثم أمر شعبه (كُلُّ ابْنٍ يُولَدُ تَطْرَحُونَهُ فِي النَّهْرِ، لكِنَّ كُلَّ بِنْتٍ تَسْتَحْيُونَهَا» . ومثل هذا النص التوراتي لا مثيل له في القرآن الكريم لكن يفهم من مضمون الاية الاتية ان فرعون كان يأمر بقتل أطفال الاسرائيليين : (يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ) كما ان خوف أم موسى على ابنها ورميه في النهر كان بسبب ذلك .

ولادة موسى عليه السلام في التوراة والقرآن

الأصحاح الثاني

نتابع القصة كما يرويها كاتب التوراة :

[1]وَذَهَبَ رَجُلٌ مِنْ بَيْتِ لاَوِي وَأَخَذَ بِنْتَ لاَوِي، [2]فَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ وَوَلَدَتِ ابْنًا . وَلَمَّا رَأَتْهُ أَنَّهُ حَسَنٌ، خَبَّأَتْهُ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ. [3]وَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهَا أَنْ تُخَبِّئَهُ بَعْدُ، أَخَذَتْ لَهُ سَفَطًا مِنَ الْبَرْدِيِّ وَطَلَتْهُ بِالْحُمَرِ وَالزِّفْتِ، وَوَضَعَتِ الْوَلَدَ فِيهِ، وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ. [4]وَوَقَفَتْ أُخْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ لِتَعْرِفَ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ.

[5]فَنَزَلَتِ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى النَّهْرِ لِتَغْتَسِلَ، وَكَانَتْ جَوَارِيهَا مَاشِيَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ. فَرَأَتِ السَّفَطَ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ، فَأَرْسَلَتْ أَمَتَهَا وَأَخَذَتْهُ. [6]وَلَمَّا فَتَحَتْهُ رَأَتِ الْوَلَدَ، وَإِذَا هُوَ صَبِيٌّ يَبْكِي. فَرَقَّتْ لَهُ وَقَالَتْ: «هذَا مِنْ أَوْلاَدِ الْعِبْرَانِيِّينَ». [7]فَقَالَتْ أُخْتُهُ لابْنَةِ فِرْعَوْنَ: «هَلْ أَذْهَبُ وَأَدْعُو لَكِ امْرَأَةً مُرْضِعَةً مِنَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لِتُرْضِعَ لَكِ الْوَلَدَ ؟» [8]فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «اذْهَبِي» . فَذَهَبَتِ الْفَتَاةُ وَدَعَتْ أُمَّ الْوَلَدِ . [9]فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «اذْهَبِي بِهذَا الْوَلَدِ وَأَرْضِعِيهِ لِي وَأَنَا أُعْطِي أُجْرَتَكِ» . فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ الْوَلَدَ وَأَرْضَعَتْهُ. [10]وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوسَى» وَقَالَتْ: «إِنِّي انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ» .

في القرآن الكريم

جاء في سورة القصص :

(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (11) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12) فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (13) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14) القصص .

الفروق بين النصين :

. النص التوراتي لم يشر هنا الى أي فعل الهي أو اعجازي في انقاذ موسى الرضيع بينما الايات القرآنية تتحدث عن ايحاء من الله لأم موسى أن ترضعه (فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ) أنت وهذا مؤشر على ان الله سوف ينقذ الطفل حتى اذا بقي معها لكن أم موسى خافت عليه فألقته في اليم ووعدها ربها الكريم أن يرده اليها ليس هذا فحسب بل سيكون من المرسلين .

هذه العناية الالهية التي تعهد الله بها لأم موسى لم نجد لها مثيلا في التوراة ولا يمكن لأم موسى أن تلقي طفلها الرضيع بدون ضمانة من الله لأن الولد هالك لا محالة لولا تعهد الله بحفظه وصونه فان لم يغرق في الماء سيلتقطه المصريون ويقتلوه .

فتصرف أم موسى يبدو غريبا وغير معقولا في التوراة التي لم تذكر مالذي جعلها تفعل هذه المغامرة الخطيرة .

. ان النص القرآني لم يذكر من الذي التقطه بل أكتفى بتعريفه لنا أنه من آل فرعون أي من بيته ويبين لنا هذين النصين ان ما فعله الله سبحانه وتعالى ليس أن ينقذ طفلا بل سيجعل له شأنا كبيرا وسوف يحزن ويؤلم فرعون وهامان كثيرا الذين أخطأووا حينما قررا انقاذ هذا الطفل ورعايته وكفله .

أما النص التوراتي فلا يحلل الحدث أو يعطيه قيمة غير طبيعية ولا يعطي في الوقت نفسه أي دورا للعناية الالهية كما ذكرنا .

. يدخل النص القرآني عنصرا أساسيا جعل أل فرعون يكفلون موسى عليه السلام وهو امرأة فرعون التي عبرت عن فرحتها مباشرة : وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9) القصص أي لا أحدا سيعرف بقصة تبنيه لهم سواء من المصريين وغيرهم .

فهي امرأة مؤمنة بالله كما جاء ذكرها في أيه (﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [التحريم : 11]

والنص التوراتي لا يذكرها أطلاقا بل يعطي دورها لابنتها التي فرحت به لكونه طفلا رضيعا كان يبكي لا أكثر ولا أقل .

. لم تنس النصوص القرآنية الرجوع الى أم موسى لترينا كيف آلت أحوالها بعد أن أصبح ولدها في بيت فرعون : (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) لقد شعرت بالحزن وقلبها يتقطع على ابنها الذي فقدته وكادت أن تكشف لهم الأمر لولا ان ربط الله على قلبها

فالنص القرآني يتحدث عن قصة حقيقة لذلك يبرز الحالة النفسية والوجدانية لأبطال القصة كما ان طرحه واقعي فلو ان أم موسى ذهبت اليهم وقالت هذا ابني لقتله ال فرعون على الفور لكن رؤية هذا الطفل الرضيع وهو على وجه النهر وهو يبكي سيثير الشفقة في من يراه وهذا الذي حدث حينما رأته امرأة فرعون وقالت قرة عين لي ولك

. ذكرنا ان النص القرآني يتحدث عن نص واقعي وليس خيالي أو مبتكر لذلك لا يترك أي حدثا واقعيا مهما دون أن يتطرق له .

واذا كان النص التوراتي يتحدث عن اجراء فوري قد تم مباشرة وهو تدخل أخت موسى عليه السلام قائلة فَقَالَتْ أُخْتُهُ لابْنَةِ فِرْعَوْنَ: «هَلْ أَذْهَبُ وَأَدْعُو لَكِ امْرَأَةً مُرْضِعَةً مِنَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لِتُرْضِعَ لَكِ الْوَلَدَ ؟»

فأن النص القرآني يتحدث عن عمل سبقه وهو امتناع موسى الرضيع عن قبول الرضاعة من أي مرضعة كانت معهم في القصر : (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12) فولا امتناع موسى عن الرضاعة لما طلبت أخته أن تدلهم على مرضعة تكفله وهذا الهام وعناية الهية أيضا .

. فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (13) هذه الاية تؤكد ان الله قد نفذ وعده لأم موسى حينما قال لها لا تخافي القيه ونحن سنرده لك وتؤكد في الوقت نفسه انه ومنذ ان كان موسى عليه السلام كان الله قد كفله وجعله تحت رعايته أما النصوص التوراتية فلا تتحدث عن ذلك مطلقا .

قتل موسى عليه السلام للمصري

في الروايتين التوراتية والقرآنية

في التوراة :

[11] وَحَدَثَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لَمَّا كَبِرَ مُوسَى أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيَنْظُرَ فِي أَثْقَالِهِمْ، فَرَأَى رَجُلاً مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلاً عِبْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ، [12] فَالْتَفَتَ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ وَرَأَى أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ، فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ. [13] ثُمَّ خَرَجَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَإِذَا رَجُلاَنِ عِبْرَانِيَّانِ يَتَخَاصَمَانِ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: «لِمَاذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ؟» [14] فَقَالَ: «مَنْ جَعَلَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟ أَمُفْتَكِرٌ أَنْتَ بِقَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ؟». فَخَافَ مُوسَى وَقَالَ: «حَقًّا قَدْ عُرِفَ الأَمْرُ». [15] فَسَمِعَ فِرْعَوْنُ هذَا الأَمْرَ، فَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَ مُوسَى. فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ مِدْيَانَ، وَجَلَسَ عِنْدَ الْبِئْرِ.

يبين لنا هذا النص انه لما كبر موسى خرج الى اخوته العبرانيين لينظر في احوالهم وفي الحقيقة ان كلمه (خرج) يفهم منها خروجه من المكان الذي كان بعيش فيه مع فرعون وأسرته الى الموضع الذي كان يسكن فيه بنو قومه العبرانيين فرأى رجل مصري يضرب رجلا عبرانيا فقتل موسى عليه السلام المصري وطمره في الرمل .

وهذا الكلام غير واقعي ولا منطقي اذ ان النص لا يتحدث عن طلب العبراني مساعدة موسى وكيف تسنى أن يدفن الرجل في الرمل بهذه السرعة ودون أن يراه وهو خائف وقد أرتكب جرما .

في القرآن الكريم

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (15) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (16) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (17)

والنص القرآني يتحدث عن هذا المشهد بعد أن بلغ موسى أشده ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ويفيد فعل (دخل) المدينة انه كان خارجها وهذا يعني انه كان لايسكن فيها بل كان مع فرعون وأهله لكن لماذا دخل متخفيا الى الحي الذي كان يسكن فيه العبرانيين وهو واحد منهم ؟

أختلفت التفاسير والأراء حول سبب ذلك وسنثبت هنا بضعا منها :

- واختلفوا في السبب الذي من أجله دخل المدينة في هذا الوقت

قال السدي : وذلك أن موسى – عليه السلام – كان يسمى : ابن فرعون ، فكان يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ملابسه ، فركب فرعون يوما وليس عنده موسى ، فلما جاء موسى قيل له : إن فرعون قد ركب ، فركب في أثره فأدركه المقيل بأرض " منف " فدخلها نصف النهار ، وليس في طرفها أحد ، فذلك قوله – عز وجل – : (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) قال ابن إسحاق : كان لموسى شيعة من بني إسرائيل يستمعون منه

ويقتدون به ، فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه ، فخالفهم في دينه حتى ذكر ذلك منه وخافوه وخافهم ، فكان لا يدخل قرية إلا خائفا مستخفيا ، فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها .

وقال ابن زيد : لما علا موسى فرعون بالعصا في صغره ، فأراد فرعون قتله ، قالت امرأته : هو صغير ، فترك قتله وأمر بإخراجه من مدينته ، فلم يدخل عليهم إلا بعد أن كبر وبلغ أشده فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها يعني : عن ذكر موسى ، أي : من بعد نسيانهم خبره وأمره لبعد عهدهم به .

وروي عن علي في قوله : " حين غفلة " كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم .

فوجد فيها رجلين يقتتلان) يختصمان ويتنازعان ، (هذا من شيعته) بني إسرائيل ، (وهذا من عدوه) من القبط .

قيل: الذي كان من شيعته : السامري .

والذي من عدوه من القبط قيل: طباخ فرعون اسمه فليثون .

وقيل: " هذا من شيعته

وهذا من عدوه " أي : هذا مؤمن وهذا كافر ، وكان القبطي يسخر الإسرائيلي ليحمل الحطب إلى المطبخ .

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع ، وكان بنو إسرائيل قد عزوا بمكان موسى ؛ لأنهم كانوا يعلمون أنه منهم ، فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون ، (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني ، والاستغاثة : طلب الغوث ، فغضب موسى واشتد غضبه ; لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم ، ولا يعلم الناس إلا أنه من قبل الرضاعة من أم موسى ، فقال للفرعوني : خل سبيله ، فقال : إنما أخذته ليحمل الحطب إلى مطبخ أبيك ، فنازعه .

فقال الفرعوني لقد هممت أن أحمله عليك ، وكان موسى قد أوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة والبطش ،

- (فوكزه موسى) وقرأ ابن مسعود : " فلكزه موسى " ، ومعناهما واحد ، وهو الضرب بجمع الكف

- وقيل: " الوكز " الضرب في الصدر " واللكز " في الظهر

- وقال الفراء : معناهما واحد ، وهو الدفع

في رأينا المتواضع ان سبب ذلك يعود الى تخوف موسى عليه السلام لأعتقاده بأنهم يعتبرونه من أولاد فرعون حيث تربى هناك وان دخوله أحياء العبرانيين كان في وقت محسوب منه بحيث لايراه أحدا منهم لكن حينما رأى مشاجرة بين مصري وعبراني وقتل المصري دفاعا عن العبراني فأراد موسى عليه السلام أن يثبت لقومه بأنه منهم ولا يتخلى عن انتماءهم لهم وان كان قد عاش في بيت فرعون وهو محسوب عليه .

محاولة القتل الثانية

في التوراة

[13]ثُمَّ خَرَجَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَإِذَا رَجُلاَنِ عِبْرَانِيَّانِ يَتَخَاصَمَانِ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: «لِمَاذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ؟» [14]فَقَالَ: «مَنْ جَعَلَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا ؟ أَمُفْتَكِرٌ أَنْتَ بِقَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ؟» . فَخَافَ مُوسَى وَقَالَ: «حَقًّا قَدْ عُرِفَ الأَمْرُ» . [15]فَسَمِعَ فِرْعَوْنُ هذَا الأَمْرَ، فَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَ مُوسَى. فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ مِدْيَانَ، وَجَلَسَ عِنْدَ الْبِئْرِ .) .

تروي التوراة المشهد على أساس أن موسى عليه السلام الذي بقي في المدينة رأي شخصان عبرانيان يتخاصمان فصاح في المذنب بأن يكف عن ضرب صاحبه فقال له من الذي جعلك مسؤولا عنا وهل أنت تفكر بقتلي كما قتلت المصري بالأمس هنا أرتعد موسى وعلم أن أمره قد كشف وعلم فرعون بالقصة فطلب أن يقتل موسى فهرب الى مدين .

محاولة القتل الثانية

في القرآن

فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (18) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (19) وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (21) القصص

يختلف هذا المشهد في النصوص القرآنية عما هو عليه في النصوص التوراتية كثيرا :

. يتحدث القرآن الكريم من أن موسى بات في المدينة وهوخائف يترقب ولقد رأى صاحب الأمس الذي طلب منه العون يتخاصم مع شخص تقول التوراة انه عبراني بينما القرآن الكريم يصفه بأنه خصما لهما وهذا يعني أنه مصري وليس عبراني .

. ان الايات القرآنية تذكر ان موسى عليه السلام حاول أن يبطش بالمصري بينما في التوراة

لا تذكر ذلك فقط قال له : «مَنْ جَعَلَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا ؟ أَمُفْتَكِرٌ أَنْتَ بِقَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ

. تضيف الايات القرآنية مشهدا جديدا لا مثيل له في النص التوراتي وهو مشهد الرجل الذي أتى من أقصى المدينة يحذر موسى : وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20) . هنا اضطر موسى للهروب متجها نحو مدين .

موسى عليه السلام في مدين
وفق التوراة

فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ مِدْيَانَ، وَجَلَسَ عِنْدَ الْبِئْرِ.

[16]وَكَانَ لِكَاهِنِ مِدْيَانَ سَبْعُ بَنَاتٍ، فَأَتَيْنَ وَاسْتَقَيْنَ وَمَلأْنَ الأَجْرَانَ لِيَسْقِينَ غَنَمَ أَبِيهِنَّ. [17]فَأَتَى الرُّعَاةُ وَطَرَدُوهُنَّ. فَنَهَضَ مُوسَى وَأَنْجَدَهُنَّ وَسَقَى غَنَمَهُنَّ. [18]فَلَمَّا أَتَيْنَ إِلَى رَعُوئِيلَ أَبِيهِنَّ قَالَ: «مَا بَالُكُنَّ أَسْرَعْتُنَّ فِي الْمَجِيءِ الْيَوْمَ؟» [19]فَقُلْنَ: «رَجُلٌ مِصْرِيٌّ أَنْقَذَنَا مِنْ أَيْدِي الرُّعَاةِ، وَإِنَّهُ اسْتَقَى لَنَا أَيْضًا وَسَقَى الْغَنَمَ». [20]فَقَالَ لِبَنَاتِهِ: «وَأَيْنَ هُوَ؟ لِمَاذَا تَرَكْتُنَّ الرَّجُلَ؟ ادْعُونَهُ لِيَأْكُلَ طَعَامًا». [21]فَارْتَضَى مُوسَى أَنْ يَسْكُنَ مَعَ الرَّجُلِ، فَأَعْطَى مُوسَى صَفُّورَةَ ابْنَتَهُ. [22]فَوَلَدَتِ ابْنًا فَدَعَا اسْمَهُ «جَرْشُومَ»، لأَنَّهُ قَالَ: «كُنْتُ نَزِيلاً فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ».

والمشهد في القرآن الكريم

(وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (22) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) (28) .

يذكر النص القرآني ان موسى عليه السلام وصل الى ماء مدين وهناك رأى الناس يسقون فلفت انتباهه امرأتين قد وقفتا بعيدا ينتظرون حتى ينتهي الرعاة من سقي مواشيهم وعليه فأنهم سينتظرون وقتا طويلا لذلك حرك هذا المشهد نخوة موسى وقام لمساعدتها والنص التوراتي يذكر سبع اخوات وبعد ان ساعدهما جلس في الظل غريبا لا يعرف احدا راح يدعو ربه فهو محتاج لمساعدته ماهي الا لحظات حتى عادت احداهما تمشي بحياء وخجل وقالت له ان أباها يدعوه للمنزل ليكافأه على مافعل ثم يعرض عليه والدهما أن يزوجه احدى بناته عل ان يعمل عنده ثمانية سنوات وهكذا حصل .

فالنص القرآني يتحدث عن ترتيب الهي لرحلة موسى عليه السلام منذ وصوله ماء مدين وحتى قضاءه ثمانية سنوات في خدمة والد زوجته (ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40) طه. أي جئت بخطوات قد قدرت تقديرا عليك لتصل الى مايريده الله .

يعيد القرآن الكريم ليصور لنا هذه المشاهد وماحصل لموسى عليه السلام بكلمات وجمل معبرة فيها تفصيلا أكثر كما جاء في سورة طه وهذا لا نجدها في التوراة مثيلا أو مقابلا :

(وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41) طه

وتلفت هذه النصوص عقولنا الى نقطتين مهمتين الأولى : ان الله سبحانه وتعالى يقول لموسى عليه السلام (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) وهذا القول قد تجسد بشكل عملي على أرض الواقع منذ أن ولد موسى عليه السلام ولحين وفاته بل هو الانسان الوحيد الذي كلمه الله تكليما وهذا يفصح عن محبة عظيمة وقدر كبير له والنقطة الثانية وهي ان الله سبحانه وتعالى قال لموسى (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) فما معنى ذلك :

يقول السعدي في تفسير وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ أي أجريت عليك صنائعي ونعمي، وحسن عوائدي، وتربيتي، لتكون لنفسي حبيبا مختصا، وتبلغ في ذلك مبلغا لا يناله أحد من الخلق، إلا النادر منهم، وإذا كان الحبيب إذا أراد اصطناع حبيبه من المخلوقين، وأراد أن يبلغ من الكمال المطلوب له ما يبلغ، يبذل غاية جهده، ويسعى نهاية ما يمكنه في إيصاله لذلك، فما ظنك بصنائع الرب القادر الكريم، وما تحسبه يفعل بمن أراده لنفسه، واصطفاه من خلقه؟

وهذه المحبة وهذا القدر الكبير لموسى عليه السلام لم يذكر في التوراة التي صورت موسى عليه السلام بأن الله قد كلفه لتنفيذ وعده لابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام بأن يأخذهم الى الأرض الموعودة وهي في نظري (مهمة سياسية عنصرية وهي ليس من أهداف أولئك الأنبياء والرسل عليهم السلام قطعا .

موسى عليه السلام في الوادي المقدس

في التوراة والقرآن

في التوراة

الأَصحَاحُ الثَّالِثُ

[1]وَأَمَّا مُوسَى فكَانَ يَرْعَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ كَاهِنِ مِدْيَانَ، فَسَاقَ الْغَنَمَ إِلَى وَرَاءِ الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللهِ حُورِيبَ. [2]وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ بِلَهِيبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عُلَّيْقَةٍ. فَنَظَرَ وَإِذَا الْعُلَّيْقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ، وَالْعُلَّيْقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ. [3]فَقَالَ مُوسَى: «أَمِيلُ الآنَ لأَنْظُرَ هذَا الْمَنْظَرَ الْعَظِيمَ. لِمَاذَا لاَ تَحْتَرِقُ الْعُلَّيْقَةُ؟». [4]فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ، نَادَاهُ اللهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلَّيْقَةِ وَقَالَ: «مُوسَى، مُوسَى!». فَقَالَ: «هأَنَذَا». [5]فَقَالَ: «لاَ تَقْتَرِبْ إِلَى ههُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ».

[6]ثُمَّ قَالَ: «أَنَا إِلهُ أَبِيكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ». فَغَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللهِ. [7]فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، [8]فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ، إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً، إِلَى مَكَانِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ. [9]وَالآنَ هُوَذَا صُرَاخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَتَى إِلَيَّ، وَرَأَيْتُ أَيْضًا الضِّيقَةَ الَّتِي يُضَايِقُهُمْ بِهَا الْمِصْرِيُّونَ، [10]فَالآنَ هَلُمَّ فَأُرْسِلُكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ».

[11]فَقَالَ مُوسَى للهِ: «مَنْ أَنَا حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَحَتَّى أُخْرِجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ؟» [12]فَقَالَ: «إِنِّي أَكُونُ مَعَكَ، وَهذِهِ تَكُونُ لَكَ الْعَلاَمَةُ أَنِّي أَرْسَلْتُكَ: حِينَمَا تُخْرِجُ الشَّعْبَ مِنْ مِصْرَ، تَعْبُدُونَ اللهَ عَلَى هذَا الْجَبَلِ». [13]فَقَالَ مُوسَى للهِ: «هَا أَنَا آتِي إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَقُولُ لَهُمْ: إِلهُ آبَائِكُمْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. فَإِذَا قَالُوا لِي: مَا اسْمُهُ؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ؟» [14]فَقَالَ اللهُ لِمُوسَى: «أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ». وَقَالَ: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ».

[15]وَقَالَ اللهُ أَيْضًا لِمُوسَى: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهْوَهْ إِلهُ آبَائِكُمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. هذَا اسْمِي إِلَى الأَبَدِ وَهذَا ذِكْرِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ. [16]اِذْهَبْ وَاجْمَعْ شُيُوخَ إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: الرَّبُّ إِلهُ آبَائِكُمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ظَهَرَ لِي قَائِلاً: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُكُمْ وَمَا صُنِعَ بِكُمْ فِي مِصْرَ. [17]فَقُلْتُ أُصْعِدُكُمْ مِنْ مَذَلَّةِ مِصْرَ إِلَى أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً.

«فَإِذَا سَمِعُوا لِقَوْلِكَ، تَدْخُلُ أَنْتَ وَشُيُوخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى مَلِكِ مِصْرَ وَتَقُولُونَ لَهُ: الرَّبُّ إِلهُ الْعِبْرَانِيِّينَ الْتَقَانَا، فَالآنَ نَمْضِي سَفَرَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا.

[19]وَلكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ لاَ يَدَعُكُمْ تَمْضُونَ وَلاَ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ، [20]فَأَمُدُّ يَدِي وَأَضْرِبُ مِصْرَ بِكُلِّ عَجَائِبِي الَّتِي أَصْنَعُ فِيهَا. وَبَعْدَ ذلِكَ يُطْلِقُكُمْ. [21]وَأُعْطِي نِعْمَةً لِهذَا الشَّعْبِ فِي عُيُونِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ حِينَمَا تَمْضُونَ أَنَّكُمْ لاَ تَمْضُونَ فَارِغِينَ. [22]بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلِبُونَ الْمِصْرِيِّينَ».

المشهد في القرآن الكريم

نثبت أدناه الآيات القرآنية المقابلة للنصوص التوراتية

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (22) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (23) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36) طه

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (7) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (8) يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (10) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (11) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (12) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (13) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14) ﴾ [النمل : 7 – 14]

فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ

يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (31) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (32) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (33) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (34) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (35) القصص

دراسة مقارنة للنصوص المعنية

لدينا ثلا ث نصوص قرآنية تتحدث عن مشهد تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام ونص توراتي واحد يتحدث عن المشهد نفسه وقبل ان نقارن بين النصوص القرآنية والنص التوراتي علينا أن نضع تصورا واحدا موسعا مستوحى من النصوص القرآنية الثلاثة ومن ثم نجري مقارنة هذا التصور مع النص التوراتي المقابل .

النار

القبس والجذوة وشهاب قبس الخبر والاصطلاء

وردت هذه الكلمات في النصوص القرآنية الثلاثة التي تعود لسور طه والنمل والقصص فهل هناك تضارب بينها في المعاني ؟

) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10)

إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ

وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30)

وقوله في سورة طه : أو أجد على النار هدى ، أي على من يخبرني بالطريق فيهديني إليه . وإنما أخر ذكر المخبر فيهما ، وقدمه فيهما مرات لفواصل الآي ، وكرر " لعلي " في القصص لفظا ، وفيهما معنى ؛ لأن " أو " في قوله : أو أجد على النار هدى ، نائب عن " لعلي " ، و سآتيكم تتضمن معنى " لعلي " وفي القصص : أو جذوة من النار ، وفي النمل : بشهاب قبس ، وفي طه : بقبس ؛ لأن الجذوة من النار خشبة في رأسها قبس له شهاب ، فهي في السور الثلاث عبارة عن معبر واحد .

أما الخبر فيعني ان وجود النار يدل على وجود شخص أو جماعة قد قاموا بأشعالها لذلك فأراد موسى عليه السلام أن يأت بخبر منهم ويأتي بالوقت نفسه بجذوة من النار ليشعل بها نارا للتدفئة .

مكان وموقع النار

في سورة طه :) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12)

في سورة النمل : فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (8)

في سورة القصص : فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30)

أي: فحين أتى موسى- عليه السلام- إلى النار التي أبصرها، نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ أى سمع نداء من الجانب الأيمن بالنسبة له، أي: لموسى وهو يسير إلى النار التي رآها، والشجرة والنار كلاهما في الوادي المقدس

مصدر الصوت

فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (8)

يقول الشعراوي رحمه الله في تفسير هذه الاية الكريمة :

وقوله: ﴿ أَن بُورِكَ مَن فِي النار وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ النمل: 8 كلمة بُورك لا تناسب النار؛ لأن النار تحرق، وما دام قال : ﴿ بُورِكَ مَن فِي النار ﴾النمل: 8] فلابد أن مَنْ في النار خَلْق لا يُحرق، ولا تؤثر فيه النار، فمَنْ هم الذين لا تؤثر فيهم النار، هم الملائكة.

الحوار بين موسى وربه

في النصوص الثلاث

سورة طه

(﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (22) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (23) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36) طه

يفهم من الحوار بين الله سبحانه وتعالى ونبيه موسى عليه السلام في الايات القرآنية مايلي :

. اختيار الله لموسى عليه السلام ليكون نبيا ورسولا يوحى له

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) طه إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)

(يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9) النمل

. كلفه بالذهاب الى فرعون ودعوته وأخباره باطلاق سراح بني اسرائيل (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24 طه

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (12)

اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (32)

. ان يعبد الله ويذكره

إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) طه

. أعطاه برهانان

) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (22)

مشهد تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام في التوراة

رؤية النار

[1]وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرْعَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ كَاهِنِ مِدْيَانَ، فَسَاقَ الْغَنَمَ إِلَى وَرَاءِ الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللهِ حُورِيبَ. [2]وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ بِلَهِيبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عُلَّيْقَةٍ. فَنَظَرَ وَإِذَا الْعُلَّيْقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ، وَالْعُلَّيْقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ. [3]فَقَالَ مُوسَى: «أَمِيلُ الآنَ لأَنْظُرَ هذَا الْمَنْظَرَ الْعَظِيمَ. لِمَاذَا لاَ تَحْتَرِقُ الْعُلَّيْقَةُ؟». [4]فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ، نَادَاهُ اللهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلَّيْقَةِ وَقَالَ: «مُوسَى، مُوسَى!». فَقَالَ: «هأَنَذَا». [5]فَقَالَ: «لاَ تَقْتَرِبْ إِلَى ههُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ».

العليقة هي شجيرة شوكية مما كان ينبت في صحراء سيناء، ولا يمكن الجزم بنوع الشجيرات الشوكية التي كانت منها تلك العليقة التي رآها موسى النبي في البرية " تتوقد بالنار، والعليقة لم تكن تحترق"

فعندها ذهب موسى عليه السلام الى هناك ليستطلع عن هذا الأمر العجيب الذي يراه .

وكما رأينا فالنصوص القرآنية لم تبين ان شيئا ما غير مألوف دفعه للذهاب بل كان الدافع أمرا طبيعا ليستطلع ويأخذ الأخبار من الذين اشعلوا هذه النار على فرض وجودهم وليأتي بجذوة منها ليوقد بها نارا لأهله وهذا هو التصور المنطقي والواقعي لأن موسى اذا كان قد رأى أمرا غريبا عجيبا غير مألوفا وفق تصور التوراة فهذا سيدفعه للخوف لا محالة فيبقى جاثما محله وهو تصرفا طبيعيا في مثل هذه الأحوال .

[4]فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ، نَادَاهُ اللهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلَّيْقَةِ وَقَالَ: «مُوسَى، مُوسَى!». فَقَالَ: «هأَنَذَا». [5]فَقَالَ: «لاَ تَقْتَرِبْ إِلَى ههُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ».

وهذا يتطابق الى حد ما مع قوله تعالى :) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12)

لكن مصدر الصوت كما تبين لنا اية أخرى لم يكن من وسط العليقة بل كان (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30) أي من مكان مفتوح وأوسع وليس من نقطة محصورة في وسط الشجرة .

حوار توراتي عنصري سياسي

[6]ثُمَّ قَالَ: «أَنَا إِلهُ أَبِيكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ». فَغَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللهِ. [7]فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، [8]فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ، إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً، إِلَى مَكَانِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ. [9]وَالآنَ هُوَذَا صُرَاخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَتَى إِلَيَّ، وَرَأَيْتُ أَيْضًا الضِّيقَةَ الَّتِي يُضَايِقُهُمْ بِهَا الْمِصْرِيُّونَ، [10]فَالآنَ هَلُمَّ فَأُرْسِلُكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ».

يبدل كاتب التوراة الحوار الأصلي كما جاء في النص القرآني ويحوله الى حوار عنصري بحت فالذي يخاطب موسى عليه السلام هو (اله بنو اسرائيل) بينما في النصوص القرآنية يسمي الله تعالى نفسه : إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وفي أية أخرى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ

الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) .(يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9) النمل وهذه الايات القرآنية يمكن جمعها في قول واحد يشمل تعريف الله سبحانه وتعالى لنفسه : (اني أنا ربك , رب العالمين , انني أنا الله لا اله الا أنا العزيز الحكيم) وهذا تعريف كامل وشامل لمعنى الربوبية والألوهية والعزة والحكمة بينما في النص التوراتي يجعل الله سبحانه وتعالى اله خاص ببني اسرائيل (قَالَ: «أَنَا إِلهُ أَبِيكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ» .

ثم يتابع كاتب النص التوراتي خيالاته ويتحدث عن واقعة لا يمكن لعقل بشري تقبلها فيقلب الكاتب المشهد الصوتي ليجعله صورة وصوتا في آن واحد فيقف موسى عليه السلام وجها لوجه يرى الله والله يراه في كافة الأحوال فيخاف ويضع كفيه ليغطي وجهه .

(فَغَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللهِ.)

والحقيقة والبيان الجلي لهذا الموقف تكشفه الايات القرآنية ايضا فلقد طلب موسى عليه السلام أن يرى الله لكن سبحانه وتعالى رد عليه بلطف الهي وقال له : لن تراني ولنكمل بقية المشهد في الايات المعنية بذلك : (﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : 143]

فالمناسبة التي طلب موسى عليه رؤية ربه كانت حينما جاء لميقات ربه وكلمه ربه حينها قال موسى وقتها رب ارني انظر اليك فأجابه ربه باستحالة ذلك وحتى يعرف موسى سبب هذه الاستحالة طلب منه ربه أن ينظر الى الجبل الذي تجلى ربه له صار دكا حينها صعق موسى ولما أفاق قال سبحانك اني تبت اليك وانا أول المؤمنين) فهو أول المؤمنين باستحالة المخلوقات رؤية خالقها وهي في وضعها الخلقي القائم وهو أول المؤمنين بعظمة الله ونوره وقدرته .

وهذه النصوص القرآنية التي تتحدث عن هذه الواقعى لا نجد لها مثيلا في التوراة كله .

ويتابع كاتب التوراة في شرح معاناة بني اسرائيل على لسان (اله التوراة) [7]فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، [8]فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ، إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً، إِلَى مَكَانِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ. [9]وَالآنَ هُوَذَا صُرَاخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَتَى إِلَيَّ، وَرَأَيْتُ أَيْضًا الضِّيقَةَ الَّتِي يُضَايِقُهُمْ بِهَا الْمِصْرِيُّونَ، [10]فَالآنَ هَلُمَّ فَأُرْسِلُكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ».

ونلاحظ جليا ان ما طلبه الله من موسى في الايات القرآنية يختلف جذريا عما طلبه في التوراة :

اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24) طه

فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ

قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (15) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17) ﴾ [الشعراء : 14 – 17]

ففي الايات القرآنية نجد ان المطلوب من موسى دعوة فرعون وقومه للايمان بالله فهو قد طغى وقومه فاسقين وطلبا أن يطلق سراح بني اسرائيل ويرسلهم معه .

موسى عليه السلام يجادل الله تعالى في التوراة

[11]فَقَالَ مُوسَى للهِ: «مَنْ أَنَا حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَحَتَّى أُخْرِجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ؟» [12]فَقَالَ: «إِنِّي أَكُونُ مَعَكَ، وَهذِهِ تَكُونُ لَكَ الْعَلاَمَةُ أَنِّي أَرْسَلْتُكَ: حِينَمَا تُخْرِجُ الشَّعْبَ مِنْ مِصْرَ، تَعْبُدُونَ اللهَ عَلَى هذَا الْجَبَلِ». [13]فَقَالَ مُوسَى للهِ: «هَا أَنَا آتِي إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَقُولُ لَهُمْ: إِلهُ آبَائِكُمْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. فَإِذَا قَالُوا لِي: مَا اسْمُهُ؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ؟» [14]فَقَالَ اللهُ لِمُوسَى: «أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ». وَقَالَ: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ».

ان هذا المشهد المهيب الذي يتحدث عن تكليم الله لموسى عليه السلام لا تشعر بقدسيته ومهابته في التوراة وتصوره لنا كلقاء عادي يتجاوز فيه موسى عليه السلام (حاشاه من ذلك) قدسية الله ويراه وكأنه كائن بشري مثله .

[11] فَقَالَ مُوسَى لِلهِ: «مَنْ أَنَا حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ،) وبين الكلمات يخفي كاتب التوراة بعضا من السخرية والعياذ بالله بينما نجد كيف يخشى موسى عليه السلام ربه ويهابه ويقدسه في النص القرآني :

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (22) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (23) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36) طه

فالنص القرآني يبين لنا ان الله سبحانه يريد أن يخفف من روع موسى عليه السلام فيبدأ بسؤاله ماتلك بيمنك يا موسى والله يعلم ما في يده يرد موسى بكل صدق ومهابة ثم يطلب من ربه (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27)

ثم يبين لنا كاتب التوراة مدى سخافته وجهله وسذاجته فيضحك على عقول من يؤمن به ويصور لهم ان موسى النبي لا يعرف اسم ربه فيسأله : ([13]فَقَالَ مُوسَى لِلهِ : « هَا أَنَا آتِي إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَقُولُ لَهُمْ : إِلهُ آبَائِكُمْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. فَإِذَا قَالُوا لِي : مَا اسْمُهُ؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ ؟ » .

فيخترع كاتب التوراة بكل جسارة اسما لله لم تذكره التوراة من قبل : (. فَإِذَا قَالُوا لِي: مَا اسْمُهُ؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ؟» [14]فَقَالَ اللهُ لِمُوسَى: «أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ». وَقَالَ: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ ».

والأدهى من ذلك كله فأن النص التوراتي يخبرنا بأن (اله التوراة) يحض موسى عليه السلام على سرقة المصريين ([19]وَلكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ لاَ يَدَعُكُمْ تَمْضُونَ وَلاَ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ، [20]فَأَمُدُّ يَدِي وَأَضْرِبُ مِصْرَ بِكُلِّ عَجَائِبِي الَّتِي أَصْنَعُ فِيهَا . وَبَعْدَ ذلِكَ يُطْلِقُكُمْ. [21]وَأُعْطِي نِعْمَةً لِهذَا الشَّعْبِ فِي عُيُونِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ حِينَمَا تَمْضُونَ أَنَّكُمْ لاَ تَمْضُونَ فَارِغِينَ. [22]بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلِبُونَ الْمِصْرِيِّينَ».

مشهد عصا موسى عليه السلام في النص التوراتي

الأَصحَاحُ الرَّابعُ

[1]فَأَجَابَ مُوسَى وَقَالَ: « وَلكِنْ هَا هُمْ لاَ يُصَدِّقُونَنِي وَلاَ يَسْمَعُونَ لِقَوْلِي، بَلْ يَقُولُونَ: لَمْ يَظْهَرْ لَكَ الرَّبُّ » . [2]فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: « مَا هذِهِ فِي يَدِكَ ؟» فَقَالَ: «عَصًا» . [3]فَقَالَ: «اطْرَحْهَا إِلَى الأَرْضِ» . فَطَرَحَهَا إِلَى الأَرْضِ فَصَارَتْ حَيَّةً، فَهَرَبَ مُوسَى مِنْهَا . [4]ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ وَأَمْسِكْ بِذَنَبِهَا» . فَمَدَّ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ، فَصَارَتْ عَصًا فِي يَدِهِ. [5]«لِكَيْ يُصَدِّقُوا أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لَكَ الرَّبُّ إِلهُ آبَائِهِمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ » .

ان هذا المشهد يطابق الى حد ما مثيله في النصوص القرآنية مع فرق هو ان الايات القرآنية تصور المشهد بموضوعية ودقة : (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (31) القصص (وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (10) النمل (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21) طه

فهذه الايات تشير الى حالة من الرعب اصابت موسى حينما رأى عصاه وقد تحولت الى حية تسعى فطمأنه ربه انه سيعيدها الى حالتها الأولى ونبأه بأنه من المرسلين .

البرهان الثاني

في التوراة

[6]ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّبُّ أَيْضًا: «أَدْخِلْ يَدَكَ فِي عُبِّكَ». فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي عُبِّهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا، وَإِذَا يَدُهُ بَرْصَاءُ مِثْلَ الثَّلْجِ. [7]ثُمَّ قَالَ لَهُ: «رُدَّ يَدَكَ إِلَى عُبِّكَ». فَرَدَّ يَدَهُ إِلَى عُبِّهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا مِنْ عُبِّهِ، وَإِذَا هِيَ قَدْ عَادَتْ مِثْلَ جَسَدِهِ. [8]«فَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوكَ وَلَمْ يَسْمَعُوا لِصَوْتِ الآيَةِ الأُولَى، أَنَّهُمْ يُصَدِّقُونَ صَوْتَ الآيَةِ الأَخِيرَةِ. [9]وَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوا هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ، وَلَمْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِكَ، أَنَّكَ تَأْخُذُ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ وَتَسْكُبُ عَلَى الْيَابِسَةِ، فَيَصِيرُ الْمَاءُ الَّذِي تَأْخُذُهُ مِنَ النَّهْرِ دَمًا عَلَى الْيَابِسَةِ».

البرهان الثاني

في القرآن الكريم

جاء في سورة القصص : (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (32)

وفي سورة طه : (وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (22)

هناك اختلاف جوهري بين مارواه كاتب التوراة وبين ماجاء في الايات القرآنية فالرواية التوراتية تذكر ان يد موسى عليه السلام كانت (سليمة) فلما يضع كفه في جيبه ويخرجه تظهر برصاء ثم يعيد وضع يده في جيبه ويخرجها فتعود الى ماكانت عليه .

أما في النصوص القرآنية فتذكر ان يد موسى عليه السلام كانت مصابة بمرض جلدي لذلك طلب منه ربنا الكريم ان يضع يده اليمنى الى عضد يده اليسرى بأن يجعلها تحته عند الإبط. ثم يخرجها فإنها تخرج بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ

سُوءٍ أي: تخرج منيرة مشرقة واضحة البياض دون أن يعلق بها أى سوء من برص أو مرض أو غيرهما، وإنما يكون بياضها بياضا مشرقا بقدرة الله–تبارك وتعالى– وإرادته .

طلب مؤازرة هارون لموسى عليهما السلام

في التوراة

[10]فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، لَسْتُ أَنَا صَاحِبَ كَلاَمٍ مُنْذُ أَمْسِ وَلاَ أَوَّلِ مِنْ أَمْسِ، وَلاَ مِنْ حِينِ كَلَّمْتَ عَبْدَكَ، بَلْ أَنَا ثَقِيلُ الْفَمِ وَاللِّسَانِ». [11]فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَنْ صَنَعَ لِلإِنْسَانِ فَمًا؟ أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيرًا أَوْ أَعْمَى؟ أَمَا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟ [12]فَالآنَ اذْهَبْ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَأُعَلِّمُكَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ». [13]فَقَالَ: «اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَرْسِلْ بِيَدِ مَنْ تُرْسِلُ». [14]فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى مُوسَى وَقَالَ: «أَلَيْسَ هَارُونُ اللاَّوِيُّ أَخَاكَ؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ يَتَكَلَّمُ، وَأَيْضًا هَا هُوَ خَارِجٌ لاسْتِقْبَالِكَ. فَحِينَمَا يَرَاكَ يَفْرَحُ بِقَلْبِهِ، [15]فَتُكَلِّمُهُ وَتَضَعُ الْكَلِمَاتِ فِي فَمِهِ، وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَمَعَ فَمِهِ، وَأُعَلِّمُكُمَا مَاذَا تَصْنَعَانِ. [16]وَهُوَ يُكَلِّمُ الشَّعْبَ عَنْكَ. وَهُوَ يَكُونُ لَكَ فَمًا، وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ إِلهًا. [17]وَتَأْخُذُ فِي يَدِكَ هذِهِ الْعَصَا الَّتِي تَصْنَعُ بِهَا الآيَاتِ».

يضيف كاتب التوراة صفة واسما جديدا للأله في التوراة حيث تطلق عليه لقب (السيد) ولقد ذكرنا من قبل ان النصوص التوراتية لا تعطي للأله أي قدسية وحينما تقول على لسان موسى عليه السلام كذبا وبهتانا («اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ،) فهي تطلب أن يستمع الأله للعبد وليس العكس .

هناك اختلاف عما ذكرته الايات القرآنية بخصوص مؤازرة هارون لأخيه موسى عليهما السلام والتي تذكر ان من طلب هذه المساعدة هو موسى عليه السلام : (وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36) طه .

الأَصحَاحُ الْخَامِسُ

أحداث مصطنعة لا وجود لها في النصوص القرآنية

تذكر النصوص التوراتية عددا من الأحداث التي أبتكرها كاتب التوراة فهي في كل مناسبة تقول ان الرب قال لموسى وتنسب للرب كلاما غير معقولا وهذه بعض الأمثلة :

[21]وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «عِنْدَمَا تَذْهَبُ لِتَرْجعَ إِلَى مِصْرَ، انْظُرْ جَمِيعَ الْعَجَائِبِ الَّتِي جَعَلْتُهَا فِي يَدِكَ وَاصْنَعْهَا قُدَّامَ فِرْعَوْنَ. وَلكِنِّي أُشَدِّدُ قَلْبَهُ حَتَّى لاَ يُطْلِقَ الشَّعْبَ. [22]فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ. [23]فَقُلْتُ لَكَ: أَطْلِقِ ابْنِي لِيَعْبُدَنِي، فَأَبَيْتَ أَنْ تُطْلِقَهُ. هَا أَنَا أَقْتُلُ ابْنَكَ الْبِكْرَ».

[27]وَقَالَ الرَّبُّ لِهَارُونَ: «اذْهَبْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لاسْتِقْبَالِ مُوسَى». فَذَهَبَ وَالْتَقَاهُ فِي جَبَلِ اللهِ وَقَبَّلَهُ

[22]فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، لِمَاذَا أَسَأْتَ إِلَى هذَا الشَّعْبِ؟ لِمَاذَا أَرْسَلْتَنِي؟ [23]فَإِنَّهُ مُنْذُ دَخَلْتُ إِلَى فِرْعَوْنَ لأَتَكَلَّمَ بِاسْمِكَ، أَسَاءَ إِلَى هذَا الشَّعْبِ. وَأَنْتَ لَمْ تُخَلِّصْ شَعْبَكَ».

سنقف قليلا عند هذا النص التوراتي الأخير والذي يذكر ان موسى عليه السلام رجع الى الرب ولا ندري نحن أوغيرنا كيف رجع وما معنى رجع ويتهم كاتب التوراة بكل جسارة الرب بأنه أساء الى شعب بني اسرائيل بل كذب عليه فهو وعد أن يخلصه ولم يخلصه .

وحاشى لموسى عليه السلام أن يتلفظ بمثل هذه الألفاظ فهو نبي ورسول علمه ربه أن يتأدب معه وخصه من دون العالمين بتكليمه .

[21]وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «عِنْدَمَا تَذْهَبُ لِتَرْجعَ إِلَى مِصْرَ، انْظُرْ جَمِيعَ الْعَجَائِبِ الَّتِي جَعَلْتُهَا فِي يَدِكَ وَاصْنَعْهَا قُدَّامَ فِرْعَوْنَ. وَلكِنِّي أُشَدِّدُ قَلْبَهُ حَتَّى لاَ يُطْلِقَ الشَّعْبَ. [22]فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ. [23]فَقُلْتُ لَكَ: أَطْلِقِ ابْنِي لِيَعْبُدَنِي، فَأَبَيْتَ أَنْ تُطْلِقَهُ. هَا أَنَا أَقْتُلُ ابْنَكَ الْبِكْرَ».

[24]وَحَدَثَ فِي الطَّرِيقِ فِي الْمَنْزِلِ أَنَّ الرَّبَّ الْتَقَاهُ وَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَهُ. [25]فَأَخَذَتْ صَفُّورَةُ صَوَّانَةً وَقَطَعَتْ غُرْلَةَ ابْنِهَا وَمَسَّتْ رِجْلَيْهِ. فَقَالَتْ: «إِنَّكَ عَرِيسُ دَمٍ لِي». [26]فَانْفَكَّ عَنْهُ. حِينَئِذٍ قَالَتْ: «عَرِيسُ دَمٍ مِنْ أَجْلِ الْخِتَانِ».

[27]وَقَالَ الرَّبُّ لِهَارُونَ: «اذْهَبْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لاسْتِقْبَالِ مُوسَى». فَذَهَبَ وَالْتَقَاهُ فِي جَبَلِ اللهِ وَقَبَّلَهُ. [28]فَأَخْبَرَ مُوسَى هَارُونَ بِجَمِيعِ كَلاَمِ الرَّبِّ الَّذِي أَرْسَلَهُ، وَبِكُلِّ الآيَاتِ الَّتِي أَوْصَاهُ بِهَا. [29]ثُمَّ مَضَى مُوسَى وَهَارُونُ وَجَمَعَا جَمِيعَ شُيُوخِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. [30]فَتَكَلَّمَ هَارُونُ بِجَمِيعِ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى بِهِ، وَصَنَعَ الآيَاتِ أَمَامَ عُيُونِ الشَّعْبِ. [31]فَآمَنَ الشَّعْبُ. وَلَمَّا سَمِعُوا أَنَّ الرَّبَّ افْتَقَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنَّهُ نَظَرَ مَذَلَّتَهُمْ، خَرُّوا وَسَجَدُوا.

[1]وَبَعْدَ ذلِكَ دَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ وَقَالاَ لِفِرْعَوْنَ: «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيُعَيِّدُوا لِي فِي الْبَرِّيَّةِ». [2]فَقَالَ فِرْعَوْنُ: «مَنْ هُوَ الرَّبُّ حَتَّى أَسْمَعَ لِقَوْلِهِ فَأُطْلِقَ إِسْرَائِيلَ؟ لاَ أَعْرِفُ الرَّبَّ، وَإِسْرَائِيلَ لاَ أُطْلِقُهُ». [3]فَقَالاَ: «إِلهُ الْعِبْرَانِيِّينَ قَدِ الْتَقَانَا، فَنَذْهَبُ سَفَرَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا، لِئَلاَّ يُصِيبَنَا بِالْوَبَإِ أَوْ بِالسَّيْفِ». [4]فَقَالَ لَهُمَا مَلِكُ مِصْرَ: «لِمَاذَا يَا مُوسَى وَهَارُونُ تُبَطِّلاَنِ الشَّعْبَ مِنْ أَعْمَالِهِ؟ اِذْهَبَا إِلَى أَثْقَالِكُمَا». [5]وَقَالَ فِرْعَوْنُ: «هُوَذَا الآنَ شَعْبُ الأَرْضِ كَثِيرٌ وَأَنْتُمَا تُرِيحَانِهِمْ مِنْ أَثْقَالِهِمْ».

[6]فَأَمَرَ فِرْعَوْنُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مُسَخِّرِي الشَّعْبِ وَمُدَبِّرِيهِ قَائِلاً: [7]«لاَ تَعُودُوا تُعْطُونَ الشَّعْبَ تِبْنًا لِصُنْعِ اللِّبْنِ كَأَمْسِ وَأَوَّلَ مِنْ أَمْسِ. لِيَذْهَبُوا هُمْ وَيَجْمَعُوا تِبْنًا لأَنْفُسِهِمْ. [8]وَمِقْدَارَ اللِّبْنِ الَّذِي كَانُوا يَصْنَعُونَهُ أَمْسِ، وَأَوَّلَ مِنْ أَمْسِ تَجْعَلُونَ عَلَيْهِمْ. لاَ تَنْقُصُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُمْ مُتَكَاسِلُونَ، لِذلِكَ يَصْرُخُونَ قَائِلِينَ: نَذْهَبُ وَنَذْبَحُ لإِلهِنَا. [9]لِيُثَقَّلِ الْعَمَلُ عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى يَشْتَغِلُوا بِهِ وَلاَ يَلْتَفِتُوا إِلَى كَلاَمِ الْكَذِبِ». [10]فَخَرَجَ مُسَخِّرُو الشَّعْبِ وَمُدَبِّرُوهُ وَكَلَّمُوا الشَّعْبَ، قَائِلِينَ لِلشَّعْبِ: «هكَذَا يَقُولُ فِرْعَوْنُ: لَسْتُ أُعْطِيكُمْ تِبْنًا. [11]اذْهَبُوا أَنْتُمْ وَخُذُوا لأَنْفُسِكُمْ تِبْنًا مِنْ حَيْثُ تَجِدُونَ. إِنَّهُ لاَ يُنْقَصُ مِنْ عَمَلِكُمْ شَيْءٌ».

[12]فَتَفَرَّقَ الشَّعْبُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ لِيَجْمَعُوا قَشًّا عِوَضًا عَنِ التِّبْنِ. [13]وَكَانَ الْمُسَخِّرُونَ يُعَجِّلُونَهُمْ قَائِلِينَ: «كَمِّلُوا أَعْمَالَكُمْ، أَمْرَ كُلِّ يَوْمٍ بِيَوْمِهِ، كَمَا كَانَ حِينَمَا كَانَ التِّبْنُ». [14]فَضُرِبَ مُدَبِّرُو بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَقَامَهُمْ عَلَيْهِمْ مُسَخِّرُو فِرْعَوْنَ، وَقِيلَ لَهُمْ: «لِمَاذَا لَمْ تُكَمِّلُوا فَرِيضَتَكُمْ مِنْ صُنْعِ اللِّبْنِ أَمْسِ وَالْيَوْمَ كَالأَمْسِ وَأَوَّلَ مِنْ أَمْسِ؟». [15]فَأَتَى مُدَبِّرُو بَنِي إِسْرَائِيلَ وَصَرَخُوا إِلَى فِرْعَوْنَ قَائِلِينَ: «لِمَاذَا تَفْعَلُ هكَذَا بِعَبِيدِكَ؟ [16]اَلتِّبْنُ لَيْسَ يُعْطَى لِعَبِيدِكَ، وَاللِّبْنُ يَقُولُونَ لَنَا: اصْنَعُوهُ! وَهُوَذَا عَبِيدُكَ مَضْرُوبُونَ، وَقَدْ أَخْطَأَ شَعْبُكَ». [17]فَقَالَ: «مُتَكَاسِلُونَ أَنْتُمْ،

مُتَكَاسِلُونَ! لِذلِكَ تَقُولُونَ: نَذْهَبُ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ. [18]فَالآنَ اذْهَبُوا اعْمَلُوا. وَتِبْنٌ لاَ يُعْطَى لَكُمْ وَمِقْدَارَ اللِّبْنِ تُقَدِّمُونَهُ».

[19]فَرَأَى مُدَبِّرُو بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْفُسَهُمْ فِي بَلِيَّةٍ إِذْ قِيلَ لَهُمْ لاَ تُنَقِّصُوا مِنْ لِبْنِكُمْ أَمْرَ كُلِّ يَوْمٍ بِيَوْمِهِ. [20]وَصَادَفُوا مُوسَى وَهَارُونَ وَاقِفَيْنِ لِلِقَائِهِمْ حِينَ خَرَجُوا مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ. [21]فَقَالُوا لَهُمَا: «يَنْظُرُ الرَّبُّ إِلَيْكُمَا وَيَقْضِي، لأَنَّكُمَا أَنْتَنْتُمَا رَائِحَتَنَا فِي عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ وَفِي عُيُونِ عَبِيدِهِ حَتَّى تُعْطِيَا سَيْفًا فِي أَيْدِيهِمْ لِيَقْتُلُونَا».

[22]فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، لِمَاذَا أَسَأْتَ إِلَى هذَا الشَّعْبِ؟ لِمَاذَا أَرْسَلْتَنِي؟ [23]فَإِنَّهُ مُنْذُ دَخَلْتُ إِلَى فِرْعَوْنَ لأَتَكَلَّمَ بِاسْمِكَ، أَسَاءَ إِلَى هذَا الشَّعْبِ. وَأَنْتَ لَمْ تُخَلِّصْ شَعْبَكَ».

لقاء موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون

وفق الرواية التوراتية

[8]وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلاً: [9]«إِذَا كَلَّمَكُمَا فِرْعَوْنُ قَائِلاً: هَاتِيَا عَجِيبَةً، تَقُولُ لِهَارُونَ: خُذْ عَصَاكَ وَاطْرَحْهَا أَمَامَ فِرْعَوْنَ فَتَصِيرَ ثُعْبَانًا». [10]فَدَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَفَعَلاَ هكَذَا كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ. طَرَحَ هَارُونُ عَصَاهُ أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَأَمَامَ عَبِيدِهِ فَصَارَتْ ثُعْبَانًا. [11]فَدَعَا فِرْعَوْنُ أَيْضًا الْحُكَمَاءَ وَالسَّحَرَةَ، فَفَعَلَ عَرَّافُو مِصْرَ أَيْضًا بِسِحْرِهِمْ كَذلِكَ. [12]طَرَحُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَصَاهُ فَصَارَتِ الْعِصِيُّ ثَعَابِينَ. وَلكِنْ عَصَا هَارُونَ ابْتَلَعَتْ عِصِيَّهُمْ. [13]فَاشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا، كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ.

وفق الرواية القرآنية

يقول الله تعالى في سورة الشعراء : (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (35) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (37) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (38) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (39) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (40) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ

(41) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (42) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (43) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (44) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (45) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (46) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (48) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (49) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (50) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (51) الشعراء

الفروق بين النصين في سرد المشهد

. لا ندري لماذا يقوم كاتب التوراة بعملية تحريف المشاهد و لا ندري اذا كان بجهاله منه أم بقصد وفي النص يطلب الرب من موسى عليه السلام أن يعطي عصاه لأخيه هارون لكي يلقيها أمام فرعون بينما النص القرآني يخبرنا بأن من ألقى العصا هو موسى عليه السلام بنفسه : (فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (45) .) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69) طه .

. تدعي النصوص التوراتية ان عصي السحرة قد تحولت الى ثعابين (12 طَرَحُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَصَاهُ فَصَارَتِ الْعِصِيُّ ثَعَابِينَ. وَلكِنْ عَصَا هَارُونَ ابْتَلَعَتْ عِصِيَّهُمْ.) ويصر كاتب التوراة على ان من رمى العصا هو هارون لذلك يسميها (عصا هارون) هناك نوعا من الأفضلية تمنحها التوراة لهارون على موسى عليهما السلام وان كانت (مبطنة) وسنوضح سبب هذه الأفضلية بعد أن نبين كيف حلل القرآن الكريم تحول أفاعي السحرة الى ثعابين وهل كانت حقيقة وفق ما تدعي التوراة .

﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ [طه : 66]

قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (116) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (117)

فالنصوص القرآنية تتحدث عن عمل سحري متقن وباحكام قام به السحرة ولم يسحر عملهم أعين الناس وحسب بل النبي موسى عليه السلام بنفسه ووصف القرآن الكريم عملهم بأنه (سحر عظيم) جعل الناس بما فيهم موسى عليه السلام (يخيل اليه) أي تشبه إليه من سحرهم وكيدهم حتى ظن أن العصي تسعى لكنها في الحقيقة والواقع لم تتبدل طبيعتها المادية فبقت حبالا وعصيا .

(فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (118) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (119) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (120) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (122) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (123) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (124) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (125) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (126) .

لذلك ظهر الله الحق وابطل عمل السحرة وغلبوا وهم مجبرين لما رأوه من فعل عصا موسى عليه السلام

والتي صارت ثعبانا حقيقيا يتحرك ويبلع حبالهم وعصيهم لذلك سجدوا وأمنوا برب العالمين بالرغم من تهديد فرعون لهم بتعذيبهم وصلبهم فهم قد رأووا أيات الله أمام أعينهم فكيف لا يؤمنون بالله الذي صنعها

كل هذه الأمور التي تعطي للمشهد حقه لا نجد لها في النص التوراتي المقابل أي وجود .

أفضلية هارون على موسى عليهما السلام في التوراة

تتكرّر قصّة النبي موسى والنبي هارون عليهما السلام في أكثر من سورة في القرآن (الأعراف، يونس، طه، المؤمنون، القصص. . إلخ)، والمُلفت للإنتباه في ذلك أنّ القرآن الكريم يؤكّد على أنّهما قاما معاً بواجب رسالة واحدة

ويُخبرنا القرآن عن الدور الذي لعبه هارون، فهو نبي أيضا : "وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى، إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً . وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً . وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً". (سورة مريم، الآيات 51–53) "اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. قَالَ: رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً

مَن لَسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي، وَاجْعَل لِي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي، كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً، وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً، إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً؟ قَالَ: قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى. ... اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي. اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى. قَالاَ: رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى. قَالَ: لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى. فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ، قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى"سورة 24–47

الواضح من هذه الآيات أنّ هارون ليس فقط نبياً، بل أشركه الله بنبوّة موسى، وكلّفهما سويّاً بإيصال آياته ورسالته إلى فرعون وإلى بني إسرائيل. وفي الآية أعلاه (وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي)، يقول لنا القرآن تحديداً إنّ موسى سأل الله أن يشرك هارون معه في النبوّة لأنّ موسى كانت عنده إعاقة في الكلام. ونجد ذلك في صيغة أوضح في سورة القصص (الآيتان 34–35): "وَأَخِي هَارُونُ، هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً، فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ. قَالَ: سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا، أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ". موضوع الإعاقة في الكلام عند موسى وأنّ الله اختار هارون ليكون معه ويؤدّيا سويّاً النبوّة تؤكّده لنا أيضاً الرواية التوراتيّة في سفر الخروج (الإصحاح 4، الآية 10–16): "وَقَالَ مُوسَى للهِ: "اسْمَعْنِي أَيُّهَا الرَّبُّ، أَنَا خَادِمُكَ لَا أُحسِنُ الكَلَامَ، لَا فِي المَاضِي وَلَا مُنْذُ تَكَلَّمْتَ إِلَيَّ. فَأَنَا بَطِيءُ الكَلَامِ وَثَقِيلُ اللِّسَانِ." فَقَالَ اللهُ لَهُ: مَن الَّذِي يُعْطِي لِلإِنْسَانِ فَهْماً، أَوْ يَجْعَلُ الإِنْسَانَ أَخرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ أَعرَجَ أَوْ أَعْمَى؟ أَلَيسَ أَنَا، اللهَ؟ وَالآنَ اذْهَبْ. سَأَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَسَأُعَلِّمُكَ مَاذَا تَقُولُ. وَلَكِنَّ مُوسَى قَالَ: أَرْجُوكَ يَا رَبُّ أَنْ تُرْسِلَ شَخْصاً آخَرَ. حِينَئِذٍ، غَضِبَ اللهُ مِنْ مُوسَى، وَقَالَ لَهُ: أَلَيسَ هَارُونُ اللَّاوِيُّ أَخَاكَ؟ أَعْلَمُ أَنَّهُ يُحْسِنُ الكَلَامَ، وَهُوَ سَيَأْتِي لِلِقَائِكَ، وَحِينَ يَرَاكَ سَيَفْرَحُ مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ. تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَكَلَّمَ إِلَيْهِ بِكُلِّ مَا تُرِيدُهُ أَنْ يَقُولَ. سَأَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَفَمِهِ، وَسَأُعَلِّمُكَ مَاذَا تَفْعَلُ. هُوَ سَيَتَكَلَّمُ إِلَى النَّاسِ نِيَابَةً عَنْكَ. فَكَأَنَّهُ فَمُكَ، وَكَأَنَّكَ إِلَهُه". إذاً، هناك تلاقٍ كامل بين القرآن والتوراة في موضوع ثنائيّة موسى–هارون في أداء مهام النبوّة. ويذهب القرآن أبعد من ذلك في تأكيده أنّ التوراة أوحيت لموسى وهارون معاً، كما يدلّ المقطعان أدناه: "وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ.

وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ. وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الغَالِبِينَ. وَآتَيْنَاهُمَا الكِتَابَ المُسْتَبِينَ. وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ. سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ. إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ. إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا المُؤْمِنِينَ". (سورة الصّافّات، الآيات 114–122) . "ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ. فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ. فَقَالُوا: أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ؟ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ المُهْلَكِينَ". (سورة المؤمنون، الآيات 45–48) إذاً، موسى وهارون وُكلا معاً ليس فقط في إيصال رسالة النبوّة، بل في استلام الوحي أيضاً . أنّ نسل موسى لم يكن له أي دور في ما بعد في الديانة اليهوديّة القديمة، بل ذهب الدور إلى نسل هارون ولأن العقيدة التوراتية انما تقوم على التثبت بالنسب النبوي الى ابراهيم عليه السلام فأستمر هذا النسب في ذرية هارون دون موسى عليهما السلام .

الضربات الالهية لقوم فرعون على يد موسى وهارون في التوراة

الدم

[19]ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قُلْ لِهَارُونَ: خُذْ عَصَاكَ وَمُدَّ يَدَكَ عَلَى مِيَاهِ الْمِصْرِيِّينَ، عَلَى أَنْهَارِهِمْ وَعَلَى سَوَاقِيهِمْ، وَعَلَى آجَامِهِمْ، وَعَلَى كُلِّ مُجْتَمَعَاتِ مِيَاهِهِمْ لِتَصِيرَ دَمًا . فَيَكُونَ دَمٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ فِي الأَخْشَابِ وَفِي الأَحْجَارِ» . [20]فَفَعَلَ هكَذَا مُوسَى وَهَارُونُ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ. رَفَعَ الْعَصَا وَضَرَبَ الْمَاءَ الَّذِي فِي النَّهْرِ أَمَامَ عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ وَأَمَامَ عُيُونِ عَبِيدِهِ، فَتَحَوَّلَ كُلُّ الْمَاءِ الَّذِي فِي النَّهْرِ دَمًا . [21]وَمَاتَ السَّمَكُ الَّذِي فِي النَّهْرِ وَأَنْتَنَ النَّهْرُ، فَلَمْ يَقْدِرِ الْمِصْرِيُّونَ أَنْ يَشْرَبُوا مَاءً مِنَ النَّهْرِ. وَكَانَ الدَّمُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. [22]وَفَعَلَ عَرَّافُو مِصْرَ كَذلِكَ بِسِحْرِهِمْ. فَاشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا، كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ.

[23]ثُمَّ انْصَرَفَ فِرْعَوْنُ وَدَخَلَ بَيْتَهُ وَلَمْ يُوَجِّهْ قَلْبَهُ إِلَى هذَا أَيْضًا . [24]وَحَفَرَ جَمِيعُ الْمِصْرِيِّينَ حَوَالَيِ النَّهْرِ لأَجْلِ مَاءٍ لِيَشْرَبُوا، لأَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَشْرَبُوا مِنْ مَاءِ النَّهْرِ .

[25]وَلَمَّا كَمُلَتْ سَبْعَةُ أَيَّامٍ بَعْدَ مَا ضَرَبَ الرَّبُّ النَّهْرَ

الضفادع

[1]قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «ادْخُلْ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. [2]وَإِنْ كُنْتَ تَأْبَى أَنْ تُطْلِقَهُمْ فَهَا أَنَا أَضْرِبُ جَمِيعَ تُخُومِكَ بِالضَّفَادِعِ. [3]فَيَفِيضُ النَّهْرُ ضَفَادِعَ. فَتَصْعَدُ وَتَدْخُلُ إِلَى بَيْتِكَ وَإِلَى مِخْدَعِ فِرَاشِكَ وَعَلَى سَرِيرِكَ وَإِلَى بُيُوتِ عَبِيدِكَ وَعَلَى شَعْبِكَ وَإِلَى تَنَانِيرِكَ وَإِلَى مَعَاجِنِكَ. [4]عَلَيْكَ وَعَلَى شَعْبِكَ وَعَبِيدِكَ تَصْعَدُ الضَّفَادِعُ».

[5]فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قُلْ لِهَارُونَ: مُدَّ يَدَكَ بِعَصَاكَ عَلَى الأَنْهَارِ وَالسَّوَاقِي وَالآجَامِ، وَأَصْعِدِ الضَّفَادِعَ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ». [6]فَمَدَّ هَارُونُ يَدَهُ عَلَى مِيَاهِ مِصْرَ، فَصَعِدَتِ الضَّفَادِعُ وَغَطَّتْ أَرْضَ مِصْرَ. [7]وَفَعَلَ كَذلِكَ الْعَرَّافُونَ بِسِحْرِهِمْ وَأَصْعَدُوا الضَّفَادِعَ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ.

[8]فَدَعَا فِرْعَوْنُ مُوسَى وَهَارُونَ وَقَالَ: «صَلِّيَا إِلَى الرَّبِّ لِيَرْفَعَ الضَّفَادِعَ عَنِّي وَعَنْ شَعْبِي فَأُطْلِقَ الشَّعْبَ لِيَذْبَحُوا لِلرَّبِّ». [9]فَقَالَ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ: «عَيِّنْ لِي مَتَى أُصَلِّي لأَجْلِكَ وَلأَجْلِ عَبِيدِكَ وَشَعْبِكَ لِقَطْعِ الضَّفَادِعِ عَنْكَ وَعَنْ بُيُوتِكَ. وَلكِنَّهَا تَبْقَى فِي النَّهْرِ». [10]فَقَالَ: «غَدًا». فَقَالَ: «كَقَوْلِكَ. لِكَيْ تَعْرِفَ أَنْ لَيْسَ مِثْلُ الرَّبِّ إِلهِنَا. [11]فَتَرْتَفِعُ الضَّفَادِعُ عَنْكَ وَعَنْ بُيُوتِكَ وَعَبِيدِكَ وَشَعْبِكَ، وَلكِنَّهَا تَبْقَى فِي النَّهْرِ».

[12]ثُمَّ خَرَجَ مُوسَى وَهَارُونُ مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ، وَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ مِنْ أَجْلِ الضَّفَادِعِ الَّتِي جَعَلَهَا عَلَى فِرْعَوْنَ، [13]فَفَعَلَ الرَّبُّ كَقَوْلِ مُوسَى. فَمَاتَتِ الضَّفَادِعُ مِنَ الْبُيُوتِ وَالدُّورِ وَالْحُقُولِ. [14]وَجَمَعُوهَا

كُومًا كَثِيرَةً حَتَّى أَنْتَنَتِ الأَرْضُ. [15]فَلَمَّا رَأَى فِرْعَوْنُ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ الْفَرَجُ أَغْلَظَ قَلْبَهُ وَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا، كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ.

البعوض

[16]ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قُلْ لِهَارُونَ: مُدَّ عَصَاكَ وَاضْرِبْ تُرَابَ الأَرْضِ لِيَصِيرَ بَعُوضًا فِي جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ». [17]فَفَعَلاَ كَذلِكَ. مَدَّ هَارُونُ يَدَهُ بِعَصَاهُ وَضَرَبَ تُرَابَ الأَرْضِ، فَصَارَ الْبَعُوضُ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ. كُلُّ تُرَابِ الأَرْضِ صَارَ بَعُوضًا فِي جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ. [18]وَفَعَلَ كَذلِكَ الْعَرَّافُونَ بِسِحْرِهِمْ لِيُخْرِجُوا الْبَعُوضَ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا. وَكَانَ الْبَعُوضُ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ. [19]فَقَالَ الْعَرَّافُونَ لِفِرْعَوْنَ: «هذَا إِصْبَعُ اللهِ». وَلكِنِ اشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُما، كَما تَكَلَّمَ الرَّبُّ

القضاء على المواشي

[1]ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «ادْخُلْ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ الْعِبْرَانِيِّينَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. [2]فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتَ تَأْبَى أَنْ تُطْلِقَهُمْ وَكُنْتَ تُمْسِكُهُمْ بَعْدُ، [3]فَهَا يَدُ الرَّبِّ تَكُونُ عَلَى مَوَاشِيكَ الَّتِي فِي الْحَقْلِ، عَلَى الْخَيْلِ وَالْحَمِيرِ وَالْجِمَالِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، وَبَأً ثَقِيلاً جِدًّا. [4]وَيُمَيِّزُ الرَّبُّ بَيْنَ مَوَاشِي إِسْرَائِيلَ وَمَوَاشِي الْمِصْرِيِّينَ. فَلاَ يَمُوتُ مِنْ كُلِّ مَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ شَيْءٌ». [5]وَعَيَّنَ الرَّبُّ وَقْتًا قَائِلاً: «غَدًا يَفْعَلُ الرَّبُّ هذَا الأَمْرَ فِي الأَرْضِ». [6]فَفَعَلَ الرَّبُّ هذَا الأَمْرَ فِي الْغَدِ. فَمَاتَتْ جَمِيعُ مَوَاشِي الْمِصْرِيِّينَ. وَأَمَّا مَوَاشِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَمُتْ مِنْهَا وَاحِدٌ. [7]وَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ وَإِذَا مَوَاشِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَمُتْ مِنْهَا وَلاَ وَاحِدٌ. وَلكِنْ غَلُظَ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يُطْلِقِ الشَّعْبَ.

الدمامل

[8]ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ: «خُذَا مِلْءَ أَيْدِيكُمَا مِنْ رَمَادِ الأَتُونِ، وَلْيُذَرِّهِ مُوسَى نَحْوَ السَّمَاءِ أَمَامَ عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ، [9]لِيَصِيرَ غُبَارًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. فَيَصِيرَ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ دَمَامِلَ طَالِعَةً بِبُثُورٍ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ». [10]فَأَخَذَا رَمَادَ الأَتُونِ وَوَقَفَا أَمَامَ فِرْعَوْنَ، وَذَرَّاهُ مُوسَى نَحْوَ السَّمَاءِ، فَصَارَ دَمَامِلَ بُثُورٍ طَالِعَةً فِي النَّاسِ وَفِي الْبَهَائِمِ. [11]وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْعَرَّافُونَ أَنْ يَقِفُوا أَمَامَ مُوسَى مِنْ أَجْلِ الدَّمَامِلِ، لأَنَّ الدَّمَامِلَ كَانَتْ فِي الْعَرَّافِينَ وَفِي كُلِّ الْمِصْرِيِّينَ. [12]وَلكِنْ شَدَّدَ الرَّبُّ قَلْبَ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا، كَمَا كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى.

البرد والمطر والصواعق

[22]ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ نَحْوَ السَّمَاءِ لِيَكُونَ بَرَدٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ: عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ وَعَلَى كُلِّ عُشْبِ الْحَقْلِ فِي أَرْضِ مِصْرَ». [23]فَمَدَّ مُوسَى عَصَاهُ نَحْوَ السَّمَاءِ، فَأَعْطَى الرَّبُّ رُعُودًا وَبَرَدًا، وَجَرَتْ نَارٌ عَلَى الأَرْضِ، وَأَمْطَرَ الرَّبُّ بَرَدًا عَلَى أَرْضِ مِصْرَ. [24]فَكَانَ بَرَدٌ، وَنَارٌ مُتَوَاصِلَةٌ فِي وَسَطِ الْبَرَدِ. شَيْءٌ عَظِيمٌ جِدًّا لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ مُنْذُ صَارَتْ أُمَّةً. [25]فَضَرَبَ الْبَرَدُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ جَمِيعَ مَا فِي الْحَقْلِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. وَضَرَبَ الْبَرَدُ جَمِيعَ عُشْبِ الْحَقْلِ وَكَسَّرَ جَمِيعَ شَجَرِ الْحَقْلِ. [26]إِلاَّ أَرْضَ جَاسَانَ حَيْثُ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا بَرَدٌ.

الجراد

[12]ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ لأَجْلِ الْجَرَادِ، لِيَصْعَدَ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ وَيَأْكُلَ كُلَّ عُشْبِ الأَرْضِ، كُلَّ مَا تَرَكَهُ الْبَرَدُ». [13]فَمَدَّ مُوسَى عَصَاهُ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ، فَجَلَبَ الرَّبُّ عَلَى الأَرْضِ رِيحًا شَرْقِيَّةً كُلَّ ذلِكَ النَّهَارِ وَكُلَّ اللَّيْلِ. وَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ، حَمَلَتِ الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ الْجَرَادَ، [14]فَصَعِدَ الْجَرَادُ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ، وَحَلَّ فِي جَمِيعِ تُخُومِ مِصْرَ. شَيْءٌ ثَقِيلٌ جِدًّا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ

جَرَادٌ هكَذَا مِثْلَهُ، وَلاَ يَكُونُ بَعْدَهُ كَذلِكَ، [15]وَغَطَّى وَجْهَ كُلِّ الأَرْضِ حَتَّى أَظْلَمَتِ الأَرْضُ. وَأَكَلَ جَمِيعَ عُشْبِ الأَرْضِ وَجَمِيعَ ثَمَرِ الشَّجَرِ الَّذِي تَرَكَهُ الْبَرَدُ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ أَخْضَرُ فِي الشَّجَرِ وَلاَ فِي عُشْبِ الْحَقْلِ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ».

الظلام

[21]ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ نَحْوَ السَّمَاءِ لِيَكُونَ ظَلاَمٌ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ، حَتَّى يُلْمَسُ الظَّلاَمُ». [22]فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ فَكَانَ ظَلاَمٌ دَامِسٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ. [23]لَمْ يُبْصِرْ أَحَدٌ أَخَاهُ، وَلاَ قَامَ أَحَدٌ مِنْ مَكَانِهِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ. وَلكِنْ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ لَهُمْ نُورٌ فِي مَسَاكِنِهِمْ.

القضاء على كل بكر في مصر

[4]وَقَالَ مُوسَى: «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِنِّي نَحْوَ نِصْفِ اللَّيْلِ أَخْرُجُ فِي وَسَطِ مِصْرَ، [5]فَيَمُوتُ كُلُّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ، مِنْ بِكْرِ فِرْعَوْنَ الْجَالِسِ عَلَى كُرْسِيِّهِ إِلَى بِكْرِ الْجَارِيَةِ الَّتِي خَلْفَ الرَّحَى، وَكُلُّ بِكْرِ بَهِيمَةٍ. [6]وَيَكُونُ صُرَاخٌ عَظِيمٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ وَلاَ يَكُونُ مِثْلُهُ أَيْضًا. [7]وَلكِنْ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ يُسَنِّنُ كَلْبٌ لِسَانَهُ إِلَيْهِمْ، لاَ إِلَى النَّاسِ وَلاَ إِلَى الْبَهَائِمِ. لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ يُمَيِّزُ بَيْنَ الْمِصْرِيِّينَ وَإِسْرَائِيلَ. [8]فَيَنْزِلُ إِلَيَّ جَمِيعُ عَبِيدِكَ هؤُلاَءِ، وَيَسْجُدُونَ لِي قَائِلِينَ: اخْرُجْ أَنْتَ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِينَ فِي أَثَرِكَ. وَبَعْدَ ذلِكَ أَخْرُجُ». ثُمَّ خَرَجَ مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ فِي حُمُوِّ الْغَضَبِ.

[9]وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «لاَ يَسْمَعُ لَكُمَا فِرْعَوْنُ لِكَيْ تَكْثُرَ عَجَائِبِي فِي أَرْضِ مِصْرَ». [10]وَكَانَ مُوسَى وَهَارُونُ يَفْعَلاَنِ كُلَّ هذِهِ الْعَجَائِبِ أَمَامَ فِرْعَوْنَ، وَلكِنْ شَدَّدَ الرَّبُّ قَلْبَ فِرْعَوْنَ، فَلَمْ يُطْلِقْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِهِ.

كعادة كاتب التوراة فهو يصور لنا مشاهد الايات التي أظهرها الله لفرعون وقومه بصور ووقائع أسطورية وسنرى ان الحقيقة والواقع ليس كما يصفه لنا كاتب التوراة بل أيات القرآن الكريم التي تظهر مافعله الله بفرعون وقومه انما هي (آيات) أي معجزات والغاية منها أثبات نبوءة موسى وهارون عليهما السلام وقبول فرعون وقومه لعبادة الله الواحد وارغام فرعون على خروج بني اسرائيل من مصر .

تسع آيات بينات
في النصوص القرآنية

جاء ذكر هذه الايات المعجزات في عدة آيات قرأنية منها قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء : 101]

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [النمل : 12]

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (130) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَـذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (131) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (132) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (133) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (134) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (135) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (136) ﴾ [الأعراف : 130 – 136] .

فالمعجزات التي آتى بها موسى وهارون عليهما السلام هي تسعة آيات وفق التعبير القرآني وهي :

العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والرجز وآخذهم بالسنين ونقص الثمرات

يقول تعالى: وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بالسنين أي: اختبرناهم وامتحناهم وابتليناهم بِالسِّنِينَ وهي سني الجوع بسبب قلّة الزروع، ونقص من الثّمرات. قال مجاهد: وهو دون ذلك وقال أبو إسحاق: عن رجاء بن حيوة: كانت النّخلة لا تحمل إلا ثمرة واحدة.

أما ماورد في التوراة من حديث عن قتل كل بكر والكسوف واحلال الظلام وغير ذلك فلا تتحدث الايات القرآنية عنها وهذا دليل آخر من الادلة التي تؤكد من ان الرسول الكريم كان يأخذ هذه الأنباء وتفاصيل هذه القصص من الله سبحانه وتعالى وقد كانت وحيا يوحى له نقلت الينا كما حدثت بالضبط ودون أي تدخل لقول بشر فيها على عكس ما رأيناه في القصص التوراتي .

ردة فعل فرعون وقومه وبني اسرائيل على دعوة موسى وهارون

[1]وَبَعْدَ ذلِكَ دَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ وَقَالاَ لِفِرْعَوْنَ: «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيُعَيِّدُوا لِي فِي الْبَرِّيَّةِ». [2]فَقَالَ فِرْعَوْنُ: «مَنْ هُوَ الرَّبُّ حَتَّى أَسْمَعَ لِقَوْلِهِ فَأُطْلِقَ إِسْرَائِيلَ؟ لاَ أَعْرِفُ الرَّبَّ، وَإِسْرَائِيلَ لاَ أُطْلِقُهُ».

قلنا ان التوراة تتغاضى عن ذكر الاحداث والوقائع المهمة في قصة موسى عليه السلام وتركز على التفاصيل التي لاقيمة لها بعكس ما ترويه النصوص القرآنية .

وفي النص التوراتي المشار اليه أعلاه بيين كاتب التوراة لحظة دخول موسى وهارون على فرعون فيقولا له (ان الرب اله بني اسرائيل) بينما يصف الله نفسه بأنه (رب العالمين ورب الناس) فيرد فرعون (مَنْ هُوَ الرَّبُّ حَتَّى أَسْمَعَ لِقَوْلِهِ فَأُطْلِقَ إِسْرَائِيلَ؟ لاَ أَعْرِفُ الرَّبَّ، وَإِسْرَائِيلَ لاَ أُطْلِقُهُ» .

و هذا المقطع لا يشير الى أي طلب لموسى من فرعون سوى طلبه (باطلاق بني اسرائيل) لكن في النصوص القرآنية نجد ان هذا الطلب هو ثانوي بالنسبة للطلب الاساس وهو دعوة موسى لفرعون للايمان بالله وحده لاشريك له ولا ربا ولا اله سواه .

وسنجد حقيقة ماطلبه موسى وهارون عليهما السلام من فرعون وفق الرواية القرأنية

يقدم لنا القرآن في أكثر من موضع حوارات موسى عليه السلام مع فرعون، وفيها دليل على قوة حجته ومنطقه، ولنا أن نتمثل في ذلك حواره مع فرعون الذي سأله: (قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51)) [طه:٥١]؛ فجاءت إجابته شافية كافية: (قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (54))[طه:٥٢-٥٤].

فقد استخدم عليه السلام مفردات البيئة التي يعيش فيها (الأرض، السماء، المطر، النبات، الأنعام) ليقرب الصورة للمخاطبين (فرعون وملأه) وهذا أوقع في تعجزيهم وإقامة الحجة عليهم، وبلغ به التحدي مداه عندما قال له فرعون: (قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29)) [الشعراء:٢٩].

فجاء رده منطقيًا: (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31)) [الشعراء:٣٠-٣١].

فألزم فرعون الحجة وتحداه في يوم يجتمع فيه الناس ليشاهدوا بأعينهم.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38)

) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (26) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (27) وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29) .

ان هذه النصوص القرآنية تبين لنا ان هناك قضية ومطلب أكبر مما نراه في النصوص التوراتية التي تحصر المسألة فقط في (دعوة فرعون لآخراج بني اسرائيل) وهي مسألة دعوته الى الله والطعن في ادعاء فرعون بأن هو الاله ولا اله سواه لذلك فخاف فرعون من هذا الأمر وخوف المصريين منه بحجة (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (26) فالفساد الذي ينذر به فرعون المصريين هو خوفه من ان ينقلبوا عليه ويعبدوا رب موسى عليه السلام ويظهر في المشهد ومن الخلف رجل مؤمن من آل فرعون أي من الطبقة الحاكمة جاء لينصح فرعون بقوله : (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا) .

لكن فرعون لم يأبه لكلامه وأصر على القول : (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29) .

قال فرعون: (لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29)) [الشعراء:٢٩]

قال موسى: (أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30)) [الشعراء:٣٠]

قال فرعون: (فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31)) [الشعراء:٣١]

وهنا بدأ موسى في إظهار الآيات:

- (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32)) [الشعراء:٣٢]
- (وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33)) [الشعراء:٣٣]

ثم انتهى المشهد بإيمان السحرة، وربما أيضا بإيمان امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون، فالقرآن لم يقص علينا شيئًا عن الوقت الذي آمن فيه هؤلاء برسالة موسى عليه السلام.

مرت الأيام والفراعنة يراوغون موسى، ويعدونه بأن يؤمنوا له ويتبعوا دينه ورسالته قائلين: (لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) [الأعراف:١٣٤].

ان هذه المشاهد وما تتبينه لنا من دعوة موسى عليه السلام بصفته نبيا ورسولا داعيا الى عبادى الله وحده لانراها في النصوص التوراتية التى ترى في موسى وهارون رجلان أرسلهما الله لأنقاذ بني اسرائيل وأخراجهم من العبودية والذل وتحقيق حلمهم التوراتي في اقامة دولتهم من النهر والى البحر كما يزعمون .

معارضة بني اسرائيل لموسى وهارون عليهما السلام

قبل الخروج من مصر

يتحدث النص التوراتي المثبت أدناه عن مشهد يعترض فيه زعماء بني اسرائيل أو كما سماهم النص (مدبرو بني اسرائيل) عن اعتراضهم لما قاما به لخوفهم من بطش فرعون وايذاءه لهم وهم قد نسوا مافعل بهم فرعون من قبل فقتل أبناءهم واستحيا نساءهم وسخرهم عبيدا عنده .

[19]فَرَأَى مُدَبِّرُو بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْفُسَهُمْ فِي بَلِيَّةٍ إِذْ قِيلَ لَهُمْ لاَ تُنَقِّصُوا مِنْ لِبْنِكُمْ أَمْرَ كُلِّ يَوْمٍ بِيَوْمِهِ. [20]وَصَادَفُوا مُوسَى وَهَارُونَ وَاقِفَيْنِ لِلِقَائِهِمْ حِينَ خَرَجُوا مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ. [21]فَقَالُوا لَهُمَا: «يَنْظُرُ الرَّبُّ إِلَيْكُمَا وَيَقْضِي، لأَنَّكُمَا أَنْتَنْتُمَا رَائِحَتَنَا فِي عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ وَفِي عُيُونِ عَبِيدِهِ حَتَّى تُعْطِيَا سَيْفًا فِي أَيْدِيهِمْ لِيَقْتُلُونَا».

وآيات القرآن الكريم تبين لنا تخوف بني اسرائيل هذا لذلك دعاهم الرجل الذي كتم ايمانه الى وجوب تعزيز عقيدتهم بالايمان بالله تعالى والثقة بقدرته على انتشالهم من هذا العذاب :

﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (31) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (34) ﴾ [غافر : 23 – 34]

والذي عليه المحققون أن المراد بيوسف هنا : يوسف بن يعقوب– عليهما السلام– والمراد بمجيئه إليهم: مجيئه إلى آبائهم، إذ بين يوسف وموسى– عليهما السلام– أكثر من أربعة قرون، فالتعبير في الآية الكريمة من باب نسبة أحوال الآباء إلى الأبناء لسيرهم على منوالهم وعلى طريقتهم في الإعراض عن الحق.

أي: ولقد جاء يوسف- عليه السلام- إلى آبائكم من قبل مجيء موسى إليكم، وكان مجيئه إلى آبائكم مصحوبا بالمعجزات والبينات، والآيات الواضحات الدالة على صدقه.

فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ أي: فما زال آباؤكم في شك مما جاءهم به من البينات والهدى، كشأنكم أنتم مع نبيكم موسى- عليه السلام-.

حَتَّى إِذا هَلَكَ أي: مات يوسف- عليه السلام-.

قُلْتُمْ أي: قال آباؤكم الذين أنتم من نسلهم لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا فهم قد كذبوا رسالته في حياته، وكفروا بمن بعده من الرسل بعد موته، لأنهم نفوا أن يكون هناك رسول من بعده.

فأنت ترى أن الرجل المؤمن يحذر قومه من أن يسلكوا مسلك آبائهم، في تكذيب رسل الله، وفي الإعراض عن دعوتهم.

قال ابن كثير: قوله-تبارك وتعالى-: وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ يعنى: أهل مصر، قد بعث الله فيهم رسولا من قبل موسى، وهو يوسف- عليه السلام-، كان عزيز أهل مصر، وكان رسولا يدعو إلى الله أمته القبط، فما أطاعوه تلك الساعة إلا لمجرد الوزارة.

وهذا القول الذي قاله الرجل الذي آمن انما موجه هو الى قوم موسى عليه السلام لأن بدء كلامه بكلمة ياقوم فهم من ذرية يعقوب وراح يذكرهم بما حصل للاقوام السابقة التي خذلت رسلها ويحثهم على الثبات ويذكرهم بيوسف عليه السلام نبيهم وقد شكوا بعد وفاته ان لن يبعث الله من بعده رسولا فكانوا مخطئين وهذا نبي الله موسى قد جاءهم من بعده .

ويؤكد هذا النص القرآني بما لايدع للشك أن بني اسرائيل هم أبناء يعقوب وان يعقوب هواسرائيل اذ ان هناك من لا يعتقد بذلك .

وعلى ما يبدو ان هذا الرجل كان مؤمنا بالله من قبل دعوة موسى وظهوره كنبي ورسول ولكن يكتم ايمانه لخوفه من فرعون ومن قومه الذين يتخذونه الها لهم ونتوقع أن يكون من ذرية مؤمنة منذ زمن يوسف عليه السلام بقت تتوارث عقيدة التوحيد طيله هذه الفترة .

فهذا الرجل الذي لم تذكر التوراة عنه شيئًا قد فضح تاريخ بني اسرائيل من أيام يوسف عليه السلام وبعد وفاته فيذكرهم بأنهم كانوا في شك بدعوته ولازالوا وقالوا ان الله لايبعث رسولا من بعده وهاهو يبعث لهم رسولين ونبيين هما موسى وأخوه هارون عليهما السلام .

بدء المسير والرحيل

تروي التوراة لحظة خروج بني اسرائيل من مصر وعددهم وخط مسيرهم وتنقلاتهم وماجرى معهم في تفاصيل لا تخلو من التخيل والخرافات فهي تتحدث مثلا عن نسيانهم صناعة الزاد وانه كان فطيرا الى غير ذلك من الحشو :

[37]فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ رَعَمْسِيسَ إِلَى سُكُّوتَ، نَحْوَ سِتِّ مِئَةِ أَلْفِ مَاشٍ مِنَ الرِّجَالِ عَدَا الأَوْلاَدِ . [38]وَصَعِدَ مَعَهُمْ لَفِيفٌ كَثِيرٌ أَيْضًا مَعَ غَنَمٍ وَبَقَرٍ، مَوَاشٍ وَافِرَةٍ جِدًّا . [39]وَخَبَزُوا الْعَجِينَ الَّذِي أَخْرَجُوهُ مِنْ مِصْرَ خُبْزَ مَلَّةٍ فَطِيرًا، إِذْ كَانَ لَمْ يَخْتَمِرْ. لأَنَّهُمْ طُرِدُوا مِنْ مِصْرَ وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَتَأَخَّرُوا، فَلَمْ يَصْنَعُوا لأَنْفُسِهِمْ زَادًا .

[51]وَكَانَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ أَنَّ الرَّبَّ أَخْرَجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِحَسَبِ أَجْنَادِهِمْ .

[17]وَكَانَ لَمَّا أَطْلَقَ فِرْعَوْنُ الشَّعْبَ أَنَّ اللهَ لَمْ يَهْدِهِمْ فِي طَرِيقِ أَرْضِ الْفَلَسْطِينِيِّينَ مَعَ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ، لأَنَّ اللهَ قَالَ: «لِئَلاَّ يَنْدَمَ الشَّعْبُ إِذَا رَأَوْا حَرْبًا وَيَرْجِعُوا إِلَى مِصْرَ» . [18]فَأَدَارَ اللهُ الشَّعْبَ فِي طَرِيقِ بَرِّيَّةِ بَحْرِ سُوفٍ. وَصَعِدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُتَجَهِّزِينَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ.

[20]وَارْتَحَلُوا مِنْ سُكُّوتَ وَنَزَلُوا فِي إِيثَامَ فِي طَرَفِ الْبَرِّيَّةِ. [21]وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلاً. [22]لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلاً مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ.

لحاق فرعون وجنده ببني اسرائيل

[5]فَلَمَّا أُخْبِرَ مَلِكُ مِصْرَ أَنَّ الشَّعْبَ قَدْ هَرَبَ، تَغَيَّرَ قَلْبُ فِرْعَوْنَ وَعَبِيدِهِ عَلَى الشَّعْبِ. فَقَالُوا: «مَاذَا فَعَلْنَا حَتَّى أَطْلَقْنَا إِسْرَائِيلَ مِنْ خِدْمَتِنَا؟» [6]فَشَدَّ مَرْكَبَتَهُ وَأَخَذَ قَوْمَهُ مَعَهُ. [7]وَأَخَذَ سِتَّ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ مُنْتَخَبَةٍ وَسَائِرَ مَرْكَبَاتِ مِصْرَ وَجُنُودًا مَرْكَبِيَّةً عَلَى جَمِيعِهَا . [8]وَشَدَّدَ الرَّبُّ قَلْبَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ حَتَّى سَعَى وَرَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَبَنُو إِسْرَائِيلَ خَارِجُونَ بِيَدٍ رَفِيعَةٍ. [9]فَسَعَى الْمِصْرِيُّونَ وَرَاءَهُمْ وَأَدْرَكُوهُمْ. جَمِيعُ خَيْلِ مَرْكَبَاتِ فِرْعَوْنَ وَفُرْسَانِهِ وَجَيْشِهِ، وَهُمْ نَازِلُونَ عِنْدَ الْبَحْرِ عِنْدَ فَمِ الْحِيرُوثِ، أَمَامَ بَعْلَ صَفُونَ.

يتحدث النص انه بعد أن علم فرعون وقومه بخروج بني اسرائيل قرر اللحاق بهم وقد أعد العدة لذلك وأخذ معه ستمائة مركبه منتخبة وغيرها من المركبات .

والنصوص القرانية تختصر لحظة خروج فرعون وقومه للحاق بموسى عليه السلام وبني اسرائيل بجمل يسيرة

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (79)

فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (136)

جدال توراتي بين موسى وقومه ثم مع ربه

تضيف التوراة وصف المشهد :

[10]فَلَمَّا اقْتَرَبَ فِرْعَوْنُ رَفَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عُيُونَهُمْ، وَإِذَا الْمِصْرِيُّونَ رَاحِلُونَ وَرَاءَهُمْ. فَفَزِعُوا جِدًّا، وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ. [11]وَقَالُوا لِمُوسَى: «هَلْ لأَنَّهُ لَيْسَتْ قُبُورٌ فِي مِصْرَ أَخَذْتَنَا لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا

حَتَّى أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ؟ [12]أَلَيْسَ هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْنَاكَ بِهِ فِي مِصْرَ قَائِلِينَ: كُفَّ عَنَّا فَنَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ؟ لأَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ أَنْ نَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ». [13]فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: «لاَ تَخَافُوا. قِفُوا وَانْظُرُوا خَلاَصَ الرَّبِّ الَّذِي يَصْنَعُهُ لَكُمُ الْيَوْمَ. فَإِنَّهُ كَمَا رَأَيْتُمُ الْمِصْرِيِّينَ الْيَوْمَ، لاَ تَعُودُونَ تَرَوْنَهُمْ أَيْضًا إِلَى الأَبَدِ. [14]الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ».

[15]فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مَا لَكَ تَصْرُخُ إِلَيَّ؟ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَرْحَلُوا. [16]وَارْفَعْ أَنْتَ عَصَاكَ وَمُدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ وَشُقَّهُ، فَيَدْخُلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ. [17]وَهَا أَنَا أُشَدِّدُ قُلُوبَ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى يَدْخُلُوا وَرَاءَهُمْ، فَأَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَكُلِّ جَيْشِهِ، بِمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ. [18]فَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ حِينَ أَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ». [19]فَانْتَقَلَ مَلاَكُ اللهِ السَّائِرُ أَمَامَ عَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ وَسَارَ وَرَاءَهُمْ، وَانْتَقَلَ عَمُودُ السَّحَابِ مِنْ أَمَامِهِمْ وَوَقَفَ وَرَاءَهُمْ. [20]فَدَخَلَ بَيْنَ عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ وَعَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ، وَصَارَ السَّحَابُ وَالظَّلاَمُ وَأَضَاءَ اللَّيْلَ. فَلَمْ يَقْتَرِبْ هذَا إِلَى ذَاكَ كُلَّ اللَّيْلِ.

[21]وَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ، فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ، وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً وَانْشَقَّ الْمَاءُ. [22]فَدَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ، وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ. [23]وَتَبِعَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ وَدَخَلُوا وَرَاءَهُمْ. جَمِيعُ خَيْلِ فِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ إِلَى وَسَطِ الْبَحْرِ. [24]وَكَانَ فِي هَزِيعِ الصُّبْحِ أَنَّ الرَّبَّ أَشْرَفَ عَلَى عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ فِي عَمُودِ النَّارِ وَالسَّحَابِ، وَأَزْعَجَ عَسْكَرَ الْمِصْرِيِّينَ، [25]وَخَلَعَ بَكَرَ مَرْكَبَاتِهِمْ حَتَّى سَاقُوهَا بِثَقْلَةٍ. فَقَالَ الْمِصْرِيُّونَ: «نَهْرُبُ مِنْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّ الرَّبَّ يُقَاتِلُ الْمِصْرِيِّينَ عَنْهُمْ».

تتحدث النصوص التوراتية عن الحظات التي شاهد موسى وقومه فرعون وجنوده وهم قدظهروا عليهم بهذه الجموع والحشود فخاف قوم موسى عليه السلام وراحوا يلومونه عما فعله معهم وورطهم : (

خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ أَنْ نَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ».) والرب صار يوبخ موسى ويقول له : ([15]فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مَا لَكَ تَصْرُخُ إِلَيَّ؟ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَرْحَلُوا) واعدنا له بالمؤازرة .

ثم يعلمه ربه ماذا يصنع بعصاه ويضرب بها الماء :

[26]فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ لِيَرْجعَ الْمَاءُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ، عَلَى مَرْكَبَاتِهِمْ وَفُرْسَانِهِمْ». [27]فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ فَرَجَعَ الْبَحْرُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ إِلَى حَالِهِ الدَّائِمَةِ، وَالْمِصْرِيُّونَ هَارِبُونَ إِلَى لِقَائِهِ. فَدَفَعَ الرَّبُّ الْمِصْرِيِّينَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ. [28]فَرَجَعَ الْمَاءُ وَغَطَّى مَرْكَبَاتِ وَفُرْسَانَ جَمِيعِ جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ. لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَلاَ وَاحِدٌ. [29]وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَمَشَوْا عَلَى الْيَابِسَةِ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ، وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ.

[30]فَخَلَّصَ الرَّبُّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ إِسْرَائِيلَ مِنْ يَدِ الْمِصْرِيِّينَ. وَنَظَرَ إِسْرَائِيلُ الْمِصْرِيِّينَ أَمْوَاتًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ. [31]وَرَأَى إِسْرَائِيلُ الْفِعْلَ الْعَظِيمَ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ بِالْمِصْرِيِّينَ، فَخَافَ الشَّعْبُ الرَّبَّ وَآمَنُوا بِالرَّبِ وَبِعَبْدِهِ مُوسَى.

قصة الخروج في النصوص القرآنية

وصف القرآن الكريم مشهد خروج موسى عليه السلام وقومه ولحاق فرعون بهم بعدة آيات قرآنية منها : فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (64) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66) ﴾ [الشعراء : 9 – 66]

فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (136) الأعراف

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (79) طه .

ان النصوص القرآنية توضح لنا المشهد وتصوره لنا كما حصل فتبدأ من اللحظة التي قال قوم موسى فيها بعد ان رأوا ان فوعون وجنده قد أدركوهم (إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) لكن موسى عليه السلام كان على ثقة تامة بنصر الله وفي تلك اللحظة المصيرية تدخل العناية الالهية : (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) تلقى في تلك الساعة موسى عليه السلام أمرا من ربه بأن يضرب عصاه البحر ففعل ذلك وصار لهم طريقا يبسا في البحر مشوا فيه : (قال الله تعالى : (فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى) طه : 77 فلحق بهم فرعون وجنده وأمر الله البحر فعاد الى طبيعته وغرق فرعون وجنده وكل ما كان معهم .

في الطريق الى أرض كنعان

وفق الرواية التوراتية

نتابع قصة موسى عليه السلام في سفر الخروج :

الأصحَاحُ الْخَامِسُ عَشَرَ

[20]فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ النَّبِيَّةُ أُخْتُ هَارُونَ الدُّفَّ بِيَدِهَا، وَخَرَجَتْ جَمِيعُ النِّسَاءِ وَرَاءَهَا بِدُفُوفٍ وَرَقْصٍ.
[21]وَأَجَابَتْهُمْ مَرْيَمُ: «رَنِّمُوا لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ. الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ».

يذكر النص التوراتي مريم ويلقبها (النبية) وهي أخت هارون لكن القرآن الكريم لم يذكرها انما ذكر اسم مريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام وقال عنها أخت هارون فهذه حقيقة نؤمن بها لكن لا ندري ان كانت مريم أخت هارون وموسى شخصية حقيقة أم أنها من اختراع كاتب التوراة التي يصفها بالنبية والمعروف ان الله سبحانه وتعالى لم يكلف الا أنبياء ذكور .

[22]ثُمَّ ارْتَحَلَ مُوسَى بِإِسْرَائِيلَ مِنْ بَحْرِ سُوفَ وَخَرَجُوا إِلَى بَرِّيَّةِ شُورٍ. فَسَارُوا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَلَمْ يَجِدُوا مَاءً. [23]فَجَاءُوا إِلَى مَارَّةَ، وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَشْرَبُوا مَاءً مِنْ مَارَّةَ لأَنَّهُ مُرٌّ. لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا «مَارَّةَ». [24]فَتَذَمَّرَ الشَّعْبُ عَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: «مَاذَا نَشْرَبُ؟» [25]فَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ. فَأَرَاهُ الرَّبُّ شَجَرَةً فَطَرَحَهَا فِي الْمَاءِ فَصَارَ الْمَاءُ

عَذْبًا. هُنَاكَ وَضَعَ لَهُ فَرِيضَةً وَحُكْمًا، وَهُنَاكَ امْتَحَنَهُ. [26]فَقَالَ: «إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ، وَتَصْنَعُ الْحَقَّ فِيِّ عَيْنَيْهِ، وَتَصْغَى إِلَى وَصَايَاهُ وَتَحْفَظُ جَمِيعَ فَرَائِضِهِ، فَمَرَضًا مَا مِمَّا وَضَعْتُهُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ لاَ أَضَعُ عَلَيْكَ. فَإِنِّي أَنَا الرَّبُّ شَافِيكَ».

[27]ثُمَّ جَاءُوا إِلَى إِيلِيمَ وَهُنَاكَ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنَ مَاءٍ وَسَبْعُونَ نَخْلَةً. فَنَزَلُوا هُنَاكَ عِنْدَ الْمَاءِ.

لضرورات البحث

نحن سنتابع مجريات لأحداث حصلت مع موسى عليه السلام في التوراة ولا ذكر لها في النصوص القرآنية لذلك لا ندري ان كانت قد حصلت أم لا وسنعلق على بعضها اذا وجدنا ما يدعو للتعليق كما اننا سنعمد الى مقارنة أي نصوص نجدها ولها ما يقابلها في القرآن الكريم

الأَصحَاحُ السَّادِسُ عَشَرَ

[1]ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ إِيلِيمَ. وَأَتَى كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى بَرِّيَّةِ سِينٍ، الَّتِي بَيْنَ إِيلِيمَ وَسِينَاءَ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الثَّانِي بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. [2]فَتَذَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ. [3]وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ: «لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبَعِ. فَإِنَّكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هذَا الْقَفْرِ لِكَيْ تُمِيتَا كُلَّ هذَا الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ».

يتحدث النص عن تذمر بني اسرائيل من حالتهم التي وصلوا اليها بعد خروجهم من مصر ولم يكن قد مضى على ذلك أقل من شهرين ويشكون الى موسى وهارون أمرهم .

وفي النص التالي ينبأ (الرب) موسى عليه السلام بأنه سيمطر عليهم الخبز من السماء فيخبر موسى عن ذلك الى قومه بأن الرب سوف يعطيهم كل يوم في المساء لحما وفي الصباح خبزا لعلهم يرضون .

[4]فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هَا أَنَا أُمْطِرُ لَكُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ. فَيَخْرُجُ الشَّعْبُ وَيَلْتَقِطُونَ حَاجَةَ الْيَوْمِ بِيَوْمِهَا. لِكَيْ أَمْتَحِنَهُمْ، أَيَسْلُكُونَ فِي نَامُوسِي أَمْ لاَ. [5]وَيَكُونُ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ أَنَّهُمْ يُهَيِّئُونَ مَا يَجِيئُونَ بِهِ فَيَكُونُ ضِعْفَ مَا يَلْتَقِطُونَهُ يَوْمًا فَيَوْمًا».

[8]وَقَالَ مُوسَى: «ذلِكَ بِأَنَّ الرَّبَّ يُعْطِيكُمْ فِي الْمَسَاءِ لَحْمًا لِتَأْكُلُوا، وَفِي الصَّبَاحِ خُبْزًا لِتَشْبَعُوا، لاسْتِمَاعِ الرَّبِّ تَذَمُّرَكُمُ الَّذِي تَتَذَمَّرُونَ عَلَيْهِ. وَأَمَّا نَحْنُ فَمَاذَا؟ لَيْسَ عَلَيْنَا تَذَمُّرُكُمْ بَلْ عَلَى الرَّبِّ». [9]وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: «قُلْ لِكُلِّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: اقْتَرِبُوا إِلَى أَمَامِ الرَّبِّ لأَنَّهُ قَدْ سَمِعَ تَذَمُّرَكُمْ». [10]فَحَدَثَ إِذْ كَانَ هَارُونُ يُكَلِّمُ كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمُ الْتَفَتُوا نَحْوَ الْبَرِّيَّةِ، وَإِذَا مَجْدُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي السَّحَابِ. [11]فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: [12]«سَمِعْتُ تَذَمُّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. كَلِّمْهُمْ قَائِلاً: فِي الْعَشِيَّةِ تَأْكُلُونَ لَحْمًا، وَفِي الصَّبَاحِ تَشْبَعُونَ خُبْزًا، وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ».

[13]فَكَانَ فِي الْمَسَاءِ أَنَّ السَّلْوَى صَعِدَتْ وَغَطَّتِ الْمَحَلَّةَ. وَفِي الصَّبَاحِ كَانَ سَقِيطُ النَّدَى حَوَالَيِ الْمَحَلَّةِ. [14]وَلَمَّا ارْتَفَعَ سَقِيطُ النَّدَى إِذَا عَلَى وَجْهِ الْبَرِّيَّةِ شَيْءٌ دَقِيقٌ مِثْلُ قُشُورٍ. دَقِيقٌ كَالْجَلِيدِ عَلَى الأَرْضِ. [15]فَلَمَّا رَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ قَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «مَنْ هُوَ؟» لأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مَا هُوَ. فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي أَعْطَاكُمُ الرَّبُّ لِتَأْكُلُوا. [16]هذَا هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ. اِلْتَقِطُوا مِنْهُ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أُكْلِهِ. عُمِرًا لِلرَّأْسِ عَلَى عَدَدِ نُفُوسِكُمْ تَأْخُذُونَ، كُلُّ وَاحِدٍ لِلَّذِينَ فِي خَيْمَتِهِ».

[35]وَأَكَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْمَنَّ أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى جَاءُوا إِلَى أَرْضٍ عَامِرَةٍ. أَكَلُوا الْمَنَّ حَتَّى جَاءُوا إِلَى طَرَفِ أَرْضِ كَنْعَانَ. [36]وَأَمَّا الْعُمِرُ فَهُوَ عُشْرُ الإِيفَةِ.

ويذكر النص التوراتي السلوى شكلها على انه شئ دقيق مثل القشور كالجليد على الأرض ولقد جاء في آيات القرآن الكريم ما يشير الى ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة : 57]

ميقات الله لبني اسرائيل ورؤيته وفق النص التوراتي

[14] فَانْحَدَرَ مُوسَى مِنَ الْجَبَلِ إِلَى الشَّعْبِ، وَقَدَّسَ الشَّعْبَ وَغَسَلُوا ثِيَابَهُمْ. [15] وَقَالَ لِلشَّعْبِ: «كُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِلْيَوْمِ الثَّالِثِ. لاَ تَقْرُبُوا امْرَأَةً». [16] وَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ لَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ أَنَّهُ صَارَتْ رُعُودٌ وَبُرُوقٌ وَسَحَابٌ ثَقِيلٌ عَلَى الْجَبَلِ، وَصَوْتُ بُوق شَدِيدٌ جِدًّا. فَارْتَعَدَ كُلُّ الشَّعْبِ الَّذِي فِي الْمَحَلَّةِ. [17] وَأَخْرَجَ مُوسَى الشَّعْبَ مِنَ الْمَحَلَّةِ لِمُلاَقَاةِ اللهِ، فَوَقَفُوا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ. [18] وَكَانَ جَبَلُ سِينَاءَ كُلُّهُ يُدَخِّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، وَصَعِدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الأَتُونِ، وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ جِدًّا. [19] فَكَانَ صَوْتُ الْبُوقِ يَزْدَادُ اشْتِدَادًا جِدًّا، وَمُوسَى يَتَكَلَّمُ وَاللهُ يُجِيبُهُ بِصَوْتٍ.

[20] وَنَزَلَ الرَّبُّ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ، إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ، وَدَعَا اللهُ مُوسَى إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ. فَصَعِدَ مُوسَى. [21] فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْحَدِرْ حَذِّرِ الشَّعْبَ لِئَلاَّ يَقْتَحِمُوا إِلَى الرَّبِّ لِيَنْظُرُوا، فَيَسْقُطَ مِنْهُمْ كَثِيرُونَ. [22] وَلْيَتَقَدَّسْ أَيْضًا الْكَهَنَةُ الَّذِينَ يَقْتَرِبُونَ إِلَى الرَّبِّ لِئَلاَّ يَبْطِشَ بِهِمِ الرَّبُّ». [23] فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «لاَ يَقْدِرُ الشَّعْبُ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى جَبَلِ سِينَاءَ، لأَنَّكَ أَنْتَ حَذَّرْتَنَا قَائِلاً: أَقِمْ حُدُودًا لِلْجَبَلِ وَقَدِّسْهُ». [24] فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «اذْهَبِ انْحَدِرْ ثُمَّ اصْعَدْ أَنْتَ وَهَارُونُ مَعَكَ. وَأَمَّا الْكَهَنَةُ وَالشَّعْبُ فَلاَ يَقْتَحِمُوا لِيَصْعَدُوا إِلَى الرَّبِّ لِئَلاَّ يَبْطِشَ بِهِمْ». [25] فَانْحَدَرَ مُوسَى إِلَى الشَّعْبِ وَقَالَ لَهُمْ

[18] وَكَانَ جَمِيعُ الشَّعْبِ يَرَوْنَ الرُّعُودَ وَالْبُرُوقَ وَصَوْتَ الْبُوقِ، وَالْجَبَلَ يُدَخِّنُ. وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ ارْتَعَدُوا وَوَقَفُوا مِنْ بَعِيدٍ، [19] وَقَالُوا لِمُوسَى: «تَكَلَّمْ أَنْتَ مَعَنَا فَنَسْمَعَ. وَلاَ يَتَكَلَّمْ مَعَنَا اللهُ لِئَلاَّ نَمُوتَ». [20] فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: «لاَ تَخَافُوا. لأَنَّ اللهَ إِنَّمَا جَاءَ لِكَيْ يَمْتَحِنَكُمْ، وَلِكَيْ تَكُونَ مَخَافَتُهُ أَمَامَ وُجُوهِكُمْ حَتَّى لاَ تُخْطِئُوا». [21] فَوَقَفَ الشَّعْبُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَمَّا مُوسَى فَاقْتَرَبَ إِلَى الضَّبَابِ حَيْثُ كَانَ اللهُ.

[22] فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ أَنَّنِي مِنَ السَّمَاءِ تَكَلَّمْتُ مَعَكُمْ. [23]

الأَصحَاحُ الرَّابعُ وَالْعِشْرُونَ

[1]وَقَالَ لِمُوسَى: «اصْعَدْ إِلَى الرَّبِّ أَنْتَ وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو، وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، وَاسْجُدُوا مِنْ بَعِيدٍ. [2]وَيَقْتَرِبُ مُوسَى وَحْدَهُ إِلَى الرَّبِّ، وَهُمْ لاَ يَقْتَرِبُونَ. وَأَمَّا الشَّعْبُ فَلاَ يَصْعَدْ مَعَهُ».

[3]فَجَاءَ مُوسَى وَحَدَّثَ الشَّعْبَ بِجَمِيعِ أَقْوَالِ الرَّبِّ وَجَمِيعِ الأَحْكَامِ، فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ وَقَالُوا: «كُلُّ الأَقْوَالِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا الرَّبُّ نَفْعَلُ». [4]فَكَتَبَ مُوسَى جَمِيعَ أَقْوَالِ الرَّبِّ. وَبَكَّرَ فِي الصَّبَاحِ وَبَنَى مَذْبَحًا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ، وَاثْنَيْ عَشَرَ عَمُودًا لأَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ. [5]وَأَرْسَلَ فِتْيَانَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ، وَذَبَحُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ لِلرَّبِّ مِنَ الثِّيرَانِ. [6]فَأَخَذَ مُوسَى نِصْفَ الدَّمِ وَوَضَعَهُ فِي الطُّسُوسِ. وَنِصْفُ الدَّمِ رَشَّهُ عَلَى الْمَذْبَحِ. [7]وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَقَرَأَ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ، فَقَالُوا: «كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ وَنَسْمَعُ لَهُ». [8]وَأَخَذَ مُوسَى الدَّمَ وَرَشَّ عَلَى الشَّعْبِ وَقَالَ: «هُوَذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ هذِهِ الأَقْوَالِ».

[9]ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، [10]وَرَأَوْا إِلهَ إِسْرَائِيلَ، وَتَحْتَ رِجْلَيْهِ شِبْهُ صَنْعَةٍ مِنَ الْعَقِيقِ الأَزْرَقِ الشَّفَّافِ، وَكَذَاتِ السَّمَاءِ فِي النَّقَاوَةِ. [11]وَلكِنَّهُ لَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى أَشْرَافِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَرَأَوْا اللهَ وَأَكَلُوا وَشَرِبُوا.

[12]وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اصْعَدْ إِلَيَّ إِلَى الْجَبَلِ، وَكُنْ هُنَاكَ، فَأُعْطِيَكَ لَوْحَيِ الْحِجَارَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالْوَصِيَّةِ الَّتِي كَتَبْتُهَا لِتَعْلِيمِهِمْ». [13]فَقَامَ مُوسَى وَيَشُوعُ خَادِمُهُ. وَصَعِدَ مُوسَى إِلَى جَبَلِ اللهِ. [14]وَأَمَّا الشُّيُوخُ فَقَالَ لَهُمْ: «اجْلِسُوا لَنَا ههُنَا حَتَّى نَرْجعَ إِلَيْكُمْ. وَهُوَذَا هَارُونُ وَحُورُ مَعَكُمْ. فَمَنْ كَانَ صَاحِبَ دَعْوَى فَلْيَتَقَدَّمْ إِلَيْهِمَا». [15]فَصَعِدَ مُوسَى إِلَى الْجَبَلِ، فَغَطَّى السَّحَابُ الْجَبَلَ، [16]وَحَلَّ مَجْدُ الرَّبِّ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ، وَغَطَّاهُ السَّحَابُ سِتَّةَ أَيَّامٍ. وَفِي الْيَوْمِ السَّابعِ دُعِيَ مُوسَى مِنْ وَسَطِ السَّحَابِ. [17]وَكَانَ مَنْظَرُ مَجْدِ الرَّبِّ كَنَارٍ آكِلَةٍ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ أَمَامَ عُيُونِ بَنِي

إِسْرَائِيلَ. [18]وَدَخَلَ مُوسَى فِي وَسَطِ السَّحَابِ وَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ. وَكَانَ مُوسَى فِي الْجَبَلِ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً.

الأَصحَاحُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ

[1]وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: [2]«كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَأْخُذُوا لِي تَقْدِمَةً. مِنْ كُلِّ مَنْ يَحُثُّهُ قَلْبُهُ تَأْخُذُونَ تَقْدِمَتِي. [3]وَهذِهِ هِيَ التَّقْدِمَةُ الَّتِي تَأْخُذُونَهَا مِنْهُمْ: ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ وَنُحَاسٌ، [4]وَأَسْمَانْجُونِيٌّ وَأُرْجُوَانٌ وَقِرْمِزٌ وَبُوصٌ وَشَعْرُ مِعْزَى، [5]وَجُلُودُ كِبَاشٍ مُحَمَّرَةٌ وَجُلُودُ تُخَسٍ وَخَشَبُ سَنْطٍ، [6]وَزَيْتٌ لِلْمَنَارَةِ وَأَطْيَابٌ لِدُهْنِ الْمَسْحَةِ وَلِلْبَخُورِ الْعَطِرِ، [7]وَحِجَارَةُ جَزْعٍ وَحِجَارَةُ تَرْصِيعٍ لِلرِّدَاءِ وَالصُّدْرَةِ. [8]فَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدِسًا لأَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ. [9]بِحَسَبِ جَمِيعِ مَا أَنَا أُرِيكَ مِنْ مِثَالِ الْمَسْكَنِ، وَمِثَالِ جَمِيعِ آنِيَتِهِ هكَذَا تَصْنَعُونَ.

[10]«فَيَصْنَعُونَ تَابُوتًا مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ، طُولُهُ ذِرَاعَانِ وَنِصْفٌ، وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ، وَارْتِفَاعُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ. [11]وَتُغَشِّيهِ بِذَهَبٍ نَقِيٍّ. مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ تُغَشِّيهِ، وَتَصْنَعُ عَلَيْهِ إِكْلِيلاً مِنْ ذَهَبٍ حَوَالَيْهِ. [12]وَتَسْبِكُ لَهُ أَرْبَعَ حَلَقَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَتَجْعَلُهَا عَلَى قَوَائِمِهِ الأَرْبَعِ. عَلَى جَانِبِهِ الْوَاحِدِ حَلْقَتَانِ، وَعَلَى جَانِبِهِ الثَّانِي حَلْقَتَانِ. [13]وَتَصْنَعُ عَصَوَيْنِ مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ وَتُغَشِّيهِمَا بِذَهَبٍ. [14]وَتُدْخِلُ الْعَصَوَيْنِ فِي الْحَلَقَاتِ عَلَى جَانِبَيِ التَّابُوتِ لِيُحْمَلَ التَّابُوتُ بِهِمَا. [15]تَبْقَى الْعَصَوَانِ فِي حَلَقَاتِ التَّابُوتِ. لاَ تُنْزَعَانِ مِنْهَا. [16]وَتَضَعُ فِي التَّابُوتِ الشَّهَادَةَ الَّتِي أُعْطِيكَ.

[18]ثُمَّ أَعْطَى مُوسَى عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ لَوْحَيِ الشَّهَادَةِ: لَوْحَيْ حَجَرٍ مَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبِعِ اللهِ.

الأَصحَاحُ الثَّانِي وَالثَّلاَثُونَ

[1]وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». [2]فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ:

«انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا». [3]فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. [4]فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». [5]فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: «غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ». [6]فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ.

[7]فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اذْهَبِ انْزِلْ. لأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ شَعْبُكَ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. [8]زَاغُوا سَرِيعًا عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ. صَنَعُوا لَهُمْ عِجْلاً مَسْبُوكًا، وَسَجَدُوا لَهُ وَذَبَحُوا لَهُ وَقَالُوا: هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». [9]وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رَأَيْتُ هذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. [10]فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ، فَأُصَيِّرَكَ شَعْبًا عَظِيمًا». [11]فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِهِ، وَقَالَ: «لِمَاذَا يَا رَبُّ يَحْمَى غَضَبُكَ عَلَى شَعْبِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ؟ [12]لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ الْمِصْرِيُّونَ قَائِلِينَ: أَخْرَجَهُمْ بِخُبْثٍ لِيَقْتُلَهُمْ فِي الْجِبَالِ، وَيُفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ؟ اِرْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ، وَانْدَمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ. [13]اُذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ: أُكَثِّرُ نَسْلَكُمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى الأَبَدِ». [14]فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ.

[15]فَانْصَرَفَ مُوسَى وَنَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ وَلَوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدِهِ: لَوْحَانِ مَكْتُوبَانِ عَلَى جَانِبَيْهِمَا. مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا كَانَا مَكْتُوبَيْنِ. [16]وَاللَّوْحَانِ هُمَا صَنْعَةُ اللهِ، وَالْكِتَابَةُ كِتَابَةُ اللهِ مَنْقُوشَةٌ عَلَى اللَّوْحَيْنِ. [17]وَسَمِعَ يَشُوعُ صَوْتَ الشَّعْبِ فِي هُتَافِهِ فَقَالَ لِمُوسَى: «صَوْتُ قِتَالٍ فِي الْمَحَلَّةِ». [18]فَقَالَ: «لَيْسَ صَوْتَ صِيَاحِ النُّصْرَةِ وَلاَ صَوْتَ صِيَاحِ الْكَسْرَةِ، بَلْ صَوْتَ غِنَاءٍ أَنَا سَامِعٌ». [19]وَكَانَ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَى الْمَحَلَّةِ أَنَّهُ أَبْصَرَ الْعِجْلَ وَالرَّقْصَ، فَحَمِيَ غَضَبُ مُوسَى، وَطَرَحَ اللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَكَسَّرَهُمَا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ. [20]ثُمَّ أَخَذَ الْعِجْلَ الَّذِي صَنَعُوا وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ، وَطَحَنَهُ حَتَّى صَارَ نَاعِمًا، وَذَرَّاهُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، وَسَقَى بَنِي إِسْرَائِيلَ.

[21]وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: «مَاذَا صَنَعَ بِكَ هذَا الشَّعْبُ حَتَّى جَلَبْتَ عَلَيْهِ خَطِيَّةً عَظِيمَةً؟» [22]فَقَالَ هَارُونُ: «لاَ يَحْمَ غَضَبُ سَيِّدِي. أَنْتَ تَعْرِفُ الشَّعْبَ أَنَّهُ فِي شَرّ. [23]فَقَالُوا لِيَ: اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ. [24]فَقُلْتُ لَهُمْ: مَنْ لَهُ ذَهَبٌ فَلْيَنْزِعْهُ وَيُعْطِنِي. فَطَرَحْتُهُ فِي النَّارِ فَخَرَجَ هذَا الْعِجْلُ». [25]وَلَمَّا رَأَى مُوسَى الشَّعْبَ أَنَّهُ مُعَرًّى لأَنَّ هَارُونَ كَانَ قَدْ عَرَّاهُ لِلْهُزْءِ بَيْنَ مُقَاوِمِيهِ، [26]وَقَفَ مُوسَى فِي بَابِ الْمَحَلَّةِ، وَقَالَ: «مَنْ لِلرَّبِّ فَإِلَيَّ». فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمِيعُ بَنِي لاَوِي. [27]فَقَالَ لَهُمْ: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: ضَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخْذِهِ وَمُرُّوا وَارْجِعُوا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ فِي الْمَحَلَّةِ، وَاقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ». [28]فَفَعَلَ بَنُو لاَوِي بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ رَجُل. [29]وَقَالَ مُوسَى: «امْلأُوا أَيْدِيَكُمُ الْيَوْمَ لِلرَّبِّ، حَتَّى كُلُّ وَاحِدٍ بِابْنِهِ وَبِأَخِيهِ، فَيُعْطِيَكُمُ الْيَوْمَ بَرَكَةً».

[30]وَكَانَ فِي الْغَدِ أَنَّ مُوسَى قَالَ لِلشَّعْبِ: «أَنْتُمْ قَدْ أَخْطَأْتُمْ خَطِيَّةً عَظِيمَةً، فَأَصْعَدُ الآنَ إِلَى الرَّبِّ لَعَلِّي أُكَفِّرُ خَطِيَّتَكُمْ». [31]فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ، وَقَالَ: «آهِ، قَدْ أَخْطَأَ هذَا الشَّعْبُ خَطِيَّةً عَظِيمَةً وَصَنَعُوا لأَنْفُسِهِمْ آلِهَةً مِنْ ذَهَبٍ. [32]وَالآنَ إِنْ غَفَرْتَ خَطِيَّتَهُمْ، وَإِلاَّ فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ الَّذِي كَتَبْتَ». [33]فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مَنْ أَخْطَأَ إِلَيَّ أَمْحُوهُ مِنْ كِتَابِي. [34]وَالآنَ اذْهَبِ اهْدِ الشَّعْبَ إِلَى حَيْثُ كَلَّمْتُكَ. هُوَذَا مَلاَكِي يَسِيرُ أَمَامَكَ. وَلكِنْ فِي يَوْمِ افْتِقَادِي أَفْتَقِدُ فِيهِمْ خَطِيَّتَهُمْ». [35]فَضَرَبَ الرَّبُّ الشَّعْبَ، لأَنَّهُمْ صَنَعُوا الْعِجْلَ الَّذِي صَنَعَهُ هَارُونُ.

مغالطات توراتية بالجملة

لقد حاول كاتب التوراة بطريقة وبأسلوب درامي خبيث أن يبدل الكثير من المشاهد كملاقاة الله لموسى عليه السلام ومن ثم اتخاذ بني اسرائيل عجلا ذهبيا لهم ليعبدوه وطلب الله من موسى أن يختار سبعين رجلا منهم لملاقاته لكي يستغفروا ربهم لعله يغفر لهم .

فلقد بدأت النصوص التوراتية حديثها عن طلب موسى عليه السلام من قومه الاستعداد لملاقاة الله وقد شاهدوا البروق والرعود التي غطت جبل سيناء كله وتتحدث عن نزول الله على جبل سيناء وحذر موسى

عليه السلام الاقتراب من الجبل لكي لا يموت أحدا منهم (24فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «اذْهَبِ انْحَدِرْ ثُمَّ اصْعَدْ أَنْتَ وَهَارُونُ مَعَكَ. وَأَمَّا الْكَهَنَةُ وَالشَّعْبُ فَلاَ يَقْتَحِمُوا لِيَصْعَدُوا إِلَى الرَّبِّ لِئَلاَّ يَبْطِشَ بِهِمْ». 25فَانْحَدَرَ مُوسَى إِلَى الشَّعْبِ) .

وَأَمَّا مُوسَى فَاقْتَرَبَ إِلَى الضَّبَابِ حَيْثُ كَانَ اللهُ.

22فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ أَنَّنِي مِنَ السَّمَاءِ تَكَلَّمْتُ مَعَكُمْ. 23

ثم يطلب الرب من موسى أن يصعد الى الجبل ومعه هارون وسبعون من شيوخ اسرائيل ولا يقترب أحد سوى موسى وحده

1وَقَالَ لِمُوسَى: «اصْعَدْ إِلَى الرَّبِّ أَنْتَ وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو، وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، وَاسْجُدُوا مِنْ بَعِيدٍ. 2وَيَقْتَرِبُ مُوسَى وَحْدَهُ إِلَى الرَّبِّ، وَهُمْ لاَ يَقْتَرِبُونَ. وَأَمَّا الشَّعْبُ فَلاَ يَصْعَدْ مَعَهُ».

9ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، 10وَرَأَوْا إِلهَ إِسْرَائِيلَ، وَتَحْتَ رِجْلَيْهِ شِبْهُ صَنْعَةٍ مِنَ الْعَقِيقِ الأَزْرَقِ الشَّفَّافِ، وَكَذَاتِ السَّمَاءِ فِي النَّقَاوَةِ. 11وَلكِنَّهُ لَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى أَشْرَافِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَرَأَوْا اللهَ وَأَكَلُوا وَشَرِبُوا.

فصعدوا جميعا وروأوا الـه اسرائيل ويصف الكاتب ماذا كان يلبس تحت رجليه ولكن الرب لم يمد يده ليصافحهم لكنهم رأوه وأكلوا وشربوا .

من هذه النصوص التوراتية جمعنا مغالطات وافتراءات عديدة وصل بعضها الى حد الكفر بالله ففي البداية طلب بنو اسرائيل أن يلاقوا الله لكنهم لم يروه ولم يتكلموا معهم لأن ذلك سيفضي الى موتهم ويتخيل الكاتب التوراتي (الرب) وهو جالس فوق الجبل وسط الضباب يرى بني اسرائيل ويسمعهم لكنهم لم يستطيعوا رؤيته والحديث معه

فلقد توفق كاتب التوراة في تصوير (الرب) على أنه (اله بني اسرائيل) الخاص بهم ولهم وحدهم فينزل من عرشه والسموات العلى ليرى شعبه العظيم .

ان هذا الذي نقرأه في التوراة ليس الا مجرد أسطورة وخرافة والغريب ان اهل الكتاب يؤمنون بها ويقدسون توراتهم المزيفة الى يومنا هذا .

ويصور كاتب التوراة ان الرب صارت له اقامة دائمة في جبل سيناء ولم يكن لبني اسرائيل عملا سوى أن يزوره بين الفينة والأخرى بينما الحقيقة والصواب هي الله سبحانه وتعالى لم ينزل عن عرشه مطلقا فهو الذي يدبر الأمر في السموات والأرض وحاشى لله أن يبرح مكان عظمته وعزته لأجل مخلوق كان من كان .

وتتابع التوراة في رواية المشاهد لتروي لنا في المقطع المدون ادناه صعود موسى عليه السلام للجبل لملاقاة الله بنيه تلقينه الشريعة وحصوله على الالواح التي كتبت عليها :

[12]وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اصْعَدْ إِلَيَّ إِلَى الْجَبَلِ، وَكُنْ هُنَاكَ، فَأُعْطِيَكَ لَوْحَيِ الْحِجَارَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالْوَصِيَّةِ الَّتِي كَتَبْتُهَا لِتَعْلِيمِهِمْ». [13]فَقَامَ مُوسَى وَيَشُوعُ خَادِمُهُ. وَصَعِدَ مُوسَى إِلَى جَبَلِ اللهِ. [14]وَأَمَّا الشُّيُوخُ فَقَالَ لَهُمْ: «اجْلِسُوا لَنَا ههُنَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْكُمْ. وَهُوَذَا هَارُونُ وَحُورُ مَعَكُمْ. فَمَنْ كَانَ صَاحِبَ دَعْوَى فَلْيَتَقَدَّمْ إِلَيْهِمَا» . [15]فَصَعِدَ مُوسَى إِلَى الْجَبَلِ، فَغَطَّى السَّحَابُ الْجَبَلَ، [16]وَحَلَّ مَجْدُ الرَّبِّ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ، وَغَطَّاهُ السَّحَابُ سِتَّةَ أَيَّامٍ. وَفِي الْيَوْمِ السَّابعِ دُعِيَ مُوسَى مِنْ وَسَطِ السَّحَابِ. [17]وَكَانَ مَنْظَرُ مَجْدِ الرَّبِّ كَنَارٍ آكِلَةٍ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ أَمَامَ عُيُونِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. [18]وَدَخَلَ مُوسَى فِي وَسَطِ السَّحَابِ وَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ. وَكَانَ مُوسَى فِي الْجَبَلِ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً.

يحاول كاتب النص التوراتي أعطاء اله بني اسرائيل شيئًا من المهابة للرب كان قد سلبها منه في النصوص السابقة فذكر مجد الرب بدلا من ذات الرب التي تجلت وسط السحاب ومن هناك دعي موسى عليه السلام .

صناعة العجل

[1]وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». [2]فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا». [3]فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. [4]فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». [5]فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: «غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ». [6]فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ.

ان هذا النص التوراتي الذي يتحدث عن اتخاذ بني اسرائيل عجلا ذهبيا لهم (كأله بديل عن اله موسى) يوضح لنا مدى النكران والجحود وغلظة القلب التي يتصف بها بنو اسرائيل فهم أولا طعنوا في انبياءهم موسى وهارون عليهما السلام فتحدثوا عن موسى عليه السلام بسخرية ووصفوه (لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ) فلقد نسوا من هو نبيهم وماذا فعل هو وعصاه بقدرة الله معهم فصار رجلا بالكاد يعرفوه والأدهى من ذلك فهم يطلبون من أخيه هارون وهو نبي له قيمته عندهم يطلبون أن يصنع لهم (اله جديدا) يعبدونه وفجأة يتخلى هذا النبي عن نبوته ويصنع لهم بيده (اله عجلا) ويقول (هذه آلهتك يا بني اسرائيل) ثم يجعلوا من هذه المناسبة عيدا لهم : (، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: «غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ». [6]فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ.

ان التوراة تهين انبياء بني اسرائيل وشيوخها ورموزها اهانة لا مثيل لها حينما أنزلتهم من مرتبة النبوة الى مرتبة الكفر وهذا لم يفعله القرآن الكريم الذي حافظ على كرامة أنبياءهم وشيوخهم المؤمنين وحمل وزر هذا العمل الشنيع لرجل دخيل (السامري) الذي صدقوه وهو قد ضحك عليهم .

عودة موسى عليه السلام

[7]فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اذْهَبِ انْزِلْ. لأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ شَعْبُكَ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. [8]زَاغُوا سَرِيعًا عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ. صَنَعُوا لَهُمْ عِجْلاً مَسْبُوكًا، وَسَجَدُوا لَهُ وَذَبَحُوا لَهُ وَقَالُوا: هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». [9]وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رَأَيْتُ هذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. [10]فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ، فَأُصَيِّرَكَ شَعْبًا عَظِيمًا». [11]فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِهِ،

تروي التوراة في هذا النص ان الله تعالى قد أخبر موسى عليه السلام ان يعود لشعبه الذي فسد وانحرف وصنعوا لهم عجلا وسجدوا وذبحوا له ويصف لرب بأنه شعب صلب الرقبة وهي عبارة تستخدم للتعبير عن العناد وروح التمرد والعنفوان .

[15]فَانْصَرَفَ مُوسَى وَنَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ وَلَوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدِهِ: لَوْحَانِ مَكْتُوبَانِ عَلَى جَانِبَيْهِمَا. مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا كَانَا مَكْتُوبَيْنِ. [16]وَاللَّوْحَانِ هُمَا صَنْعَةُ اللهِ، وَالْكِتَابَةُ كِتَابَةُ اللهِ مَنْقُوشَةٌ عَلَى اللَّوْحَيْنِ. [17]وَسَمِعَ يَشُوعُ صَوْتَ الشَّعْبِ فِي هُتَافِهِ فَقَالَ لِمُوسَى: «صَوْتُ قِتَالٍ فِي الْمَحَلَّةِ». [18]فَقَالَ: «لَيْسَ صَوْتَ صِيَاحِ النُّصْرَةِ وَلاَ صَوْتَ صِيَاحِ الْكَسْرَةِ، بَلْ صَوْتَ غِنَاءٍ أَنَا سَامِعٌ». [19]وَكَانَ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَى الْمَحَلَّةِ أَنَّهُ أَبْصَرَ الْعِجْلَ وَالرَّقْصَ، فَحَمِيَ غَضَبُ مُوسَى، وَطَرَحَ اللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَكَسَّرَهُمَا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ. [20]ثُمَّ أَخَذَ الْعِجْلَ الَّذِي صَنَعُوا وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ، وَطَحَنَهُ حَتَّى صَارَ نَاعِمًا، وَذَرَّاهُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، وَسَقَى بَنِي إِسْرَائِيلَ.

يصف هذا النص مشهد موسى عليه السلام بعد ان نزل من الجبل وبيده لوحان تدعي التوراة ان الله كتبها بيده وحينما أبصر العجل والرقص فغضب وطرح اللوحين ولازال كاتب التوراة يصر انهما لوحين قم أحرق العجل الذي صنعوه وذره على الماء وسقي بني اسرائيل .-

[21]وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: «مَاذَا صَنَعَ بِكَ هذَا الشَّعْبُ حَتَّى جَلَبْتَ عَلَيْهِ خَطِيَّةً عَظِيمَةً؟» [22]فَقَالَ هَارُونُ: «لاَ يَحْمَ غَضَبُ سَيِّدِي. أَنْتَ تَعْرِفُ الشَّعْبَ أَنَّهُ فِي شَرّ. [23]فَقَالُوا لِيَ: اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى

الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ. [24]فَقُلْتُ لَهُمْ: مَنْ لَهُ ذَهَبٌ فَلْيَنْزِعْهُ وَيُعْطِنِي. فَطَرَحْتُهُ فِي النَّارِ فَخَرَجَ هذَا الْعِجْلُ». [25]وَلَمَّا رَأَى مُوسَى الشَّعْبَ أَنَّهُ مُعَرًّى لأَنَّ هَارُونَ كَانَ قَدْ عَرَّاهُ لِلْهُزْءِ بَيْنَ مُقَاوِمِيهِ، [26]وَقَفَ مُوسَى فِي بَابِ الْمَحَلَّةِ، وَقَالَ: «مَنْ لِلرَّبِّ فَإِلَيَّ». فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمِيعُ بَنِي لاَوِي. [27]فَقَالَ لَهُمْ: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: ضَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخْذِهِ وَمُرُّوا وَارْجِعُوا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ فِي الْمَحَلَّةِ، وَاقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ». [28]فَفَعَلَ بَنُو لاَوِي بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ رَجُل. [29]وَقَالَ مُوسَى: «امْلأُوا أَيْدِيَكُمُ الْيَوْمَ لِلرَّبِّ، حَتَّى كُلُّ وَاحِدٍ بِابْنِهِ وَبِأَخِيهِ، فَيُعْطِيَكُمُ الْيَوْمَ بَرَكَةً».

يروي لنا هذا النص مغالطة فظيعة وهي أن موسى يتهم أخاه هارون بهذه الفعلة فيرد هاون التهمة عن نفسه ويتهم الشعب ويصفه بالشرير فأمر موسى عليه السلام ان يقتل كل واحد أخاه أو صاحبه أو قريبه فقتل في ذلك اليوم 3000 رجل .

وعد الله بني اسرائيل في القرآن الكريم

تصف لنا الايات القرآنية قصة مواعدة الله لبني اسرائيل وذهاب موسى عليه السلام لملاقاة ربه ثم اتخاذ بني اسرائيل عجلا ليعبدوه وسنمضي مع هذه الايات خطوة بخطوة في سورة الاعراف وسورة طه :

﴿ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (141)

يذكر الله بني اسرائيل ويمن عليهم بأنه أنجاهم من آل فرعون الذين كانوا يعذبوهم ويقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم وكان بلاء عظيما من الله قد ابتلاهم .

ثم تتحدث النصوص القرآنية عن وعد الله لموسى عليه السلام :

وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (142)

﴿وواعدنا﴾: واعدنا : عينا موعدا محدد الوقت مقداره اربعين ليلة وقد أوى موسى هارون أخيه أن يخلفه في قيادة قومه وأن يصلح ولا يتبع المفسدين منهم

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (83) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84) طه

حضر موسى للقاء ربه على عجل حتى لا يتأخر عن موعده ويرضى عليه ربه .

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143)

يبين لنا هذا النص القرآني افتراء وكذب كاتب التوراة حينما أدعى ان موسى عليه السلام ومعه بنو اسرائيل شاهدوا الله حينا قال ([10]وَرَأَوْا إِلهَ إِسْرَائِيلَ، وَتَحْتَ رِجْلَيْهِ شِبْهُ صَنْعَةٍ مِنَ الْعَقِيقِ الأَزْرَقِ الشَّفَّافِ، وَكَذَاتِ السَّمَاءِ فِي النَّقَاوَةِ. [11]وَلكِنَّهُ لَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى أَشْرَافِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَرَأَوْا اللهَ وَأَكَلُوا وَشَرِبُوا .) .

ذلك ان النص القرآني المشار اليه يرى استحالة ان يرى الله بشرا وذلك بعد أن طلب موسى عليه السلام أن يرى ربه بقوله (دعني أنظر اليك) فبعد ان كلمه ربه طمع في ذلك وأعتقد انه كما كلم ربه يستطيع رؤيته أيضا وأجرى الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام تجربة عملية حية بعد ن أكد له بأنه لا يمكن رؤيته فطلب له أن ينظر الى الجبل الذي تجلى الله له فأن أستقر فسوف يرى الله لكن الجبل جعله الله دكا وسقط موسى عليه السلام من شدة الصعقة وحينما فاق استغفر ربه وتاب اليه وسمى نفسه بأول المؤمنين أي أول بني بشر يؤمن بعظمة الله تعالى وباستحالة رؤيته .

لم تذكر النصوص التوراتية هذه المشاهد الرائعة ولربما قد أغفلها كاتب التوراة لأنه قد سبق وأدعى في أكثر من مناسبة بامكانية رؤية الله تعالى .

الحوار بين الله عزوجل وموسى عليه السلام

وفق ما تنبئنا به الايات القرآنية فأن طلب الله عزوجل لموسى عليه السلام للقاءه كان أعطاه الشريعة التي تحدد حكم الله ليحكموا بها : قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (145)

ويذكر الله تعالى في هذا النص عبده موسى بأنه قد اصطفاه على الناس في ذلك الزمان بأمرين برسالات الله وبكلامه وبرسالاتي جاءت بالجمع لأن الرسالة التي أودعها الله لموسى عليه السلام هي واحدة من رسالات الله لمرسليه .

ويشير النص القرآني الى ان عدد الألواح لم يكن اثنين كما ذكرتهما التوراة بل جاء الكلمة بصيغة الجمع وهذا يدل على أن الألواح كانت ثلاثة وأكثر وتتضمن هذه الألواح تفصيلا لكل شئ يحدد العلاقة بين قوم موسى والله وقد أمر الله أن يعمل بها هو وقومه ثم يتوعد الله الذين يتكبرون بالأرض الذين يكذبون بآيات الله ورسله

(سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (147)

وهنا يعلمه الله سبحانه وتعالى أنه قد فتن قومه : (قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85) طه

فتنة العجل الذهبي

وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (148)

تتحدث سورة طه عن هذه الفتنة بتفاصيل مثيرة كثيرة :

من هو السامري ؟

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85)

تخبرنا النصوص القرآنية صراحة ان من قام بهذا العمل واضل بني اسرائيل هو السامري وهذا الرجل لم تذكر الايات القرآنية شيئًا عنه سوى لقبه السامري وعلى ما يبدو فأن هذا التمييز في اللقب يدل على انه ليس من بني اسرائيل لكنه كان معهم وكذلك لم تذكر التوراة عنه أي اطلاقا ولقد تعددت التفاسير والتوقعات حول هذه الشخصية ولكن في الحقيقة فلا أحدا يعلم عنه شيئًا الا الله تعالى لكن بامكاننا من تحليل بعض الايات القرآنية التي تحدثت عن فعلته استخلاص بعض الأمور عنه .

كانت نساء بنو اسرائيل قد استعرن (سرقن وفق الرواية التوراتية) ذهب المصريات ولأنه مسروق أو مستعار فلربما السامري صاحب فكرة العجل الذهبي الرهيبة هو الذي أقنعهم بأن هذا الذهب حرام عليهن لبسه أو التصرف فيه لذلك وربما هذا التحريم شرع به موسى عليه السلام المهم في الأمر ان السامري قد أقنعهم بأن يصنع لهم من هذا الذهب والحلي (زينة القوم) عجلا فوافقوا على ذلك فقام السامري بعمله باتقان والنص القرآني يقول عن فعله (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ) فكلمة (أخرج) توحي بأن هناك اتقان حرفي في سبك الذهب وصياغته وصناعته ومع ذلك يقول السامري: وكذلك سولت لي نفسي وإن الأمر المعقول أن نقول: إن السامري – كما ذكر – ألقى الذهب هو ومن معه – ذهب من زينة القوم؛ من بني إسرائيل – ألقوها في النار فصهرت حتى صارت سائلا؛ وبما تعلمه من الصناعات المصرية صنعه على شكل عجل؛ ووضعه في مهب الرياح فدخل الهواء

في خروقه بصوت الريح في أجوافه فصار له خوار كخوار الثور؛ وما زلنا نرى في لعب الأطفال مثل هذه الأصوات في اللعب.

كيف فعل السامري ذلك ؟

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96

حينما سأل موسى عليه السلام السامري فما خطبك ماهي قصتك لماذا فعلت ذلك ؟

أجابه : اني وجدت أمرا وأكتشفت شيئًا لم يراه ويكتشفه غيري فقبضت قبضة من أثر الرسول ففعلتها وهذا ما سولت لي نفسي به ؟

لكن ما هي قبضة الرسول هذه ومن هو هذا الرسول ؟

كعادة المفسرين نراهم هنا قد أختلفوا أيضا ولقد بحثت طويلا لأجد تفسيرا ينسجم مع مجريات الأحداث كما تصفه لنا الايات القرآنية فتوفقت في الوصول الى تفسير يحقق هذا الأمر وبنفس الوقت هو تفسير منطقي

وقد نقله الفخر الرازي عن أبى مسلم الأصفهاني رأيا آخر في تفسير الآية فقال ما ملخصه: ليس في القرآن ما يدل على ما ذكره المفسرون، فهنا وجه آخر، وهو أن يكون المراد بالرسول: موسى- عليه السلام- وبأثره: سنته ورسمه الذي أمر به، فقد يقول الرجل: فلان يقص أثر فلان ويقتص أثره إذا كان يمتثل رسمه، والتقدير: أن موسى لما أقبل على السامري بالتوبيخ وبسؤاله عن الأمر الذي دعاه إلى إضلال القوم بعبادة العجل، رد عليه بقوله: بصرت

بما لم يبصروا به، أي: عرفت أن الذي أنتم عليه ليس بحق، وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول، أي: أخذت شيئًا من علمك ودينك فنبذته، أي:طرحته. . .

وعلى هذا التفسير الذي ذهب إليه أبو مسلم يكون المراد بالرسول: موسى- عليه السلام- ويكون المراد بأثره: دينه وسنته وعلمه.

ويكون المعنى الإجمالى للآية: أن السامري قال لموسى- عليه السلام- كنت قد أخذت جانبا من دينك وعلمك، ثم تبين لي أنك على ضلال فنبذت ما أخذته عنك وسولت لي نفسي أن أصنع للناس عجلا لكي يعبدوه لأن عبادته أراها هي الحق.

وقد رجح الإمام الرازي في تفسيره ما ذهب إليه أبو مسلم فقال: واعلم أن هذا القول الذي قاله أبو مسلم ليس فيه إلا مخالفة للمفسرين، ولكنه أقرب إلى التحقيق لوجوه.

1- أن جبريل ليس مشهورا باسم الرسول، ولم يجر له فيما تقدم ذكر حتى تجعل لام التعريف إشارة إليه.

2- أنه لا بد فيه من الإضمار، وهو قبضته من أثر حافر فرس الرسول، والإضمار خلاف الأصل.

3- أنه لا بد من التعسف في بيان أن السامري كيف اختص من بين جميع الناس برؤية جبريل ومعرفته؟ ثم كيف عرف أن لتراب حافر فرسه هذا الأثر؟ والذي ذكروه أن جبريل هو الذي رباه بعيد . . .

غضب موسى وبراءة هارون عليهما السلام

لقد ذكرنا سابقا ان كاتب التوراة يتهم هارون عليه السلام كذبا وبهتانا بأنه هو الذي صنع العجل لبني اسرائيل ليتخذوه الها لهم بدل اله موسى الذي ذهب معه على مايبدو ولن يرجع وفق تصور التوراة .

وقلنا ان هذا الاتهام عدا عن كونه باطلا لكن لا يمكن قبوله من الناحية العقلية والمنطقية لكون هارون نبيا وشريك أخيه موسى عليهما السلام في الرسالة فكيف يتخلى عن نبوته ويخون الله واخيه النبي لذلك فموسى عليه السلام فور رجوعه من لقاء ربه ورأى ما صنعوا فغضب وتأسف ولام قومه ووبخهم وهددهم بغضب الله

(فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87)

كان دفاع قومه عن مافعلوه من فعلة شنيعة انهم ادعوا ان ما قاموا به ليس بارادتهم وبرروا ذلك بأن الزينة التي سرقوها من المصريين صارت عبئًا ثقيلا عليهم فلديهم هذا المصوغات الذهبية لكن محرمة عليها فارداوا التخلص منها وهنا أدخلوا السامري ووضعوا الذنب عليه فهو الذي جاء بفكرة التخلص من هذا الذهب وصناعة عجلا ذهبيا ليكون اله لهم ونلاحظ هنا ان بنو اسرائيل لم يذكروا شيئًا عن هارون عليه السلام .

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (89)

لكن الايات القرآنية الكريمة لم تترك هارون عليه السلام عرضة للاتهامات التي ذكرتها التوراة بحقه بل وضحت حقيقة رده عليهم :

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91)

فلقد حذرهم هارون من هذا العمل الذي وصفه بالفتنة من قبل أن يصنع لهم السامري العجل وذكرهم بأن ربهم هو الرحمن وطلب أن يصدقوه ويتبعوه ويطيعوه لكن العقل البني اسرائيلي عقل جامد عنيد غلف رفضوا ذلك مصرين على البقاء مداومين علي عبادة العجل حتى يرجع موسى اليهم وسبب هذا التمادي في العنت والاصرار في اعتقادي هو اعتقادهم بأن موسى عليه السلام قد هرب ولن يعود ولن يوفي بوعده ليصل بهم الى الأرض التي كتب الله لهم .ولقد أستغل ردتهم السامري وعلم ما في قلوبهم من نفاق فصنع لهم اله آخر .

الحوار بين موسى وهارون عليهما السلام

من الطبيعي ان لا تترك الايات القرآنية أي ثغرة درامية تتطلبها القصة والسبب في ذلك لأن هذه النصوص تروي القصص بعين الشاهد العليم البصير الذي لايخفى عليه شيئًا فتنتقل بنا هذه الايات الى مشهد واقعي وهو الحوار الذي دار بين موسى وهارون عليهما السلام في سورتين طه والاعراف يكمل بعضهما بعض المشهد

﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94) ﴾ [طه : 92 – 94]

يوجه موسى عليه السلام سؤالا منطقيا واقعيا لأخيه فيقول ماالذي منعك أن تردهم عن غيهم وقد رأيت بعينك أنهم يصنعون ضلاله وكفرا فهل أردت من ذلك أن تتوقف عن اتباعي وتأيبدي أم انك تعصي أمري ؟

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾150 الاعراف

فهذا النص يبين لنا بعض الأفعال العمليه التي قام بها موسى عليه السلام فهو قد ألقى الألواح برأس أخيه يجره

ولم تذكر النصوص القرآنية شيئًا عن الألواح سوى أن موسى عليه السلام قد ألقاها على الأرض لكن في النصوص التوراتية تدعي ان اللوحين قد كسرا وتبني على ذلك حدثا جديدا ليس موجود بالنصوص القرآنية وهو عودة موسى عليه السلام الى ربه الذي كتب له لوحين بديلين عنهما .جاء ذلك في الاصحاح الرابع و الثلاثون من سفر الخروج :

[1]ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْحَتْ لَكَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ مِثْلَ الأَوَّلَيْنِ، فَأَكْتُبَ أَنَا عَلَى اللَّوْحَيْنِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى اللَّوْحَيْنِ الأَوَّلَيْنِ اللَّذَيْنِ كَسَرْتَهُمَا .

لقد رد هارون عليه السلام بردين ليدافع فيهما عن نفسه امام أخيه موسى عليه السلام الأول جاء ذكره في سورة الأعراف : ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ 150 الاعراف وفيه يبين ان موقفه كان ضعيفا بسبب ان أكثر بني اسرائيل كانوا على قلب رجل واحد لذلك وجدوه لوحده واستضعفوه بل كادوا يقتلوه ويرجو منه أن لا يشمت به اعداءهم (من بني اسرائيل) ولا يجعله منهم وهم القوم الظالمين .

أما الرد الثاني فكان في سورة طه :

ّ

إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94) طه

من رد هارون عليه السلام نستنتج بأن هناك فئة قليلة من بني اسرئيل كانت تقف معه ضد ما قامت به اغلبيه بني اسرائيل ولا يريد هارون أن يلجأ الى استعمال العنف للوقوف ضدهم فهو سيخسر المقابلة لأنه ومن معه طرف ضعيف و هذا سيؤدي الى انقسام بني اسرائيل وتفرقهم لا محالة وهذا ماكان يخاف منه هارون عليه السلام والله أعلم .

ّ
هنا وبعد ان علم موسى عليه السلام دعا ربه قائلا : قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (151)

مصير العجل و الذهب المسروق

عبر وأحكام

ان قصة العجل الاله في القرآن الكريم قصة عظيمة ككل القصص القرآني وهي تتحدث عن فضح بني اسرائيل وارتداهم وغلظ وقساوة قلوبهم وحبهم للمال حبا جما وهم حريصون على جمعه والحصول عليه بأي طريقة ولا نستغرب ان نرى الى يومنا هذه الخصلة فيهم من حبهم للمال والثروة والفائدة والذهب والفضة .

هذا الثروة والزينة التي سروقوها ونهبوها من المصريين دون وجه حق حرمها الله عليهم في البدء ثم صارت عبئًا ثقيلا عليهم لم يعد يتحملونه فهم يرون هذه المصوغات التي تفنن المصريون في صياغتها يشاهدونها بأم أعينهم وقد حرمت عليهم فلا يلبسونها أو يتصرفون بها ولم يبق الأمر هكذا على حاله فلقد صنعوا منها بمساعي الغير (السامري) تمثالا عجيبا كله من هذا الذهب الخالص وأكثر الأمم المشركة كانت تصنع تماثيلها من خشب أو

نحاس أو غير ذلك لكن حب بني اسرائيل للذهب دفعهم لصناعة تمثال من ذهب خالص جاء على شكل حيوان (عجل) فهو مادة جامدة لها شكل حيواني اتخذوه ربا لهم عبدوه وتخلو بذلك عن خالقهم ومنقذهم وما صنع لهم ليخرجهم من بؤسهم وعبوديتهم ووعدهم بأن يعطيهم أرضا تفيض بالعسل فأشركوا ووقعوا في الاثم العظيم وكان مصير ذهبهم وعجلهم وربهم في النار وأكثرهم سيكون فيها أيضا .

(قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97) ﴾ [طه : 83 – 97]

عندها فقط استيقظوا وتفتحت أعينهم وعقولهم فأعترفوا بذنوبهم وقالوا :

(وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) . الأعراف (149)

لكن استغفارهم هذا لا ينفع ودعوتهم عند ربهم لا تستجاب فالجرم الذي أرتكبوه كان عن عمد وبسبق الاصرار والعند والتكبر والنكران و الجحود والكفر بأنعم الله وفضله عليهم .

وموسى عليه السلام لم يستغفر لهم (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (151)

لذلك كان مصيرهم وعقوبتهم :

(إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ الأعراف)

152 الأعراف

وجاء في سورة البقرة :

(وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (53) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54)

ونلاحظ ان في الاية 152 من سورة الاعراف ان الله يتوعد الذين اتخذوا العجل بغضب من ربهم وذلة في الدنيا بينما جاء في سورة البقرة المذكورة أعلاه : (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52) وكأن هناك مايوحي الى اشكال ما في الايتين الكريمتين .

لكن ماجاء في الاية 54 من سورة البقرة يوضح لنا حقيقة الأمر : (فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54) فطلب منهم أن يتوبوا الى الله ويدعموا هذه التوبة بأن يقتل بعضا من بعضهم لتأكيد ندمهم وتوبتهم وهذا ما حصل بالفعل فتاب عليهم الله ورفع غضبه عنهم لكن أبقى عليه المذلة والهوان .

ولقد رأينا ان النصوص التوراتية تتحدث عن حادثة قتل بني اسرائيل أنفسهم : [27]فَقَالَ لَهُمْ: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: ضَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخْذِهِ وَمُرُّوا وَارْجِعُوا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ فِي الْمَحَلَّةِ، وَاقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ» . [28]فَفَعَلَ بَنُو لاَوِي بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ رَجُل. [29]وَقَالَ مُوسَى: «امْلأُوا أَيْدِيَكُمُ الْيَوْمَ لِلرَّبِّ، حَتَّى كُلُّ وَاحِدٍ بِابْنِهِ وَبِأَخِيهِ، فَيُعْطِيَكُمُ الْيَوْمَ بَرَكَةً» .

ميقات موسى عليه السلام وقومه مع الله

رأينا كيف ان النصوص التوراتية تتحدث عن اختيار موسى عليه السلام سبعين رجلا من بني اسرائيل للقاء ربهم ولكنها تذكر ان وقت هذا الميعاد كان قبل اتخاذ بني اسرائيل العجل اله لهم .

لكن الايات القرآنية تعطينا الزمن الحقيقي والواقعي لهذا الميقات وهو بعد ان اتخذ بني اسرائيل العجل ربا لهم فلقد طلب الله جل وعلا من موسى عليه السلام أن يختار سبعون رجلا من خيرة بني اسرائيل ويأخذهم حيث أمره الله حيث يشهدون على حديث الله مع موسى عليه السلام ويطلبون من الله العفو ويعلنون توبتهم من هذا الذنب العظيم لكن ما الذي حصل ؟

وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (155) ﴾ [الأعراف : 141 – 155]

لكن لماذا أخذتهم الرجفة ؟

يريدون أن يروا الله جهرة

لكن الذي حصل وبعدما سمعوا كلام الله وهو يخاطب موسى عليه السلام لم يكتفوا بذلك بل طلبوا أن يروا الله سبحانه وتعالى ليؤمنوا من أنه هو الذي يتكلم مع موسى هنا أهلكهم الله بالرجفة .

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55)

لكن موسى عليه السلام نادى ربه قائلا : (قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (155) ﴾

فأستجاب له ربه وأعادهم جميعا أحياء يرزقون

ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56) البقرة

قصة بني اسرائيل كما وردت في سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (48) وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50) وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (53) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56) وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (57) وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59) وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (63) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (64) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (66) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74) أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (76) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (77) وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (78) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79) وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (81) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (82) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ

إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (83) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (86) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ (88) وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89) ﴾ [البقرة : 46 – 89]

قصص عن موسى عليه السلام وبني اسرائيل لم تذكر في التوراة

قصتي البقرة وأهل الكهف

نختم هذا المبحث المتعلق بموسى عليه السلام بقصتي البقرة وأهل الكهف

قصة البقرة في القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا

رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74) ﴾ [البقرة : 67 – 74

في القرآن قال موسى لقومه إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة، كان ذلك امتحان عسير جدا لبني إسرائيل لأنهم كانوا يُقدسون البقرة تأثرا منهم بالحضارة الفرعونية والامم الوثنية المحيطة بهم، ولذلك اصبحت البقرة في فترة من الفترات جزءا مهما من عبادتهم، ومنذ ان تعرفوا على البقرة كإله في عهد الفراعنة وإلى آخر يوم من حياتهم سوف يبقون يؤمنون بأن عزهم ودولتهم ستكون علامته ظهور (البقرة الحمراء) . والقرآن يصفها بأنها بقرة صفراء . ولا فرق هنا ، لأن بني إسرائيل عاشوا في كنف الدولة الفرعونية وكانت ابقار الآلهة تُصنع من الذهب إما الأحمر ، أو الذهب الأصفر الشاحب والتي نرى اشكالها ماثلة في المتاحف ، حيث كان يُعبد عجل أبيس (أنوبيس) والذي أحيا العبرانيون ذكراه في صحراء التيه اعتقادا منهم بأن هذا العجل هو السبب وراء قوة وثروة الفراعنة.

اراد القرآن أن يُثبت لبني إسرائيل بأن بقرتهم ليست مقدسة وهي ليست إله يُعبد . فأمرهم بذبحها بأيديهم ليروا أنها لا تستطيع ان تحمي نفسها، فهي اضعف من أن تكون إلها . ثم أمرهم تعالى ان يضربوا القتيل ببعضها فأراهم الله تعالى قدرته باحياء القتيل الذي اخبرهم بقاتله. وهذا ما اشار له القرآن بقوله : (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يُحي الله الموتى ويُريكم آياته) . اي قدرته هو في احياء الموتى وليس شيء آخر. وهو نظير قوله تعالت : (أن اضرب بعصاك البحر فانفلق) . فلم تكن العصا سببا في فلق البحر، البقرة والعصا وغيرها هذه وسائل تتجسد من خلالها قدرة الله تعالى.

المماطلة التي قاموا بها وامتناعهم عن ذبح البقرة بحجة وأخرى هي طمعا في أن يقوم الله تعالى بتغيير عملية الذبح إلى حيوان آخر ويعفي بقرتهم الحبيبة. ولكن الله تعالى اكد على نوع خاص من البقر له علاقة بعبادة بني إسرائيل التي اخذوها عن الأمم المجاورة (فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) . فقد كانت هذه الأمم تعبد البقر، وهنا انتهز السامري (زمري) فرصة غياب موسى ليصنع لهم العجل الذهبي الفاقع الصفرة من الذهب. وكأن السامري علم أن (العجل) أحب إلى قلوبهم (واشربوا في قلوبهم العجل) . أي خالط حبه قلوبهم تأثرا بمن حولهم ممن يعبد العجل او البقرة.

وبالرجوع للتوراة لعمل مقارنة بين ما ورد في القرآن وما في التوراة لكي نعرف تفاصيل اكثر حول هذا الموضوع فإننا نرى اختفاء قصة البقرة كليّا إلا من اشارات غير مفهومة ومبهمة مع تحويل مسار المعنى إلى اتجاه آخر. ولكن التوراة ذكرت قصة العجل بتفصيلات مملة مع تحريف واضح بيّن فيها حيث نسبت صناعة العجل واضلال بني إسرائيل إلى هارون النبي اخو موسى عليهما السلام من أنه هو الذي قام بصناعة العجل وقال لهم : (هذه آلهتكم يا اسرائيل) .

التوراة لم تذكر قصة البقرة بالشكل الذي ذكره القرآن ، ولكنها ذكرت أن هناك فتنة قام بها شخص اسمه زمري ثم احالتنا إلى سفر آخر ذُكرت فيه قصته كما نقرأ : (خطيته التي عمل بجعله إسرائيل يخطئ. وبقية أمور زمري وفتنته التي فتنها، مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل) .

وبالرجوع إلى سفر الملوك الأول ، لم نجد فتنة زمري (السامري) لقد اختفت كليا، ولكننا وجدنا أن هذه الفتنة نسبوها إلى هارون اخو موسى فزعموا أن نبي الله هارون هو من قام بصناعة العجل كما نقرأ ذلك وبكل وضوح : (اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب. أخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل، وصنعه عجلا مسبوكا ، وقال لهم هذه آلهتكم يا إسرائيل) .(14)

ولربما سبب اتهام هارون بصناعة العجل هو سكوته عن زمري (السامري) عندما رآه يصنع العجل وذلك لمعرفته بمدى قساوة بني إسرائيل ودمويتهم والتي ذكرتها التوراة لهم فوصفتهم بـ (قتلة الأنبياء) كما يقول : (فأنتم تشهدون

على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء . أورشليم، يا أورشليم ! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين) . وهذا ما أكده القرآن أيضا : (يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبيين بغير حق) . لربما لهذا السبب سكت هارون على فعل السامري خشية القتل انتظارا ان يأتي أخوه موسى فيستعين به في معالجة هذه الفتنة، ولكن حسب قوانين بني إسرائيل فإن الساكت عن الجرم شريك فيه. وكان من عادة بني إسرائيل أنهم يقتلون الأنبياء رجما بالحجارة، ولذلك عندما عاتبه موسى عتابا شديدا (فقال هارون: لا يحم غضب سيدي.أنت تعرف الشعب أنه في شرّ) .(17)

أما في الإنجيل فقد اختفى ذكر قصة البقرة تماما ، وهذا يدل على أن لليهود يد في ذلك لأنهم هم من قام بكتابة هذه الأناجيل. فلم يرد ذكرها في اي مورد يتعلق بالقصة المذكورة.بل أن بولص ذكر قصة هارون وصناعته للعجل متأثرا بالتوراة كونه من كهنة اليهود فقال : (هذا هو موسى. . الذي لم يشأ آباؤنا أن يكونوا طائعين له قائلين لهارون : اعمل لنا آلهة فعملوا عجلا وفرحوا بأعمال ايديهم) . بولص هنا يكرر نفس التهمة لنبي الله هارون (ع) .

بالعودة إلى قصة البقرة نرى أن خوف اليهود وترددهم في مسألة ذبح البقرة ناشيء من أمر آخر أيضا وهو اعتقادهم أن المصريين يقتلوهم إن هم قاموا بذبح البقرة وذلك لأنها مما يعبده المصريون ضمن آلهتهم. وهذا واضح من قول التوراة عندما أمروا ان يذبحوا بقرة قالوا : (لا يصلح أن نفعل هكذا، لأننا إنما نذبح رجس المصريين للرب إلهنا . إن ذبحنا رجس المصريين أمام عيونهم أفلا يرجموننا ؟) . وهذا الكلام هو نوع من الأعذار ليتهربوا من كشف القاتل فقد اشتهر اليهود ببراعتهم في تنفيذ الجرائم واخفاء آثار الجريمة فلا يستطيع احد ان يعرف الفاعل. لذلك قال لهم الله تعالى : (والله مخرج ما كنتم تكتمون) . يكتمون اسم الفاعل ويتسترون عليه.

التوراة تطرح قصة غريبة لقصة القتيل الذي وجدوه ولم يعرفوا قاتله ، وهي مشابهة لقصة القرآن ولكن بتفصيلات غير منطقية يُحاولون من خلالها ان يبعدوا عن انفسهم شبهة العناد ، فتقول القصة : (إذا وجد قتيل في الأرض واقعا في الحقل، لا يعلم من قتله،يأخذ شيوخ تلك المدينة عِجلة من البقر لم يحرث عليها، لم تجر بالنير.(تثير الأرض ولا تسقي الحرث) وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعِجلة إلى واد ، ويكسرون عنق العِجلة. ثم يتقدم الكهنة بنو

لاوي، ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتيل أيديهم على العِجلة ، ويقولون: أيدينا لم تسفك هذا الدم، وأعيننا لم تبصر . فيغفر لهم الدم) . (20)

هذه القصة توحي لنا بأن حدث ما وقع وأن الجريمة قد حصلت، وأن هناك قتيل لا يعرف احد قاتله، وأن الله امرهم أن يذبحوا (عِجلة بنت بقرة) ثم يقوم الكهنة بغسل أيديهم بالماء فوق جثة العِجلة منكرين أن يكونوا رأوا من قام بذلك وأن أيديهم بريئة من دم القتيل. فيغفر الله لهم ذنب القتيل ببركة دم العِجلة. بينما القرآن يؤكد هذه القصة ولكن بشكل آخر حيث يأمرهم أن يذبحوها ويقطعوا جزء منها ويضربوا به القتيل، لا أن يغسلوا أيديهم، فتحصل معجزة من نوع ما تتكلم فيه جثة القتيل وتخبرهم بالقاتل. وهذا خير من كسر عنق العِجلة وغسل الأيدي فوق جثتها ثم الزعم بأن أيديهم لم تسفك هذا الدم ، وعيونهم لم تُبصر القاتل. كيف يُصدقهم أحد وتوراتهم تصفهم : (يمدون ألسنتهم كقسيهم للكذب. .لأنه ليس في أفواههم صدق. .ولا يتكلمون بالحق. علموا ألسنتهم التكلم بالكذب) . (21)

الخلاصة في القصة على ما يبدو من سياقها القرآني أنها ليست لكشف القاتل فقط ، وابطال الوهية البقرة. بل الهدف القرآني اسمى من ذلك ، فقصة البقرة تخبرنا بقدرة الله تعالى على احياء الموتى يوم القيامة او قبلها وخصوصا يوم البعث والنشور، وهذا ما كان يُنكره بني إسرائيل ، ولذلك قال الله تعالى لبني إسرائيل (قال الله اضربوه ببعضها) . وبعد ان ضربوا القتيل ببعضها ودبت فيه الحياة قال الله تعالى (كذلك يحيي الله الموتى) .

وهناك قصة بقرة ثانية في التوراة وهي قصة غريبة فعلا وذلك مع أنها شريعة إلا ان الهدف من ورائها غامض غير مفهوم وهي ذبيحة الخطية. ولكن ما هي الخطية التي ارتكبوها ، هذا ما لم تُبينه التوراة ولذلك اصبحت هذه القصة بلا معنى . القصة تقول : (وكلم الرب موسى وهارون قائلا: كلم بني إسرائيل أن يأخذوا إليك بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها، ولم يعل عليها نير، فتخرج إلى خارج المحلة وتذبح . ويأخذ الكاهن من دمها بإصبعه وينضح من دمها إلى جهة وجه خيمة الاجتماع سبع مرات. وتحرق البقرة أمام عينيه. يحرق جلدها ولحمها ودمها مع فرثها .فتكون لجماعة بني إسرائيل. إنها ذبيحة خطية) . (22)

ولو رجعنا للتفسير لرأيناه يتكلم عن قضية أخرى فيخلط الأمور فيقول : (يأخذ العازار الكاهن البقرة ويتم ذبحها بواسطته ثم ينضح دمها سبع مرات ، والدم بالطبع يشير إلى التكفير عن خطايا الشعب كله) . (23) علما أن التوراة تذكر أن التكفير عن الخطايا يتم عبر (تيس الخطية) . وليس بقرة. فتقول التوراة: (يأخذ الكاهن (تيس) ويقرّ على ظهره بكل خطايا بني إسرائيل ثم يرسله في البرية ليذهب حاملا خطاياهم) .(24)

وهذا ما ورد في اكثر من موضع .وأما بقرة الخطية فلم ترد إلا في موضع واحد مبهم غامض مع أنها تُشير إلى حصول (خطيئة) من نوع ما . وبقرة الخطية لا علاقة بها بالتيس ، لأنها بقرة حمراء (لا شيّة فيها) . تم ذبحها على خطية واحدة وهي قتل نفس بريئة لم يعرفوا قاتله كما تخبرنا رواية القرآن الكريم التي جاءت مصححة لرواية التوراة التي تواطأ فيها اليهود على اخفاء الجريمة .(وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون) .(25) القرآن يقول لهم لقد تواطأتم على أخفاء الجريمة وكتمتم اسم القاتل ، فأظهره الله تعالى .

وجب على الأنبياء الامتثال لأمر الله تعالى ، ووجب على الناس الامتثال لأمر انبيائه بعد أن ثبُت لهم صدقهم،الله تعالى أمر نبيّه إبراهيم عليه السلام أن يذبح أبنه، فامتثل للأمر . وأمر الله تعالى بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة ففعلوا لأفاعيل من أجل أن لا يذبحوها وهم يرون نبيهم موسى عليه السلام يتكلم مع الله ويتلقى منه ويُخبرهم .

(ثم قست قلوبكم بعد ذلك) فهل كانت قلوبهم غير قاسية قبل ذلك؟ كلا ، فإن قلوبهم كانت قاسية منذ البداية وهذا ما كانت تصفهم به توراتهم : (كل بيت إسرائيل صلاب الجباه وقساة القلوب) .(26) وقوله تعالى : (ثم قست قلوبكم) . أي ازدادت قسوة وعناد لأن الله تعالى قال لهم (كذلك يحيي الله الموتى) . ولكنهم اعتقدوا أن البقرة إله لأن بعضها أحيى الميت. فتشرّب حبها في قلوبهم أكثر من السابق.

إذن يتبين لنا أن قصة بقرة الخطية التي اوردوها بالكيفية التي قرأناها لا صحة لها ، وإنما قاموا بتحريفها ليتدارأوا امر القتيل فيتستروا عليه. ولكن الله تعالى اخرج ما كانوا يكتمون. فلا علاقة لذبح البقرة بغفران الخطية.
والصحيح أن الخطية وغفرانها إنما تتم على ظهر تيس وليس بقرة كما نقرأ في نصوص كثيرة منها . (ويضع هارون

يديه على رأس التيس الحي ويقر عليه بكل ذنوب بني إسرائيل، وكل سيئاتهم مع كل خطاياهم، ويجعلها على رأس التيس ويرسله إلى البرية،فيطلق التيس في البرية ليحمل كل ذنوبهم إلى أرض مقفرة) .

(ثم قست قلوبكم بعد ذلك فهي كالحجارة أو اشد قسوة) .

قصة موسى عليه السلام والرجل الصالح

قبل ان نبحث عن المصادر التاريخية لهذه القصة في الكتب المقدسة والاثار اليهودية والنصرانية سنقوم بسرد وقائعها كما جاء في القرآن الكريم للوصول الى هدف هذه القصة والعبر والحكمة منها .

فالقصص القرآني قصص واقعي وهادف ومفيد ومرشد فأن ورود قصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح أو العارف فيها الكثير من العبر والحكم .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا -(61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا

زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (74) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (76) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (78) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (82) ﴾ [الكهف : 60 – 82]

تبدا القصة بالحديث عن موسى عليه خروج موسى للالتقاء بالخضر أراد موسى – عليه السلام – أن يتعرف إلى هذا العبد الذي هو أعلم منه، فسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يدلَّه عليه، فأخبره الله – سبحانه وتعالى – بعلامة يَعرف بها مكان هذا العبد، وهي أن يأخذ حوتاً معه، فإذا فَقَدَ الحوت يكون مكانه هذا العبد، وبهذه العلامة عزم موسى – عليه السلام – على الخروج: وانطلق هو وفتاه أخذا معهما الحوت، وطلب موسى – عليه السلام – من خادمه يوشع أن يخبره عندما يفقدا الحوت. لمَّا وصلا إلى صخرة بجانب البحر، نام سيدنا موسى – عليه السلام– وفي هذه الأثناء أعاد الله — سبحانه – الروح للحوت وقفز في الماء وظلَّ في مكانه لا يتحرَّك، ولم يكن يُوشع قد نام بعد، فلم يَرِد أن يوقظ موسى –عليه السلام– وقال سيخبره بعد أن يستيقظ،وبعدها نام يُوشع هو الآخر، ولمَّا استيقظا أخذا يسيران يوماً وليلة. ونسيَ يُوشع أن يخبر موسى بخبر الحوت، وبعد هذا المسير الطويل طلب موسى –عليه السلام– من خادمه يُوشع أن يحضر لهما الطعام، فتذكَّر يُوشع عندها موضوع الحوت، فأخبره أنَّه نَسِي أن يخبره بسبب الشيطان، فقال له موسى إنَّ هذا هو المكان الذي نبحث عنه، فرجعا يبحثان

عن مكانهما السابق، فلمّا وصلا إليه، وجدا رجلا مغطّى بثوب، وإذ به الخضر. أحداث التقاء موسى بالخضر عندما التقى سيدنا موسى –عليه السلام– بالخضر–عليه السلام– ألقى عليه السلام فردَّ عليه الخضر: وأنّى بأرضك السلام؟ فعرَّفه سيدنا موسى بنفسه، وأخبره بأنَّه جاء ليتعلّم منه علماً اختصَّه الله – سبحانه وتعالى – به ولا يعلمه موسى، فردَّ عليه الخضر –عليه السلام– بأنّه لن يستطيع تحمُّل ذلك؛ لأنَّ ذلك فوق طاقته، ولكن موسى – عليه السلام – أصرَّ وقال: أنَّه سيكون عند حُسن ظنَ الخضر ولن يخالفه في أيٍ أمر يأمره به.

الاتفاق بين موسى والخضر وافق الخضر – عليه السلام – على مُصاحبة موسى وتعليمه شريطة أن لا يسأله عن أيِ شيءٍ يَستغربه ممّا قد يفعله الخضر، حتى يخبره هو بنفسه عن تفسيره، ووافق موسى على هذا الشرط تأدباً مع معلمه، وقال: (سَتَجِدُني إِن شاءَ اللَّهُ صابِرًا وَلا أَعصي لَكَ أَمرًا)، ثمَّ انطلقا في طريقهما.

ركوب موسى والخضر في السفينة

بعد أن انطلق موسى والخضر – عليهما السلام – وصلا إلى شطَ البحر، وبعدها جاءت سفينة فعرف أصحاب السفينة الخضر، فحملوهما معهما في سفينتهم من غير أن يأخذوا منهما أجراً على ذلك، وبينما هم في وسط البحر، أخذ سيدنا الخضر لوحاً من ألواح السفينة واقتلعه من مكانه. فتفاجأ سيدنا موسى وأسرع يضع ثوبه مكان اللّوح وقال للخضر: كيف تفعل ذلك لهؤلاء الذين حملونا في سفينتهم من غير أجر؟ هل تريد أن تغرقهم؟ وكان هذا أوّل اختبار لسيدنا موسى –عليه السلام–، فذكّره الخضر بالشَّرط، وأنَّه لن يستطيع تحمُّل ما سيشاهد، فتذكَّر موسى – عليه السلام –، واعتذر عن النسيان.

قتل الغلام بعد أن نزلوا من السفينة

وأخذا يمشيان وإذا بغلمانٍ يلعبون، فأخذ الخضر أحد هؤلاء الغلمان وقتله، وألقاه على الأرض، وهنا بلغ التعجُّب من سيدنا موسى – عليه السلام – مبلغاً كبيراً، فاعترض قائلا: كيف تقتل هذا الغلام الذي لم يقترف إثماً بعد ولم يقتل أحداً؟ إنَّ هذا الأمر مُنكر لا يمكن السكوت عنه. وهذا هو الاختبار الثاني لسيدنا موسى – عليه السلام – وهو أشدُّ من الأوّل، وهنا أعاد سيدنا الخضر – عليه السلام – التّذكير لموسى بالاتفاق المُبرم بينهما،

فعندها قال موسى بنفسه: إنَّ هذه آخر فرصةٍ له؛ فإن خالف المرَّة القادمة فلا عُذر له، وكان حقاً للخضر أن يتركه.

إقامة الجدار

بعد ذلك انطلقا يمشيان حتى وصلا إلى قريةٍ أهلها لئام، لا يُطعمون الجائع ولا يُضَيِّفون الضيوف، وبينما هم يمشون، وجدا جداراً مائلاً معرَّض للسقوط في أيِّ لحظة، فأقامه الخضر بيده، فتعجَّب موسى – عليه السلام – من ذلك وقال: لو أنَّك أخذت أجراً على عملك هذا؛ أن يطعمونا الطعام وكانت هذه آخر فرصة لموسى – عليه السلام –، فرَّد الخضر بأنَّ هذا موعد فراقِنا، لعدم صبرك، وعدم تنفيذك الشرط.

تفسير الخضر للأحداث

بعد أن انتهت الفرصة التي أعطاها الخضر لموسى – عليهما السلام –، فسّر له ما حدث، ونُجمِل ذلك باختصار:

قصَّة خرق السفينة كان هناك مَلِكٌ سيمرُّ به أصحاب السفينة، يأخذ السفن الصالحة التي ليس فيها عيوب ظلماً، ولذلك أحدث فيها الخرق.

قصة الطفل لأنَّه طُبِع على الكفر، ولو عاش سَيُهلك والديه، فلعلَّ الله أن يبدلهما خيراً منه.

قصة الجدار إنَّ هذا الجدار لطفلين في المدينة اللئام أهلها، وكان تحت الجدار كنزٌ خبّأه لهم أبوهم، وكان الجدار آيلاً للسقوط، فمنع ذلك الخضر – عليه السلام– حتى لا يضيع مال الطفلين.

الدروس المستفاد من قصة موسى والخضر

يُمكننا أن نستنتج الكثير من الدروس من هذه القِصّة القرآنية العظيمة نذكر منها: قدرة الله –سبحانه وتعالى– على الإحياء بعد الموت؛ كما حصل للحوت. مكانة العلم والسفر في طلبه؛ حيث سافر سيدنا موسى متحملاً المصاعب ليتعلَّم من الخضر – عليهما السلام –. على المتعلَم أن يصبر على التعلُّم، وعلى معلَمه الذي يُعلَم أشياءً أن يوضَحها في الوقت الذي يراه مناسباً. التأدب مع العالم والرجوع إلى قوله؛ حيث كان سيدنا موسى – عليه

السلام – يرجع إلى كلام الخضر كلّما ذكَّره. عند تفسير العلوم على العالم أن يقنع طلابه؛ وذلك عندما فسرَّ سيدنا الخضر ما حصل لسيدنا موسى –عليهما السلام. العمل الصالح يحفظ الأولاد بعد وفاة آبائهم؛ ويُلاحَظ ذلك من قصَّة الجدار .

الهدف والغاية من القصة

لا شك ان لكل قصه أو رواية هدف معين يريد كاتبها منا أن نستخلصها نحن القراء هذا بالنسبة للراوية الوضعية التي يكتبها القصاص والرواة وبين يدينا قصة رواها لنا القرآن الكريم فمما لا شك فيه ان لها أهدافا عدة علينا أن نستخلصها :

تبدأ القصة بطلب موسى عليه السلام العلم من رجل قال الله عنه عبدا آتاه الله رحمة من عنده وعلما من لدنه (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65)

فهذا العبد الصالح أعطاه الله علما خاصا لم يعطيه لأحد حتى أنبياءه بدليل ان موسى النبي عليه السلام ذهب كل هذا الطريق لملاقاته وأخذ العلم منه فهو العلم اللدني وهو كل علم موهوب من الله سبحانه على سبيل الخصوصية، فإن اقترنت كلمة " لدن " مع الوهب الإلهي فهي دلالة العطاء على سبيل الخصوصية، ومنه قوله تعالى :

(هب لنا من لدنك رحمة)، أي خصنا برحمة منك، وقوله : (يؤت من لدنه أجراً عظيماً) ، دليل على الخصوصية في الأجر والمكافأة . .

لكن من خلال الحوار ووقائع أحداث القصة هل يمكننا ان نصل الى ماهية هذا العلم وطبيعته وهوعلم يفتقده النبي ولا يعلم عنه شيئًا ؟

هو علم استنباط وقائع المستقبل أو (الغيب) أو مايسمى في الوقت الحالي (التنبؤ) والفرق بين معرفة الغيب والتنبؤ فرق واسع لأن معرفة الغيب لا يعلم بها الا الله وحده ووقوع نتائجها حتمي اما التنبؤ فهو يستند الى

معطيات علمية أو تاريخية أو جغرافية أو نفسية أو غير ذلك لكن لا يمكن للمتنبئ الجزم بوقوع الحدث انما بتوقعه بنسب معينة ومن هنا نجد اليوم كثرة المتنبئين وما يقومون به من اخبار الناس بتكهنات وتنبؤات مستقبلية .

يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴾ [النجم : 35]

فهل منح الله من لدنه لعبده الصالح قواعد واسس معرفة علم الغيب بحيث أنه قادر على معرفة مستقبل أي حدث أو كائن .

ان الله سبحانه وتعالى لم يعطي لأحد من خلقه علم الغيب فهو عالم الغيب والشهادة وحده وكثيره هي الايات القرآنية التي تؤكد لنا ذلك ومنها :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : 179]

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام : 50]

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام : 59]

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : 188]

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ [يونس : 20]

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل : 65]

لكن ما حصل عليه الرجل الصالح هو ان الله سبحانه وتعالى كشف له غيب تلك الحادثات التي أحدثها بوجود موسى عليه السلام من خرق للسفينة أو قتل الغلام أو بناء الجدار .

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (27) ﴾ [الجن : 26 – 27]

لكن سبحانه وتعالى فتح للعبد الصالح ابواب غيب الأعمال الثلاثة التي قام بها وهي خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار وبهذا اراد المولى القدير أن يفهم موسى النبي عليه السلام بأن هذه الأعمال الثلاثة هي من الغيبيات عند موسى ولا يستطيع مهما أوتي من علم أن يطلع عليها وبذلك فعلمه محدود ولا يعلم كل شئ .

قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66)

كان النبي موسى عليه السلام متشوقا لاطلاع على العلم الذي أعطاه الله تعالى لعبده الصالح لذلك طلب منه أن يتعلم منه لكن لم يتوقع ان تكون هذه الأعمال الثلاثة التي قام بها العبد الصالح غريبة وغير مفهومة بل منها هو في عداد قتل نفس بريئة وهي أشنع أنواع الجرائم لذلك فلم يستطيع الصمود بالرغم من انه صبر كثيرا لأن العبد الصالح أدخله في اللامفهوم والغريب .

قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح في الأثار اليهودية

تكَلَمْنا سابِقاً وَقُلْنا مِراراً وَتكراراً إنَّ التَوراةَ الّتِي بأَيد اليهود اليوم لَيسَت هِيَ التَّوراةَ الّتِي أَنزَلَها اللهُ علىٰ موسىٰ عَليهِ السَّلامُ فإِنَّ التَّوراةَ الّتِي كَتَبَها كَتَبَةُ الأَسفارِ المُقَدّسَةِ الّتِي كانَت بإِملاءِ مُوسىٰ عَليهِ السّلامُ لا يَدّعي أَحدٌ مِنَ اليَهودِ وَغَيرِهِم أَنَّها مَوجودَةٌ الآنَ وإنّما يُصَرِحونَ أَنّها فُقِدَت بَل وَيصَرّحونَ أَنَّ أَقدَمَ نُسخَةٍ مِنَ التَّوراةِ تَمَّ العُثورُ عَليها في القَرْنِ الرّابِعِ الميلادي أَي أَنَّ هُنالِكَ فاصِلَةً زَمَنيّةً بَينَ أَقدَمِ نُسخَةٍ وَبَينَ ما كَتَبَهُ كَتَبَةُ الأَسفارِ المُقَدّسَةِ هِيَ 2000 سَنَة وَالفاصِلُ بَينَ هذهِ النُسخَةِ وَبَينَ آخِرِ أنبياءِ العَهدِ القَديمِ هِيَ 800 سَنَةٍ فَلا يوجَدُ ما يُؤَيدُ أَنّ التَّوراةَ الّتي بأَيّديهم هِيَ نَفْسُها الّتي أَنزَلَها اللهُ عَلىٰ مُوسىٰ بالُكَ بالأَسفارِ الأُخرىٰ الّتي نَصَّ عُلَماءُ اليَهودِ عَلىٰ أَنّ كَتَبَتَها

مَجهولونَ وَلِذا صَرَّحَ مُؤَلفو قاموسِ الكِتابِ المُقَدَّسِ بِأنَّهُ لا توجدُ لَدينا المَخطوطاتُ الأصليَّة للتّوراةِ ولا للإنجيلِ الّتي كَتَبَها ودَوَّنها كَتَبَةُ الأسفارِ المُقدَّسةِ.

ويُؤكدُ نولدكه في كِتابِهِ "اللُّغاتُ السّاميّة": " جُمِعَتْ التّوراةُ بَعدَ موسى بِتسعمائةِ سَنَة، وإستَغرقَ تأليفُها وجَمعُها زَمَناً مُتطاوِلاً تعرَّضَتْ حِيالَهُ للزّيادَةِ والنّقص، وأنَّه مِنَ العَسيرِ أنْ نَجدَ كَلِمَةً مُتكامِلَةً في التَّوراةِ مِمّا جاءَ بِهِ موسى" نَقلاً عن كتابِ الكُتبِ المُقدَّسَةِ بَينَ الصَحّةِ والتَّحريف – يحيى ربيع –

ويَقولُ القَسّ نورتن: "التّوراةُ جَعليّةٌ يَقينًا، لَيستْ مِنْ تَصنيفِ موسى".

يَقولُ الشَّيخ ناصِر مَكارِم الشّيرازي في تَفسيرِهِ الأمثَل ج9 ص 336:

بَعضُ كُتُبِ عُلماءِ اليَهود الّتي تَمَّ تَدوينُها في القَرنِ الحادي عشر الميلادي، فيها قِصّةُ تَشبَهُ إلى حَدٍّ كَبيرٍ حادِثَةَ موسى (عليهِ السّلام) وعالِمُ زَمانِه، بالرَّغمِ مِنْ أنّها تَذكُرُ أنَّ أبطالَ تِلكَ القِصّة هما (إلياس) و (يوشع بن لاوي) وهُما مِنْ مُفسّري (التلمود) في القَرنِ الثّالثِ الميلادي، وتَختلِفُ مِنْ خِلالِ عِدّةِ أُمورٍ عَن قِصّة موسى والعبد الصالح والقِصَّةُ هذه هي:

(ان يوشع يَطلُبُ مِنَ اللهِ أنْ يَلقىٰ إلياس، وبِمُجرّدِ أنْ يُستجابَ دُعاؤهُ ويَحظىٰ بِلقاءِ إلياس فإنَّه يَرجوهُ أنْ يُطلِعَهُ على بَعضِ الأسرار.

فيُجيبهُ إلياس: إنّكَ لا طاقَةَ لَكَ على تَحمّل ذلك، إلاّ أنَّ يوشع يُصرُّ ويُلحُّ في طَلبِهِ فيَستجيبُ لهُ إلياس مُشترطاً عليهِ أن لا يَسألَ عن أيّ شيءٍ يَراهُ، وإذا تَخلّفَ يُوشع عن هذا الشَّرط فإنَّ الياسَ حُرٌّ في الإنفصالِ عَنْهُ وتَركِهِ، وعلى أساسِ هذا الاتّفاقِ يَترافَقُ يوشع وإلياسُ في السَّفَر.

وأثناءَ سَفَرِهما يَدخلانِ إلى بَيتٍ فيَستقبلُهما صاحِبُ البَيتِ أحرَّ إستقبالٍ ويُكرِمُ وِفادهما. وكانَ لإهلِ ذلكَ البَيتِ بَقرَةٌ هِيَ كُلُّ ما يَملكونَ مِنْ حُطامِ الدُّنيا حَيثُ كانوا يُوفّرونَ لأنفُسِهم لُقمَةَ العَيشِ مِنْ بَيعِ لَبَنِها. فيَأمرُ إلياسُ

صاحِبَ البَيتِ أَنْ يَذبَحَ تِلكَ البَقرة، ويَستَولي على يُوشَعَ العُجُبُ والإستغرابُ مِنْ هذا التَّصَرف ويَدفَعهُ ذلكَ لأنْ يَسألَه عَنِ المُبرّر لهذا الفِعل. فَيُذكّرهُ إلياسُ بما إتّفقا عَليهِ ويُهدّدهُ بمُفارَقتِه لَهُ فَيَصمُتُ يوشع ولا يَنبسُ بِكَلِمة.

ومِنْ هُناكَ يُواصِلانِ سَفرَهُما إلى قَريَةٍ أُخرى فَيَدخُلانِ إلى بَيتِ شَخصٍ ثَريَّ ويَنهَضُ إلياسُ إلىٰ جدارٍ في ذلكَ البَيتِ يُشرِفُ على السُّقوطِ فَيُرَمّمهُ ويُقيمُه. وَفي قَريَةٍ أُخرى يُواجِهانِ عَدَداً مِنْ سُكّانِ تِلكَ القَريَةِ مُجتَمِعِينَ في مَكانٍ مُعيّنٍ ولا يُعيرونَ هٰذينِ الشَّخصَينِ بالاً ولا يُواجهونَهما بإحترام. فَيَقومُ إلياسُ بالدُّعاءِ لَهُم أنْ يَصِلُوا جميعاً إلى الرِّئاسةِ. وفي قَريَةٍ رابِعَةٍ يُواجهُهُما سُكّانُها بإحترامٍ فائقٍ فَيَدعو لَهُم إلياسُ بأنْ يَصِلَ شخصٌ واحِدٌ مِنهُم فَحَسب إلى الرِّئاسة. وبالتّالي فإنّ يوشعَ بن لأوى لا يطيقُ الصَّبرَ فَيَسألُ عَنِ الوَقائعِ الأَربَع، ويُجيبُهُ إلياس: بأنّهُ في البَيتِ الأَوّلِ كانَتْ زَوجَةُ ربَ الدّارِ مريضةً ولَو أنَّ تِلكَ البَقَرَةَ لَم تُذبَحْ بِعنوانِ الصَّدَقةِ فإنّ تِلكَ المَرأَةَ تَموتُ ويُصابُ صاحِبُ الدّارِ بِخَسارَةٍ أفدَحَ مِنَ الخَسارَةِ الّتي تَلحَقُهُ نَتيجَةً لِذَبحِ البَقَرة، وفي البَيتِ الثّاني كانَ هناكَ كنزٌ يَنبغي الإحتفاظُ بِهِ لِطِفلٍ يَتيم، وأَمّا إنَّهُ قد دعوتُ لأهلِ القَريَةِ الثّالثَةِ بأنْ يَصِلوا إلى الرِّئاسَةِ جَميعاً فذلِكَ لِكَي تَضطَرِبَ أُمورُهُم ويَختَلَّ النَظامُ عِندَهُم. على العَكسِ مِنْ أَهلِ القَريَةِ الرّابعَةِ فإنّهم إذا أسنَدوا زِمامَ أُمورِهِم إلى شَخصٍ واحِدٍ فإنّ أُمورَهُم سَوفَ تَنتَظِمُ وتَسيرُ على ما يُرام (.

ويَجِبُ عَدَمُ التَّوَهُّم أَنّنا نَرى بأَنَّ القِصَّتَينِ هُما قِصَّةٌ واحدةٌ، بَلْ إنَّ غَرَضَنا الإشارَةُ إلى أَنَّ القِصّةَ الّتي يَذكُرُها عُلماءُ اليَهودِ يُمكِنُ أنْ تكونَ قِصَّةً مُشابِهَةً أو مُحَرّفَةً لِما حَصَلَ أصلاً لموسى (عليهِ السَّلام) ، وَقَد تَغيّرَتْ بِسَبَبِ طولِ الزّمانِ وأَصبَحَتْ على هذا الشَّكل.

قصة النبي أيوب في التوراة والقرآن الكريم

هناك سفر خاص يروي قصة النبي أيوب عليه السلام وهو من أسفار ما يسمى (بالكتاب المقدس) عند اليهود

أما قصته في القرآن الكريم فجاءت موزعة في سور قرآنية عدة

أيوب عليه السلام مع الابتلاء

يقول الله سبحانه وتعالى :

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ}

النساء : 163] {وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى}

الأنعام : 84] {وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

الأنبياء : 83] {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص : 41]

وصف الله ابتلاء أيوب عليه السلام، والضرّ الذي أصابه، وما مسه من النصب، والعذاب.

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: 83 – 84].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 41 – 44].

يذكر تعالى عن أيوب عليه السلام، ما كان أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده، وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير وأولاد ومنازل مرضية، فابتلي في ذلك كله وذهب عن آخره، ثم ابتلي في جسده، يقال: بالجذام في سائر بدنه، ولم يبقَ منه سليم سوى قلبه ولسانه، يذكر بهما الله عز وجل، حتى عافه الجليس، وأفرد في ناحية من البلد، ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه سوى زوجته كانت تقوم بأمره، ويقال: إنها احتاجت، فصارت تخدم الناس من أجله، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل) .

وفي الحديث الآخر: (يبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه)

وقد كان نبي الله أيوب عليه السلام غاية في الصبر، وبه يضرب المثل في ذلك.

النصب والعذاب:

"قيل: بنصب في بدني، وعذاب في مالي وولدي."

مغتسل بارد وشراب

التكامل بين عافية الظاهر والباطن

استغاث النبي الصابر الأواب، بربه الرحمن الرحيم، فأجاب الله تعالى دعاءه، وهيأ لشفاء عبده أسبابه، وقال له: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: 42.

ونقل الطبري عن الحسن في قول الله: (اركض برجلك): "فركض برجله، فنبعت عين فاغتسل منها، ثم مشى نحواً من أربعين ذراعاً، ثم ركض برجله، فنبعت عين، فشرب منها، فذلك قوله: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: 42

وعنى بقوله (مغتسل): ما يغتسل به من الماء، يقال منه: هذا مغتسل، وغسول للذي يغتسل به من الماء. وقوله (وشراب) يعني: ويشرب منه، والموضع الذي يغتسل فيه يسمى مغتسلاً."

وقال ابن كثير: " عند ذلك استجاب له أرحم الراحمين، وأمره أن يقوم من مقامه، وأن يركض الأرض برجله ففعل، فأنبع الله تعالى عيناً وأمره أن يغتسل منها فأذهبت جميع ما كان في بدنه من الأذى.

ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر فأنبع له عيناً أخرى، وأمره أن يشرب منها، فأذهبت جميع ما كان في باطنه من السوء.

وتكاملت العافية ظاهراً وباطناً، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾

هبة الرحمن رحمة وذكرى وامتنان

كانت عاقبة صبر أيوب عليه السلام، خيراً، وجاءت استجابة دعائه بأكثر مما طلب.

قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

قال ابن جرير: "اختلف أهل التأويل في معنى قوله (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم) وقد ذكرنا اختلافهم في ذلك والصواب من القول عندنا فيه في سورة الأنبياء بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

فتأويل الكلام: فاغتسل وشرب، ففرجنا عنه ما كان فيه من البلاء.

ووهبنا له أهله، من زوجة وولد.

(ومثلهم معهم رحمة منا) له ورأفة .

وذكرى يقول: وتذكيراً لأولي العقول؛ ليعتبروا بها فيتعظوا."

وقال ابن كثير: "قوله عز وجل: (رحمة منا) أي به على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته. (وذكرى لأولي الألباب) أي لذوي العقول؛ ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة

ضغث وحنث

قال تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾

ورد في قصة أيوب حديثاً عن ضغث، وحديثاً عن الحنث، أي: الحنث في اليمين، فما هو الضغث؟ ولماذا كان مخرجاً لعدم حنث أيوب عليه السلام في يمينه؟ ولم كانت تلك اليمين؟

قال ابن جرير: "قوله (وخذ بيدك ضغثاً) يقول: وقلنا لأيوب: خذ بيدك ضغثاً، وهو ما يجمع من شيء مثل حزمة الرطبة، وكملء الكف من الشجر أو الحشيش والشماريخ ونحو ذلك مما قام على ساق

"وقوله: (إنا وجدناه صابراً نعم العبد) يقول: إنا وجدنا أيوب صابراً على البلاء، لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله، والدخول في معصيته (نعم العبد إنه أواب) يقول: إنه على طاعة الله مقبل، وإلى رضاه رجاع."

وقال ابن كثير: " قوله جلت عظمته: (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث) وذلك أن أيوب عليه الصلاة والسلام كان قد غضب على زوجته، ووجد عليها في أمر فعلته قيل: باعت ضفيرتها بخبز، فأطعمته إياه، فلامها على ذلك، وحلف إن شفاه الله تعالى ليضربنها مائة جلدة، وقيل: لغير ذلك من الأسباب فلما شفاه الله عز وجل وعافاه، ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابَل بالضرب.

فأفتاه الله عز وجل أن يأخذ ضغثاً، وهو الشمراخ فيه مائة قضيب، فيضربها به ضربة واحدة وقد برّت يمينه وخرج من حنثه ووفى بنذره، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأناب إليه، ولهذا قال جل وعلا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أثنى الله تعالى عليه ومدحه بأنه نعم العبد إنه أواب أي رجاع منيب، ولهذا قال جل جلاله:

﴿ومَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ الطلاق: 2- 3

واستدل كثير من الفقهاء بهذه الآية الكريمة على مسائل في الإيمان وغيرها، وقد أخذوها بمقتضاها ومنعت طائفة أخرى من الفقهاء من ذلك، وقالوا: لم يثبت أن الكفارة كانت مشروعة في شرع أيوب عليه السلام، فلذلك رخص له في ذلك، وقد أغنى الله هذه الأمة بالكفارة .

عبر وهدايات من قصة أيوب عليه السلام

في قصة أيوب عليه السلام دروس وعبر وهدايات، في الصبر، وحسن المعشر، ومنها:

أولاً: العبد الصابر مستحق للمدح الرباني والثناء العاطر:

قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 44.

ثانياً: يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب:

قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: 84.

وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 43.

ثالثاً: التقوى مخرج من كل ضيق ونورٌ لحالك الطريق:

قال تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 44.

قصة أيوب عليه السلام في التوراة

سفر أيوب

الأصحاحُ الأَوَّلُ

كَانَ رَجُلٌ فِي أَرْضِ عَوْصَ اسْمُهُ أَيُّوبُ. وَكَانَ هذَا الرَّجُلُ كَامِلاً وَمُسْتَقِيمًا، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ. 2وَوُلِدَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَثَلاَثُ بَنَاتٍ. 3وَكَانَتْ مَوَاشِيهِ سَبْعَةَ آلاَفٍ مِنَ الْغَنَمِ، وَثَلاَثَةَ آلاَفِ جَمَل، وَخَمْسَ مِئَةِ فَدَّانِ بَقَرٍ، وَخَمْسَ مِئَةِ أَتَانٍ، وَخَدَمُهُ كَثِيرِينَ جِدًّا. فَكَانَ هذَا الرَّجُلُ أَعْظَمَ كُلِّ بَنِي الْمَشْرِقِ. 4وَكَانَ بَنُوهُ يَذْهَبُونَ وَيَعْمَلُونَ وَلِيمَةً فِي بَيْتِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي يَوْمِهِ، وَيُرْسِلُونَ وَيَسْتَدْعُونَ أَخَوَاتِهِمِ الثَّلاَثَ لِيَأْكُلْنَ وَيَشْرَبْنَ مَعَهُمْ. 5وَكَانَ لَمَّا دَارَتْ أَيَّامُ الْوَلِيمَةِ، أَنَّ أَيُّوبَ أَرْسَلَ فَقَدَّسَهُمْ، وَبَكَّرَ فِي الْغَدِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى عَدَدِهِمْ كُلِّهِمْ، لأَنَّ أَيُّوبَ قَالَ: «رُبَّمَا أَخْطَأَ بَنِيَّ وَجَدَّفُوا عَلَى اللهِ فِي قُلُوبِهِمْ». هكَذَا كَانَ أَيُّوبُ يَفْعَلُ كُلَّ الأَيَّامِ.

تتحدث التوراة عن رجل كاملا ومستقيما ويحيد عن الشر لكنها لا تلقبه (نبيا) وتتحدث عن كثرة بنيه وأمواله وأرزاقه وكان أعظم (أغنى) بني المشرق .

حوار ونقاش غريب

يتخيل كاتب التوراة كعادته حوارا غير مقبولا ولا منطقيا بين الله والشيطان فيسأله (الرب) كيف يرى تقوى أيوب وهل حاولت معه لترك الاستقامة وعمل الخير فهو رجل كامل ومستقيم لكن الشيطان يجيب بدهاء من أن أيوب لا يتقي الله بال جان فقد أعطيته من الأولاد والخيرات الكثيرة فلماذا لا يتقي .

وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ، وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ. 7فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟» . فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: « مِنْ الْجَوَلاَنِ فِي الأَرْضِ، وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا » . 8فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ» . 9فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «هَلْ مَجَّانًا يَتَّقِي أَيُّوبُ اللهَ؟ 10أَلَيْسَ أَنَّكَ سَيَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟ بَارَكْتَ أَعْمَالَ يَدَيْهِ فَانْتَشَرَتْ مَوَاشِيهِ فِي الأَرْضِ. 11

طلب الاذن بالتدخل

فيطلب الشيطان من ربه ان يسلطه على أيوب ليتخل في حياته ويقلبها رأسا على عقب فيعطيه الرب الاذن بذلك بشرط ان لا يمس حياته .

وَلكِنِ ابْسِطْ يَدَكَ الآنَ وَمَسَّ كُلَّ مَا لَهُ، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ» . 12فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هُوَذَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ، وَإِنَّمَا إِلَيهِ لاَ تَمُدَّ يَدَكَ» . ثُمَّ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِ الرَّبِّ.

بداية المصائب

وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَأَبْنَاؤُهُ وَبَنَاتُهُ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمْرًا فِي بَيْتِ أَخِيهِمِ الأَكْبَرِ، 14أَنَّ رَسُولاً جَاءَ إِلَى أَيُّوبَ وَقَالَ: «الْبَقَرُ كَانَتْ تَحْرُثُ، وَالأُتُنُ تَرْعَى بِجَانِبِهَا، 15فَسَقَطَ عَلَيْهَا السَّبَئِيُّونَ وَأَخَذُوهَا، وَضَرَبُوا الْغِلْمَانَ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ» . 16وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: «نَارُ اللهِ سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتِ

الْغَنَمَ وَالْغِلْمَانَ وَأَكَلَتْهُمْ، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ». 17وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: «الْكَلْدَانِيُّونَ عَيَّنُوا ثَلاَثَ فِرَق، فَهَجَمُوا عَلَى الْجِمَالِ وَأَخَذُوهَا، وَضَرَبُوا الْغِلْمَانَ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ».

18وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: «بَنُوكَ وَبَنَاتُكَ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمْرًا فِي بَيْتِ أَخِيهِمِ الأَكْبَرِ، 19وَإِذَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ جَاءَتْ مِنْ عَبْرِ الْقَفْرِ وَصَدَمَتْ زَوَايَا الْبَيْتِ الأَرْبَعَ، فَسَقَطَ عَلَى الْغِلْمَانِ فَمَاتُوا، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ». 20فَقَامَ أَيُّوبُ وَمَزَّقَ جُبَّتَهُ، وَجَزَّ شَعْرَ رَأْسِهِ، وَخَرَّ عَلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ، 21وَقَالَ: «عُرْيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَعُرْيَانًا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ. الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ، فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا». 22فِي كُلِّ هذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ وَلَمْ يَنْسِبْ للهِ جِهَالَةً.

هل البلاء من الله أم الشيطان

يصور لنا كاتب التوراة ان كل ما حصل لأيوب عليه السلام من مصائب هي من فعل الشيطان حتى المرض الذي أصابه وفي هذا مغالطة فظيعة

فَخَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ، وَضَرَبَ أَيُّوبَ بِقُرْحٍ رَدِيءٍ مِنْ بَاطِنِ قَدَمِهِ إِلَى هَامَتِهِ. 8فَأَخَذَ لِنَفْسِهِ شَقْفَةً لِيَحْتَكَّ بِهَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي وَسَطِ الرَّمَادِ. 9فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: «أَنْتَ مُتَمَسِّكٌ بَعْدُ بِكَمَالِكَ؟ بَارِكِ اللهَ وَمُتْ!». 10فَقَالَ لَهَا: «تَتَكَلَّمِينَ كَلاَمًا كَإِحْدَى الْجَاهِلاَتِ! أَالْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالشَّرَّ لاَ نَقْبَلُ؟». فِي كُلِّ هذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ بِشَفَتَيْهِ.

ولقد رأينا ان هناك نص قرآني يتحدث عن شكوى أيوب لربه ويذكر فيها الشيطان : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ص : 41]

فالله العلي القدير هو الذي أبتلى أيوب عليه السلام فالبلاء من عند الله وحده ولا يمكن للشيطان أن يصيبنا بمرض أو علة أو غير ذلك والتعب والعذاب الذي عانى منهما بسبب الشيطان انما كان بسبب وسوسته الفظيعة

وتسلطه على رجل مؤمن صبور وحضه على مخاصمة ربه بسبب ما عمل به من مصائب وعلل وأمراض وصلت الى حد أن يتمنى الموت فيه (﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : 83]

. كان صراع أيوب عليه السلام مع شيطانه صراعا فظيعا لا يعطيه المجال والراحة ساعة واحدة

التفسير على الطريقة الاسرائيلية

ما ذكره المفسرون من أن إبليس كان له مكان في السماء السابعة يوما من العام فقول باطل ; لأنه أهبط منها بلعنة وسخط إلى الأرض ، فكيف يرقى إلى محل الرضا ، ويجول في مقامات الأنبياء ، ويخترق السماوات العلى ، ويعلو إلى السماء السابعة إلى منازل الأنبياء ، فيقف موقف الخليل ؟ ! إن هذا لخطب من الجهالة عظيم . وأما قولهم : إن الله تعالى قال له : هل قدرت من عبدي أيوب على شيء ، فباطل قطعا ; لأن الله – عز وجل – لا يكلم الكفار الذين هم من جند إبليس الملعون ، فكيف يكلم من تولى إضلالهم ؟ ! وأما قولهم : إن الله قال : قد سلطتك على ماله وولده ، فذلك ممكن في القدرة ، ولكنه بعيد في هذه القصة . وكذلك قولهم : إنه نفخ في جسده حين سلطه عليه ، فهو أبعد ، والباري سبحانه قادر على أن يخلق ذلك كله من غير أن يكون للشيطان فيه كسب حتى تقر له – لعنة الله عليه – عين بالتمكن من الأنبياء في أموالهم وأهليهم وأنفسهم . وأما قولهم : إنه قال لزوجته : أنا إله الأرض ، ولو تركت ذكر الله وسجدت أنت لي لعافيته ، فاعلموا وإنكم لتعلمون أنه لو عرض لأحدكم وبه ألم وقال هذا الكلام ما جاز عنده أن يكون إلها في الأرض ، وأنه يسجد له ، وأنه يعافي من البلاء ، فكيف أن تستريب زوجة نبي ؟ ! ولو كانت زوجة سوادي أو فدم بربري ما ساغ ذلك عندها . وأما تصويره الأموال والأهل في واد للمرأة فذلك ما لا يقدر عليه إبليس بحال ، ولا هو في طريق السحر فيقال إنه من جنسه . ولو تصور لعلمت المرأة أنه سحر كما نعلمه نحن ، وهي فوقنا في المعرفة بذلك ، فإنه لم يخل زمان قط من السحر وحديثه وجريه بين الناس وتصويره . قال القاضي : والذي جرأهم على ذلك وتذرعوا به إلى ذكر هذا قوله تعالى : إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب فلما رأوه قد شكا مس الشيطان أضافوا إليه من رأيهم ما سبق من التفسير في هذه الأقوال . وليس الأمر كما زعموا والأفعال كلها خيرها وشرها . في إيمانها وكفرها ،

طاعتها وعصيانها ، خالقها هو الله لا شريك له في خلقه ، ولا في خلق شيء غيرها ، ولكن الشر لا ينسب إليه ذكرا ، وإن كان موجودا منه خلقا ، أدبا أدبنا به ، وتحميدا علمناه . وكان من ذكر محمد – صلى الله عليه وسلم – لربه به قول من جملته : والخير في يديك والشر ليس إليك ، على هذا المعنى . ومنه قول إبراهيم : وإذا مرضت فهو يشفين وقال الفتى للكليم : وما أنسانيه إلا الشيطان .

وأما قولهم : إنه استعان به مظلوم فلم ينصره ، فمن لنا بصحة هذا القول . ولا يخلو أن يكون قادرا على نصره ، فلا يحل لأحد تركه فيلام على أنه عصى وهو منزه عن ذلك . أو كان عاجزا فلا شيء عليه في ذلك ، وكذلك قولهم : إنه منع فقيرا من الدخول ، إن كان علم به فهو باطل عليه ، وإن لم يعلم به فلا شيء عليه فيه . وأما قولهم : إنه داهن على غنمه الملك الكافر ، فلا تقل داهن ، ولكن قل : دارى . ودفع الكافر والظالم عن النفس أو المال بالمال جائز ، نعم ويحسن الكلام . قال ابن العربي القاضي أبو بكر – رضي الله عنه – : ولم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين ، الأولى قوله تعالى : وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر أني مسني الشيطان بنصب وعذاب والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات ، وفي الصحيح واللفظ للبخاري أن ابن عباس قال : يا معشر المسلمين ، تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيكم أحدث الأخبار بالله ، تقرءونه محضا لم يشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتب ، فقالوا : هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ، فلا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم ، وقد أنكر النبي – صلى الله عليه وسلم في حديث الموطأ على عمر قراءته التوراة .

نهاية

قصة أيوب

وَرَفَعَ الرَّبُّ وَجْهَ أَيُّوبَ. ١٠وَرَدَّ الرَّبُّ سَبْيَ أَيُّوبَ لَمَّا صَلَّى لأَجْلِ أَصْحَابِهِ، وَزَادَ الرَّبُّ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لأَيُّوبَ) ضِعْفًا.

تذكر هذه النصوص التوراتية ان الله قد اعاد لأيوب عليه السلام صحته وثروته وما كان عنده ضعفا .

وفي القرآن الكريم آيتان تدلان على أن الله سبحانه وتعالى قد أعاد أيوب عليه السلام الى ما كان عليه من صحة وعافية ومال وبنون مضاعفة .

قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: 84.

وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 43.

قصة النبي يونس (يونان) عليه السلام

في التوراة والقرآن الكريم

النبي يونس عليه السلام

في القرآن الكريم

- فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨ يونس﴾
- وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩ الصافات﴾

- إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣ النساء﴾

- وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦ الأنعام﴾

- ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : 87]

- ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ [القلم : 48]

وهناك سورة كاملة في القرآن الكريم مذكورة باسمه عليه السلام (سورة يونس.

لقد ذكر في القرآن الكريم نبي الله "يونس" عليه السلام، وأيضا جاء ذكره لنا في الأحاديث النبوية الشريفة، والأسماء التي جاء بها ذكره عليه السلام هي "يونس"، و"يونس بن متى" وصاحب الحوت، وأيضا "ذا النون"، والنون هو الحوت نفسه.

وقد جاء ذكر سيدنا "يونس" عليه السلام في القرآن الكريم في مواضع عديدة منها الآيات القرآنية الكريمة التي جاء فيها ذكر اسم نبي الله "يونس" عليه السلام مع التفسير:

1. قال تعالى في سورة النساء الآية 163(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا...

إنا أوحينا إليك أيها الرسول كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده؛ وكما أوحينا إلى إبراهيم وابنيه إسماعيل وإسحاق ومن ذريته يعقوب والأسباط (وهم الأنبياء الذين أرسلوا إلى قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشر من ذرية يعقوب عليه السلام)، وأوحينا إلى عيسى ابن مريم وأيوب ويونس وهارون وسليمان، وكما أنزلنا على داوود الزبور (كتاب وصحف مكتوبة.

2. وقال تعالى في كتابه العزيز بسورة الأنبياء في الآيتين 87 و88(وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ(...

واذكر قصة صاحب الحوت "يونس بن متى" حيث أرسلناه إلى قومه ودعاهم لعبادة الله وحده لا شريك له، ولكنهم لم يؤمنوا بما جاءهم به، وعلى الرغم من أنه توعدهم بالعذاب ولكنهم لم ينيبوا؛ فلم يصبر عليهم على الرغم من أن الله سبحانه وتعالى قد أمره بذلك، فخرج من بينهم غضبانا ضائق الصدر بسبب عصيانهم لما كان يدعوهم إليه.

وقد ظن نبي الله "يونس" عليه السلام أن الله سبحانه وتعالى لن يؤاخذه بما فعل من مخالفة لأوامره سبحانه، فابتلاه الله بالحبس وشدة الضيق، والتقمه الحوت بعرض البحر وفي ظلمات الليل؛ فأصبح عليه السلام في ظلمات ثلاث ظلمة البحر وظلمة الليل وبطن الحوت، فنادى ربه في الظلمات تائبا منيبا إليه (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)، وقد كان معترفا بظلمه وما فعل من نفاذ صبره على قومه وخروجه من بينهم دون إذن من خالقه جل في علاه.

فاستجاب الله دعائه وقام بتخليصه من الهم وغم المحنة الشديدة، وهذا ما يفعله الله سبحانه وتعالى مع العاملين بشرعه سبحانه والمصدقين بما جاء فيه.

3. وقد قال تعالى في سورة الصافات الآيات 139: 148(وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ، فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ، فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ، فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ، ۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ، وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ، وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ، فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ)...

ويونس اصطفيناه وجعلناه من المرسلين، ولكنه هرب من بلده غاضبا من قومه وركب سفينة مملوءة بالأناس والأمتعة؛ وعندما أحاطت بهم الأمواج الهائلة من كل مكان، اقترعوا ليخففوا من حمل السفينة خشية الغرق، وكان "يونس" من المغلوبين على أمره، فألقى بنفسه في البحر فابتلعه الحوت، و"يونس" عليه السلام قد آت بما يلام عليه.

ولولا كثرت عبادته والأعمال الصالحة التي كان يقدم عليها قبل وقوعه في بطن الحوت، ولولا تسبيحه في بطن الحوت (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) لمكث في بطن الحوت، ولكان الحوت قبرا له حتى قيام الساعة.

فطرحناه من بطن الحوت، وألقينا به في أرض خالية من الشجر والبناء، وقد كان ضعيف البدن؛ فأنبتنا عليه شجرة من القرع لكي تظله وينتفع بها، وبعثنا به إلى مائة ألف من قومه بل يزيدون على هذا الرقم، فصدقوه بكل ما بعث به، وعملوا بما جاء به، فمتعناهم بحياتهم حتى جاءهم وقت آجالهم.

4. وقد قال تعالى في سورة الأنعام بالآيات من 86:90 (وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ، ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِين)...

وكذلك هدينا إسماعيل واليسع ويونس ولوطاً، وكل هؤلاء الرسل الذين ذكروا فضلناهم على كل أهل زمانهم؛ وأيضا اجتبينا من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم ووفقنا للحق من شئنا هدايته، واصطفيناهم لديننا وإبلاغ رسالتنا إلى أقوامهم، وأرشدناهم وقدناهم إلى طريق الفلاح طريق لا عوج فيه، وهو طريق التوحيد وعدم الشرك بالله.

وذلك الهدى هو هدى الله الذي يوفق إليه من يشاء من عباده، ولو أن هؤلاء الأنبياء أشركوا بالله (لمجرد الفرض والتقدير) لبطلت أعمالهم مهما كان صلاحها حيث أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل مع الشرك عملا!

وهؤلاء الأنبياء الذين أنعمنا عليهم بالهدى والنبوة هم أنفسهم من آتيناهم وأنعمنا عليهم بالكتب السماوية كصحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داوود وإنجيل عيسى، كما وآتيناهم وأنعمنا عليهم بفهم هذه الكتب وما جاء بها، كما واصطفيناهم بإبلاغ وحينا، فإن يجحد بآيات القرآن الكريم الكافرين من قومك فقد وكلنا بها أقواما آخرين، ويقصد بها المهاجرين والأنصار ومن تبعهم إلى يوم الدين، فهؤلاء ليسوا بها بكافرين، بل إنهم مؤمنين بها وعاملين بكل ما جاء بها وبكل ما تدل عليه.

وهؤلاء الأنبياء المذكورين هم الذين وفقهم الله سبحانه وتعالى لدينه الحق، فاتبع هداهم واسلك سبيلهم، وقل للمشركين إنني لا أطلب منكم تعويضا من الحياة الدنيا على تبليغي لكم الإسلام، وما أجري إلا على الله، وما

الإسلام إلا دعوة جميع الناس إلى الطريق المستقيم طريق الحق القويم، وما هو إلا تذكير لكم ولكل من كان مثلكم ممن هم مقيمون على الباطل، وذلك لعلكم تتذكرون به بما ينفعكم.

5. وقد قال تعالى سبحانه وتعالى في سورة يونس في الآية 98(فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ)

ولم ينفع الإيمان أهل قرية آمنوا ولكن عند معاينتهم العذاب أمام أعينهم إلا أهل قرية يونس، حيث أنهم عندما أيقنوا بأن العذاب واقع بهم تابوا إلى الله سبحانه وتعالى وأنابوا إليه، وقد كانت توبة نصوحة، فلما تبين منهم الصدق في توبتهم كشف الله سبحانه وتعالى عنهم عذاب الخزي بعد أن أوشك بهم، وتركهم سبحانه وتعالى في الحياة الدنيا يستمتعون بها لوقت آجالهم.

6. وقد قال تعالى في سورة القلم بالآيات 48 :50(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ، لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ، فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)...

يقول الله سبحانه وتعالى ذكره لنبيه محمد صلَّ الله عليه وسلم تسليما كثيرا: فاصبر يا محمد لما حكم به ربك وقضا به عليك، ومن ذلك إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم، واصبر في هؤلاء المشركين بما جئتهم بما في هذا القرآن وهذا الدين، وامضِ يا محمد بما أمرك به ربك، ولا يثنيك عما أمرك به ربك في تبليغهم بما أمرت به.

ولا تكن كصاحب الحوت الذي حبسه ببطنه، وهو يونس بن متَّى عليه السلام فيعاقبك ربك على تركك تبليغ ما أمرحك بتبليغه، كما عاقب يونس على تركه ما أمر به فعاقبه بحبسه في بطن الحوت؛ إذ نادى وهو مكظوم أي إذ نادى وهو مغموم ومعاناها أي أثقله الغم وكظمه إياه.

يصف القرآن الكريم أن سيدنا "يونس" عليه السلام كان واعظا لقومه لرسالة جاءته من الله سبحانه وتعالى وكان من الصالحين؛ ويذكر القرآن الكريم أن سيدنا "يونس" عليه السلام غادر قومه على متن سفينة، وطلب من أهلها أن يركبوه معهم، فتوسم أهل السفينة فيه خيرا وأركبوه معهم؛ ولما توسطت السفينة البحر هاج بهم واضطرب، فقال أهل السفينة إن فينا صاحب ذنب!

وسارعوا في إلقاء من وقع عليه السهم في البحر، فوقع السهم على سيدنا "يونس" فسأله القوم عن شأنه كما وأنهم عجبوا من أمره حيث أنه كان من بينهم وهو التقي النقي الصالح، فحدثهم نبي الله "يونس" عليه السلام بقصته وأشار عليهم بأن يلقوه في اليم ليذهب عنهم غضب الله سبحانه وتعالى، فألقوه فالتقمه الحوت بأمر من الله وقد كان حوتا عظيما، وسار به في الظلمات بحفظ من الله سبحانه وتعالى.

وقد قال أهل التفسير أن "يونس" عليه السلام قد بعث إلى أهل نينوى بأرض الموصل، فدعاهم نبي الله إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، ولكنهم كذبوه وتمردوا عليه بكفرهم وإصرارهم على الكفر وتماديهم فيه ومواصلتهم له، ولما طال على نبي الله "يونس" عليه من أمر قومه خرج من بين أظهرهم ووعدهم بحلول العذاب عليهم بعد ثلاثة أيام.

ولما خرج من بينهم وتحققوا من نزول العذاب بهم قذف الله سبحانه وتعالى في قلوبهم التوبة النصوحة والإنابة الصادقة على كل أفعالهم وعلى ما كان منهم إلى نبيهم "يونس" عليه السلام، فلبس القوم المسوح وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ثم سارعوا إلى الله سبحانه وتعالى وصرخوا وتضرعوا إليه سبحانه وأصروا على اللجوء لركنه الشديد.

لقد بكى الرجال والنساء والبنون والبنات، جأرت الأنعام بشتى أنواعها، كانت ساعة عظيمة هائلة بكل ما تحويه الكلمة من معاني؛ فكشف الله سبحانه وتعالى العظيم بحوله وقوته ورحمته ورأفته بعباده عنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم وانكشفت مقدماته، وكان العذاب قد دار على رؤوسهم كقطع الليل المظلم.

قصة يونس عليه السلام في التوراة

الاصحاح الأول

1 وصار قول الرب إلى يونان بن أمتاي قائلا

2 قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة وناد عليها، لأنه قد صعد شرهم أمامي

3 فقام يونان ليهرب إلى ترشيش من وجه الرب، فنزل إلى يافا ووجد سفينة ذاهبة إلى ترشيش، فدفع أجرتها ونزل فيها، ليذهب معهم إلى ترشيش من وجه الرب

4 فأرسل الرب ريحا شديدة إلى البحر، فحدث نوء عظيم في البحر حتى كادت السفينة تنكسر

5 فخاف الملاحون وصرخوا كل واحد إلى إلهه، وطرحوا الأمتعة التي في السفينة إلى البحر ليخففوا عنهم. وأما يونان فكان قد نزل إلى جوف السفينة واضطجع ونام نوما ثقيلا

6 فجاء إليه رئيس النوتية وقال له: ما لك نائما ؟ قم اصرخ إلى إلهك عسى أن يفتكر الإله فينا فلا نهلك

7 وقال بعضهم لبعض: هلم نلقي قرعا لنعرف بسبب من هذه البلية. فألقوا قرعا، فوقعت القرعة على يونان

8 فقالوا له: أخبرنا بسبب من هذه المصيبة علينا ؟ ما هو عملك ؟ ومن أين أتيت ؟ ما هي أرضك ؟ ومن أي شعب أنت

9 فقال لهم: أنا عبراني، وأنا خائف من الرب إله السماء الذي صنع البحر والبر

10 فخاف الرجال خوفا عظيما، وقالوا له: لماذا فعلت هذا ؟. فإن الرجال عرفوا أنه هارب من وجه الرب، لأنه أخبرهم

11 فقالوا له: ماذا نصنع بك ليسكن البحر عنا ؟. لأن البحر كان يزداد اضطرابا

12 فقال لهم: خذوني واطرحوني في البحر فيسكن البحر عنكم، لأنني عالم أنه بسببي هذا النوء العظيم عليكم

13 ولكن الرجال جذفوا ليرجعوا السفينة إلى البر فلم يستطيعوا، لأن البحر كان يزداد اضطرابا عليهم

14 فصرخوا إلى الرب وقالوا: آه يارب، لا نهلك من أجل نفس هذا الرجل، ولا تجعل علينا دما بريئا، لأنك يارب فعلت كما شئت

15 ثم أخذوا يونان وطرحوه في البحر، فوقف البحر عن هيجانه

16 فخاف الرجال من الرب خوفا عظيما، وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذورا

17 وأما الرب فأعد حوتا عظيما ليبتلع يونان. فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال

الاصحاح الثاني

1 فصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت

2 وقال: دعوت من ضيقي الرب، فاستجابني. صرخت من جوف الهاوية، فسمعت صوت

3 لأنك طرحتني في العمق في قلب البحار، فأحاط بي نهر. جازت فوقي جميع تياراتك ولججك

4 فقلت: قد طردت من أمام عينيك. ولكنني أعود أنظر إلى هيكل قدسك

5 قد اكتنفتني مياه إلى النفس. أحاط بي غمر. التف عشب البحر برأسي

6 نزلت إلى أسافل الجبال. مغاليق الأرض علي إلى الأبد . ثم أصعدت من الوهدة حياتي أيها الرب إلهي

7 حين أعيت في نفسي ذكرت الرب، فجاءت إليك صلاتي إلى هيكل قدسك

8 الذين يراعون أباطيل كاذبة يتركون نعمتهم

9 أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك، وأوفي بما نذرته. للرب الخلاص

10 وأمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر

الإصحاح الثالث

1 ثم صار قول الرب إلى يونان ثانية قائلا

2 قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة، وناد لها المناداة التي أنا مكلمك بها

3 فقام يونان وذهب إلى نينوى بحسب قول الرب. أما نينوى فكانت مدينة عظيمة لله مسيرة ثلاثة أيام

4 فابتدأ يونان يدخل المدينة مسيرة يوم واحد، ونادى وقال: بعد أربعين يوما تنقلب نينوى

5 فآمن أهل نينوى بالله ونادوا بصوم ولبسوا مسوحا من كبيرهم إلى صغيرهم

6 وبلغ الأمر ملك نينوى، فقام عن كرسيه وخلع رداءه عنه، وتغطى بمسح وجلس على الرماد

7 ونودي وقيل في نينوى عن أمر الملك وعظمائه قائلا: لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئًا . لا ترع ولا تشرب ماء

8 وليتغط بمسوح الناس والبهائم، ويصرخوا إلى الله بشدة، ويرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة وعن الظلم الذي في أيديهم

9 لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك

10 فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة، ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم، فلم يصنعه

الإصحاح الرابع

1 فغم ذلك يونان غما شديدا، فاغتاظ

2 وصلى إلى الرب وقال: آه يارب، أليس هذا كلامي إذ كنت بعد في أرضي ؟ لذلك بادرت إلى الهرب إلى ترشيش، لأني علمت أنك إله رؤوف ورحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر

3 فالآن يارب، خذ نفسي مني، لأن موتي خير من حياتي

4 فقال الرب: هل اغتظت بالصواب

5 وخرج يونان من المدينة وجلس شرقي المدينة، وصنع لنفسه هناك مظلة وجلس تحتها في الظل، حتى يرى ماذا يحدث في المدينة

6 فأعد الرب الإله يقطينة فارتفعت فوق يونان لتكون ظلا على رأسه، لكي يخلصه من غمه. ففرح يونان من أجل اليقطينة فرحا عظيما

7 ثم أعد الله دودة عند طلوع الفجر في الغد، فضربت اليقطينة فيبست

8 وحدث عند طلوع الشمس أن الله أعد ريحا شرقية حارة، فضربت الشمس على رأس يونان فذبل. فطلب لنفسه الموت، وقال: موتي خير من حياتي

9 فقال الله ليونان: هل اغتظت بالصواب من أجل اليقطينة ؟ . فقال: اغتظت بالصواب حتى الموت

10 فقال الرب: أنت شفقت على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربيتها، التي بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت

11 أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم، وبهائم كثيرة

تذكر النصوص التوراتية الكثير من التفاصيل عن قصة النبي يونس عليه السلام لم نجد لها ذكرا في الايات القرآنية مثل المدينة التي أرسل اليها وهي (نينوى) التي جاء باسم (قرية قوم يونس) وانه قد هرب من قومه ووصل الى الشاطئ وحين صعوده حدثت عاصفة قوية وعلموا ان واحدا من الركاب هو سبب البلية فلجؤوا الى القرعة فوقعت على النبي يونس عليه السلام فألقوه في البحر فأبتلعه حوت كبير وبقي في بطن الحوت ثلاثة أيام بلياليها .

فصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت ودعاه أن ينجيه ويخلصه فسمع الله كلامه فقذفه الحوت الى البر

وأمره الله أن يعود ثانية ليدعو أهل نينوى (فابتدأ يونان يدخل المدينة مسيرة يوم واحد ، وأنذرهم ونادى وقال: بعد أربعين يوما تنقلب نينوى اذا لم يأمنوا بالله 5 فآمن أهل نينوى بالله ونادوا بصوم ولبسوا مسوحا من كبيرهم إلى صغيرهم .

وكعادة كاتب التوراة الذي يضفي (صفات انسانية) الى ذات (الرب) يدعي ان (الرب) قد ندم مرتين هنا

(9 لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك)

10 فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة، ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم،) .

تضيف التوراة مشاهد ووقائع لا وجود لها في النصوص القرآنية ومنها :

لآيات (1–4): "فَغَمَّ ذلِكَ يُونَانَ غَمًّا شَدِيدًا، فَاغْتَاظَ. وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «آهِ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ. فَالآنَ يَا رَبُّ، خُذْ نَفْسِي مِنِّي، لأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي» . فَقَالَ الرَّبُّ: «هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ؟» . "

ويفسر موقع (الأنبا تكلا هيمانوت) هذا النص بقوله :

(ان الله رحم نينوى ولم يهلكها فاغتم يونان غمًا شديدًا (فَغَمَّ ذلِكَ يُونَانَ غَمًّا شَدِيدًا) = فهو غار لكرامته لئلا يحسب نبيًا كاذبًا، هو تنبأ بانقلاب المدينة وها هي قد نجت. وربما هو غار على إسرائيل التي لم تقدم توبة شبيهة وليس أمامها فرصة للنجاة مثل نينوى. وصلى يونان هنا ولكن شتان الفرق بين صلاته هنا وصلاته وهو في جوف الحوت. فهو هنا برر نفسه في هروبه من الله أولًا حين أرسله، بعد أن كان قد دان نفسه أولًا في بطن الحوت حين

قال "الذين يراعون أباطيل كاذبة. ." وهو هنا يلوم الله أنه رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ وَبَطِيءُ الْغَضَبِ. مع أنه لو كان غير ذلك لكان قد أهلكه هو نفسه فورًا. وكانت صلاته الخاطئة يا رب خذ نفسي = ولو فعل الله لهلك يونان وخلصت نينوى ولكن الله الحنون لا يتركه لضيقة نفسه بل يدخل معه في حوار ويعطيه درسًا باليقطينة حتى يتصالح معه).

ان النص التوراتي المشار اليه أعلاه لا وجود له اطلاقا لذلك يحاول المفسر أن يبرر موقفا لسيدنا يونس عليه السلام وحول الكاتب التوراتي شجرة (اليقطينة) التي ذكرتها الايات القرآنية (۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ، وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ، وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ، فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ)... حين ألقاه الحوت في العراء وكان مريضا سقيما لتكون ظلا وعلاجا له حولها كاتب التوراة الى مشهد غريب .

توظيف التوراة لشجرة اليقطين في القصة

يضيف كاتب التوراة كما ذكرنا من قبل وقائع جديدة ينافي وجودها تسلسل الحوادث المنطقية في القصة موقعا نفسه في تناقضات مريبة :

("وَخَرَجَ يُونَانُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَجَلَسَ شَرْقِيَّ الْمَدِينَةِ، وَصَنَعَ لِنَفْسِهِ هُنَاكَ مَظَلَّةً وَجَلَسَ تَحْتَهَا فِي الظِّلِّ، حَتَّى يَرَى مَاذَا يَحْدُثُ فِي الْمَدِينَةِ. فَأَعَدَّ الرَّبُّ الإِلهُ يَقْطِينَةً فَارْتَفَعَتْ فَوْقَ يُونَانَ لِتَكُونَ ظِلاً عَلَى رَأْسِهِ، لِكَيْ يُخَلِّصَهُ مِنْ غَمِّهِ. فَفَرِحَ يُونَانُ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ فَرَحًا عَظِيمًا. ثُمَّ أَعَدَّ اللهُ دُودَةً عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فِي الْغَدِ، فَضَرَبَتِ الْيَقْطِينَةَ فَيَبِسَتْ. وَحَدَثَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَنَّ اللهَ أَعَدَّ رِيحًا شَرْقِيَّةً حَارَّةً، فَضَرَبَتِ الشَّمْسُ عَلَى رَأْسِ يُونَانَ فَذَبُلَ. فَطَلَبَ لِنَفْسِهِ الْمَوْتَ، وَقَالَ: «مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي». فَقَالَ اللهُ لِيُونَانَ: «هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ؟» فَقَالَ: «اغْتَظْتُ بِالصَّوَابِ حَتَّى الْمَوْتِ»") .

فهو يدعي ان يونس عليه السلام قد (اغتاظ من الله) لأنه قد أوقعه في ورطة أمام قومه فهو قد وعدهم بأن الله سوف يدمر القرية لكن الله الذي وصفه (يونان) : (لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ .) والغريب ان هذا الكلام وهذا الغضب من الله يصدر عن نبي من أنبياء الله الذي يكون الدعاء والاستغفار والهداية من وظائفهم لكن النبي التوراتي هنا يغضب لكون الرب قد تراجع عن كلامه ورحم أهل المدينة وعفا عنهم لأنهم قد تابوا واستغفروا توبة عامة .

وليس هذا فحسب فكاتب التوراة يقع في خطأ كتابي ظاهر فهو يدعي ان (يونان) خرج من المدينة وصنع لنفسه مظله لتظله (وَصَنَعَ لِنَفْسِهِ هُنَاكَ مَظَلَّةً وَجَلَسَ تَحْتَهَا فِي الظِّلِّ، حَتَّى يَرَى مَاذَا يَحْدُثُ فِي الْمَدِينَةِ .)

لكن كاتب التوراة ينسى بسرعة ماقاله ويدعي بأن الله قد أنبت له يقطينة ليستظل بها ففرح (يونان) بذلك

(. فَأَعَدَّ الرَّبُّ الإِلهُ يَقْطِينَةً فَارْتَفَعَتْ فَوْقَ يُونَانَ لِتَكُونَ ظِلاًّ عَلَى رَأْسِهِ، لِكَيْ يُخَلِّصَهُ مِنْ غَمِّهِ. فَفَرِحَ يُونَانُ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ فَرَحًا عَظِيمًا) .وهذا يعني بأن اليقطينة أنبتت فوق الخيمة وصار له ظلان .

وهنا يستثمر كاتب التوراة شجرة اليقطينة هذه ليوظفها ويعطي بعدها نتيجة قد أعدها مسبقا : (ثُمَّ أَعَدَّ اللهُ دُودَةً عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فِي الْغَدِ، فَضَرَبَتِ الْيَقْطِينَةَ فَيَبِسَتْ. وَحَدَثَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَنَّ اللهَ أَعَدَّ رِيحًا شَرْقِيَّةً حَارَّةً، فَضَرَبَتِ الشَّمْسُ عَلَى رَأْسِ يُونَانَ فَذَبُلَ .) تناسى كاتب التوراة الخيمة التي بناها (يونان) والتي أعدها أساسا لتظله فلو فرضنا أن اليقطينة يبست فماذا عن الخيمة التي أعدها الا تكون كافية لحماية رأس يونان من أشعة الشمس الحارة .

ان النتيجة التي أرادها كاتب التوراة هي بيان شفقة الله (رحمته) وهذه الرحمة ظهرت حين قبل توبة الناس في المدينة ورفع عنهم غضبه بعفو عام عنهم ولقد وسعت رحمته السماوات والأرض .

فقال الله ليونان: هل اغتظت بالصواب من أجل اليقطينة ؟ . فقال: اغتظت بالصواب حتى الموت

10 فقال الرب: أنت شفقت على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربيتها، التي بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت

11 أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم، وبهائم كثيرة .

قصة النبي داوود عليه السلام في القرآن والتوراة

مدخل

تعتبر قصة داود – عليه السلام – من القصص المشتركة بين القرآن والتوراة، وقد جاءت في كل منهما بأسلوب مختلف عما جاءت به في الآخر، ولغايات متباينة.

بل وباختلافات كبيرة في التفاصيل والمشاهد والأحداث تصل أحيانًا حد التباين .

سلكنا في هذا المبحث عن قصة النبي داوود عليه السلام والذي بعده وهو قصة النبي سليمان عليه السلام

منهجا مختلفا حيث اننا هنا سنعقد مقارنة بين قصة داوود في القرآن الكريم وقصته في التوراة معطيًا التركيز على نقاط نراها أساسية هي :

- البحث أولاً في النص في حد ذاته عن استقامته وأهم الأفكار الواردة فيه ومستوى الاتفاق فيها أو التناقض.

- الخطوة الثانية : العقيدة والشريعة: حيث يركز العرض على الاختلاف في العقيدة وفي التصور (بين الكتابين) عن الله تعالى وصفاته، وعن أنبيائه وصفوته من خلقه، وعن الأحكام التي تنص عليها التوراة أنها منزلة من عند الله، ومدى تطابقها أو تقارُبها أو مشابهتها لما في النص المهيمن المصدق.

- ثم البحث عن القصة وأحداثها في الكتابين، والمقارنة بين الأحداث والوقائع، في التوراة أولاً، ثم التصديق عليها من القرآن الكريم .

واستنادًا لهيمنة القرآن الكريم ، فسنتحاشى العرض قدر المستطاع أن يدخل في التفاصيل غير الواردة في القرآن، لانعدام وجه المقارنة فيها – وهو لب الموضوع – من ناحية، ولعدم القدرة على التصديق عليها ما دام النص الذي وردت فيه محل استفهام في صحته وثبوته، بل وفي تناغمه واتّساقه.

وقد جاء العرض في محاور أربعة، اختص أولها بالحديث عن بداية ظهور داود وقتله لجالوت

وكان الثاني عن مطاردته من طرف الملك

وأما الثالث فكان عن داود بعد أن آتاه الله الملك؛

ليكون الرابع حكرًا على إبراز أهم المميزات التي تميز بها عرض القصة بين النصين القرآن (المهيمن المصدق)، والتوراة (المصدقة والمهيمن عليها) .

المحور الأول: بداية ظهور داود، وقتله لجالوت

تحدثت نصوص توراتية كثيرة عن هذه القصة، ولكنها –كعادة العهد القديم كله – تتداخل الأحداث فيها ولا تنفصل، بمعنى أن داود عليه السلام حين تتحدث عنه التوراة مرتبط بقصص سابقة له ولاحقة عليه ومعاصرة له، كلها تتعلق بشعب إسرائيل ومحطات حياته المختلفة.

ورغم ذلك فقد حاولنا انتقاء بعض النصوص التي تركز على داود عليه السلام ، أو على أحداث له بها علاقة، معرضًا قدر المستطاع عما لم يرد له ذكر في القرآن الكريم ، إلا إذا أوردته للاستشهاد أو ما أشبه.

السياق التاريخي لظهور داود (ملك شاول)

"1 وقال صموئيل لشاول: "إياي أرسل الرب لمسحك ملكًا على شعبه إسرائيل، والآن فاسمع صوت كلام الرب 2 هكذا يقول رب الجنود: "إني قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر 3 فالآن اذهب واضرب عماليق، وحرموا كل ماله ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعًا، بقرًا وغنمًا، جملاً وحمارًا" . سفر صموئيل الأول، الإصحاح (15)، الآيات (1– 3)،

أولاً: مشكلات النص:

أ– من الناحية الشكلية:

• من المخاطب بالكلام هل هو (شاول) وحده كما توحي به كلمات في النص؛ مثل: (اذهب)، و(اضرب)، و(لا تعف)، أم الخطاب لجماعة كما في كلمة: (حرموا كل ماله)، ومن هي تلك الجماعة؟ (هل هي الشعب كله؟ أم صموئيل وشاول وحدهما ؟)، وهل صموئيل داخل ضمن الخطاب، أم موصل له؟، وإذا كان الله تعالى سيكلم (شاول) بشكل مباشر (في قوله: إني قد افتقدت)، فما الحاجة إلى صموئيل؟

• من المقصود بإسرائيل؟ هل هو إسرائيل النبي (يعقوب) – عليه السلام – أم أولاده؟ وفي كلا الاحتمالين تبقى هناك إشكالات، فالاحتمال الأول يكذبه التاريخ؛ إذ لم يخرج إسرائيل من مصر بعد أن دخلها خروجًا يعرضه لأن يعتدي عليه العماليق، وإنما خرجها ميتًا كما ينص العهد القديم نفسه، ولا يقل الاحتمال الثاني إشكالاً عن الأول؛ حيث إنه إذا كان المقصود أبناء إسرائيل، فعلى من يعود ضمير المفرد في "وقف له في الطريق عند صعوده من مصر"؟

ب- من الناحية العقدية :

هناك مشاكل عقدية متعددة في هذا النص على قِصَره، وأسئلة كثيرة تثيرها عباراته من قبيل:

• هل كلم الله تعالى (شاول) وهو لا يرقى إلى مستوى النبوة كما توحي النصوص نفسها "مسحك ملكًا"؟ وإذا كان كلمه فأي مزية تبقى لموسى – عليه السلام ؟

• وهل كان الله تعالى جاهلاً حتى (يتفقد) ما عمله العماليق؟ ما يوحي بطروء (الأعراض) وزوالها عنه – سبحانه، هذا إذا كان المقصود: (التفقد) ، أما إن كان المقصود الافتقاد، فتلك مشكلة أخرى، تجعل (رب

الجنود) عاجزًا عجزًا مطلقًا؛ لأنه فقد عملاً عمله عماليق، وهو كلام غير مفهوم؛ إلا إذا كان الله يجهل وينسى، وكانت ملائكته لا تدون، وسجلات أعمال العباد غير حاضرة – تعالى الله عن كل ذلك.

• وهل الرب رب البشرية كلها – جل جلاله – أم هو رب إسرائيل كما تصر النصوص على وصفه دائمًا، أم هو هذه المرة رب خاص بالجنود، وإذا كان كذلك، فمن هم الجنود المقصودون؟

جـ- من حيث الفكرة:

• لماذا يأمر النبي الملك بكل هذا الفتك؟ وينسب ذلك لكلام الله، هل هكذا يأمر الدين؟

• وإذا كانت المرأة والطفل والرضيع مجرمون – ما لا يمكن أن يتصوره ذو عقل – فما هي جريمة الحيوانات؟، هو بطش وفتك من نوع خيالي.

المقارنة بالقرآن

• تعرّض القرآن الكريم لقضية تنصيب ملك على بني إسرائيل في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي ﴾ [البقرة: 246]، فالآيات تدل على نقاط متعددة بعضها لا تتفق مع بعض ما ذكر:

• وأول ما تلفت إليه الآية النظر هو السياق العام – الزمني – للحادثة حيث تؤكد أنها وقعت من بعد موسى، وهو متفق مع ما في العهد القديم.

• ثم إنهم هم من طلب تنصيب الملك، وإن دعوتهم لتنصيبه من أجل القتال في سبيل الله، وإنهم التزموا بالقتال متى نُصِّب عليهم الملك.

• إن الهدف من القتال هو رفع الظلم الواقع عليهم؛ ﴿ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾ [البقرة: 246].

أما كون هذا القتال بسبب ما فعله العماليق لبني إسرائيل حين خروجهم من مصر، فهو مناقض صريح لما جاء في القرآن الكريم ؛ حيث أثبت القرآن أنهم حين خروجهم من مصر جبنوا عن مواجهة (الجبارين)، وتركوا موسى وشأنه، يوضح القرآن قصة جبنهم هذا في سورة المائدة، في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: 20 – 23]، وبعد هذا الحوار جاء الجواب من طرف بني إسرائيل المخاطبين به حاسمًا قاطعًا: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: 24 – 25].

إذًا فبنو إسرائيل هم الذين خافوا وجبنوا عن ملاقاة العدو، ولم تقع بينهم وبينه مواجهة (على الأقل حين الخروج)، حتى يُوصف فعل العماليق بالتعرض لهم، أما ما بعد فترة التيه، وسنيه الأربعين، فتلك فترة يصعب استساغة تسميتها (بحين الخروج)، وحتى على جواز ذلك لغة، فليس بجائز واقعًا؛ إذ سبب القتال (الذي نحن بصدد الحديث عنه) ما حدد في آية البقرة الآنفة الذكر.

ملك مرفوض، ورب عاجز

هكذا يقدم النص التوراتي، (شاول) الذي مسح قريبًا ملكًا مصطفى، يندم ربه على تمليكه كما يصور ذلك النص الآتي:

"35 ولم يعد صموئيل لرؤية شاول إلى يوم موته؛ لأن صموئيل ناح على شاول، والرب ندم؛ لأنه ملك شاول على إسرائيل".

أولاً- مشكلات النص :

أ- من حيث الشكل:

• ألا يعتبر هذا مناقضًا لما جاء في نفس الإصحاح من توبة (شاول)، واستغفار صموئيل له؛ حيث جاء فيه: "24 فقال شاول لصموئيل: أخطأت لأني تعديت قول الرب وكلامك؛ لأني خفت من الشعب وسمعت لصوتهم 25 والآن فاغفر خطيتي، وارجع معي فاسجد للرب 26 فقال صموئيل لشاول: لا أرجع معك؛ لأنك رفضت كلام الرب، فرفضك الرب من أن تكون ملكًا على إسرائيل 27 ودار صموئيل ليمضي فامسك بذيل جبته، فانمزق 28 فقال له صموئيل: يمزق الرب مملكة إسرائيل عنك اليوم، ويعطيها لصاحبك الذي هو خير منك 29 وأيضًا نصيح إسرائيل لا يكذب، ولا يندم لأنه ليس إنسانًا ليندم 30 فقال: قد أخطأت، والآن فأكرمني أمام شيوخ شعبي وأمام إسرائيل، وارجع معي فاسجد للرب إلهك 31 فرجع صموئيل وراء شاول وسجد شاول للرب 32 وقال صموئيل: قدموا إلي أجاج ملك عماليق، فذهب إليه أجاج فرحًا، وقال أجاج: حقًّا قد زالت مرارة الموت 33 فقال صموئيل: كما أثكل سيفك النساء، كذلك تثكل أمك بين النساء، فقطع صموئيل أجاج أمام الرب في الجلجال * 34 وذهب صموئيل إلى الرامة، وأما شاول فصعد إلى بيته في جبعة شاول".

فأي النصين أصح؟ وأي الخبرين أصدق؟ وما جدوى الاستغفار إذا كان النص الثاني أصح؟

ب- مشاكل عقدية وتشريعية:

• أول مشكل يطالعنا هو وصف النص (الرب) بالندم، فأي رب هذا الذي لا يعرف عواقب الأمور، حتى يفعل ثم يندم؟

• وعلى افتراض أن النص الأخير هو الصحيح، (وأنه ناسخ للأول، مع أن النسخ في مثل هذا النوع لا يجوز شرعًا ولا عقلاً)، فلماذا يا ترى يرجع شاول ملكًا، وقد (ندم الرب) على تنصيبه ملكًا أصلاً؟ هل انضاف إلى ندم الرب عجزه عن الانتقام من شاول؟

• هل المغفرة عند الله، أم عند صموئيل؟ أم أن هناك إلهان يغفران الذنوب؟

• تتعارض تصرفات (شاول) وما قاله النص عنه مع مبدأ الاختيار والاصطفاء الوارد من قبل: "مسحك ملكًا على شعبه"؟

• كيف يظل هذا (العاصي) (المطرود) من قبل الله ملكًا على المؤمنين، ويأتيه النصر بعد كل هذا؟! إذا كان الرب قد عجز عن إزاحته عن الملك! فهل عجز أيضًا عن منع النصر عنه؟

ج- من حيث الفكرة :

فكرة النص غير متضحة بالقدر الكافي، فما معنى (نياحة) صموئيل على شاول؟ وبدل النياحة عليه لماذا لا يبدأ في التغيير وإزاحة هذا (الطاغية المارق) عن الشعب؟ وإذا كان صموئيل قد قضى "لإسرائيل كل أيام حياته 16 وكان يذهب من سنة إلى سنة، ويدور في بيت إيل والجلجال والمصفاة، ويقضي لإسرائيل في جميع هذه المواضع 17" ، فإذا كان هكذا فأين إيجابيته ودوره في مجتمعه؟ أم أنه عجز كما عجز (ربه) أمام فعل أي شيء لشاول؟

المقارنة

• يتناقض هذا كله مع ما جاء في القرآن من أن الملك الذي جاء النصر لبني إسرائيل علي يده هو (طالوت) ؛ حيث يقول الله تعالى – بعد ذكر طلبهم للملك كما مر معنا سابقًا -: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 247] .

ويدل لهذا أيضًا أن هذا الملك موصوف في العهد القديم بأنه: "كان أطول من كل الشعب" .

بداية الظهور الفعلي المستمر لداودعليه السلام

"20 فأخذ يسى حمارًا حاملاً خبزًا وزق خمر وجدي معزى، وأرسلها بيد داود ابنه إلى شاول" .

هذه أول الإشارات المهمة التي تأتينا عن داود – عليه السلام – ذلك الشاب الذي يحمل معه النصر، ذلك الفارس المقدام الذي على يده وبشجاعته – بعد مشيئة الله طبعًا – ستتحقق هزيمة العدو، يتوجه إلى هذا الملك الممقوت

من طرف الله؛ ليكون مغنيًا عنده في حين لعنته من طرف الله ليخف عنه المقت، وكأن داود يصارع قدر الله (الذي كان النص يصفه قبل قليل بالعجز عن فعل أي شيء أمام شاول)، ونحن نتساءل أمام هذا النص من ناحيتين

أ- عقدية تشريعية: فهل كان داود يشرب الخمر، ويتصدق بها على رجل اصطفاه الله وزاده الله بسطة في العلم؟ وعلى افتراض أن هذا أمر من والده، فهل تجوز للنبي طاعة أبيه في مثل هذا؟ وهل يتحول النبي إلى أعداء الله يروح عنهم حين يمقتهم الله؟

ب- واقعية : وعلى فرضية احتمال جواز التصدق بالخمر وشربها عندهم – مع بعده – فلماذا في هذه الفترة بالذات، (على شفا المعركة) والناس محتاجون للتركيز لا للسكر؟ وأيضًا هل يمكن من الناحية المنطقية أن نتصور أن نبي الله داود – عليه السلام – تربى في بيت أب شرير، شريب خمر، (وهي أم الخبائث)، ولا ينبه العهد القديم ولا القرآن على معاناته، ولا يذكران له موقفًا من هذه الفعال؟

غاية داود عليه السلام من القتال

"25 فقال رجال إسرائيل: أرأيتم هذا الرجل الصاعد ليعير إسرائيل، هو صاعد فيكون أن الرجل الذي يقتله يغنيه الملك غنًى جزيلاً، ويعطيه بنته ويجعل بيت أبيه حرًّا في إسرائيل 26 فكلم داود الرجال الواقفين معه قائلاً: ماذا يفعل للرجل الذي يقتل ذلك الفلسطيني، ويزيل العار عن إسرائيل؛ لأنه من هو هذا الفلسطيني الأغلف حتى يعير صفوف الله الحي 27 فكلمه الشعب بمثل هذا الكلام قائلين: كذا يفعل للرجل الذي يقتله" .

أولاً: مشاكل النص:

أ- من حيث الشكل :

- هل كان داود - وبيت أبيه - مسترقين حتى يجعل بيت أبيه حرًّا في إسرائيل؟

- وكيف يمكن أن يصف داود هذه الصفوف بأنها (صفوف الله)، مع أن فيها هذا الرجل (شاول) المطرود من رحمة الله المصاب بالروح الرديء ؟

ب- من حيث العقيدة والشريعة:

- هل كانت دوافع داود دوافع دنيوية محضة؟ وعلى افتراض ذلك - مع منافاته للواقع ولمبدأ عصمة الأنبياء - كيف يمكن الجمع بين هذا وبين ما يأتي من توكل داود وثقته فيما عند الله وفي نصر الله له؟

داود يقتل قائد جند العدو

"45 فقال داود للفلسطيني: "أنت تأتي إلي بسيف وبرمح وبترس، وأنا آتي إليك باسم رب الجنود، إله صفوف إسرائيل الذين عيرتهم 46 هذا اليوم يحبسك الرب في يدي فأقتلك وأقطع رأسك، وأعطي جثث جيش الفلسطينيين هذا اليوم لطيور السماء وحيوانات الأرض، فتعلم كل الأرض أنه يوجد إله لإسرائيل 47 وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلص الرب؛ لأن الحرب للرب وهو يدفعكم ليدنا .

أولاً: مشاكل النص :

أ- من حيث الشكل :

• يبدو أن في النص -كما في سابقه - إدراجًا، فهؤلاء مصرون على وصف أنفسهم (بصفوف الله)، فعلى ما يبدو أن داود قال فقط: "رب الجنود" ، فأصروا على أن يضيفوا إلى هذا القول إضافة تؤكد اعتقادهم بأن الرب رب خاص بهم.

ب - من حيث العقيدة:

• إن الواضح من خلال السياق أن قول داود: "رب الجنود" ، أراد به المغايرة والتقسيم مع قوله: "إله إسرائيل"؛ ليؤكد على أن الله - سبحانه - رب الجميع، ولكن الاحتكار والتحريف كان وراء صيرورة النص على هذا الشكل، وهو ما لا يمكن أن نعزوه لداود عليه السلام .

يظهر النص هنا داود عليه السلام متوكلاً على الله محتسبًا مجاهدًا -كما هو الحق - في حين أظهره من قبل باحثًا عن جزاءات الملك شاول ومكافآته، وقد تنفلت -كما رأينا من قبل- كلمة حق داخل السياق تدق على مقص الرقابة والتحريف.

ج - من حيث غاية القتال :

• لا بد أن ننبه إلى التركيب والتلفيق الذي يطول هذه النصوص، مع انفلات كلمات من الحق وبروزها بالرغم عنهم، فداود هنا يحدد أنه يستهدف (جيش الفلسطينيين)، أما الأطفال والنساء والحيوانات، فليست مستهدفة، فأين هذا من الأمر المزعوم أن الرب طالب فيه بقتل النساء والأطفال؟ أم أن داود لا يُنفذ أوامر الرب؟ !

• ثم شتان بين ما يصبوا إليه داود عليه السلام، وبين ما نسب لله من تحديد أهداف الحرب؛ فداود يريد أن: "تعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلص الرب؛ لأن الحرب للرب وهو يدفعكم ليدنا"؛ يعني أنها

حرب لا تستهدف القضاء على أحد، وإنما دفع الظلم عن المظلومين وبيان التوحيد – من خلال ذلك لمن شاء أن يؤمن – وأولئك يريدون الانتقام حتى من الدواب، والثأر لما وقع قديمًا .

المقارنة بالقرآن الكريم

• يؤيد القرآن ما أشار إليه النص على لسان داود في هدف القتال، وبروز التوكل على الله حين الصراع؛ حيث جاء في القرآن الكريم: ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: 249] ، وقولهم: ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: 250]، فالإيمان كان منذ أول لحظة هو المحرك الحقيقي والموجه الأول للحرب، وليس من قصد لقتل النساء والأطفال وإتلاف الأموال.

ما بعد المعركة

" 53 ثم رجع بنو إسرائيل من الاحتماء وراء الفلسطينيين ونهبوا محلتهم" .

أولاً: مشاكل النص :

أ- من حيث الشكل:

لماذا هم الآن (بنو إسرائيل) ومن قبل كانوا رجال الله أو رجال إسرائيل؟ لا أرى لهذا تفسيرًا إلا إذا كان كاتب التوراة يريد إضفاء القدسية على كل ما يقوم به هذا الشعب، ولو كان قتل النساء والحيوانات، وأنه لما تم النصر غفلوا عن الكلمة الأصل في النص (بنو إسرائيل)؛ لأن الهاجس التعبوي ضعف.

ب- من حيث العقيدة والتشريع: لو افترضنا أن الأمر بإتلاف أموال الفلسطينيين كان حقًّا فلماذا لم يتم؟ هل يمكن أن يكون المنتصرون - وفيهم أهل العلم والمعرفة والاصطفاء (شاول وداود) - رافضين لتنفيذ أوامر الله، مع أنهم قلة مصطفاة؛ (لأن الذين شربوا من النهر لم يحضروا المعركة والذين جبنوا لم يحضروها) .

ج- من حيث الفكرة: يعتبر هذا اعترافًا من هؤلاء بعدم امتثالهم لأوامر الله، وأنهم يخالفونها دائمًا، حتى ولو لم تكن أصلاً؛ إذ رغم كون هؤلاء - حسبما زعموا - نهوا عن نهب الأموال وأمروا بإتلافها، فإنهم يعترفون بالمخالفة.

المقارنة بالقرآن

يتحدث القرآن عن هذا الجزء من القصة -كما في قصصه الأخرى - في أسلوب القرآن الكريم المصدق المهيمن، رابطًا الآية بهدف القصة وبيان سنة التدافع، فيقول: ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: 251]، هذه هي الإشارة القرآنية للموضوع، أما باقي التفاصيل، فلم يهتم القرآن بها ولم يذكرها؛ لأن العبرة بالغاية من التدافع ومن سنة نصر المستضعفين حين يحوزون شروط النصر والتمكين.

الامتحان والسقوط فيه

* 24 وضنك رجال إسرائيل في ذلك اليوم؛ لأن شاول حلف الشعب قائلاً: ملعون الرجل الذي يأكل خبزًا إلى المساء حتى أنتقم من أعدائي، فلم يذق جميع الشعب خبزًا 25 وجاء كل الشعب إلى الوعر، وكان عسل على وجه الحقل 26 ولما دخل الشعب الوعر، إذا بالعسل يقطر ولم يمد أحد يده إلى فيه؛ لأن الشعب خاف من القسم" .

أولاً: مشاكل النص :

أ– من حيث الشكل:

• وأول مشكلة تُطالعنا هي أن شاول مع تصرُّفاته هذه لم يتملك بعد على الشعب، حيث سيرد ذكر تمليكه (مسحه ملكًا للشعب) في الإصحاح اللاحق.

• وبعد ذلك فإن شاول – استنادًا على النص– إنما نهى الشعب عن أكل الخبز حتى الليل، وأما العسل فلم يرد النهي عنه.

• وأيضًا ما جاء في النص من أنه: "لم يمد أحد يده إلى فيه" مناقض لما سيأتي قريبًا من أن الشعب أكل الذبائح وغنائم العدو فإن كانت الغنائم داخلة في النهي (القسم)، فهذا تناقض؛ إذ الشعب مد يده بالفعل إلى فيه، وإن كانت خارجة عن النهي (القسم)، فلماذا يعتبرهم شاول مخطئين، ويحمل يوناثان ابنه الخطأ باعتباره قائدهم إلى الأكل ومشجعهم عليه؟

ب– من حيث الفكرة: لا تتضح معالم الفكرة هنا بشكل كبير، ولا يعرف بالضبط ما المنهي عنه، هل هو مجرد أكل الخبز، أم كل أكل؟ وما علاقة هذا بالضنك الذي أصاب الناس ما داموا لا يلتزمون الأمر؟

المقارنة بالقرآن الكريم

وأول ملاحظة هنا هي :

• أن هؤلاء فصلوا بين هذه المعركة وسابقتها، وعبروا عن هذه المعركة بقولهم: "وفي ذات يوم"، بينما القرآن الكريم اعتبر القصة واحدة، واعتبر الامتحان من الله وليس قسمًا من أي كان، واعتبر أيضًا المبتلى به هو (النهر) وليس الخبز؛ قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ [البقرة: 249] .

فالقصة إذًا كما في القرآن الكريم قصة واحدة، والملك واحد هو طالوت؛ لأنه هو الذي جاء على يده النصر، وهو الذي كان في جيشه داود عليه السلام ، وهو الذي قاتل جالوت، وهو الذي ابتلى الله جيشه بنهر، وأما ما سوى ذلك من القصة، فلم نجد شيئًا نفرقها به عن هذه، بأن نجعلهما قصتين منفصلتين.

داود عليه السلام في مرحلة المطاردة

ما أن ينتصر داود على خصمه الفلسطيني جالوت، وينهزم – بسبب ذلك – جيش العدو، ، حتى يبدأ فصل جديد من فصول الغدر يحاك ضد داود عليه السلام منشؤه – حسب العهد القديم – خوف الملك شاول من داود وانتصاراته المتكررة، وحب الشعب لداود تبعًا لتلك الانتصارات، فيبدأ الملك يحسده، بل ويحاول اغتياله؛ لتبدأ بذلك حياة جديدة تمتاز بالتشرد والهرب.

خصص العهد القديم لهذه المرحلة مساحة كبيرة تمتد من الإصحاح الثامن عشر حتى الإصحاح الحادي والثلاثين (نهاية السفر) .

وهي قصص كثيرة ومتداخلة ومليئة بالمتناقضات، ولكن سنحاول أن نقتصر على ما له علاقة بداود – عليه السلام – خاصةً في القضايا الكبرى التي يترتب عليها شيء في تصور الموقف من الأنبياء.

الظلم والمواقف المتذبذبة

"وكان رجل في معون وأملاكه في الكرمل، وكان الرجل عظيمًا جدًّا، وله ثلاثة آلاف من الغنم وألف من المعز، وكان يجز غنمه في الكرمل 3 واسم الرجل نابال واسم امرأته أبيجايل، وكانت المرأة جيدة الفهم وجميلة الصورة، وأما الرجل فكان قاسيًا ورديء الأعمال وهو كالبي 4 فسمع داود في البرية أن نابال يجز غنمه 5 فأرسل داود عشرة غلمان، وقال داود للغلمان: اصعدوا إلى الكرمل، وادخلوا إلى نابال، واسألوا باسمي عن سلامته 6 وقولوا: هكذا حييت، وأنت سالم، وبيتك سالم، وكل ما لك سالم 7 والآن قد سمعت أن عندك جزازين حين كان رعاتك معنا لم نؤذهم، ولم يُفقد لهم شيء كل الأيام التي كانوا فيها في الكرمل 8 اسأل غلمانك، فيخبروك، فليجد الغلمان نعمة في عينيك؛ لأننا قد جئنا في يوم طيب، فأعط ما وجدته يدك لعبيدك ولابنك داود 9 فجاء الغلمان وكلموا نابال حسب كل هذا الكلام باسم داود وكفوا 10 فأجاب نابال عبيد داود، وقال: من هو داود؟ ومن هو ابن يسى؟ قد كثر اليوم العبيد الذين يقحصون كل واحد من أمام سيده 11 آخذ خبزي ومائي وذبيحي الذي ذبحت لجاري، وأعطيه لقوم لا أعلم من أين هم؟ 12 فتحول غلمان داود إلى طريقهم ورجعوا وجاؤوا وأخبروه حسب كل هذا الكلام فقال داود لرجاله: "ليتقلد كل واحد منكم سيفه، فتقلد كل واحد سيفه، وتقلَّد داود أيضًا سيفه وصعد وراء داود نحو أربعمائة رجل، ومكث مائتان مع الأمتعة 14 فأخبر أبيجايل امرأة نابال – غلام من الغلمان – قائلاً: هو ذا داود أرسل رسلاً من البرية؛ ليباركوا سيدنا، فثار عليهم 15 والرجال محسنون إلينا جدًّا، فلم نؤذ ولا فُقِد منا شيء كل أيام تردُّدنا معهم ونحن في الحقل 16 كانوا سورًا لنا ليلاً ونهارًا كل الأيام التي

كنا فيها معهم نرعى الغنم 17 والآن اعلمي وانظري ماذا تعملين؛ لأن الشر قد أعد على سيدنا وعلى بيته وهو ابن لئيم لا يمكن الكلام معه 18 فبادرت أبيجايل، وأخذت مائتي رغيف خبز، وزقي خمر، وخمسة خرفان مهيأة، وخمس كيلات من الفريك، ومائتي عنقود من الزبيب، ومائتي قرص من التين ووضعتها على الحمير 19 وقالت لغلمانها: اعبروا قدامي ها أنذا جائية وراءكم ولم تخبر رجلها نابال 20 وفيما هي راكبة على الحمار ونازلة في سترة الجبل، إذا بداود ورجاله منحدرون لاستقبالها، فصادفتهم 21 وقال داود: إنما باطلاً حفظت كل ما لهذا في البرية، فلم يفقد من كل ما له شيء، فكافئني شرًّا بدل خير 22 هكذا يصنع الله لأعداء داود، وهكذا يزيد إن أبقيت من كل ما له إلى ضوء الصباح بائلاً بحائط 23 ولما رأت أبيجايل داود، أسرعت ونزلت عن الحمار وسقطت أمام داود على وجهها، وسجدت إلى الأرض 24 وسقطت على رجليه، وقالت: "علي أنا يا سيدي هذا الذنب، ودع أمتك تتكلم في أذنيك، واسمع كلام أمتك 25" .

أولاً : من حيث النص :

تلاحظ على هذا النص ملاحظات لعل أهمها:

• الاضطراب في كلام الغلام؛ حيث يصف (سيده) بأنه: "ابن لئيم لا يمكن الكلام معه"، فهل يمكن لمن يصف إنسانًا بأنه سيده بأن يقول فيه مثل هذا الكلام، ويقوله أيضًا لزوجته، – في أي ظرف؟

• متى قال داود كلامه؟ هل قبل مجيء المرأة إليه أم بعده؟ فالنص يقول: إنها (صادفتهم)، ثم يورد كلام داود، ثم يقول: إنها (لما رأت داود، أسرعت)، فأي الاثنين كان أولاً المصادفة أم الرؤية؟ !

- هل يحتاج هذا اللئيم إلى تجييش الجيوش (أربع مائة جندي)، في حين يرد كل هذه الجيوش اعتذار امرأة؟

- كيف نجمع بين الأسلوب الأول المليء بالتواضع (عبدك داود)، والأسلوب الثاني المليء بالتهديد والوعيد ؟

ثانيًا: من حيث العقيدة والشريعة:

وهنا تكثر الملاحظات، ولعلنا نقتصر منها على ما يلي :

- هل كان داود عليه السلام يمن على الناس؟ هل يمكن تصور نبي يمن على الناس أنه لم يتعرض لأموالهم بسوء ؟

- وهل كان الأنبياء مزاجيين بهذا الحجم؟ (سرعة الغضب والرضا)، وهل كانوا يغضبون لأنفسهم، فيسترضون بالسجدات وزقاق الخمر؟

- وهل فعل هذا (اللئيم) زوج أبيجايل أكثر من أن رد السائل؟ هل هذا عمل يستحق عليه صاحبه ألا يبقى من ماله بائل بحائط؟ أليس هذا ظلمًا محرمًا ؟

- هل داود ما زال يشرب الخمر وتُهدى له؟

- وأشد من ذلك وأعظم: هل يقبل داود أن يسجد له على الأرض؟ ولماذا استعمال كل المترادفات من أجل تأكيد معنى هذا السجود؟ "وسقطت أمام داود على وجهها، وسجدت على الأرض" .

زواجان يلفهما الغموض

"وبعد نحو عشرة أيام ضرب الرب نابال فمات 39 فلما سمع داود عليه السلام أن نابال قد مات، قال مبارك الرب الذي انتقم نقمة تعييري من يد نابال، وأمسك عبده عن الشر ورد الرب شر نابال على رأسه، وأرسل داود، وتكلم مع أبيجايل؛ ليتخذها له امرأة 40 فجاء عبيد داود إلى أبيجايل إلى الكرمل وكلموها قائلين: إن داود قد أرسلنا إليك؛ لكي نتخذك له امرأة 41 فقامت وسجدت على وجهها إلى الأرض، وقالت: هو ذا أمتك جارية لغسل أرجل عبيد سيدي 42 ثم بادرت وقامت أبيجايل وركبت الحمار مع خمس فتيات لها ذاهبات وراءها، وسارت وراء رسل داود، وصارت له امرأة 43 ثم أخذ داود أخينوعم من يزرعيل، فكانتا له كلتاهما امرأتين 44 فأعطى شاول ميكال ابنته امرأة داود لفلطي بن لايش الذي من جليم" .

أولاً: مشكلات النص :

- يبدو أن غضب داود رغم العطاء السخي؛ (حيث أعطته المرأة أكثر مما كان يطلبه من زوجها)، لم يسكن، فها هو يتشفى في هذا الميت بعد ما كان قد عفا عنه.

- هل تكلم داود مع المرأة ليخطبها أم الذين تكلموا معها هم رسله؟

- وهل يتخذ داود المرأة زوجة له؟ أم أن رسله هم الذين يتخذونها له كذلك؟

- وهل أرسل داود إلى المرأة أم جاءها بنفسه؟ (النص يقول: إنهم لكما كلموها، قالت: "هو ذا أمتك" وبغض النظر عن إطلاق (هو) على المؤنث المتكلم)، يبقى السؤال عن المخاطب سؤالاً محوريًا !

• وفي نفس النص نجد داود يحمد الله أن عصمه من المساس بالرجل، وهو ما يعتبر أقرب إلى الحقيقة وإلى طبيعة الناس الكرماء، فكيف بالأنبياء !

ثانيًا: الناحية العقدية والتشريعية :

وفي هذا النص نثير نفس الأسئلة العقدية والتشريعية التي أثرنا في سابقه تقريبًا؛ حيث نقمة داود على ما يبدو لم تنته رغم أنه عفا وتراجع:

• فيستولي على زوجة الرجل، ورغم مشورته لها (أو مشورة رسله لا ندري!)، فإننا لم نسمع عن عقد ولا عن صداق.

• تسجد المرأة مرة أخرى، حين تأتيها الخطبة، ويصر النص على أن يكون سجودها على الأرض؛ إمعانًا في تأكيد المعنى.

• ثم يأتي السياق بشكل فج؛ ليؤكد على أخذ داود لامرأة أخرى دون ذكر لخطبة، ولا أي شيء مشابه، بل إن المرأة المذكورة حين بحثنا عنها، وجدنا اسمها ذكر في الإصحاح 14 من سفر صموئيل الأول، على أنها امرأة شاول ما يعني أن السياق أراد أن يؤكد لنا إذا شككنا في طريقة أخذ أبيجايل، أن هذا أمر طبيعي ومعروف، فداود يعتدي على زوجة شاول ويضمها إليه! تمامًا كما يعطي شاول زوجة داود "لفلطي بن لايش" إنها فوضى يمجها العقل والذوق والفكر والأخلاق، لا تليق بالحمقى، فكيف بالملوك والأنبياء ؟

ويا ترى لماذا أخذ زوجة غيره؟ وبأي وجه أخذها ؟

داود الملك

أول نص نقف معه وأول موقف لافت يطالعنا، هو هذه العملية البشعة التي يرويها العهد القديم عن نبي الله داود، والتي خُصّص لتفاصيلها الإصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني، وتتلخص هذه العملية في النقاط التالية :

نظرة، فزنا:

- "2وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره، وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأةً تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جدًّا 3 فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقال واحد: "أليست هذه بثشبع بنت إليعام امرأة أوريا الحثي 4 فأرسل داود رسلاً وأخذها، فدخلت إليه، فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها 5 وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود وقالت: إني حبلى.

- فرغم بشاعة هذا القدر من الجريمة من شخص كبير (ملك)، أحرى أن يكون نبيًّا، فإن الوضع لم يتوقف عند هذا الحد: (النظر إلى الأجنبية واغتصابها استعانة بالخدم والأعوان)، وإنما كانت محاولات التستر على الجريمة أشنع؛ حيث .

تكتم على الجريمة

- "أرسل داود إلى يوآب يقول: أرسل إلي أوريا الحثي، فأرسل يوآب أوريا إلى داود 7 فأتى أوريا إليه، فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب 8 وقال داود لأوريا: انزل إلى بيتك واغسل رجليك، فخرج أوريا من بيت الملك، وخرجت وراءه حصة من عند الملك 9 ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته 10 فأخبروا داود قائلين: لم ينزل أوريا إلى بيته، فقال داود لأوريا: أما جئت من السفر، فلماذا لم تنزل إلى بيتك 11 فقال أوريا لداود: إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يوآب وعبيد سيدي

نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب، وأضطجع مع امرأتي، وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر 12 فقال داود لأوريا: أقم هنا اليوم أيضًا وغدًا أُطلقك، فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده 13 ودعاه داود، فأكل أمامه وشرب وأسكره، وخرج عند المساء؛ ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده وإلى بيته لم ينزل.

فعملية استدعاء المقاتل المسكين من طرف الملك، يصورها السياق على أنها داخلة في سياق الجريمة من أجل التغطية عليها، يظهر ذلك جليًا من خلال الإصرار على نزول الرجل إلى بيته، ولما لم يفعل طواعية، أسقي الخمر؛ لكي يفعل وهو مخمور، وهي جريمة أخرى، فلما لم تجد، ازداد الطين بلة، فكان الحل هو أن :

دماء تراق من أجل الجريمة

- "كتب داود مكتوبًا إلى يوآب وأرسله بيد أوريا 15 وكتب في المكتوب، يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه، فيُضرب ويموت 16 وكان في محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه 17 فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب، فسقط بعض الشعب من عبيد داود، ومات أوريا الحثي أيضًا".

تم التخلص من الرجل في جريمة مركبة ليس نتيجتها فقط أن راح هو ضحيتها، بل راح ضحيتها ناس كثيرون من ناحية، وكانت سجلاً في هزائم الدولة من ناحية أخرى، وكل هذه الجرائم والخيانات من أجل التستر على جريمة مبدؤها نظرة عابرة.

وما كانت هذه البشاعات لتقف هنا، بل المرأة التي سببت كل هذا السيل من المصائب والكبائر والموبقات: (الزنا، شرب الخمر، قتل أنفس مؤمنة، إطماع العدو في الأمة)، ستُضم إلى سجل الزوجات، ولكنها هذه المرة تعطى لها الفرصة – عكس المرأتين السابقتين – لتعتد من زوجها:

إنها درجة من الانحطاط لم يتوصل إليها الخيال، تلفق بها التُّهم، وتكال لنبي من أنبياء الله، وأكثر من ذلك تجعل في كتاب منسوب إلى الله، حاش لله فإنهم: ﴿ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: 79].

إنها قصة تكفي بنفسها عن التعليق عليها، يكفي الإنسان العاقل السليم الفطرة من الحكم عليها سماعها، ففصولها ناطقة بأنها من خيال كذاب، مريض الضمير، فاقد الإحساس بالجمال والحياة والقيم.

هذا بغض النظر عن معارضتها للشرع، واستحالتها لو قيلت عن شخص مستقيم، أحرى أن تقال عن صفوة الله من خلقه، ورسوله إلى عبيده، داود عليه السلام الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ: 10 – 11]، وقال فيه وفي ابنه سليمان: ﴿ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: 79].

وقال فيه في آية أخرى: ﴿ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ [البقرة: 251]، فالله تعالى أنعم على داود، وأغناه من الناحية المادية بالحلال عن الحرام، فكيف يرغب فيما لا يتصور أن يفعله أحد أفراد الناس العاديين!

قصة المحاكمة

"1فأرسل الرب ناثان إلى داود، فجاء إليه وقال له: كان رجلان في مدينة واحدة واحد منهما غني والآخر فقير 2 وكان للغني غنم وبقر كثيرة جدًّا 3 وأما الفقير، فلم يكن له شيء إلا نعجة واحدة صغيرة، قد اقتناها ورباها، وكبرت معه ومع بنيه جميعًا تأكل من لقمته، وتشرب من كأسه، وتنام في حضنه، وكانت له كابنة 4 فجاء ضيف إلى الرجل الغني، فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره؛ ليهيئ للضيف الذي جاء إليه، فأخذ نعجة الرجل الفقير، وهيأ للرجل الذي جاء إليه 5 فحمي غضب داود عليه السلام على الرجل جدًّا، وقال لناثان حي هو الرب إنه يقتل الرجل الفاعل ذلك 6 ويرد النعجة أربعة أضعاف؛ لأنه فعل هذا الأمر ولأنه لم يشفق 7 فقال ناثان لداود: أنت هو الرجل، هكذا قال الرب إله إسرائيل أنا مسحتك ملكًا على إسرائيل وأنقذتك من يد شاول 8 وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حضنك، وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا، وإن كان ذلك قليلاً، كنت أزيد لك كذا وكذا 9 لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه؟

قد قتلت أوريا الحثي بالسيف، وأخذت امرأته لك امرأة، وإياه قتلت بسيف بني عمون 10 والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد؛ لأنك احتقرتني، وأخذت امرأة أوريا الحثي لتكون لك امرأة 11 هكذا قال الرب: ها أنذا أقيم عليك الشر من بيتك، وآخذ نساءك أمام عينيك، وأعطيهن لقريبك، فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس 12؛ لأنك أنت فعلت بالسر، وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس".

أولاً: ملاحظات على النص :

- وتتمثل في بعض الغموض؛ حيث لا نعرف من هو ناثان هذا؟ وإن كان الإصحاح السابع من سفر صموئيل الثاني قد وصفه بالنبي، وهذا ما يثير إشكالية أخرى هي هل كان داود نبيًّا أم مجرد ملك؟ وكل النصوص التي وقفنا عليها في التوراة تجعل داود ملكًا، ولا تنسبه للنبوة، وهو ما يتفق مع تقاليدهم من أن يكون فيهم نبي وملك.

• ثم من القائل "مسحتك ملكًا على إسرائيل"؟ هل هذا كلام الله أم كلام يوناثان؟ فإن كان المقصود أن يوناثان هو فاعل المسح، فهو مناقض لما جاء في سفر صموئيل الأول الإصحاح السادس عشر، من أن صموئيل هو الذي مسح داود ملكًا على الشعب، وإن كان من كلام الله تعالى، فإن في تمامه "أعطيتك بيت سيدك"، فمن ذا الذي يصفه الله تعالى بأنه سيد داود؟، لا يمكن أن يكون شاول؛ لأنه ممقوت من طرف الله، ولأن داود أيضًا لم يخضع له، وأيضًا فإن عادة العهد القديم إذا ذكر (بيت السيد) أن يكون المقصود به بيت عبادة الله.

• وعلى تجاوز هذا وافتراض أنه كلام الله وأنه معقول المعنى، فلماذا نجد الضمير مردودًا على غائب في قوله: "لماذا احتقرت كلام الرب؛ لتعمل الشر في عينيه"، أليس الأصل أن يقول: "كلامي لتعمل الشر في عيني" – مع تحفظنا على نص الكلام الذي قد نعزوه للترجمة.

• وأيضًا إذا كان هذا كلام الله وقد جاء فيه: "هكذا قال الرب: ها أنذا أقيم عليك الشر من بيتك، وآخذ نساءك أمام عينيك، وأعطيهن لقريبك، فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس 12؛ لأنك أنت فعلت بالسر، وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس"، فهل الله تعالى سيسلط عليه من يبطش به أم سيتولى البطش بنفسه كما في الفقرة الأخيرة "أنا أفعل هذا الأمر"؟

• وكيف نوفق بين قوله: "فعلت بالسر"، وما سبق ذكره من سؤال داود عن المرأة وإخباره بشأنها من طرف مجهول، وإرساله الرسل إليها، وإرسالها هي إليه تُخبره بحبلها؟

عمومًا هذه أهم الأفكار التي أردت الإشارة إليها هنا .

مقارنة بالقرآن الكريم

أما على مستوى المقارنة، فإن الإشارة إلى هذه القصة وردت في القرآن ولكن بشكل مغاير، مغاير من حيث:

• الأفراد: فأفراد القصة في القرآن اثنان؛ ﴿ خَصْمَانِ ﴾ [ص: 22]، أما هنا فشخص واحد .

• ومن حيث نوعهم، فهما في القرآن جاءا بشكل فجائي: ﴿ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ [ص: 21]، (إما لأنهم ملائكة، أو أنهم دخلوا بطريق غريب) ما أفزع داود – عليه السلام – أما هنا، فالشخص معروف بالنسبة لداود، وبالتالي فلا مفاجأة في دخوله عليه.

• إن الخصمين جاءا معًا، والدعوى كانت في أخذ من يملك تسعًا وتسعين نعجة لنعجة عند من لا يملك غيرها .

وتتفق رواية التوراة والقرآن في أن داود عليه السلام حين سمع السرد للأحداث – من طرفٍ واحد – حكم بناءً على ما سمع: (ربما لأنه ظن أن الطرف الآخر موافق على ما قيل بسكوته) .

• وهنا مكمن النقطة الفارقة، وهي أن العبرة في القصة ترجع إلى كون داود – عليه السلام – حكم قبل أن يسمع من الطرف الآخر، بناءً على ما سمع من الطرف الأول، وعلى ظنه أن سكوت الطرف الثاني إمضاء لدعوى الأول، وهذا واضح من التعقيب القرآني على القصة؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص: 21 – 26] ، أما القصة الأخرى (قصة المرأة والزنا والخمر والقتل)، فلا أصل لها، والتعقيب القرآني ﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ [ص: 26]، يؤكد المقصود، وأن وجه العتاب هو كون داود – عليه السلام – تعجل في القضاء .

التوبة بعد المحاكمة

– "فقال داود لناثان: قد أخطأت إلى الرب، فقال ناثان لداود: الرب أيضا قد نقل عنك خطيئتك لا تموت 14 غير أنه من أجل أنك قد جعلت بهذا الأمر أعداء الرب يشمتون، فالابن المولود لك يموت"

فكرة النص:

يعالج النص توبة داود من الخطأ الذي ارتكبه – كما بيّنه العهد القديم – ولكن هذه التوبة تتميز ب :

• إن من يقبلها هو ناثان، ما يعني تأكيد الوسائط بين الناس وبين الله، أو استعارة ناثان لبعض قدرات الله حتى ينفذ بها ما يريد !

• إن العقاب الذي كان موجهًا لداود (على خطئه) هو الموت، وأنه سينقل عنه إلى ابنه الناتج – حسب النص – عن ذاك الزنا السابق الذكر (أو الجريمة المركبة على الأصح) .

• إن عظمة الخطأ ليست في ذاته، وإنما في أنه صير (أعداء الرب يشمتون)، وهو متناقض مع ما تقدم في الفقرة السابقة من أن داود أخفى الأمر؛ "لأنك أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس".

توبة داود في القرآن، أما رؤية القرآن، فمغايرة تمامًا :

• فعندما اكتشف داود خطأه (الذي لا يصل إلى عشر ما اتهمته به التوراة)، بادر بالاستغفار والتوبة، فغفر الله تعالى وليس في الأمر واسطة بين داود وبين الله، وإنما هو استغفار لله مباشرة، وإخبار مباشر من الله لداود بالعفو والمغفرة؛ قال تعالى: ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص: 24]، وسجود داود هذا واستغفاره أشارت إليه التوراة، ولكنها أخَّرته إلى ما بعد وفاة الطفل؛ حيث جاء فيها: "20 فقام داود عن الأرض واغتسل، وادَّهن وبدل ثيابه، ودخل بيت الرب وسجد"، وشتان ما بين النصين، فالقرآن يؤكد على مسارعة داود للاستغفار والسجود: ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص: 24] ، بينما التوراة تقدم قبل هذه التوبة بمقدمات خالية من روح التضرع إلى الله، وتكتفي من ذكر الاستغفار بوعد من ناثان!

• وأيضًا فالجزاء الذي كان ينتظر داود لو لم يتب ليس الموت، وإنما تشير إليه الآية المعقبة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص: 26] ، فالعقاب شديد، وليس من عقاب الدنيا فقط!

• وليس سبب عقاب الله – أو تهديده بالعقاب – شماتة أحد، بل نسيان يوم الحساب "عمليًا، بمعنى الإصرار على الذنب"، والضلال عن سبيل الله هو سبب العذاب المنتظر لمن لم يتب.

- "فقال له عبيده ما هذا الأمر الذي فعلت، لما كان الولد حيًّا صمت وبكيت، ولما مات الولد قمت وأكلت خبزًا 22 فقال: لما كان الولد حيًّا صمت وبكيت؛ لأني قلت من يعلم ربما يرحمني الرب ويحيا الولد 23 والآن قد مات، فلماذا أصوم؟ هل أقدر أن أردَّه بعدُ ؟ أنا ذاهب إليه، وأما هو، فلا يرجع إلي" .

أفكار النص: تتلخص الأفكار التي نريد إبرازها هنا في اثنتين :

أولاهما: إظهار النص "ابراكماتية" داود؛ واستغلاله للدين من أجل مصالحه الدنيوية المحضة؛ فهو يعبد الله ما دام راجيًا حياة ابنه، أما وقد مات، فلماذا يتعب نفسه بالعبادة؟

وهي فكرة مناقضة تمامًا لما عهد عن الأنبياء – عليه الصلاة والسلام – وخاصةً عن نبي الله داود فقد كان صيامه أحب الصيام إلى الله؛ لأنه ((كان يصوم يومًا، ويفطر يومًا" وأما تسبيحه بحمد الله، فقد كانت تشاركه فيه الطير والجبال: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ [سبأ: 10]، وقد ذكره الله تعالى ضمن مجموعة قال في نهاية الحديث عنهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: 90].

الفكرة الثانية: هي إيمان داود بالقدر؛ حيث قال: "أنا ذاهب إليه، أما هو، فلا يرجع إلي"، وهي تؤكد على رضا داود بالقضاء وإيمانه بالقدر، وخاصةً حتمية الموت، ولكنها في الوقت نفسه منافية لما جاء في نفس الإصحاح من أن الموت الذي كان يتهدد داود عقابًا على خطئه، سيتحول عنه إلى ابنه؛ إذ داود ما زال مقتنعًا بأنه سيموت، وإن لم تكن منافية لما سبق بالكلية، فهي على الأقل توحي بعدم اكتراث داود بما قال له (ناثان) .

مميزات النصوص المتعلقة بداود عليه السلام في القرآن والتوراة:

أ- في التوراة: يمتاز أسلوب التوراة بالتطويل الممل والسرد المتتابع للأحداث، رغم بترها في بعض الأحيان، كما يمتاز باعتنائه بالتفاصيل الدقيقة، والساذجة في بعض الأحيان، كعدد أولاده، ووصف تحرّكاته ومسكنه.

وسأحاول أن ألخص أهم الملاحظات عليها فيما يلي :

أولاً: على مستوى المضمون:

وسنأخذ إضافة لما ذكرنا سابقًا مثالاً توضيحيًّا، وهو:

1- القتل بدون مبرر: فقد وصفوا داود بأنه ملك جبار خرافي، يقتل الناس الأبرياء؛ ليستجلب بذلك السحاب، وكأنها قرابين للآلهة كما عند الوثنيين؛ يقول العهد القديم:

"1وكان جوع في أيام داود ثلاث سنين سنة بعد سنة، فطلب داود وجه الرب، فقال الرب هو لأجل شاول، ولأجل بيت الدماء؛ لأنه قتل الجبعونيين 2 فدعا الملك الجبعونيين، وقال: لهم والجبعونيون ليسوا من بني إسرائيل بل من بقايا الأموريين، وقد حلف لهم بنو إسرائيل، وطلب شاول أن يقتلهم لأجل غيرته على بني إسرائيل ويهوذا 3 قال داود للجبعونيين: ماذا أفعل لكم؟ وبماذا أكفر، فتباركوا نصيب الرب؟ 4 فقال له الجبعونيون: ليس لنا فضة ولا ذهب عند شاول ولا عند بيته، وليس لنا أن نميت أحدًا في إسرائيل، فقال: مهما قلتم أفعله لكم 5 فقالوا للملك الرجل الذي أفنانا والذي تآمر علينا ليبيدنا؛ لكيلا نقيم في كل تخوم إسرائيل 6 فلنعط سبعة رجال من بنيه، فنصلبهم للرب في جبعة شاول مختار الرب، فقال الملك: أنا أعطي 7 وأشفق الملك على مفيبوشث بن يوناثان بن

شاول؛ من أجل يمين الرب التي بينهما: بين داود، ويوناثان بن شاول 8 فأخذ الملك ابني رصفة ابنة أية، اللذين ولدتهما لشاول أرموني ومفيبوشث، وبني ميكال ابنة شاول الخمسة الذين ولدتهم لعدرئيل ابن برزلاي المحولي 9 وسلمهم إلى يد الجبعونيين، فصلبوهم على الجبل أمام الرب، فسقط السبعة معًا، وقتلوا في أيام الحصاد في أولها في ابتداء حصاد الشعير".

ونحن هنا نكتفي بالتساؤل: أين ذهبت أرواح هؤلاء؟ وما ذنبهم سوى أنهم أبناء ملك سابق؟ وإذا كان من العدل أن يقتلوا، فلماذا الاختيار والانتقاء بينهم؟ وعلى أي أساس يتم هذا الاختيار؟ أين العدالة؟ وهل للرب (نصيب) حتى يحتاج إلى الدماء تراق؟ وهل الرب متحيز حتى لا يكون أمامه إلا ما كان على الجبل؟

أسئلة في العقيدة والشريعة يطرحها هذا النص، وليس وحده، بل هناك نصوص أخرى كثيرة فيها (زنى ابن داود بأخته، وقتل أحد أبناء داود أخاه)، وكل هذه الجرائم لم نسمع معها لداود نكيرًا يتماشى وحجم الجريمة!

1- العبثية: أيضًا هو إنسان -كما يفهم من النص التالي- عابث غير جاد لا يهتم برعيته، ولا بمآسيهم والمخاطر التي يتعرضون؛ لها يقول النص:

" 14 وكان داود حينئذ في الحصن وحفظه الفلسطينيين حينئذ في بيت لحم 15 فتأوه داود، وقال من يسقيني ماء من بئر بيت لحم التي عند الباب 16 فشق الأبطال الثلاثة محلة الفلسطينيين، واستقوا ماء من بئر بيت لحم التي عند الباب وحملوه، وأتوا به إلى داود، فلم يشأ أن يشربه بل سكبه للرب 17 وقال: حاشا لي يا رب أن أفعل ذلك، هذا دم الرجال الذين خاطروا بأنفسهم فلم يشأ أن يشربه هذا ما فعله الثلاثة الأبطال".

فلماذا يعرض داود الأبطال الثلاثة للخطر، ثم لا ينتفع بما أتوا به؟

ثانيًا: على مستوى العقيدة:

• التجسيم الواضح لله – تعالى – كما ورد في قوله :

1- "في ضيقي دعوت الرب، وإلى إلهي صرخت، فسمع من هيكله صوتي وصراخي دخل أذنيه 8 فارتجت الأرض، وارتعشت أسس السموات، ارتعدت وارتجت؛ لأنه غضب 9 صعد دخان من أنفه ونار من فمه، أكلت جمرًا اشتعلت منه 10 طأطأ السموات ونزل، وضباب تحت رجليه 11 ركب على كروب وطار، ورُئِي على أجنحة الريح 12 جعل الظلمة حوله مظلات مياها حاشكة وظلام الغمام 13 من الشعاع قدامه، اشتعلت جمر نار 14 أرعد الرب من السموات والعلي أعطى صوته 15 أرسل سهامًا، فشتَّتهم برقًا، فأزعجهم 16 فظهرت أعماق البحر، وانكشفت أُسس المسكونة من زجر الرب من نسمة ريح أنفه".

مميزات هذا النص:

من أهم ميزة في النص هي تجسيم الله – تعالى – حيث ظهر هذا التجسيم فيما يلي:

• نسبة الأنف له – سبحانه.

• إن الدخان والريح يخرجان من أنفه.

• نسبة الفم له، وأن النار تخرج منه.

• نسبة الأذنين له، وأن السماع عن طريقهما .

• نسبة الرجلين له وأن لهما مقرًّا .

- نسبة القدام له ما يعني أن له وراء أيضًا .

- تحيزه، حيث كان في هيكله.

- التحرك والطيران والنزول.

2- " 16 وبسط الملاك يده على أورشليم؛ ليهلكها، فندم الرب عن الشر، وقال للملاك المهلك الشعب: كفى الآن، رد يدك، وكان ملاك الرب عند بيدر أرونة اليبوسي 17 فكلم داود الرب عندما رأى الملاك الضارب الشعب، وقال: ها أنا أخطأت، وأنا أذنبت، وأما هؤلاء الخراف، فماذا فعلوا ؟ فلتكن يدك علي وعلى بيت أبي" .

فكيف ينسب لله الندم؟ وكيف يختلط عليه المذنب بغيره؟ وهل ملائكة الله يقومون بالأعمال بأنفسهم حتى يحتاج إلى تنبيه الله على ما يعملون؟

وأخيرًا كان الأسلوب ركيكًا فيه كثير من الكلمات المغلقة الحوشية التي لم نجد لها شرحًا في مرفق المفردات، كما كان مليئًا بالتناقض، نبه العرض على بعض من ذلك في مواضعه، وأهمل كثيرًا، لم يتعرض له بسبب طول القصة وتشعُّبها، وغياب الوحدة الموضوعية والغاية من القصة فيها؛ لأنها تهدف إلى تدوين الأحداث بشكل استقصائي، وهو ما عجزت عنه، فعمِلت على الانتقاء بدون مبرر .

كما أهمل العرض أيضًا التركيز على الوعد والأرض المقدسة والشعب المختار؛ نظرًا لكونها معاني من الشيوع والكثرة في الكتاب المقدس كله – تستوي في ذلك هذه القصة وغيرها – بحيث يصعب تتبُّعها، وإنما تكفي الإشارة إليها .

هذا باختصار أهم ما لاحظنا على النص التوراتي، ويتضح أكثر بإضافة الملاحظات العابرة التي أشرنا إليها في أثناء المقارنات السابقة.

أ- في القرآن الكريم:

أما القرآن الكريم، فيتميز بما يلي:

أولاً: على مستوى المضمون:

1- ينزه القرآن ذات الله – سبحانه وتعالى – عن مشابهة خلقه؛ قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11]، فليس لله شبيه ولا مثيل، وهو مخالف لكل مخلوقاته؛ فلا يجوز أن يوصف بأن له جوارح كجوارح المخلوقين، أحرى أن تطرأ عليها الأعراض.

2- كما ينزه بنيه داود – عليه السلام – عن جميع النقائص –كما سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام – دون أن يصل بهم مرتبة الإلوهية، وأن يعطيهم الحق في غفران الذنوب، أو أن يسجد لهم من دون الله.

• قال تعالى في شأن عبده داود: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ [ص: 17 – 20].

• وقال تعالى في شأن المغفرة: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: 135]، ويقول تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: 284]، ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ [المدثر: 56]؛ فالغفران إذًا عند الله وحده ومرتبط بمشيئته.

• وهكذا السجود لا يجوز لغير الله – سبحانه – ولذلك نجد الهدهد يتساءل – رغم كونه حيوانًا – مستنكرًا على أولئك الذين يسجدون لغير الله: "﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [النمل: 25، 26]، والله تعالى يقول أيضًا: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: 37]، فالسجود لغير الله مرفوض أيًا كان المسجود له.

3- ذكر حكم داود في الحرث حين نفشت فيه غنم القوم، وأنه أخطأ، بينما وُفِّق سليمان في الحكم؛ قال تعالى: ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: 78 – 79]، وهذه القصة لم يتعرض إليها "العهد القديم" إطلاقًا.

4- يركز القرآن على فضل الله – سبحانه – على داود، وأنه كان ملكًا تقيًّا صالحًا، وأنه كان من أهل العلم والحكم، وأن الله آتاه الزبور؛ قال – تعالى –: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ: 10 – 11] وقال تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ [النساء: 163

5- يظهر القرآن ارتباط داود (والمؤمنين معه) بالله تعالى ولجوئهم إليه في كل وقت في البأساء والسراء . . . ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: 17] . . . ، خلافًا للموسمية في الدعاء التي يبديها العهد القديم عنه، وأنه لا يلجأ إلى الله إلا في حاجة، فإذا يئِس منها ، توقف عن اللجوء إلى خالقه .

6- لا يؤرخ القرآن لداود عليه السلام ولا يهتم بتفاصيل حياته، ولا بعدد أبنائه، ولا بأي شيء من المعلومات المفصلة عن مأكله ومشربه ومسكنه، وإنما يسوق من قصته ما يقتضيه السياق الذي وردت فيه القصة، وهذا ما دفع بالبحث إلى الإعراض عن كثير من قصص داود المرتبطة بأسرته، وأولاده، وأين ذهب؟ وماذا أكل؟ وماذا ذبح ؟

وبهذا تصفو العقيدة، فلا شريك ولا نِد ، وتصفو الشريعة، فأنبياء الله معصومون وعباد صالحون، منزهون عن الظلم والعبث والسلبية .

ثانيًا : على مستوى الأسلوب: جاء الأسلوب القرآني متناسقًا منسابًا ، لا تناقض فيه ولا اعوجاج، يعرض القصة في كل موطن حسب الحاجة والعبرة، وقدم قصة داود في أسلوب قصصي جذاب، وأفكار متناسقة منسابة، يتناغم فيها جمال الفكرة مع جمال اللفظة، وكيف لا وهو تنزيل من حكيم حميد !

قصة النبي سليمان عليه السلام

في التوراة والقرآن

أولاً: النبي سليمان (ع) في القرآن الكريم

لم يستعرض القرآن الكريم الكثيرَ من أحوال شخصيَّة هذا النبي الكريم، إلَّا أنَّ المقدار الذي تناوله القرآن من شخصيَّةِ هذا النبيّ الكريم ومُلكِه ونبوَّتِه كافٍ في الكشف عن ملامح هذه الشخصيَّة، فقد استعرض القرآن الكريم مجموعة من المشاهد التي تُعبِّر عن واقع هذه الشخصيَّة الواقعة في تأريخ الرسالات، فقد ذكره القرآن في عدَّة مواطن :

وارث داود (ع)

أشار في بعض الآيات إلى وراثته لأبيه، فقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ﴾(2) وأفاد في آية أخرى ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾

مُلك سليمان (ع)

كما استعرض القرآن شيئاً من ملامح عظمة مُلْك سليمان في عددٍ من الآيات وردت في سورٍ متعدِّدة، كسورة البقرة، وسورة الأنبياء، وسورة سبأ، وسورة النمل، وسورة ص. وإنَّ الواقف على هذه الآيات الواردة في السور المذكورة يتجلَّى له ما كان عليه ملك سليمان من عظمة، فقد ورد في بعض الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾، فكانت الريح طوع اختيار سليمان -غدوها، ورواحها- . وورد في بعض الآيات أنَّ الشياطين كانوا يخدمون في مملكة سليمان (ع)، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾

وأشارت آية أخرى إلى الكم الهائل الذي كان يتشكَّل منه جُند سليمان وأصناف هؤلاء الجند، وأشار إلى أنَّه يتكون من الجن والإنس والطير، وهذا ما لم يتفق لأيّ أحد من ملوك الأرض، قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾

وآيات أخرى يمكن أن يتعرَّف الواقف عليها على بعض ملامح هذا الملك العظيم الذي أعطي لسليمان (ع)، فقد استجيبت دعوته التي دعى بها ربَّه حيث قال: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾

كما أشارت بعض الآيات إلى قصة إلقاء الجسد على كرسي سليمان، وآية أخرى أشارت إلى استعراضه للصافنات الجياد، وآية تحدثت عن قصته مع الهدهد، ومع ملكة سبأ وتحدثت آية أخرى عن كيفية وفاة سليمان (ع) وأنه لم يتم التعرف على موته إلا بواسطة دابةٍ تأكل منسأته .

نِعم العبد

ثم إنَّ القرآن الكريم أثنى على هذا النبي المكرَّم في موارد عديدة، وفي آيات من سورٍ مختلفة، فوصفه في سورة (ص) بقوله: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي كثير الرجوع إلى ربه، وكثير البخوع والخضوع لله عز وجل رغم سعة ملكه وسعة سلطانه وقوته وأنَّ جنوده الجن أو الكثير من الجن والإنس والطير، فهو رغم ذلك كان متعبداً متذللاً متواضعاً لله عز وجل، وكثيرا ما يأووب إلى ربه، ويتوب إليه، لاستشعاره الدائم بالتقصير في أداء حق الله عزوجل.

أُوتي العلم والحكمة

ووصفه القرآن في آياتٍ عديدة بأنه كان حكيماً عالماً قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾، وورد في آية اخرى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ .

اساءة كاتب التوراة للنبي سليمان عليه السلام

قلنا إنَّ القرآن الكريم أثنى على هذا النبي المكرَّم في موارد مختلفة؛ ولعلَّ الغرضَ من ذلك هو التفنيد لما ورد من طعون في هذه الشخصية من قِبل الكتب التي كانت تتداولها اليهود، بل إنَّ العهد القديم –الذي هو التوراة– قد

تناول شخصية نبيَ الله سليمان (ع) بما يُفضي إلى تكفيره أو التشكيك في توحيده الخالص لله جلَّ وعلا كما أنه تناول شخصية سليمان بما يُسيء إلى نزاهته وتقواه ولعله لذلك تصدى القرآن الكريم عبر عددٍ من الإشارات إلى الدفاع عن هذه الشخصية العظيمة.

وهنا نشير إلى بعض إساءات اليهود في الكتاب المقدَّس عندهم، وبالتحديد في العهد القديم:

عبد الأوثان في آخر عمره

حيث أشارت بعض نصوص كتاب العهد القديم إلى أنَّ هذا النبي الكريم قد انحرف في آخر عمره عن عبادة الله عز وجل وعَبَد الأصنام، فسجد لأوثانٍ كانت تعبدها بعض زوجاته، هكذا ورد في العهد القديم .

مولعاً بالنساء

وذكروا أيضاً أنه كان مولَعاً بالنساء، وكان يعشق النساء كثيراً، حتى زعموا أنَّ له سبعمائة زوجة، وثلاثمائة جارية وأنَّه كان من من شدة ولعه ببعض زوجاته خضع لطلبهن فبنى بيوتاً لعبادة الأوثان ولعبادة الأصنام اللاتي كنَّ يعبدنها بل زعموا زوراً وبهتاناً أنَّه قد سجد إلى بعض تلك الأوثان(18) ! !

القرآن يتصدَّى للدفاع عن سليمان (ع)

وما كفر سليمان

ومن هنا تصدى القرآن الكريم للدفاع عن هذا النبي، ونفى عنه هذه التهمة -الكفر وعبادة الأوثان- التي زعم اليهود أنها وحى جاء به التوراة قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ كما ادعى اليهود ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ﴾ .

طهارة سليمان وأمه وأبيه (ع)

ثمة فِريةٌ أخرى ذكرها اليهود في التوراة في العهد القديم، وهي تُسيئ إلى مقام هذا النبي الكريم، حيث ذكروا أنَّ والدة سليمان كانت زوجةً لقائدٍ من قواد جندِ داوود (ع)، واتفق أن اطَّلع عليها داوود فأعجبه حسنُها وجمالها وقيافتها، فراودها عن نفسها فاستجابت فحبلت من ذلك الوطأ ثم أرادها زوجةً له فعمل مكيدة وهي أنَّه بعث زوجها إلى حربٍ غير متكافأة، وأمره أن يكون في الصفوف الأمامية؛ ليُقتل، وما أن قُتِل هذا القائد حتى بنى على هذه المرأة وبعد أن أنجبت من الفجور حبلت مرةً أخرى بعد زواجها من داوود (ع) فأنجبت سليمان (ع) ! ! فهم يتهمون أمه كما يتهمون النبيَّ داوود، فهي أساءة أخرى لهذا النبي الكريم .

وقد تصدى القرآن الكريم لنفي هذه الفرية أيضاً عن سليمان (ع) حيث أفاد في سورة النمل على لسان سليمان (ع) ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ في هذه الآية إشارة إلى أنَّ والدة سليمان (ع) كانت على هدىً من ربِّها، وكانت من الصالحات المؤمنات، حيث استوجب ذلك أن يشكر سليمانُ ربَّه حيثُ أنعم عليه فجعل أمَّه من الصالحات، ومن الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

إذن، فكتّاب العهد القديم تناول هذه الشخصية بما يتنافى ومقامها السامي عند الله عز وجل، وجاء القرآن الكريم لينزِّه هذه الشخصية عن الكثير مما أُلصق بها .

ثالثاً: النبي سليمان (ع) في الروايات:

هذا فيما يرتبط بالعهد القديم من الكتاب المقدَّس، وأما ما يرتبط بالروايات الواردة –سواء من طرق السنة وهي الأكثر، ومن البعض القليل من طرق الشيعة– فيما يرتبط بشخصية سليمان، فقد ذكرت الكثير من القصص

والحكايات عن هذه الشخصية، وعن ملكه، وعن جنوده، وعن زوجاته، وعن الكثير من الخوارق التي اكتنفت حياة هذه الشخصية.

الكثير من الروايات مختلقة ومدسوسة

والمطلع على مجموع هذه الروايات من أهل الدراية يعرف أنَّ الكثير منها لا تعدوا الخرافات والأقاصيص التي يختلقها القصَّاصون، فأكثرها لا يرقى إلى مستوى الرواية المعتبرة التي يمكن الإعتماد عليها، والإحتجاج بها . فكثيرٌ من هذه الروايات قد تسرَّبت إلى التراث الإسلامي من خلال اليهود والنصارى الذين دخلوا في الإسلام مكايدةً فانتحلوا كثيراً من القصص المأثورة في كتبهم ونسبوها إلى النبيّ الكريم (ص)، والمطَّلع على هذه الروايات يرى أنها اشتملت على أمورٍ لا يقبلها الذوق السليم، ولا يقبلها العقل، وهي في ذات الوقت منافية لما هو معلوم من واقع حال هذه الشخصية التي نزَّهتها السماء، واجتباها الله عز وجل، وجعلها من الصفوة الذين اختارهم لرسالته، ولتبليغ دعوته.

نماذج من الروايات غير المعتبرة

سعة مُلكٍ لا دليل عليها:

فمن هذه الروايات ما ورد من أنَّ سليمان (ع) ملَكَ الأرض كلَّ الأرض. وهذا مناف لما ورد في بعض الأخبار المعتبرة عن أهل البيت (ع) أن ملكه كان قد استوعب الشامات إلى بلاد اصطخر . . وورد أنَّ جنود سليمان هم جميع الإنس، وجميع الجن وهذا منافٍ لما أفاده القرآن قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ فكلمة ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ تبعيضية ومعنى ذلك أن جنوده هم بعض الجن وبعض الإنس هذا مضافاً إلى منافاة ذلك للوثائق التاريخية. ومما ورد أنَّ مدَّة ملكه بلغ سبعمائة سنة. وهو ما لم

يثبت برواية معتبرة. والأدهى من ذلك، والمثير للغرابة والعجب، ما رُوي في سعة ملك سليمان، وأنَّه كان يجلس على عرشه، فيُوضع حوله ستمائة ألف كرسي، ويجلس عليها ألوفٌ من الأنبياء، كما يجلس عليها مئات الألوف من الأمراء والملوك، من الجن والأنس! وري أنَّ معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ وروي أنه يوضع له ستمائة ألف كرسي فيجلس عليها أشراف الناس وأشراف الجن ثم يدعو الطير فتظلهم ثم يدعو الريح فتحملهم جميعا فتسير بهم مسيرة شهر وان له ألف بيت من قوارير أي من زجاج وروي أنَّ له مركب من خشب وفيه ألف ركن في كل ركنٍ ألف بيت يركب معه فيه الجن والأنس فترفعه الشياطين فتجيء الريح فتحمله هذا بعض ما ورد من روايات في حقَ هذه الشخصية فيما يرتبط بسعة ملكه.

أسطورة مملكة سبأ

وأما فيما يرتبط مثلا بملكة سبأ، فقد ذكروا الكثير من الخوارق والحكايات التي لا مقتضي ولا مسوّغ لقبولها فيذكرون، مثلا أنَّ عندها اثني عشر ألف قائد جيش، وكل قائد تحت يده اثنا عشر ألف مقاتل!(28)

والظريف هو ما أوردوه منَّ أنَّ ملكة سبأ كانت أمها من الجن وأنَّ الجن قد أشاعوا أنَّ رجلها، كحافر الحمار، وإنَّ هذا لم يكن مكتشفاً، إلى أن جاءت إلى سليمان، فحين دخلت الصرح الممرّد كأنه القوارير، وحسبته لُجَّة كشفت عن ساقيها فعلم سليمان أن الجن قد كذبوا عليه.

مصدر تلك الروايات المختلفة:

مثل هذه الأرقام، ومثل هذه الخوارق لمقتضى العادة وردت في روايات لم يقم دليل على اعتبارها، وإنَّما تسرَّبت إلى تراثنا –للأسف– من قبل أمثال كعب الأحبار وتميم الداري، ووهب بن منبه، وأبي هريرة، وغيرهم من الذين كانوا يختلقون الحديث، أوينتحلونه من كتب اليهود والنصارى والقصاصين.

لا ننكر الخوارق، ولكن لا نقبل منها شيئاً إلَّا بدليل :

هذا ما تناولته بعض الروايات فيما يرتبط بشخصية سليمان (ع) . وهي روايات ساقطة عن الاعتبار، نعم ثمة روايات التي تصدَّت لشرح ما ورد من آيات في حق سليمان، فما كان منها مناسباً لمقتضى الظهور أو ثبت بدليل معتبر فهو مقبول فنحن لا ننكر أنَّ لسليمان ملكاً عظيماً وأن له جنوداً من الجن والإنس والطير كما أفاد القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ وكذلك ما ورد في قصة الهدهد حيث ورد في القرآن: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾

فسليمان كانت له الكثير من الخوارق، وكان له من السطوة والقوة بحيث تمكَّن من الهيمنة على العديد من الحواضر آنذاك . . إلا ان ذلك لا يصحح القبول بكل أوردته الروايات من خوارق لا مقتضى لها ولم تصل إلينا بطريقٍ معتبر.

المحور الثاني: دروس من سيرة النبي سليمان (ع)

بعد هذا العرض الموجز لشخصية سليمان (ع) والمقارنة بين ما أفاده القرآن الكريم حول هذه الشخصية وبين ما ورد في العهد القديم من الكتاب المقدس وبعد الإشارة إلى بعض ما ورد في الروايات غير المعتبرة حول هذه

الشخصية يقع الحديث بعد ذلك في المحور الثاني وهو ما يمكن استيحاؤه من سيرة هذا النبي الكريم وفقاً للرؤية القرآنية.

المستفاد من بعض آيات القرآن الكريم أنَّ ملك سليمان وقع من حيث التسلسل التاريخي بعد ملك أبيه داود (ع) فذلك هو مقتضى قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ فإن واحداً من دلالات مفهوم الوراثة هو البعدية، فملك سليمان وقع بعد ملك داود (ع) إذ أنَّ داوود (ع) لم يكن نبياً وحسب، بل كان مَلِكاً أيضاً كما هو مفاد قوله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ) ، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ . . وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ نعم لم تكن سعة ملك دوواد كسعة ملك سليمان، فقد اتسع ملك سليمان إلى حدً استوعب العديد من الحواضر الإنسانية آنذاك، وكانت له الكثير من الفتوحات، ودخل في عهده الكثير من الملوك ومن الدول في دينه ودعوته.

النبوة تأهيلٌ واختيار إلهيّ :

يشير القرآن الكريم إلى حادثة وقعت في عهد داوود، ويذكر بعض المؤرخين أنها كانت أمارةً على أنَّ سليمان هو الرجل المؤهَّل لخلافة داوود، وأنه الذي يستحق دون أخوته أن يكون نبياً وملكا بعد داوود، فسليمان رغم كونه أصغر أولاد داوود سناً -كما يذكر بعض المؤرخين- إلَّا أنه كان قد آتاه الله عز وجل العلم والفهم والحكم -كما قرأنا الآية الشريفة التي ذكرت أن الله عز وجل هو مَن تولَّى تفهيم، وتعليم هذا الرجل الإلهيّ، ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا﴾ يعني وكلًّا من داوود وسليمان ﴿آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ ، فالتعليم كان من الله عز وجل، شأنه شأن سائر الأنبياء،

فالقرآن الكريم يُشير إلى حادثة وقعت، وهذه الحادثة لعلها كانت هي الأمارة على أهليَّة سليمان (ع) لخلافة أبيه داوود (ع)، وهذه الحادثة وقعت ولعلَّها كانت بتدبيرٍ من داوود (ع)، وبوحيٍ من الله عز وجل، وهي كما جاءت في مضمون الآية هكذا: خصمان جاءا إلى داوود (ع) ليحكم بينهما، وخلاصة القضية المرفوعة لداوود (ع) كانت كما يلي: هذا الرجل المُدَّعي كان صاحب بستان، وقد نفشت غنم رجلٍ آخر، فدخلت بستان هذا الرجل وعبثت، وأكلت، وخرَّبت ما كان أو بعض ما كان في ذلك البستان من زروع وثمار، ثمَّ إنَّ هذين الخصمين اختلفا، فصاحب الأغنام يقول ليس عليَّ ضمان؛ لأنها بهائم لا تعي ولا تعقل، ولستُ أنا الذي بعثتها وحثثتها على الدخول إلى بستانك، فليس عليَّ ضمان شيئ مما أتلفته الأغنام. وصاحب البستان يقول إنها أغنامك، وهي التي أوجبت وقوعي في الضرر، فأنت الذي تضمن. فخلاصة الدعوى المرفوعة هي أنَّ صاحب البستان يطالب صاحب الأغنام بضمان ما أتلفته أغنامه.

وبعد أن أصغى داوود (ع) إلى قول الخصمين، جاء بأبنائه، وأمر كلَّ واحدٍ أن يَبُتَّ في هذه القضيَّة، فلم يأتِ أحدٌ بصواب، حتى وصلت النوبة لسليمان (ع)، فأخذ سليمان في سؤال الخصمين، فسأل صاحب البستان، وقال له: الأغنام عندما نفشت –على حدَ تعبير القرآن– ودخلت بُستانك، هل كان ذلك في الليل أو النهار؟ قال: في الليل ثم سأل صاحب الأغنام فأقرَّ بذلك فحينئذ حكم سليمان (ع) في الخصومة لصاحب البستان وأن الحق الذي له على صاحب الأغنام هو الانتفاع من أصواف الأغنام وألبانها وسائر منافعها .

انتهت القضية عند حكم سليمان (ع) إلا أنَّ داوود (ع) اتجه بعد ذلك إلى ابنه سليمان، وقال: لِمَ حكمت بهذا الحكم على خلاف ما يحكم به علماء اليهود؟ هم يحكمون بأن تكون الأغنام لصاحب البستان، وليس نتاج

الأغنام. ثم أنه لِمَ حكمتَ لصاحب البستان واعتبرته صاحب الحق، ولم تحكم لصاحب الأغنام، رغم أنَّها بهائم؟

هذان سؤالان توجها لسليمان (ع) . . أما السؤال الثاني فأجابه بقوله أنا سألته عن زمن وقوع الحادثة فقال في الليل، ولو كانت في النهار لم يكن لصاحب البستان حق؛ وذلك لأنَّ الناس في النهار مُستيقظون، وهم يذودون عن أموالهم ويحفظونها، فإذا جاء الليل ناموا، فوجب على صاحب الأغنام أن يحبس أغنامه حتى لا تعبث في أموال الآخرين . . وأما السؤال الأول فقال أنا لم أحكم بأن تكون الأغنام لصاحب البستان؛ لأن الأغنام إنما أتلفت الثمار ولم تُتلف الأشجار –أصل الأشجار–، فالأشجار ستُنتج في السنة القادمة، لذلك كان المناسب هو تمليك صاحب البستان لنتاج الأغنام إذ أن ما تلف من أمواله هو نتاج الأشجار(41) .

ثم إنَّ هذه الواقعة، أحدثت لسليمان (ع) موقعاً مرموقاً في وسطه –كما يذكر المؤرخون–، وكشفت نباهته وحكمته، وقد سجَّل القرآن الكريم لسليمان ذلك، وأفاد بأن هذا الحكم إنما كان بتفهيمٍ من الله ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ قال تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ يعني في البستان ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ/ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾. فهنا يتضح من الآية الشريفة أن الإيتاء والإعطاء للحكم كان من عند الله عز وجل، وأن الخلافة كانت من عند الله عز اسمه وتقدَّس، وبه يتم التعرُّف على أنَّ خلافة الله عز وجل، وإمامة الخلق، إنما تكون بإيتاءٍ وبتفهيمٍ ثم بجعلٍ من عند الله عز اسمه وتقدس. هذا موقفٌ أشار إليه القرآن الكريم.

تعاطي سليمان (ع) مع هذا الملك العظيم :

نستعرض أمرا آخر يرتبط بهذه الشخصية، قد تحدث عنه القرآن الكريم وهو ما يرتبط بسعة ملك سليمان، وكيف أنَّ سليمان تعاطى مع هذا الملك وعظمته.

لم يشغله الملك عن العبادة :

آيات متعدَدة أشارت إلى سعة ملك سليمان، حتى أنَّ حاكميته شملت رعيلاً متعاظماً من الجن والطير قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ وكان الشياطين يغوصون في البحر ويستخرجون الكثير من النفائس تحت إمرة النبي (ع) كما أشار لذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ وكانت سعة ملكه تقتضي أن تدخل الكثير من الحواضر تحت هيمنته وسلطانه، إلَّا أنه ورغم ذلك كان (ع) أوَّاباً، عابدا لله، لم يشغله ذلك أبداً عن الصلاة -كما أشارت لذلك بعض الآيات كقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ولم يشغله الملك عن العبادة، ولم يشغله عن البخوع والخضوع لله تعالى فعلى لسانه ورد قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ .

لم يشغله الملك عن قضاء حوائج الرعية:

ولم يشغله عن السعي والمُداقَّة في ملاحظة شؤون الرعيَّة، والحفاظ على حقوقهم -كما تشير لذلك العديد من الروايات-، فكان يتفقَّد بنفسه شؤون الناس، ويلاحظ حوائجهم، ويدفع باتجاه قضاء حوائج الناس -كلَ الناس-.

سخّر الملك للدعوة إلى الله تعالى:

هذا أمر، والأمر الآخر أنه قد سخَّر مُلكه للدعوة إلى الله عز اسمه وتقدس، وذلك بأن مارس الكثير من الوسائل من أجل توسيع دائرة الموحَدين في الأرض، فكان قد سعى إلى بناء المحاريب والمساجد ودور العبادة لله عز وجل، حتى أنه هو الذي بنى بيت المقدس؛ ليُعبد فيه الله عز اسمه وتقدّس(49(.

الوسيلة الأخرى التي اعتمدها في طريق الدعوة إلى الله تعالى هي مخاطبة الملوك من أجل الدخول في دائرة التوحيد، فمن استجاب إلى دعوته ودخل في الموحدين، وإلَّا اعتمد معه وسائل أخرى للدعوة، من قبيل إراءتهم لعظمة الله عز وجل، فملكة سبأ لم تشأ من بداية الامر أن تدخل في التوحيد، وعبادة الله عز وجل، فكانت وقومها يسجدون للشمس من دون الله، فبعث سليمان (ع) إليهم رسالة فأجابوا عنها بهدايا، فقال: ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ هذه المرأة –ملكة سبأ– تعرَّفت من ذلك على قوة وعظمة سليمان (ع)، فأرادت أن تذهب لسليمان؛ لغرض الوقوف واقع هذه الدعوة وواقع هذا الرجل الذي لا يطمع في الأموال، ولو كان يطمع في أموالٍ لقبل الهدايا أوطالبهم بالمزيد، فحين جاءت هذه الملكة، إلى سليمان (ع) أراها عظمة الله عز وجل، من خلال بيان بعض المعجزات، فهذا عرشها الذي كان في اليمن جيئ به في غضون طرفة عين، ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (51) . . فهذه الملكة لمَّا رأت هذه العظمة، وهذا الإعجاز، عرفت أنَّ هذا الرجل ليس داعيةً لملكٍ ودنيا، وإنما هو من أنبياء الله عز وجل.

وقد اعتمد سليمان (ع) العديد من الوسائل لذات الغرض كتصريف الريح –كما أشارت لذلك بعض الآيات بأنَّ غدوها شهرٌ، ورواحها شهرٌ، فهذه الوسيلة وغيرها من الوسائل سخرها هذا النبي الكريم (ع) ووظَّفها من أجل الدعوة إلى الله عز وجل.

كان عادلاً وديعاً ورؤوفاً حتى بغير الإنسان

هناك مؤشر آخر يُعبّر عن كمالٍ من كمالات هذه الشخصية، ويكشف عن ملمحٍ من ملامح الروح المتألقة التي اشتمل عليها هذا النبي الكريم هذا المؤشر هو ما وقع له مع النملة وهي من أحقر المخلوقات–، قال تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ ولما سمعها سليمان (ع) تبسّم ضاحكا من قولها، ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾. . هذا المُلك الذي اقتضى أن يعرف منطق النمل، ومنطق الطير، ويستشعر دبيب النمل الذي لا يكاد يُسمع؛ نتيجة جلبة الجيش رغم ذلك تفطَّن وتوجَّه إليه سليمان، وعقَّب على ذلك بأن شكر الله عز وجل، وأمر بأن لا يُتعدَّى حتى على مثل هذا الخلق الحقير الذي لا يُلتفت إليه! هذا الأمر يُعبّر عن مستوى راقٍ من الإنصاف، والعدل، والرحمة، والرأفة التي كانت تمتاز بها هذه الشخصية. أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) كان كذلك أيضاً يقول: لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت . ."(54)

أين الملوك والجبابرة ؟

نماذجُ مشرقة في تاريخ الرسالات ليتعظ بها الملوك والجبابرة الذين لا يرعون لأحدٍ حقاً، فهم يقتلون لأحقر الأسباب، ودم الإنسان لا يساوي عندهم دم بعوضة،، يقتلون، ويسجنون، ويعذّبون، ويحرقون، ويفعلون العظائم والبوائق؛ لا لشيئ، وإنما لمجرد نزوة، ولمجرد الحرص على بقاء ملكهم، رغم أن ملكهم حقير لا يتجاوز أفقه مدّ البصر، ومع ذلك ترى الأُبّهة والعظمة والغرور والعجب والكبرياء يملئون به الدنيا ضجيجا! على أيّ شيئ؟! على ملك صغير!!

كان ملك سليمان يستوعب أفقاً من الأرض تسير فيه الريح شهراً ورغم هذا الملك، وسعته، ورغم هذه الجنود وعظمتها، وتعدُّد أجناسها ورغم ما أُوتي من معرفة منطق الطير، والحاكمية والسلطنة على رعيلٍ من الجن

والشياطين، والإنس، رغم ذلك يتحرّز من التعدي على بيوتات النمل ! ! وجبابرة الأرض وملوكهم –رغم حقارة ما يملكون في مقابل ما كان يملكه سليمان– تراهم يمارسون مع الناس كلَّ وسائل الظلم، والبغي، والقسر، والتعذيب، والتهجير، وكل ما يمكن أن يخطر على بال بشر من صنوف العذاب؛ كل ذلك يفعله الجبابرة من أجل أن ينعموا في ملكهم زمناً لا يطول.

القرآن الكريم يُعطي هذا النموذج لهؤلاء الملوك، فملك سليمان كان عظيماً بل لم يسبق له نظير إلا أنه كان كلَّما تعاظم ملكه إزداد تواضعاً لله تعالى فكان يتعاطى مع هذا الملك على أساس أنه منحة إلهية فهي تقتضي الشكر والامتنان الدائم لله تعالى كما تقتضي الأداء لحق هذه المنحة الإلهية وهي الرعاية للحقوق وعدم الترفع على من أُعطيت له الولاية والسلطنة عليهم هذا ما أراد أن يوحيه القرآن من قصة سليمان (ع)

الملك يفنى، والعمل هو الباقي :

ثم أنَّ الآيات المباركات أولت اهتماماً ظاهراً بالمصير الذي آل إليه أمر سليمان (ع) وأنَّ هذا الرجل رغم ملكه العظيم فإنَّ ذلك لم يمنع عنه الموت المحتوم على العباد بل إنَّ جنوده من الجن والإنس لم يشعروا بموته وما دلَّهم على موته إلا دابة مستحقرة لا تكاد تبين أخذت تنخر في ما كان يتكأ عليه فحين تآكلت عصاه خرَّ ذلك الملك العظيم على وجهه قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ . .﴾ فالملك مهما بلغ، ومهما استعظم واتَّسع وامتدَّ، فأنه لا يبقى . . بل ينتهي الإنسان إلى هذا المصيرالمحتوم. لذلك ينبغي أن يعمل العاقل لآخرته كما عمل لدنياه.

سورة النمل والحديث عن سليمان عليه السلام

قد وردت قصة سليمان عليه السلام [في سورة النمل من (الآية 15 إلى الآية 44) وفي سورة الأنبياء (الآيات 79 و 81و82) وفي سورة سبأ (الآيات 12– 14)، وفي سورة ص (الآية 30 إلى الآية 40)] . والجزء الأساس من قصة سليمان مع ملكة سبأ والذي سنتحدث عنه والذي سوف نتدبر ما فيه من عظات ودروس هو ما ورد في سورة النمل (من الآية 15 إلى الآية 44) . وأما ما ورد من آيات في السور الأخرى فهي مكملات لقصة سليمان.

تمهد سورة النمل في مطلعها بمقطع من ست آيات مفتتحة السورة بحرفي (طس) وهي من الحروف المقطعة لتعزَز فكرة إعجاز القرآن وأنه من هذه الحروف التي يعرفها العرب المخاطبون بهذا القرآن. ونلاحظ أن الآيات (1–6) الأولى تذكر بعد إيراد الحرفين المقطَّعين (طس): أن تلك آيات القرآن، وأنه كتاب مبين واضح، وأنه هدى وبشرى للمؤمنين. وأنّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَ الله لهم أعمالهم القبيحة بتركيب الشهوة فيها حتى رأوها حسنة، ولذلك فهم متحيرون كيف أن المؤمنين يرونها قبيحة، ثم تذكَر هذه الآيات الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يتلقى القرآن من الله الحكيم العليم. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل: 6

بعد هذا المقطع التمهيدي الأول تأتي آيات من القرآن تذكر قصة موسى عليه السلام متعلقة به وبكيفية بداية الوحي له، وما أعطاه الله من المعجزات ومنها معجزة العصا واليد البيضاء وغيرها . (الآيات: 7–14) . وبهذين التمهيدين يبين الله أن ما سيأتي بعده من الآيات إنما هو كلام يتلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله، فهو لا يمكنه معرفة تفاصيل تلك القصص، لأنه لا يقرأ ولا يكتب.

بعد ذلك يأتي الجزء الخاص من قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ في سورة النمل التي نحن بصدد النظر في تدبرها والتفكر في تجليات آياتها . . ولكن قبل أن ندخل في التفكر والتدبر في تجليات الآيات التي ذكرت قصة سليمان في سورة النمل لابد من ذكر بعض الصفات التي أهل الله بها النبي سليمان عليه السلام ليكون أهلاً لهذا

التكريم وذلك الملك العريض، الذي لم يُعط لأحدٍ من قبله ولا من بعده.، وقبل ذكر طرف من قصة سليمان وما أعطي له من أسباب الملك الكثيرة في سورة (ص) يأتي تذكير الرسول بأهمية القرآن، وبعض الأهداف من إنزاله وأنه مبارك ليدبر آياته البشر، وليتذكره أولى الألباب، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص:29]. ثم تذكر الآيات (30– 40) من سورة ص طرفاً من قصة سليمان.

صفات وأخلاق لسليمان جعلته أهلاً للملك العريض :

لقد وهب الله سليمان صفات وأخلاق جعلته أهلاً لذلك الملك العريض، وبعض ما أعطي له من أسباب الملك الكثيرة، ومن هذه الصفات:

أولاً: أنه نبي من أنبياء الله، وهو مكلف بالدعوة إلى الله وليس ملكاً عادياً، وما أعطاه الله كان من المعجزات، وليس فقط من متطلبات الملك العادي لأي ملك.

ثانياً: أنه كما وصفه الله سريع الرجوع إلى الله ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾. قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾.

ثالثاً: أن الله فتنه أي (اختبره) فتقبل ذلك الاختبار بصبر وعاد إلى الله منيباً إليه، ورجع إلى ربه واستغفره: قال تعالى في سورة ص: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾. وليست هناك روايات يعتمد عليها فيما هو الجسد، ويهمنا هنا أن سليمان بعد أن فتنه الله واختبره تاب إليه مستغفراً.

والروايات التي ذُكرت في العديد من التفاسير عن خاتم سليمان والشيطان المتمرد الذي سرق الخاتم والذي تمثل في صورة سليمان وغيرها من الحكايات، وإن رويت عن ابن عباس يبدو من السياق فيها أنها من الإسرائيليات. قال ابن كثير في تفسيره: (والظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما إن صح عنه من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام. فالظاهر أنهم يكذبون عليه ولهذا كان في السياق منكرات)

وقد طلب سليمان عليه السلام من الله بعد أن فتنته أن يعطيه ملكا لا ينبغي أن يعطيه لأحدٍ من بعده، ليس طمعاً بالملك ولا أثرة به، وإنما أراد به الاختصاص الذي يتجلى في صورة معجزة بمُلكٍ ذا خصوصية تميزه عن كل ملوك الأرض الآخرين من قبله ومن بعده. وإن يكون ملكه ذا طبيعة معينة ليست مكررة ولا معهودة في الملك الذي يعرفه الناس، إذ أنه كان نبياً قبل أن يكون ملكاً . . وقد استجاب له ربه، فأعطاه فوق الملك المعهود، ملكاً خاصاً لا يتكرر . .

ومن ذلك تسخير الريح لسليمان. وتسخير الريح لعبد من عباد الله بإذن الله؛ لا يخرج في طبيعته عن تسخير الريح لإرادة الله. وكذلك طاعة الشياطين والجن والطير والحيوان لا يخرج ذلك عن نطاق إرادة الله في تسخيره ما يشاء من خلقه لمن أراد من عباده.

رابعاً: أن الله أعطى لسليمان فهما وحُكْمًا وَعِلْمًا (والحكم: هو القدرة على أن يصدر أحكاما صائبة على الأمور والقضاء بين الناس بما أراه الله من الحق والعدل)، قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾. أي أن الله كما أعطى لداود ﴿ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ أعطى لسليمان مثله وزاده فهماً

وسوف نتفكر ونتدبر في عددٍ من الآيات من سورة النمل (من الآية 15إلى الآية 44) التي تحكي قصة النبي سليمان النبي مع ملكة سبأ فقط ونتبعها بالآية (82) التي ذكرت فيها أن دابة تخرج من الأرض تكلم الناس، ونذكر هنا بعض ما فتح الله علينا من تدبر وفهم لهذه الآيات، بالنقاط الآتية :

(1) تذكر الآية (15) أن الله أعطى لسليمان العلم. وأن للعلم تأثير على النفوس تنجذب إليه وإلا لما خاف الملوك من دعوات الرسل ومن العلماء .

(2) أن الله علَّمَ سليمان لغة الطير ولغة النمل، ولغة الشياطين والجن (الآية: 18–19) .

(3) أن الله أعطى لسليمان من الملك ما لم يُؤتى أحد من العالمين وسخر له الجن والشياطين والإنس والطير والريح وأوتي من كل شيء (الآية: 16–17) . وما ذكر عن سليمان في سورة الأنبياء وسورة سبأ، وسورة ص يبين بتوسع عنه.

(4) ومن مظاهر عِلْمِ سليمان للغة النملِ أنه سمع نملة في وادي النمل تحذر قومها من أن يَحْطِمَهم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون. . لأن الإنسان لن يهتم بمثل هذه الحشرات، ولكن الله ذكر هذا الموقف الذي يعتبر موقفاً لا قيمة له . بالنسبة للإنسان العادي فما بالنا بمن له مثل ملك سليمان العريض – ليعطي دليلاً وحكماً شرعياً للقائد للأمة أن يهتم بمثل هذه المخلوقات العجموات فما بالنا بالاهتمام ببني آدم، وقد انتبه لها سليمان وسمع صوتها على الرغم من هذا الحشد الهائل من جنوده وضجيج زحفهم، واهتم بها على الرغم من صغرها وضعفها وحقارتها عند كثير من الناس. ثم أنه عَجِبَ من ذكاء تلك النملة وهي تحذر قومها من كارثة قد تقع عليهم عند مرور سليمان وجنده على قريتهم وهم لا يشعرون، ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ﴾، فهو لم يغتر بما أوتي من العلم والقوة، وكثرة الجنود كما يغتر الملوك والكبراء إذا كثر أتباعهم وأعوانهم؛ وإنما تأدب مع الله الذي أعطاه هذا الملك وهذه القدرة

على فهم لغة الحيوان، وتذكر نعمة الله عليه: ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: 19

ومثل هذا الموقف من الاهتمام بالحيوانات الضعيفة نجد له مثالاً حياً مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَرَةً (الحمرة طائر صغير) مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتْ الْحُمَرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: « مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا ؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا»، وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا، فَقَالَ:« مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟ قُلْنَا: نَحْنُ! قَالَ: « إِنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ ». رواه أبو داوود 2/61 رقم 2675.

هذا الموقف يعلمنا كيف نتعامل مع هذه الكائنات الحية على هذه الأرض، فهم شركائنا في الحياة على هذه الأرض.

ولابد لولي الأمر من متابعة الانضباط والطاعة والتفقد للجنود والرعية وإلا أصبحت الأمور فوضى؛ ومن أجل ذلك نجد سليمان عليه السلام عندما افتقد أحد جنوده وهو الهدهد، يسأل عنه. ويبدو أن الهدهد لم يستأذن من سيده وملكه، وإلا لما افتقده. وكان من حزم سليمان وتفقده لجنده ورعيته أن يتبع ذلك محاسبة ومعاقبة للمتفلّتين، والمتلاعبين منهم. (الآية: 20–21) . ولكن سليمان ليس ملكاً جباراً في الأرض يفعل ما يشأ دون ضوابط شرعية وقيم أخلاقية كما يفعل كثير من ملوك وزعماء الدنيا، إنما هو نبي.. وهو لم يسمع بعد حجة الهدهد الغائب، فلا ينبغي أن يقضي في شأنه قضاءً نهائياً قبل أن يسمع منه، ويتبين عذره. ومن ثم تبرز سمة النبي في الملك العادل: ﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [النمل: 21]. أي حجة قوية توضح عذره، وتنفي المؤاخذة عنه.

ويحضر الهدهد . . ومعه نبأ عظيم، بل مفاجأة ضخمة لسليمان، ولنا نحن الذين نشهد أحداث الرواية الآن ! !
ولذلك نجد أن الهدهد يخبره أنه قد أحاط بأمور لم يحط بها سليمان رغم أنه نبي فعلمه محدود بما آتاه الله. ولأن الهدهد يعرف حزم الملك وشدته.. والحيوانات تعرف وتفهم وتدرك ولكنها حرمت من الكلام .. فهو يبدأ حديثه مع سليمان بمفاجأة تطغى على موضوع غيبته، وتضمنُ إصغاء الملك له، إذ بادر الملك بالقول: ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل: 22] . . فأي ملك لا يستمع ! ! وأحد رعاياه يقول له: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾؟ ! فإذا ضَمِنَ إصغاء الملك بعد هذه المفاجأة أخذ في شرح تفاصيل النبأ اليقين الذي جاء به من مملكة سبأ . (الآية 22–23) . والعجيب في هذا الموقف يعطينا درساً، أن الإنسان مهما بلغ من العلم فإنه لا يحيط بكل شيء ولو كان نبياً مثل سليمان، وكيف أن طائراً أعجماً أحاط بعلم ما لم يحط به النبي. وهنا أيضاً لفتة تربوية عظيمة وهي أن على القائد ألاَّ يستهين بأقل جنده شأناً، فقد يأتي بخبر أو فكرة لها أثر كبير على الأمة.

وفي هذه القصة نجد أنفسنا أمام هدهد عجيب. صاحب إدراك وذكاء وإيمان، وبراعة في عرض النبأ، ويقظة إلى طبيعة موقفه، وتلميح وإيماء ذكي. فهو قد أدرك أن تلك المرأة التي اطلع على أحوالها هي (ملكة سبأ) وأن أولئك الناس في أرضها هم رعيتها . وأن الملكة قد أوتيت من كل شيء، بحسب ملك وإمكانات تلك الأيام، ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل: 23] .(أي سرير ملك فخم ضخم، يدل على الغنى والترف وارتقاء الصناعة) .
وأدرك أنهم يسجدون للشمس والقمر من دون الله. فهو عنده علم بمعنى الإيمان بالله، ومن ثم فهو يعلم أن السجود لا يكون إلا لله، كما أنه كان يعلم من صفات الله وقدراته وعظمته، أنه الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض،

وأنه هو رب العرش العظيم. . وما هكذا تدرك الهداهد . إنما هو هدهد خاص أوتي هذا الإدراك الخاص، على سبيل الخارقة المعجزة التي تخالف المألوف لأنه جندي خاص عند نبي ملك. (الآيات: 24–26) .

(8) ومع ما أوتي الهدهد من ذكاء في العَرضِ لما شاهد، ولباقة في الحديث، ومع مكانته عند الملك سليمان إلا أن النبي سليمان عليه السلام لم يتسرع في تصديقه أو تكذيبه؛ ولم يستخف بالنبأ العظيم الذي جاءه به، أو يسخر منه؛ وإنما أخذ الخبر مأخذ الجد، ولذلك أراد التأكد من صحة الخبر، وهذا شأن النبي العادل والملك الحازم. ومن أجل أن يتحقق من خبر الهدهد يرسل معه كتاب (رسالة) إلى ملكة سبأ. (27–28) .

(9) وتتلقى ملكة سبا الكتاب (الرسالة)، ومع أنها لم تعلم من ألقى إليها الكتاب؟ ولا كيف ألقاه؟ لكنها مع ذلك لم تستخف بالكتاب، ولم تعلن حالة الطوارئ لمثل هذا الاختراق لقصرها . . ولم تؤنب الحراس والجنود، ولم تفزع من وصول هذه الرسالة الغريبة المصدر القوية في فحواها كما يفعل الملوك، بل يظهر عليها الهدوء، حتى تستدعي حاشيتها إليها وتخبرهم بأمر الرسالة؛ بل إنها تصف الكتاب بأنه كريم: قال تعالى: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾. وهذا الوصف ربما خطر لها من خاتمه أو شكله أو أسلوبه وفحواه التي أعلنت عنها للملأ: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: 30، 31] . . وهي كانت لا تعبد الله. ولكن صيت سليمان كان ذائعاً في هذه الرقعة من الأرض، ولغة الكتاب التي يحكيها القرآن فيها استعلاء وحزم وجزم. مما قد يوحي إليها بهذا الوصف الذي أعلنته. ومن سياق القصة ندرك أنها كانت قارئة ولم تحتج لمن يقرأ لها الكتاب. وكذلك ربما كانت لغة الكتابة واحدة متعارف عليها بين شعوب المنطقة في ذلك الزمان. (الآية 29) .

(10) وأما فحوى الكتاب فهو في غاية البساطة والقوة. فهو مبدوء بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) . ومطلوب في الكتاب أمر واحد: ألا يستكبروا على مرسلِهِ (أي سليمان النبي) ولا يعصوا أمره، وأن يأتوا إليه مستسلمين لله الذي يخاطبهم باسمه. . (الآية: 30-31) . وهو نفس الأسلوب الذي كان يستخدمه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في رسائله إلى الملوك في عصره ومنهم أكبر ملوك الأرض كسرى وقيصر.

(11) والملكة كما نرى من سياق القصة لم تكن مستبدة برأيها، وإنما تأخذ بالشورى؛ ولذلك ألقت إلى الملأ من قومها بفحوى الكتاب ومعناه؛ ثم استأنفت الحديث تطلب مشورتهم، وتعلن إليهم أنها لن تقطع في الأمر إلا بعد هذه المشورة، برضاهم وموافقتهم. وواضح أنها لم تكن تريد المقاومة والخصومة مع النبي سليمان الذي أرسل تلك الرسالة، ولكنها لا تقول هذا صراحة، إنما تمهد له بذلك الوصف. ثم تطلب الرأي بعد ذلك والمشورة من بطانتها وحاشيتها ! ! (الآية: 32) .

(12) وعلى عادة رجال الحاشية. . فإن حاشية الملكة قد أبدوا استعدادهم للعمل، أو المقاومة إذا لزم الأمر ذلك، ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ ولكنهم فوضوا للملكة الرأي لأنهم يقدرونها ويطيعونها، طاعة بوعي وثقة ولذلك استشارتهم في الأمر: ولكن ما هو الأمر الذي استشارتهم فيه؟ إنه الاستسلام والدخول في دين الله على يد سليمان؛ إذ أنها فهمت من فحوى الرسالة أنه يدعوها إلى دينه، وانتقال المرء من دين إلى دين ليس أمراً سهلاً، فقد يؤدي إلى تمرد قومها عليها. -كما حصل مع هرقل ملك الروم، بعد أن جاءه كتاب من الرسول صلى الله عليه وسلم إذ أن قساوسته رفضوا الأمر جملة وتفصيلاً على الرغم أن هرقل

كان موقناً أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان نبياً مرسلاً، وأنه الرسول المبشر به في الإنجيل، لأنه كان على علم بما ذكر في الإنجيل، ومع ذلك أطاع القساوسة –. (انظر سيرة ابن كثير 3/ 497– 498.

(13) ومن خلال إجابة الملكة للملأ (الحاشية) – عن استعدادهم للقتال إذا اقتضى الأمر – يتبين لنا أنها كانت واعية للأمور السياسية وطبيعة حكم الملوك، ولذلك رأت أن تتأكد بالتجربة فيما إذا كان سليمان ملكاً أو نبياً أعطاه الله الملك مع النبوة، وأنه ما دعاها إلى دينه إلا لأنه رسول؛ ولذلك رأت أن ترسل له هدية، والهدية تلين القلب، وتعلن الود، وقد تفلح في دفع القتال إن كان ملكاً . وهي تجربة. فإن قبلها سليمان فهو إذن أمر الدنيا، ووسائل الدنيا إذن تجدي. وإن لم يقبلها فهو إذن أمر العقيدة، الذي لا يصرفه عنه مال، ولا عرض من أعراض هذه الأرض.(الآية: 34–35) . وترسل بهديتها إلى بيت المقدس. وهنا نجد أن دور الهدهد قد انتهى.

(14) ومن هذا الموقف نرى من تجربة الملكة وذكائها في التعرف فيما إذا كان سليمان ملكاً أو نبياً، ندرك أنها كانت على دراية بالسياسة وسلوك الملوك، وأن أكثرهم مفسدون في الأرض (ومنهم الزعماء والأمراء والسلاطين إلا من رحم الله)، كما كانت عندها الثقافة والقدرة على التمييز بين النبي المرسل من الله من غيره من ملوك الدنيا . ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ .

. وكذلك يمكن أن ندرك من مضمون القصة، ومن موقف الملكة وحاشيتها، ومع أن قومها كانوا يعبدون الشمس والقمر من دون الله إلا أنهم كانوا يعلمون أن هناك إله ورب أعظم من الشمس والقمر، وإلا لبدأ من الملكة استغراب وربما استخفاف من محتوى الرسالة وما تدعو إليه. والذي يؤكد لي هذا التصور أن الجزيرة العربية، وشمالها لم تخلو من الأنبياء. ويكفي أن الكعبة التي بناءها نبي الله إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل، وهي قريبة

من اليمن، وسليمان عليه السلام جاء بعد إبراهيم وإسماعيل وموسى عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام بزمن طويل.

(15) وننتقل بعد ذلك إلى بيت المقدس في فلسطين عندما يقف رُسل الملكة بلقيس وهديتهم أمام سليمان عليه السلام. إذ أن سليمان أنكر على رسل الملكة اتجاههم إلى شرائه بالمال، وبَيَّنَ لهم أن ما أتاه الله من المال والملك خير مما عندهم، (إذ اعتبر الهدية رشوة لسكوته كما يحدث في التعامل مع الملوك)، أو بهدف تحويله عن دعوتهم إلى الإسلام. ويعلن في قوة وإصرار تهديده ووعيده الأخير. ونرى في رد سليمان لوفد لرسل الملكة استهزاء بالمال، واستنكارا للاتجاه إليه في مجال غير مجاله مجال العقيدة والدعوة: ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ﴾ [النمل: 36]؟. ويذكرنا هذا الموقف بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب حين ظن أنه قد خذله وضعف عن نصرته عندما عرض عليه كفار قريش المال أو الملك، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: « يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته.) (الكامل في التاريخ 1/ 260)، وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم، ومن بعدهم الدعاة المخلصون في كل زمان ومكان لا يتزحزحون عن عقيدتهم مهما كانت الإغراءات أو التهديدات.

(16) ونستنتج من القصة أن الهدية قد أدت ثلاثة أغراض: أولهما: أنها أكدت مصداقية ما أخبر به الهدهد عن ملكة سبأ، وما تتمتع به الملكة من ملك عظيم، وثانيهما: أنها كانت رداً عملياً على رسالة سليمان ولمدى استجابة الملكة وقومها الأولي لدعوته، ثالثهما: أنها كانت رداً لفراسة الملكة؛ فيما إذا كان سليمان عليه السلام ملكاً أو نبياً، وبذلك سيخبرها رُسلها الذين أرسلتهم يحملون الهدية.

(17) ثم بعد ذلك يدرك سليمان عليه السلام أن هذا الرد شديد اللهجة سينهي الأمر مع ملكة لا تريد العداء كما يبدو من طريقتها في مقابلة رسالته القوية بهدية! ! ويُرَجِحُ سليمان أنها ستستجيب لدعوته، متيقناً من استجابتها بالفراسة، وأنها من المؤكد أنها ستحضر إليه كما خاطبها ﴿ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾. . نفهم ذلك من خلال حواره مع حاشيته وجنوده حول استحضار عرشها قبل وصولها، الذي خلفته في بلادها محروساً مصوناً . (الآية: 38) .

(18) ومن أجل استحضار عرش الملكة بلقيس يستعرض اثنين من أتباع سليمان قدراتهم، وهي قدرات خارقة للعادة ولا يمكن تصورها حتى في هذا الزمان؛ وذلك بين عفريت من الجن وأخر عنده علم من الكتاب. – إذ تبعد فلسطين عن اليمن حوالي ألفين كيلو متر –، (الآية: 39–40) . وعلينا أن نفهم أن الذي كان عنده علم من الكتاب هو رجل مؤمن على اتصال بالله، موهوب سراً من الله يستمد به من القوة الإلهية الكبرى التي لا تقف لها الحواجز والأبعاد . وهو أمر يشاهد أحياناً على أيدي بعض المتصلين بالله من الكرامات، ولم يكشف الله لنا في القرآن سر ذلك الذي عنده علم من الكتاب ولا من هو، ولا تعليل لما حدث، لأنه خارج عن مألوف البشر في حياتهم العادية. وهذا الذي عنده علم من الكتاب، كانت نفسه مهيأة بسبب ما عنده من العلم، أن تتصل ببعض الأسرار والقوى الكونية التي تتم بها تلك الخارقة التي تمت على يده، لأن ما عنده من علم الكتاب وصل قلبه بربه على نحو يهيئه للتلقي، ولاستخدام ما وهبه الله من قوى وأسرار. ولا يهمنا هنا اسمه ولا من يكون ولكن الذي يهمنا العبرة بأن هذا الذي عنده علم من الكتاب ما هو إلا تابع للنبي سليمان ومسخر لقدراته ولحاجاته، ومع ذلك فقد أعطي من القدرة أكبر مما أعطي سليمان في هذا الاختصاص النادر في عالم البشر، كما أنه برهان على سعة

ما أعطي لسليمان. ولربما لم يكن لسليمان معرفة بالقدرة الخارقة هذه للذي عنده علم من الكتاب، كما أخبرنا الله في سورة الكهف في قصة مشابهة وهي قصة موسى مع الخضر، إذ أصبح موسى تلميذا عند الخضر. وكل ذلك من حكمة الله في خلقه. فقد يكون إنسان خامل الذكر عند الناس ولكنه عند الله عظيم المكانة.

(19) ثم نرى هنا مشهداً لسليمان لا يمكن أن نصفه إلا بالعبودية الخالصة لله والاعتراف بفضله عليه وشكره على ما وهبه تعالى، عندما رأى عرش الملكة بلقيس مستقراً أمامه في طرفة عين. ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (وطرفة العين: هي حركة جفن العين بين إغلاق وفتح للعين في جزء قصير جداً من الثانية).

(20) ولكن ترى ما الذي قصد إليه سليمان عليه السلام من استحضار عرش الملكة قبل مجيئها مسلمة مع قومها ؟ (الكلام لسيد) الذي قال: (نرجح أن هذه كانت وسيلة لعرض مظاهر القوة الخارقة التي تؤيده، لتؤثر في قلبِ الملكةِ وتقودها إلى الإيمان بالله، والإذعان لدعوته). وأضيف بأنها من معجزات النبوة الخارقة للعادة.

(21) وبعد هذه الانتفاضة أمام النعمة والشعور بما وراءها من الابتلاء يمضي سليمان عليه السلام في تهيئة المفاجآت للملكة القادمة عما قليل: ﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل: 41]. أي غيروا معالمه المميزة له، لنكتشف إن كانت فراستها وفطنتها تهتدي إليه بعد هذا التنكير. أم يلتبس عليها الأمر فلا تنفذ إلى معرفته من وراء هذا التغيير. ولعل هذا كان اختباراً من سليمان لذكائها وتصرفها، في أثناء مفاجأتها بعرشها.

(22) ثم إذا نحن أمام مشهد الملكة ساعة الحضور أمام سليمان: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ [النمل: 42]. . إنها مفاجأة ضخمة لا تخطر للملكة على بال. فأين عرشها في مملكتها، وعليها أقفالها

وحراسها ؟ . . أين هو من بيت المقدس مقر ملك سليمان؟ وكيف جيء به؟ ومن ذا الذي جاء به؟ ولكن العرش عرشها على الرغم من هذا التغيير والتنكير!

ووقفت ذاهلة أمام غرابة ما تراه! ! ترى أتنفي أن العرش عرشها، بناءً على تلك الملابسات؟ أم تراها تقول: إنه هو بناءً على ما تراه فيه من أمارات؟ وقد انتهت إلى جواب ذكي أريب: ﴿ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ لا تنفي ولا تثبت، وهذا يدل على فراسة وبديهة في مواجهة المفاجأة العجيبة. إذ كيف يمكن أن يأتي عرشها من اليمن؟؟ وكيف توصل سليمان إلى مواصفاته وهو لم يراه، إن لم يكن هو عرشها بعينه؟؟ . . فضلاً عن أن يسبقها عرشها في الوصول إلى فلسطين؛ إنه لأمر خارق للعادة والمألوف! ! ويبدو أن تدرك أنها معجزة من معجزات النبي سليمان، وأن إحضار عرشها ليس أمراً عادياً يمكن حدوثه لأي إنسان، أو أن يقدر عليه أي إنسان عادي مهما أوتي من قدرات خارقة للعادة.

(23) ومعنى قولها: ﴿ وَأُوتِينَا العلم مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾. . وكأنها تقصد: أوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة أو من قبل هذه الحالة بما شاهدناه من أمر الهدهد، وما سمعناه من رسلنا إليك من الآيات الدالة على ذلك، وكنا مؤمنين من ذلك الوقت فلا حاجة إلى إظهار هذه المعجزة. وأن الذي صدها عن عبادة الله من قبل أنها كانت من قوم كافرين. (الآية: 42-43).

(24) بعد ذلك تأتي مفاجأة أخرى (يستعرض بها سليمان قدراته العلمية والإعجاز النبوي، مقابل التقدم الحضاري والإبداع الإنساني العادي الذي كان في اليمن في مملكة سبأ) . . لقد كانت المفاجأة قصرا من البلور (الزجاج)، أقيمت أرضيته فوق الماء, وظهر كأنه لجة (واللجة: الماء الجاري الذي يمكن السير فيه) . فلما قيل لها: ادخلي الصرح, حسبت أنها ستخوض تلك اللجة. فكشفت عن ساقيها ؟ فلما تمت المفاجأة كشف لها سليمان

عن سر ذلك الصرح، ﴿ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ﴾ [النمل: 44]! والصرح: هو القصر. (الآية: 44).

ووقفت الملكة مفجوءة مدهوشة أمام هذه العجائب التي تُعجِز البشر، وتدلُ على أن سليمان مسخرٌ له قوى أكبر من طاقة البشر. ويبدو من استعداد سليمان لإظهار مثل هذه المعجزات أنه قد وصل إلى علمه ما كانت عليه مملكة سبأ من التقدم الحضاري، إضافة إلى ما ذكره الهدهد، فأراد أن يستعرض ما هو أقوى مما عند الملكة. وهكذا يجب على المسلمين أن يكونوا رواداً مبدعين، حتى يمكنهم تقديم دعوة الإسلام للبشرية، والقرآن هو معجزتهم الكبرى.. ومن أجل ذلك روج النصارى أن الإسلام هو سبب التخلف حتى يهونوا من شأن الإسلام حرباً عليه. وأما ما ذكرته بعض التفاسير من أن سليمان كان قد علم أن أقدامها مثل حوافر الحمار، ومن ثم أراد أن يتأكد من ذلك بأن صنع ذلك الصرح لتكشف عن ساقيها فهي من الإسرائيليات.

(25) بعد روية الملكة لهذه المعجزات والخوارق رجعت إلى الله، وناجته معترفة بظلمها لنفسها فيما سلف من عبادة غيره. ومعلنة إسلامها، ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إسلاما لا لسليمان، ولكن لله رب العالمين مع سليمان.

والعجيب أن تُذْكر بعض الآيات التي تتحدث عن وفاة سليمان في سورة سبأ، الآيات (12–14) في قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ * فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبأ: 12 – 14].

ثم نمضي مع نصوص القصة القرآنية في المشهد الأخير منها . مشهد وفاة سليمان والجن ماضية تعمل بأمره فيما كلفها عمله؛ وهي لا تعلم نبأ موته، حتى يدلهم على ذلك أكل دابة الأرض (الأرضة) لعصاه، التي كان مرتكزاً عليها ، وسقوطه، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ . . . وقد روي أنه كان متكئاً على عصاه حين وافاه أجله؛ والجن تروح وتجيء مسخرة فيما كلفها إياه من عمل شاق شديد؛ فلم تدرك أنه مات، حتى جاءت دابة الأرض. قيل إنها الأرضة. التي تتغذى بالأخشاب، وهي تلتهم أسقف المنازل وأبوابها وقوائمها بشراهة فظيعة، في الأماكن التي تعيش فيها . . . فلما نُخِرَت عصا سليمان لم تحمله فخرّ على الأرض. وحينئذ فقط علمت الجن موته. وعندئذ ﴿ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ . . أما المدة التي بقي فيها ميتاً حتى أدركت الجن أنه ميت فلم أجد روايات صحيحة عن ذلك، وما يهمنا هو العبرة. ومن المبالغات والتي تبدو أنها من الإسرائيليات أنه بقي ميتاً لمدة سنة، لكن مثل هذه الرواية لا تستقيم مع العقل إذ أن النبي سليمان النبي والملك يتعامل أيضاً مع البشر وهم يدخلون إليه، ويخرجون من عنده، وكذلك أهل بيته، فهل يعقل أن يظلوا مدة سنة ولا يعرفون عنه أنه ميت؟؟ والله أعلم بالحقيقة.

فهؤلاء هم الجن الذين يعبدهم بعض الناس. ومنهم من عاشوا سُخْرة لعبدٍ من عباد الله مدة من الزمن محجوبون عن الغيب القريب؛ فما بالنا بالغيب البعيد ، وبعض الناس يطلب عندهم أسرار الغيب البعيد . كما يفعل السحرة المشعوذون ز

وفي الصفحة المقابلة هي صفحة نهاية وتدمير مملكة سبأ: وقد مضى في سورة النمل ما كان بين سليمان وبين ملكتهم من قصص. وهنا يجيء نبؤهم بعد قصة سليمان. مما يوحي بأن الأحداث التي تتضمنها وقعت بعد ما كان بينها وبين سليمان من خبر.

يرجح هذا الفرض أن القصة هنا تتحدث عن بطر سبأ بالنعمة وزوالها عنهم وتفرقهم بعد ذلك وتمزقهم كل ممزق. وهم كانوا على عهد الملكة التي جاء نبأها في سورة النمل مع سليمان في ملك عظيم، وفي خير عميم. وذلك ما قصه الهدهد على سليمان: ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾، وقد أعقب ذلك إسلام الملكة مع سليمان لله رب العالمين. فالقصة هنا تقع أحداثها بعد إسلام الملكة لله؛ وتحكي ما حل بهم بعد إعراضهم عن شكره على ما كانوا فيه من نعيم. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ [سبأ: 15–16].

ولكن يبقى سؤال لابد منه للتدبر والتذكير به وهو: لماذا ذكر الله في القرآن الكريم في قصة النبي سليمان عليه السلام كل هذا الاستعراض لأمور خارقة للعادة والملك الكبير في القرآن الكريم؟ وماذا يمكن أن نستفيد من مضامينها في قصة سليمان عليه السلام؟؟

ملاحظة وفوائد من التدبر في قصة سليمان مع ملكة سبأ:

أولاً: الملاحظة: لقد كان طلب سليمان عليه السلام للملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده من الله؛ هو طلب رجاء واستعطاف وليس طلب اشتراط من النبي سليمان، فليس لأحد من المخلوقين أن يشترط على الله!! لأن الله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ

مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ [آل عمران: 26]، ومن أدب النبي سليمان لطلبه أن تقدم به باستعطاف أن يغفر الله له أولاً، وبعدها طلب أن يهبه الله له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، كما حكى عنه القرآن: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾. وهذا درس ينبغي أن نتعلم منه الأدب مع الله وأن على المؤمن إذا طلب من الله حاجة فعليه أن يسبق طلبه بتوبة واستغفار، وقد ورد في سورة نوح عليه السلام تذكير نوح لقومه بما حكاه الله عنه، في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح: 10–12].

الفوائد

الفائدة الأولى :

إن الله ذكر كل تلك الاستعراضات لمظاهر الملك العريض الذي أوتي للنبي سليمان عليه السلام، والذي لم يعطى لأحد من قبله ولن يعطى لأحد من بعده، ليبين لنا أنه قادر على كل شيء، وأن كل شيء ينقاد لأمره تعالى ويخضع له حتى الشياطين المتمردة على الله ابتداءً، والجن والإنس والحيوانات بجميع أنواعها، وكذلك الريح، وعين القطر التي أسالها الله لسليمان. قال سيد: والقطر النحاس. وسياق الآيات يشير إلى أن هذا كان معجزة خارقة (أي لسليمان عليه السلام) كما كانت إلانة الحديد لداود عليه السلام معجزة. وقد يكون ذلك بأن فجر الله له عيناً بركانية من النحاس المذاب من الأرض. وعين القطر: (عين يخرج منها النحاس المذاب سائلاً مثلما يخرج الماء من الينابيع .

الفائدة الثانية:

إن كل الذي سُخَر لسليمان هو هبة من الله ولم يكتسبه سليمان بجده وجهده، ومع ذلك فهذا الملك لا يساوي شيئاً بالنسبة لملك الله العظيم. . كما أنه لا يقارن بما يعطيه الله من ملك لكل مؤمن في الآخرة، وقد ذكر الله عدداً من الأنبياء بعد ذكر إعطائه الملك لسليمان وما وهبهم الله في الآخرة. أو كما قال في سورة الإنسان: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾. ومع ذلك نحن لا ندري شيئاً عن طبيعة الملك الكبير في لآخرة لكل مؤمن بالله واليوم الأخر.

الفائدة الثالثة من ورود القصة:

هي النتيجة التي يهدف من ورائها الخطاب القرآني، في التعقيب الذي ذُكِر بعد قصة سليمان وعدد من الأنبياء بعدها؛ وذلك في سورة (ص) في التذكير بالقرآن وبحُسْنِ المَآَبِ في الآخرة والذي عاقبته دخول الجنة للمؤمنين، في قوله تعالى: ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ [ص: 49 – 54]. ثم يعقب بعد ذلك عن مصير الطغاة الكافرين في الآخرة، وكأنه يُعرَض للمرتبطين بالملك الدنيوي في قوله: ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾. وبذلك يتفق مع سياق القصة في الملك العادل للنبي المَلِكِ الذي يختلف عن أي مَلِكٍ طاغي من ملوك الدنيا .

الفائدة الرابعة أن الله ذكر ثلاثة من الحيوانات تتكلم في سورة واحدة وهي سورة النمل:

وأخيراً نستطيع من تدبر القرآن بعناية أن ندرك كيف أن إعجاز القرآن الكريم وتجليات آياته لا يمكن إدراكها إلا بالتفكر والتدبر، ففي التدبر في آيات سورة النمل نجد أنها قد أوردت ذكر ثلاثة من الحيوانات تتكلم، ولم يُذكر في القرآن حيوانات تتكلم إلا في هذه السورة، وهذا يدل على أن هذا من معجزات القرآن الكريم، فكيف يتفق ذكر

الدابة التي تكلم الناس قبل يوم القيامة مع ما ورد في قصة سليمان عليه السلام من تكلم النملة والهدهد مع اختلاف قصة سليمان عليه السلام عن الوعيد بخروج الدابة قبل يوم القيامة، فالذي انطق النملة والهدهد قادر على إنطاق أي حيوان أو أي شيء كما قال تعال: ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [فصلت:21].

وتأكيداً على أن قدرة الله في إنطاق كل شيء لا حدود لها ما ورد من حديث الشجرة التي شهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه رسول الله. فعن عطاء، عن ابن عمر، قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فأقبل أعرابي، فلما دنا (1) منه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أين تريد ؟ »، قال: إلى أهلي. قال: « هل لك إلى خير؟ »، قال: ما هو؟ قال: « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله »، قال: هل من شاهد على ما تقول؟ قال صلى الله عليه وسلم: « هذه السمرة »، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تخد الأرض خدا (تخد الأرض: تشقها كناية عن سرعة المجيء) حتى كانت بين يديه، فاستشهدها ثلاثا، فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها، ورجع الأعرابي إلى قومه، وقال: إن يتبعوني أتيتك بهم، وإلا رجعت إليك فكنت معك. رواه ابن حبان، 14/ 434 / 6505. قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات.

وكأن الله أراد بذكر حكاية النملة والهدهد تمهيداً لذكر الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة. وقد كان ورود ذكر هذه الحيوانات التي تتكلم بتدرج، أولها: يأتي ذكر النملة التي تتكلم ولا يفهم كلامها إلا سليمان عليه السلام (الآية: 18) وبعدها يأتي ذكر الهدهد الذي يتكلم ولا يفهم كلامه إلا سليمان (الآيات: 22–26)، ثم يأتي ذكر الدابة التي يخرجها الله من الأرض وهي من العلامات الكبرى التي تظهر قبل يوم القيامة فإنها تكلم الناس. وهي المذكورة في

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ النمل: 82.

وهذه الدابة التي تُكلم الناس أو الحيوان لم ترد روايات صحيحة وموثوق بها عن صفاتها، وما يهمنا في هذا المقام هو أن الله جعل ذكرها في سورة تتحدث عن حيوانات تتكلم. إلا أن الدابة سوف تتكلم مع الناس. وقد يكون كلامها مع جميع بني آدم ولربما جعلها الله تتكلم بكل لغاتهم ولهجاتهم كما يتكلم الناس فيما بينهم؛ وذلك عندما يغلق باب التوبة. وهذا يدل على جانب عظيم من إعجاز القرآن في تجليات آياته، وفي وحدة المصدر الذي جاءت منه، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ النساء: 82]، وقد ذكرت الدابة في حديث صحيح عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا » . مسلم 4/ 2260 رقم 2941.

ثانيا : النبي سليمان (ع) في التوراة

تذكر قصة النبي سليمان عليه السلام في التوراة في سفر الملوك الأول :

اَلْمُلُوكِ الأَوَّلُ

الأصحَاحُ الأَوَّلُ

توريث داوود لأبنه سليمان عليهما السلام

طريقة عجيبة للتدفئة

[1]وَشَاخَ الْمَلِكُ دَاوُدُ. تَقَدَّمَ فِي الأَيَّامِ. وَكَانُوا يُدَثِّرُونَهُ بِالثِّيَابِ فَلَمْ يَدْفَأْ. [2]فَقَالَ لَهُ عَبِيدُهُ: «لِيُفَتِّشُوا لِسَيِّدِنَا الْمَلِكِ عَلَى فَتَاةٍ عَذْرَاءَ، فَلْتَقِفْ أَمَامَ الْمَلِكِ وَلْتَكُنْ لَهُ حَاضِنَةً وَلْتَضْطَجعْ فِي حِضْنِكَ فَيَدْفَأَ سَيِّدُنَا الْمَلِكُ». [3]فَفَتَّشُوا عَلَى فَتَاةٍ جَمِيلَةٍ فِي جَمِيعِ تُخُومِ إِسْرَائِيلَ، فَوَجَدُوا أَبِيشَجَ الشُّونَمِيَّةَ، فَجَاءُوا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ. [4]وَكَانَتِ الْفَتَاةُ جَمِيلَةً جِدًّا، فَكَانَتْ حَاضِنَةَ الْمَلِكِ. وَكَانَتْ تَخْدِمُهُ، وَلكِنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَعْرِفْهَا.

يبدأ كاتب سفر الملوك قصته بطعن في اخلاقية نبي الله داوود عليه السلام فيدعي انه بعد ان بلغ من العمر عتيا لم يكن يدفأ مطلقا بالرغم من تغطيته بالثياب وغيرها وكأنه لا يوجد لديهم طرق للتدفئة من حرق الأخشاب وغيرها فخطرت على بال الكاتب فكرة شيطانية جاءت على لسان أحد عبيده يقول فيها : («لِيُفَتِّشُوا لِسَيِّدِنَا الْمَلِكِ عَلَى فَتَاةٍ عَذْرَاءَ، فَلْتَقِفْ أَمَامَ الْمَلِكِ وَلْتَكُنْ لَهُ حَاضِنَةً وَلْتَضْطَجعْ فِي حِضْنِكَ فَيَدْفَأَ سَيِّدُنَا الْمَلِكُ».

فأوجدوا له بعد البحث في جميع أنحاء اسرائيل عن فتاة جميلة جدا فكانت تخدمه لكن الأصح (تحضنه) لأجل أن تدفئه .

الوصية بتوريث سليمان عليه السلام

[32]وَقَالَ الْمَلِكُ دَاوُدُ: «اُدْعُ لِي صَادُوقَ الْكَاهِنَ وَنَاثَانَ النَّبِيَّ وَبَنَايَاهُوَ بْنَ يَهُويَادَاعَ». فَدَخَلُوا إِلَى أَمَامِ الْمَلِكِ. [33]فَقَالَ الْمَلِكُ لَهُمْ: «خُذُوا مَعَكُمْ عَبِيدَ سَيِّدِكُمْ، وَأَرْكِبُوا سُلَيْمَانَ ابْنِي عَلَى الْبَغْلَةِ الَّتِي لِي، وَانْزِلُوا بِهِ إِلَى جِيحُونَ، [34]وَلْيَمْسَحْهُ هُنَاكَ صَادُوقُ الْكَاهِنُ وَنَاثَانُ النَّبِيُّ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَاضْرِبُوا بِالْبُوقِ وَقُولُوا: لِيَحْيَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ. [35]وَتَصْعَدُونَ وَرَاءَهُ، فَيَأْتِي وَيَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّي وَهُوَ يَمْلِكُ عِوَضًا عَنِّي، وَإِيَّاهُ قَدْ أَوْصَيْتُ أَنْ يَكُونَ

رَئِيسًا عَلَى إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا». [36]فَأَجَابَ بَنَايَاهُو بْنُ يَهُويَادَاعَ الْمَلِكَ وَقَالَ: «آمِينَ. هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ سَيِّدِي الْمَلِكِ. [37]كَمَا كَانَ الرَّبُّ مَعَ سَيِّدِي الْمَلِكِ كَذلِكَ لِيَكُنْ مَعَ سُلَيْمَانَ، وَيَجْعَلْ كُرْسِيَّهُ أَعْظَمَ مِنْ كُرْسِيِّ سَيِّدِي الْمَلِكِ دَاوُدَ». [38]فَنَزَلَ صَادُوقُ الْكَاهِنُ وَنَاثَانُ النَّبِيُّ وَبَنَايَاهُو بْنُ يَهُويَادَاعَ وَالْجَلاَّدُونَ وَالسُّعَاةُ، وَأَرْكَبُوا سُلَيْمَانَ عَلَى بَغْلَةِ الْمَلِكِ دَاوُدَ، وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى جِيحُونَ. [39]فَأَخَذَ صَادُوقُ الْكَاهِنُ قَرْنَ الدُّهْنِ مِنَ الْخَيْمَةِ وَمَسَحَ سُلَيْمَانَ. وَضَرَبُوا بِالْبُوقِ، وَقَالَ جَمِيعُ الشَّعْبِ: «لِيَحْيَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ». [40]وَصَعِدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَرَاءَهُ. وَكَانَ الشَّعْبُ يَضْرِبُونَ بِالنَّايِ وَيَفْرَحُونَ فَرَحًا عَظِيمًا حَتَّى انْشَقَّتِ الأَرْضُ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ. [4]

يصف النص شخصا يدعى (داثان) بانه نبي وهذا يعني ان كاتب النص والسيرة لا يرى في داوود وخليفته سليمان ابنه عليهما السلام نبيين بل ملكيين لذلك فالشعب يحي الملك الجديد : (وَقَالَ جَمِيعُ الشَّعْبِ: «لِيَحْيَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ».

وصية داوود لسليمان

وَلَمَّا قَرُبَتْ أَيَّامُ وَفَاةِ دَاوُدَ أَوْصَى سُلَيْمَانَ ابْنَهُ قَائِلاً: [2]«أَنَا ذَاهِبٌ فِي طَرِيقِ الأَرْضِ كُلِّهَا، فَتَشَدَّدْ وَكُنْ رَجُلاً. [3]اِحْفَظْ شَعَائِرَ الرَّبِّ إِلهِكَ، إِذْ تَسِيرُ فِي طُرُقِهِ، وَتَحْفَظُ فَرَائِضَهُ، وَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَشَهَادَاتِهِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى

لكن يعود كاتب النص التوراتي الى اعطاء داوود عليه السلام بعض الاعمال النبوية فيطلب من خليفته أن يحفظ شريعة موسى ويحفظ فرائض الرب وأحكامه وشهاداته .

صراع على السلطة وتصفيات

[23]وَحَلَفَ سُلَيْمَانُ الْمَلِكُ بِالرَّبِّ قَائِلاً: «هكَذَا يَفْعَلُ لِيَ اللهُ وَهكَذَا يَزِيدُ، إِنَّهُ قَدْ تَكَلَّمَ أَدُونِيَّا بِهذَا الْكَلاَمِ ضِدَّ نَفْسِهِ. [24]وَالآنَ حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي ثَبَّتَنِي وَأَجْلَسَنِي عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ أَبِي، وَالَّذِي صَنَعَ لِي بَيْتًا كَمَا تَكَلَّمَ، إِنَّهُ الْيَوْمَ يُقْتَلُ أَدُونِيَّا» .

فلقد طالبت أمه بأن يكون أدونيا الأخ البكر في خلافة ابيهما داوود لكن سليمان يرفض ذلك ويأمر بقتل أدونيا وتصفيته وينفرد بشكل مطلق في حكم بني اسرائيل بدون منافس .

مصاهرة سليمان لفرعون مصر

[1]وَصَاهَرَ سُلَيْمَانُ فِرْعَوْنَ مَلِكَ مِصْرَ، وَأَخَذَ بِنْتَ فِرْعَوْنَ وَأَتَى بِهَا إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ إِلَى أَنْ أَكْمَلَ بِنَاءَ بَيْتِهِ وَبَيْتِ الرَّبِّ وَسُورِ أُورُشَلِيمَ حَوَالَيْهَا .

ولا ندري اذا كانت هذه المصاهرة حقيقة أم من وحي الكاتب ذلك انها لم تذكر في القرآن الكريم بالرغم من أهمية هذا الحدث الذي يربط بين شعبين عدويين وقد حدث بعد ذلك ان قام أحد الفراعنة بالقضاء على مملكة اسرائيل وسرق كنوز سليمان بكاملها وفق ما تذكره المراجع الاسرائيلية .

طلب الحكمة

[7]وَالآنَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي، أَنْتَ مَلَّكْتَ عَبْدَكَ مَكَانَ دَاوُدَ أَبِي، وَأَنَا فَتىً صَغِيرٌ لاَ أَعْلَمُ الْخُرُوجَ وَالدُّخُولَ. [8]وَعَبْدُكَ فِي وَسَطِ شَعْبِكَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ، شَعْبٌ كَثِيرٌ لاَ يُحْصَى وَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ. [9]فَأَعْطِ عَبْدَكَ قَلْبًا فَهِيمًا لأَحْكُمَ عَلَى شَعْبِكَ وَأُمَيِّزَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، لأَنَّهُ مَنْ يَقْدُرُ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى شَعْبِكَ الْعَظِيمِ هذَا ؟» [10]فَحَسُنَ الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيِ

الرَّبِ، لأَنَّ سُلَيْمَانَ سَأَلَ هذَا الأَمْرَ. [11]فَقَالَ لَهُ اللهُ: «مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ قَدْ سَأَلْتَ هذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تَسْأَلْ لِنَفْسِكَ أَيَّامًا كَثِيرَةً وَلاَ سَأَلْتَ لِنَفْسِكَ غِنًى، وَلاَ سَأَلْتَ أَنْفُسَ أَعْدَائِكَ، بَلْ سَأَلْتَ لِنَفْسِكَ تَمْيِيزًا لِتَفْهَمَ الْحُكْمَ، [12]هُوَذَا قَدْ فَعَلْتُ حَسَبَ كَلاَمِكَ. هُوَذَا أَعْطَيْتُكَ قَلْبًا حَكِيمًا وَمُمَيِّزًا حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلُكَ قَبْلَكَ وَلاَ يَقُومُ بَعْدَكَ نَظِيرُكَ. [13]

[30]وَفَاقَتْ حِكْمَةُ سُلَيْمَانَ حِكْمَةَ جَمِيعِ بَنِي الْمَشْرِقِ وَكُلَّ حِكْمَةِ مِصْرَ. [31]وَكَانَ أَحْكَمَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ، مِنْ إِيثَانَ الأَزْرَاحِيِّ وَهَيْمَانَ وَكَلْكُولَ وَدَرْدَعَ بَنِي مَاحُولَ. وَكَانَ صِيتُهُ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ حَوَالَيْهِ. [32]وَتَكَلَّمَ بِثَلاَثَةِ آلاَفِ مَثَل، وَكَانَتْ نَشَائِدُهُ أَلْفًا وَخَمْسًا. [33]وَتَكَلَّمَ عَنِ الأَشْجَارِ، مِنَ الأَرْزِ الَّذِي فِي لُبْنَانَ إِلَى الزُّوفَا النَّابِتِ فِي الْحَائِطِ. وَتَكَلَّمَ عَنِ الْبَهَائِمِ وَعَنِ الطَّيْرِ وَعَنِ الدَّبِيبِ وَعَنِ السَّمَكِ. [34]وَكَانُوا يَأْتُونَ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ لِيَسْمَعُوا حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ الأَرْضِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِحِكْمَتِهِ.

في هذا النص يطلب سليمان عليه السلام من ربه الحكمة والحكمة فقط فلا ذكر لطلب يتعلق بالحكم والملك كما جاء في النص القرآني : (﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص : 35] ويبالغ النص التوراتي في مقدار ما عند سليمان عليه السلام من الحكمة التي منحها الله له : ([34]وَكَانُوا يَأْتُونَ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ لِيَسْمَعُوا حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ الأَرْضِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِحِكْمَتِهِ.

ولفت انتباهنا في النص المشار اليه ايضا هو تكلم سليمان عليه السلام عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب والسمك وان الاشارة الى الطير والدبيب يذكرنا بالايات القرآنية التي يذكر فيها ان الله تعالى علم سليمان عليه السلام منطق الطير وسمع مرة حديث النملة التي تحذر مجموعاتها من خطر خيول جيش سليمان عليه السلام.

الحكم بين زانيتين

[16]حِينَئِذٍ أَتَتِ امْرَأَتَانِ زَانِيَتَانِ إِلَى الْمَلِكِ وَوَقَفَتَا بَيْنَ يَدَيْهِ. [17]فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ الْوَاحِدَةُ: «اسْتَمِعْ يَا سَيِّدِي. إِنِّي أَنَا وَهذِهِ الْمَرْأَةُ سَاكِنَتَانِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ وَلَدْتُ مَعَهَا فِي الْبَيْتِ. [18]وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ بَعْدَ وِلاَدَتِي وَلَدَتْ هذِهِ

الْمَرْأَةُ أَيْضًا، وَكُنَّا مَعًا، وَلَمْ يَكُنْ مَعَنَا غَرِيبٌ فِي الْبَيْتِ غَيْرَنَا نَحْنُ كِلْتَيْنَا فِي الْبَيْتِ. [19]فَمَاتَ ابْنُ هذِهِ فِي اللَّيْلِ، لأَنَّهَا اضْطَجَعَتْ عَلَيْهِ. [20]فَقَامَتْ فِي وَسَطِ اللَّيْلِ وَأَخَذَتِ ابْنِي مِنْ جَانِبِي وَأَمَتُكَ نَائِمَةٌ، وَأَضْجَعَتْهُ فِي حِضْنِهَا، وَأَضْجَعَتِ ابْنَهَا الْمَيْتَ فِي حِضْنِي. [21]فَلَمَّا قُمْتُ صَبَاحًا لأُرْضِعَ ابْنِي، إِذَا هُوَ مَيْتٌ. وَلَمَّا تَأَمَّلْتُ فِيهِ فِي الصَّبَاحِ، إِذَا هُوَ لَيْسَ ابْنِيَ الَّذِي وَلَدْتُهُ». [22]وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ الأُخْرَى تَقُولُ: «كَلاَّ، بَلِ ابْنِيَ الْحَيُّ وَابْنُكِ الْمَيْتُ». وَهذِهِ تَقُولُ: «لاَ، بَلِ ابْنُكِ الْمَيْتُ وَابْنِيَ الْحَيُّ». وَتَكَلَّمَتَا أَمَامَ الْمَلِكِ. [23]فَقَالَ الْمَلِكُ: «هذِهِ تَقُولُ: هذَا ابْنِيَ الْحَيُّ وَابْنُكِ الْمَيْتُ، وَتِلْكَ تَقُولُ: لاَ، بَلِ ابْنُكِ الْمَيْتُ وَابْنِيَ الْحَيُّ». [24]فَقَالَ الْمَلِكُ: «ايتُونِي بِسَيْفٍ». فَأَتَوْا بِسَيْفٍ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ. [25]فَقَالَ الْمَلِكُ: «اشْطُرُوا الْوَلَدَ الْحَيَّ اثْنَيْنِ، وَأَعْطُوا نِصْفًا لِلْوَاحِدَةِ وَنِصْفًا لِلأُخْرَى». [26]فَتَكَلَّمَتِ الْمَرْأَةُ الَّتِي ابْنُهَا الْحَيُّ لِلْمَلِكِ، لأَنَّ أَحْشَاءَهَا اضْطَرَمَتْ عَلَى ابْنِهَا، وَقَالَتِ: «اسْتَمِعْ يَا سَيِّدِي. أَعْطُوهَا الْوَلَدَ الْحَيَّ وَلاَ تُمِيتُوهُ». وَأَمَّا تِلْكَ فَقَالَتْ: «لاَ يَكُونُ لِي وَلاَ لَكِ. اُشْطُرُوهُ». [27]فَأَجَابَ الْمَلِكُ وَقَالَ: «أَعْطُوهَا الْوَلَدَ الْحَيَّ وَلاَ تُمِيتُوهُ فَإِنَّهَا أُمُّهُ». [28]وَلَمَّا سَمِعَ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ بِالْحُكْمِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ الْمَلِكُ خَافُوا الْمَلِكَ، لأَنَّهُمْ رَأَوْا حِكْمَةَ اللهِ فِيهِ لإِجْرَاءِ الْحُكْمِ .

لا ندري اذا كانت هذه الحادثة قد حصلت فعلا فلم تذكرها الايات القرآنية التي تحدثت عن قصة سليمان عليه السلام لكن على مايبدو فهي من وحي خيال كاتب السيرة السليمانية ليعطي لقراءه مدى فطنة وحكمة سليمان عليه السلام .

سليمان الأسطورة

[21]وَكَانَ سُلَيْمَانُ مُتَسَلِّطًا عَلَى جَمِيعِ الْمَمَالِكِ مِنَ النَّهْرِ إِلَى أَرْضِ فِلِسْطِينَ، وَإِلَى تُخُومِ مِصْرَ. كَانُوا يُقَدِّمُونَ الْهَدَايَا وَيَخْدِمُونَ سُلَيْمَانَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ. [22]وَكَانَ طَعَامُ سُلَيْمَانَ لِلْيَوْمِ الْوَاحِدِ: ثَلاَثِينَ كُرَّ سَمِيذٍ، وَسِتِّينَ كُرَّ دَقِيق،

[23]وَعَشَرَةَ ثِيرَانٍ مُسَمَّنَةٍ، وَعِشْرِينَ ثَوْرًا مِنَ الْمَرَاعِي، وَمِئَةَ خَرُوفٍ، مَا عَدَا الأَيَائِلَ وَالظِّبَاءَ وَالْيَحَامِيرَ وَالإِوَزَّ الْمُسَمَّنَ. [24]لأَنَّهُ كَانَ مُتَسَلِّطًا عَلَى كُلِّ مَا عَبْرَ النَّهْرِ مِنْ تَفْسَحَ إِلَى غَزَّةَ، عَلَى كُلِّ مُلُوكِ عَبْرِ النَّهْرِ، وَكَانَ لَهُ صُلْحٌ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ حَوَالَيْهِ. [25]وَسَكَنَ يَهُوذَا وَإِسْرَائِيلُ آمِنِينَ، كُلُّ وَاحِدٍ تَحْتَ كَرْمَتِهِ وَتَحْتَ تِينَتِهِ، مِنْ دَانَ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ، كُلَّ أَيَّامِ سُلَيْمَانَ. [26]وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ أَرْبَعُونَ أَلْفَ مِذْوَدٍ لِخَيْلِ مَرْكَبَاتِهِ، وَاثْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ.

يصور هذا النص التوراتي النبي سليمان عليه السلام كملك أسطوري فقد ملك بلاد عديدة وأراضي دول عدة كما كان له حاشية عظيمة لا يكفيها عشرون عجلا ومئة خروف غير الظباء والأوز وغيرها طعام يوم واحد وقوته العسكرية جبارة قد تفوق قوة الاسكندر المقدوني الذي غزا الأرض من غربها الى شرقها .

لكن النصوص القرآنية التي تتحدث عن عظم ملك سليمان عليه السلام وأن لا يؤتى أحدا من بعده له مثل هذا الملك فأنما تتحدث عن قدرات وهبها وسخرها له لم تسخر وتعطى لملك من قبله أو بعده ومنها تسخير الرياح والشياطين ومنطق الطير وحشر جنود له من الجن والانس .

قال تعالى: وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ [الأنبياء:81–82]، وقال سبحانه: وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ [النمل:16–17]، وقال عز وجل: وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ [سبأ:12–13]، وقال تعالى: قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي

إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ [ص:35–39]،

لكن هذا التسخير والعطاء لم يكن للعدوان والاعتداء اذا لو كان لذلك لكان بامكان سليمان عليه السلام غزو الأرض المسكونه في ذلك الوقت ولا يمكن لأي قوة بشرية أن تقف في وجهه لكن هذا الامكانيات انما حصرت في منطقة جغرافية محددة ولأغراض نشر الدين واقامة شرع الله فالمملكة التي بناها سليمان عليه السلام هي مملكة دينية شرعية الهية وليس كما تصور لنا الكتب المقدسة عند اليهود من انها مملكة لبني اسرائيل خاصة بوصفهم شعب الله وأحبابه لذلك فيصورون أنبياءهم كملوك لبني اسرائيل وقادة عسكريين وليسوا رسلا ودعاة .

بناء المعبد

[1]وَأَرْسَلَ حِيرَامُ مَلِكُ صُورَ عَبِيدَهُ إِلَى سُلَيْمَانَ، لأَنَّهُ سَمِعَ أَنَّهُمْ مَسَحُوهُ مَلِكًا مَكَانَ أَبِيهِ، لأَنَّ حِيرَامَ كَانَ مُحِبًّا لِدَاوُدَ كُلَّ الأَيَّامِ. [2]فَأَرْسَلَ سُلَيْمَانُ إِلَى حِيرَامَ يَقُولُ: [3]«أَنْتَ تَعْلَمُ دَاوُدَ أَبِي أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَبْنِيَ بَيْتًا لاسْمِ الرَّبِّ إِلهِهِ بِسَبَبِ الْحُرُوبِ الَّتِي أَحَاطَتْ بِهِ، حَتَّى جَعَلَهُمُ الرَّبُّ تَحْتَ بَطْنِ قَدَمَيْهِ. [4]وَالآنَ فَقَدْ أَرَاحَنِيَ الرَّبُّ إِلهِي مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ فَلاَ يُوجَدُ خَصْمٌ وَلاَ حَادِثَةُ شَرّ. [5]وَهأَنَذَا قَائِلٌ عَلَى بِنَاءِ بَيْتٍ لاسْمِ الرَّبِّ إِلهِي كَمَا كَلَّمَ الرَّبُّ دَاوُدَ أَبِي قَائِلاً: إِنَّ ابْنَكَ الَّذِي أَجْعَلُهُ مَكَانَكَ عَلَى كُرْسِيِّكَ هُوَ يَبْنِي الْبَيْتَ لاسْمِي. [6]وَالآنَ فَأْمُرْ أَنْ يَقْطَعُوا لِي أَرْزًا مِنْ لُبْنَانَ، وَيَكُونُ عَبِيدِي مَعَ عَبِيدِكَ، وَأُجْرَةُ عَبِيدِكَ أُعْطِيكَ إِيَّاهَا حَسَبَ كُلِّ مَا تَقُولُ، لأَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَنَا أَحَدٌ يَعْرِفُ قَطْعَ الْخَشَبِ مِثْلَ الصَّيْدُونِيِّينَ» .

[13]وَسَخَّرَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ مِنْ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ، وَكَانَتِ السُّخَرُ ثَلاَثِينَ أَلْفَ رَجُل. [14]فَأَرْسَلَهُمْ إِلَى لُبْنَانَ عَشْرَةَ آلاَفٍ فِي الشَّهْرِ بِالنَّوْبَةِ. يَكُونُونَ شَهْرًا فِي لُبْنَانَ وَشَهْرَيْنِ فِي بُيُوتِهِمْ. وَكَانَ أَدُونِيرَامُ عَلَى التَّسْخِيرِ. [15]وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا يَحْمِلُونَ أَحْمَالاً، وَثَمَانُونَ أَلْفًا يَقْطَعُونَ فِي الْجَبَلِ، [16]مَا عَدَا رُؤَسَاءَ الْوُكَلاَءِ لِسُلَيْمَانَ الَّذِينَ عَلَى الْعَمَلِ ثَلاَثَةَ آلاَفٍ وَثَلاَثُ مِئَةٍ، الْمُتَسَلِّطِينَ عَلَى الشَّعْبِ الْعَامِلِينَ الْعَمَلَ. [17]وَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يَقْلَعُوا حِجَارَةً كَبِيرَةً، حِجَارَةً كَرِيمَةً لِتَأْسِيسِ الْبَيْتِ، حِجَارَةً مُرَبَّعَةً. [18]فَنَحَتَهَا بَنَّاؤُو سُلَيْمَانَ، وَبَنَّاؤُو حِيرَامَ وَالْجِبْلِيُّونَ، وَهَيَّأُوا الأَخْشَابَ وَالْحِجَارَةَ لِبِنَاءِ الْبَيْتِ

وصف البيت

[1]وَكَانَ فِي سَنَةِ الأَرْبَعِ مِئَةٍ وَالثَّمَانِينَ لِخُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِمُلْكِ سُلَيْمَانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فِي شَهْرِ زِيُو وَهُوَ الشَّهْرُ الثَّانِي، أَنَّهُ بَنَى الْبَيْتَ لِلرَّبِّ. [2]وَالْبَيْتُ الَّذِي بَنَاهُ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ لِلرَّبِّ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، وَعَرْضُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا، وَسَمْكُهُ ثَلاَثُونَ ذِرَاعًا. [3]وَالرِّوَاقُ قُدَّامَ هَيْكَلِ الْبَيْتِ طُولُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا حَسَبَ عَرْضِ الْبَيْتِ، وَعَرْضُهُ عَشَرُ أَذْرُعٍ قُدَّامَ الْبَيْتِ. [4]وَعَمِلَ لِلْبَيْتِ كُوًى مَسْقُوفَةً مُشَبَّكَةً. [5]وَبَنَى مَعَ حَائِطِ الْبَيْتِ طِبَاقًا حَوَالَيْهِ مَعَ حِيطَانِ الْبَيْتِ حَوْلَ الْهَيْكَلِ وَالْمِحْرَابِ، وَعَمِلَ غُرُفَاتٍ فِي مُسْتَدِيرِهَا. [6]فَالطَّبَقَةُ السُّفْلَى عَرْضُهَا خَمْسُ أَذْرُعٍ، وَالْوُسْطَى عَرْضُهَا سِتُّ أَذْرُعٍ، وَالثَّالِثَةُ عَرْضُهَا سَبْعُ أَذْرُعٍ، لأَنَّهُ جَعَلَ لِلْبَيْتِ حَوَالَيْهِ مِنْ خَارِجٍ أَخْصَامًا لِئَلاَّ تَتَمَكَّنَ الْجَوَائِزُ فِي حِيطَانِ الْبَيْتِ.

[7]وَالْبَيْتُ فِي بِنَائِهِ بُنِيَ بِحِجَارَةٍ صَحِيحَةٍ مُقْتَلَعَةٍ، وَلَمْ يُسْمَعْ فِي الْبَيْتِ عِنْدَ بِنَائِهِ مِنْحَتٌ وَلاَ مِعْوَلٌ وَلاَ أَدَاةٌ مِنْ حَدِيدٍ. [8]وَكَانَ بَابُ الْغُرْفَةِ الْوُسْطَى فِي جَانِبِ الْبَيْتِ الأَيْمَنِ، وَكَانُوا يَصْعَدُونَ بِدَرَجٍ مُعَطَّفٍ إِلَى الْوُسْطَى، وَمِنَ الْوُسْطَى إِلَى الثَّالِثَةِ. [9]فَبَنَى الْبَيْتَ وَأَكْمَلَهُ، وَسَقَفَ الْبَيْتَ بِأَلْوَاحٍ وَجَوَائِزَ مِنَ الأَرْزِ. [10]وَبَنَى الْغُرُفَاتِ عَلَى الْبَيْتِ كُلِّهِ سَمْكُهَا خَمْسُ أَذْرُعٍ، وَتَمَكَّنَتْ فِي الْبَيْتِ بِخَشَبِ أَرْزٍ.

[11]وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى سُلَيْمَانَ قَائِلاً: [12]«هذَا الْبَيْتُ الَّذِي أَنْتَ بَانِيهِ، إِنْ سَلَكْتَ فِي فَرَائِضِي وَعَمِلْتَ أَحْكَامِي وَحَفِظْتَ كُلَّ وَصَايَايَ لِلسُّلُوكِ بِهَا، فَإِنِّي أُقِيمُ مَعَكَ كَلاَمِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ إِلَى دَاوُدَ أَبِيكَ، [13]وَأَسْكُنُ فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلاَ أَتْرُكُ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ» .

[14]فَبَنَى سُلَيْمَانُ الْبَيْتَ وَأَكْمَلَهُ. [15]وَبَنَى حِيطَانَ الْبَيْتِ مِنْ دَاخِل بِأَضْلاَعِ أَرْزٍ مِنْ أَرْضِ الْبَيْتِ إِلَى حِيطَانِ السَّقْفِ، وَغَشَّاهُ مِنْ دَاخِل بِخَشَبٍ، وَفَرَشَ أَرْضَ الْبَيْتِ بِأَخْشَابِ سَرْوٍ. [16]وَبَنَى عِشْرِينَ ذِرَاعًا مِنْ مُؤَخَّرِ الْبَيْتِ بِأَضْلاَعِ أَرْزٍ مِنَ الأَرْضِ إِلَى الْحِيطَانِ. وَبَنَى دَاخِلَهُ لأَجْلِ الْمِحْرَابِ، أَيْ قُدْسِ الأَقْدَاسِ. [17]وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا كَانَتِ الْبَيْتَ، أَيِ الْهَيْكَلَ الَّذِي أَمَامَهُ. [18]وَأَرْزُ الْبَيْتِ مِنْ دَاخِل كَانَ مَنْقُورًا عَلَى شَكْلِ قِثَّاءٍ وَبَرَاعِمِ زُهُورٍ. الْجَمِيعُ أَرْزٌ. لَمْ يَكُنْ يُرَى حَجَرٌ. [19]وَهَيَّأَ مِحْرَابًا فِي وَسَطِ الْبَيْتِ مِنْ دَاخِل لِيَضَعَ هُنَاكَ تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ. [20]وَلأَجْلِ الْمِحْرَابِ عِشْرُونَ ذِرَاعًا طُولاً وَعِشْرُونَ ذِرَاعًا عَرْضًا وَعِشْرُونَ ذِرَاعًا سَمْكًا . وَغَشَّاهُ بِذَهَبٍ خَالِصٍ، وَغَشَّى الْمَذْبَحَ بِأَرْزٍ. [21]وَغَشَّى سُلَيْمَانُ الْبَيْتَ مِنْ دَاخِل بِذَهَبٍ خَالِصٍ. وَسَدَّ بِسَلاَسِلِ ذَهَبٍ قُدَّامَ الْمِحْرَابِ. وَغَشَّاهُ بِذَهَبٍ. [22]وَجَمِيعُ الْبَيْتِ غَشَّاهُ بِذَهَبٍ إِلَى تَمَامِ كُلِّ الْبَيْتِ، وَكُلُّ الْمَذْبَحِ الَّذِي لِلْمِحْرَابِ غَشَّاهُ بِذَهَبٍ. [23]وَعَمِلَ فِي الْمِحْرَابِ كَرُوبَيْنِ مِنْ خَشَبِ الزَّيْتُونِ، عُلُوُّ الْوَاحِدِ عَشَرُ أَذْرُعٍ. [24]وَخَمْسُ أَذْرُعٍ جَنَاحُ الْكَرُوبِ الْوَاحِدُ، وَخَمْسُ أَذْرُعٍ جَنَاحُ الْكَرُوبِ الآخَرُ. عَشَرُ أَذْرُعٍ مِنْ طَرَفِ جَنَاحِهِ إِلَى طَرَفِ جَنَاحِهِ. [25]وَعَشَرُ أَذْرُعٍ الْكَرُوبُ الآخَرُ. قِيَاسٌ وَاحِدٌ، وَشَكْلٌ وَاحِدٌ لِلْكَرُوبَيْنِ. [26]عُلُوُّ الْكَرُوبِ الْوَاحِدِ عَشَرُ أَذْرُعٍ وَكَذَا الْكَرُوبُ الآخَرُ. [27]وَجَعَلَ الْكَرُوبَيْنِ فِي وَسَطِ الْبَيْتِ الدَّاخِلِيِّ، وَبَسَطُوا أَجْنِحَةَ الْكَرُوبَيْنِ فَمَسَّ جَنَاحُ الْوَاحِدِ الْحَائِطَ وَجَنَاحُ الْكَرُوبِ الآخَرِ مَسَّ الْحَائِطَ الآخَرَ. وَكَانَتْ أَجْنِحَتُهُمَا فِي وَسَطِ الْبَيْتِ يَمَسُّ أَحَدُهُمَا الآخَرَ. [28]وَغَشَّى الْكَرُوبَيْنِ بِذَهَبٍ. [29]وَجَمِيعُ حِيطَانِ الْبَيْتِ فِي مُسْتَدِيرِهَا رَسَمَهَا نَقْشًا بِنَقْرِ كَرُوبِيمَ وَنَخِيل وَبَرَاعِمِ زُهُورٍ مِنْ دَاخِل وَمِنْ خَارِجٍ. [30]وَغَشَّى أَرْضَ الْبَيْتِ بِذَهَبٍ مِنْ دَاخِل وَمِنْ خَارِجٍ. [31]وَعَمِلَ لِبَابِ الْمِحْرَابِ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ خَشَبِ الزَّيْتُونِ. السَّاكِفُ وَالْقَائِمَتَانِ مُخَمَّسَةٌ. [32]وَالْمِصْرَاعَانِ مِنْ خَشَبِ الزَّيْتُونِ. وَرَسَمَ عَلَيْهِمَا نَقْشَ كَرُوبِيمَ وَنَخِيل وَبَرَاعِمِ زُهُورٍ، وَغَشَّاهُمَا بِذَهَبٍ، وَرَصَّعَ الْكَرُوبِيمَ وَالنَّخِيلَ بِذَهَبٍ. [33]وَكَذلِكَ عَمِلَ لِمَدْخَلِ الْهَيْكَلِ قَوَائِمَ مِنْ خَشَبِ

الزَّيْتُونِ مُرَبَّعَةً، [34]وَمِصْرَاعَيْنِ مِنْ خَشَبِ السَّرْوِ. الْمِصْرَاعُ الْوَاحِدُ دَفَّتَانِ تَنْطَوِيَانِ، وَالْمِصْرَاعُ الآخَرُ دَفَّتَانِ تَنْطَوِيَانِ. [35]وَنَحَتَ كَرُوبِيمَ وَنَخِيلاً وَبَرَاعِمَ زُهُورٍ، وَغَشَّاهَا بِذَهَبٍ مُطَرَّقٍ عَلَى الْمَنْقُوشِ. [36]وَبَنَى الدَّارَ الدَّاخِلِيَّةَ ثَلاَثَةَ صُفُوفٍ مَنْحُوتَةٍ، وَصَفًّا مِنْ جَوَائِزِ الأَرْزِ. [37]فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ أُسِّسَ بَيْتُ الرَّبِّ فِي شَهْرِ زِيُو. [38]وَفِي السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشَرَةَ فِي شَهْرِ بُولَ، وَهُوَ الشَّهْرُ الثَّامِنُ، أُكْمِلَ الْبَيْتُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وَأَحْكَامِهِ. فَبَنَاهُ فِي سَبْعِ سِنِينٍ

البيت والهيكل وكل شئ من ذهب

[48]وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ جَمِيعَ آنِيَةِ بَيْتِ الرَّبِّ: الْمَذْبَحَ مِنْ ذَهَبٍ، وَالْمَائِدَةَ الَّتِي عَلَيْهَا خُبْزُ الْوُجُوهِ مِنْ ذَهَبٍ، [49]وَالْمَنَائِرَ خَمْسًا عَنِ الْيَمِينِ وَخَمْسًا عَنِ الْيَسَارِ أَمَامَ الْمِحْرَابِ مِنْ ذَهَبٍ خَالِصٍ، وَالأَزْهَارَ وَالسُّرُجَ وَالْمَلاَقِطَ مِنْ ذَهَبٍ، [50]وَالطُّسُوسَ وَالْمَقَاصَّ وَالْمَنَاضِحَ وَالصُّحُونَ وَالْمَجَامِرَ مِنْ ذَهَبٍ خَالِصٍ، وَالْوُصَلَ لِمَصَارِيعِ الْبَيْتِ الدَّاخِلِيِّ، أَيْ لِقُدْسِ الأَقْدَاسِ، وَلأَبْوَابِ الْبَيْتِ، أَيِ الْهَيْكَلِ مِنْ ذَهَبٍ. [51]وَأُكْمِلَ جَمِيعُ الْعَمَلِ الَّذِي عَمِلَهُ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ لِبَيْتِ الرَّبِّ. وَأَدْخَلَ سُلَيْمَانُ أَقْدَاسَ دَاوُدَ أَبِيهِ: الْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ وَالآنِيَةَ، وَجَعَلَهَا فِي خَزَائِنِ بَيْتِ الرَّبِّ

وضع تابوت العهد

[1]حِينَئِذٍ جَمَعَ سُلَيْمَانُ شُيُوخَ إِسْرَائِيلَ وَكُلَّ رُؤُوسِ الأَسْبَاطِ، رُؤَسَاءَ الآبَاءِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ فِي أُورُشَلِيمَ، لإِصْعَادِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ مِنْ مَدِينَةِ دَاوُدَ، هِيَ صِهْيَوْنُ. [2]فَاجْتَمَعَ إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ جَمِيعُ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ فِي الْعِيدِ فِي شَهْرِ أَيْثَانِيمَ، هُوَ الشَّهْرُ السَّابعُ. [3]وَجَاءَ جَمِيعُ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، وَحَمَلَ الْكَهَنَةُ التَّابُوتَ. [4]وَأَصْعَدُوا تَابُوتَ الرَّبِّ وَخَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ مَعَ جَمِيعِ آنِيَةِ الْقُدْسِ الَّتِي فِي الْخَيْمَةِ، فَأَصْعَدَهَا الْكَهَنَةُ وَاللاَّوِيُّونَ. [5]وَالْمَلِكُ سُلَيْمَانُ وَكُلُّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ الْمُجْتَمِعِينَ إِلَيْهِ مَعَهُ أَمَامَ التَّابُوتِ، كَانُوا يَذْبَحُونَ مِنَ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ مَا لاَ يُحْصَى وَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ. [6]وَأَدْخَلَ الْكَهَنَةُ تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ إِلَى مَكَانِهِ فِي مِحْرَابِ الْبَيْتِ فِي قُدْسِ الأَقْدَاسِ، إِلَى تَحْتِ

جَنَاحَيِ الْكَرُوبَيْنِ، [7]لأَنَّ الْكَرُوبَيْنِ بَسَطَا أَجْنِحَتَهُمَا عَلَى مَوْضِعِ التَّابُوتِ، وَظَلَّلَ الْكَرُوبَانِ التَّابُوتَ وَعِصِيَّهُ مِنْ فَوْقُ. [8]وَجَذَبُوا الْعِصِيَّ فَتَرَاءَتْ رُؤُوسُ الْعِصِيِّ مِنَ الْقُدْسِ أَمَامَ الْمِحْرَابِ وَلَمْ تُرَ خَارِجًا، وَهِيَ هُنَاكَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ. [9]لَمْ يَكُنْ فِي التَّابُوتِ إِلاَّ لَوْحَا الْحَجَرِ اللَّذَانِ وَضَعَهُمَا مُوسَى هُنَاكَ فِي حُورِيبَ حِينَ عَاهَدَ الرَّبُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. [10]وَكَانَ لَمَّا خَرَجَ الْكَهَنَةُ مِنَ الْقُدْسِ أَنَّ السَّحَابَ مَلأَ بَيْتَ الرَّبِّ، [11]وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْكَهَنَةُ أَنْ يَقِفُوا لِلْخِدْمَةِ بِسَبَبِ السَّحَابِ، لأَنَّ مَجْدَ الرَّبِّ مَلأَ بَيْتَ الرَّبِّ.

[12]حِينَئِذٍ تَكَلَّمَ سُلَيْمَانُ: «قَالَ الرَّبُّ إِنَّهُ يَسْكُنُ فِي الضَّبَابِ. [13]إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ بَيْتَ سُكْنَى، مَكَانًا لِسُكْنَاكَ إِلَى الأَبَدِ». [14]وَحَوَّلَ الْمَلِكُ وَجْهَهُ وَبَارَكَ كُلَّ جُمْهُورِ إِسْرَائِيلَ،

تهديد الرب لسليمان

[5]فَإِنِّي أُقِيمُ كُرْسِيَّ مُلْكِكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ كَمَا كَلَّمْتُ دَاوُدَ أَبَاكَ قَائِلاً: لاَ يُعْدَمُ لَكَ رَجُلٌ عَنْ كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ. [6]إِنْ كُنْتُمْ تَنْقَلِبُونَ أَنْتُمْ أَوْ أَبْنَاؤُكُمْ مِنْ وَرَائِي، وَلاَ تَحْفَظُونَ وَصَايَايَ، فَرَائِضِيَ الَّتِي جَعَلْتُهَا أَمَامَكُمْ، بَلْ تَذْهَبُونَ وَتَعْبُدُونَ آلِهَةً أُخْرَى وَتَسْجُدُونَ لَهَا، [7]فَإِنِّي أَقْطَعُ إِسْرَائِيلَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، وَالْبَيْتُ الَّذِي قَدَّسْتُهُ لاسْمِي أَنْفِيهِ مِنْ أَمَامِي، وَيَكُونُ إِسْرَائِيلُ مَثَلاً وَهُزْأَةً فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ، [8]وَهذَا الْبَيْتُ يَكُونُ عِبْرَةً. كُلُّ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ يَتَعَجَّبُ وَيَصْفُرُ، وَيَقُولُونَ: لِمَاذَا عَمِلَ الرَّبُّ هكَذَا لِهذِهِ الأَرْضِ وَلِهذَا الْبَيْتِ؟ [9]فَيَقُولُونَ: مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ تَرَكُوا الرَّبَّ إِلهَهُمُ الَّذِي أَخْرَجَ آبَاءَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَتَمَسَّكُوا بِآلِهَةٍ أُخْرَى وَسَجَدُوا لَهَا وَعَبَدُوهَا، لِذلِكَ جَلَبَ الرَّبُّ عَلَيْهِمْ كُلَّ هذَا الشَّرِّ».

لماذا كل هذه الدعاية لبيت الله الاسرائيلي ؟

تبين لنا خاتمة هذه النصوص العبرية ان الغاية من اقامة بيت الله هو اقامة شرع الله والوفاء بالعهد الذي قطعته بني اسرائيل تجاه ربها وهو المحافظة والمثابرة على عبادتها وعدم الشرك به وعبادة الأصنام والأوثان .

وبناء هذا البيت لله والكلام عنه وعن قدسيته يذكرنا بالآيات القرآنية التي تتحدث عن أول بيت لله وضع في الأرض في مكة المكرمة وهو الكعبة المشرفة : (﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران : 96] وبعد حين من الزمن يطلب ربنا الكريم من ابراهيم واسماعيل وضع وبناء قواعد هذا البيت ليكون مركزا دنيويا لحج الناس جميعا اليه : (﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة : 127]

فبناء بيت الله العتيق لم يكن يحتاج الى كل هذه التكاليف الاسطورية ولم تبنى قواعده وأساساته وجدرانه من الذهب الخالص بل من حجارة المكان وقد بناه شخصان اثنان ولم يحتاج لهذه الألوف من العمال كما احتاج بناء بيت الله الاسرائيلي وفق ما تقوله الاسطورة العبرانية: ([13]وَسَخَّرَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ مِنْ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ، وَكَانَتِ السُّخَرُ ثَلاَثِينَ أَلْفَ رَجُل. [14]فَأَرْسَلَهُمْ إِلَى لُبْنَانَ عَشْرَةَ آلاَفٍ فِي الشَّهْرِ بِالنَّوْبَةِ. يَكُونُونَ شَهْرًا فِي لُبْنَانَ وَشَهْرَيْنِ فِي بُيُوتِهِمْ. وَكَانَ أَدُونِيرَامُ عَلَى التَّسْخِيرِ. [15]وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا يَحْمِلُونَ أَحْمَالاً، وَثَمَانُونَ أَلْفًا يَقْطَعُونَ فِي الْجَبَلِ، [16]مَا عَدَا رُؤَسَاءَ الْوُكَلاَءِ لِسُلَيْمَانَ الَّذِينَ عَلَى الْعَمَلِ ثَلاَثَةَ آلاَفٍ وَثَلاَثَ مِئَةٍ، الْمُتَسَلِّطِينَ عَلَى الشَّعْبِ الْعَامِلِينَ الْعَمَلَ.

فلماذا كل هذه الدعاية الاسرائيلية لتمجيد هذا البيت وبيان عظمته وروعته والذي استغرق بناءه سبع سنوات .

ان هذا كله يدل على أمرا واحدا فقط وهو ان بناء هذا البيت الخاص ببني اسحاق ويعقوب جاء محاكيا للبيت الذي بناه اسماعيل عليه السلام ي مكة المكرمة لذلك قد تفنن الكاتب التوراتي وأجهد نفسه وهو يتحدث عن فخامة بيتهم حتى صار أعجوبة زمانه فيبدو بيت اسماعيل النبي عليه السلام متواضعا من حيث تكلفته وعمرانه ومواد صنعه وكمية الذهب والفضة التي خصصت لبناء جدرانه وهيكله .

ملكة سبأ وملوك العرب وملوك الأرض يزورون سليمان عليه السلام

[1]وَسَمِعَتْ مَلِكَةُ سَبَا بِخَبَرِ سُلَيْمَانَ لِمَجْدِ الرَّبِّ، فَأَتَتْ لِتَمْتَحِنَهُ بِمَسَائِلَ. [2]فَأَتَتْ إِلَى أُورُشَلِيمَ بِمَوْكِبٍ عَظِيمٍ جِدًّا، بِجِمَال حَامِلَةٍ أَطْيَابًا وَذَهَبًا كَثِيرًا جِدًّا وَحِجَارَةً كَرِيمَةً. وَأَتَتْ إِلَى سُلَيْمَانَ وَكَلَّمَتْهُ بِكُلِّ مَا كَانَ بِقَلْبِهَا. [3]فَأَخْبَرَهَا سُلَيْمَانُ بِكُلِّ كَلاَمِهَا. لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ مَخْفِيًّا عَنِ الْمَلِكِ لَمْ يُخْبِرْهَا بِهِ. [4]فَلَمَّا رَأَتْ مَلِكَةُ سَبَا كُلَّ حِكْمَةِ سُلَيْمَانَ، وَالْبَيْتَ الَّذِي بَنَاهُ، [5]وَطَعَامَ مَائِدَتِهِ، وَمَجْلِسَ عَبِيدِهِ، وَمَوْقِفَ خُدَّامِهِ وَمَلاَبِسَهُمْ، وَسُقَاتَهُ، وَمُحْرَقَاتِهِ الَّتِي كَانَ يُصْعِدُهَا فِي بَيْتِ الرَّبِّ، لَمْ يَبْقَ فِيهَا رُوحٌ بَعْدُ. [6]فَقَالَتْ لِلْمَلِكِ: «صَحِيحًا كَانَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْتُهُ فِي أَرْضِي عَنْ أُمُورِكَ وَعَنْ حِكْمَتِكَ. [7]وَلَمْ أُصَدِّقِ الأَخْبَارَ حَتَّى جِئْتُ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ، فَهُوَذَا النِّصْفُ لَمْ أُخْبَرْ بِهِ. زِدْتَ حِكْمَةً وَصَلاَحًا عَلَى الْخَبَرِ الَّذِي سَمِعْتُهُ. [8]طُوبَى لِرِجَالِكَ وَطُوبَى لِعَبِيدِكَ هؤُلاَءِ الْوَاقِفِينَ أَمَامَكَ دَائِمًا السَّامِعِينَ حِكْمَتَكَ. [9]لِيَكُنْ مُبَارَكًا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي سُرَّ بِكَ وَجَعَلَكَ عَلَى كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ. لأَنَّ الرَّبَّ أَحَبَّ إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ جَعَلَكَ مَلِكًا، لِتُجْرِيَ حُكْمًا وَبِرًّا». [10]وَأَعْطَتِ الْمَلِكَ مِئَةً وَعِشْرِينَ وَزْنَةَ ذَهَبٍ وَأَطْيَابًا كَثِيرَةً جِدًّا وَحِجَارَةً كَرِيمَةً. لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِثْلُ ذلِكَ الطِّيبِ فِي الْكَثْرَةِ، الَّذِي أَعْطَتْهُ مَلِكَةُ سَبَا لِلْمَلِكِ سُلَيْمَانَ. [11]وَكَذَا سُفُنُ حِيرَامَ الَّتِي حَمَلَتْ ذَهَبًا مِنْ أُوفِيرَ، أَتَتْ مِنْ أُوفِيرَ بِخَشَبِ الصَّنْدَلِ كَثِيرًا جِدًّا وَبِحِجَارَةٍ كَرِيمَةٍ. [12]فَعَمِلَ سُلَيْمَانُ خَشَبَ الصَّنْدَلِ دَرَابَزِينًا لِبَيْتِ الرَّبِّ وَبَيْتِ الْمَلِكِ، وَأَعْوَادًا وَرَبَابًا لِلْمُغَنِّينَ. لَمْ يَأْتِ وَلَمْ يُرَ مِثْلُ خَشَبِ الصَّنْدَلِ ذلِكَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ. [13]وَأَعْطَى الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ لِمَلِكَةِ سَبَا كُلَّ مُشْتَهَاهَا الَّذِي طَلَبَتْ، عَدَا مَا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ حَسَبَ كَرَمِ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ. فَانْصَرَفَتْ وَذَهَبَتْ إِلَى أَرْضِهَا هِيَ وَعَبِيدُهَا.

يذكر النص ان ملكة سبأ الذي لم يسميها سمعت بحكمة سليمان عليه السلام فأتت الى أورشليم بموكب عظيم محملة بحمولة ذهب كبيرة وهل لم تصدق الأخبار التي ذاعت عنه في كل مكان وأعطته حجارة كريمة ومئة وعشرين وزنة ذهب وباركت له وبالرب وبالمقابل فقد أهداها كل ماتريد وتشتهي الذي طلبته وأنصرفت وذهبت الى مكانها .

وكما نعرف فقصة ملكة سبأ مع النبي سليمان عليه السلام تختلف كليا في الايات القرآنية عما ذكره النص التوراتي اعلاه فليس هي من سمعت بأخبارها وجاءت في زيارته لتتعلم منه الحكمة وتشاهد مملكته بل ان

أخبارها قد نقلها طائر (الهدهد) لسليمان عليه السلام الأمر الذي أدى الى دعوتها لطرفه ودعاها للأيمان بالله حيث بدأ رسالته لها بالبسملة وقد ذكرنا تفاصيل هذه القصة في مبحث سابق .

كرسي سليمان والعرش

[14]وَكَانَ وَزْنُ الذَّهَبِ الَّذِي أَتَى سُلَيْمَانَ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ سِتَّ مِئَةٍ وَسِتًّا وَسِتِّينَ وَزْنَةَ ذَهَبٍ. [15]مَا عَدَا الَّذِي مِنْ عِنْدِ التُّجَّارِ وَتِجَارَةِ التُّجَّارِ وَجَمِيعِ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَوُلاَةِ الأَرْضِ. [16]وَعَمِلَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ مِئَتَيْ تُرْسٍ مِنْ ذَهَبٍ مُطَرَّق، خَصَّ التُّرْسَ الْوَاحِدَ سِتُّ مِئَةِ شَاقِلٍ مِنَ الذَّهَبِ. [17]وَثَلاَثَ مِئَةِ مِجَنٍّ مِنْ ذَهَبٍ مُطَرَّق. خَصَّ الْمِجَنَّ ثَلاَثَةُ أَمْنَاءٍ مِنَ الذَّهَبِ. وَجَعَلَهَا سُلَيْمَانُ فِي بَيْتِ وَعْرِ لُبْنَانَ. [18]وَعَمِلَ الْمَلِكُ كُرْسِيًّا عَظِيمًا مِنْ عَاجٍ وَغَشَّاهُ بِذَهَبٍ إِبْرِيزٍ. [19]وَلِلْكُرْسِيِّ سِتُّ دَرَجَاتٍ. وَلِلْكُرْسِيِّ رَأْسٌ مُسْتَدِيرٌ مِنْ وَرَائِهِ، وَيَدَانِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ عَلَى مَكَانِ الْجُلُوسِ، وَأَسَدَانِ وَاقِفَانِ بِجَانِبِ الْيَدَيْنِ. [20]وَاثْنَا عَشَرَ أَسَدًا وَاقِفَةً هُنَاكَ عَلَى الدَّرَجَاتِ السِّتِّ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ. لَمْ يُعْمَلْ مِثْلُهُ فِي جَمِيعِ الْمَمَالِكِ. [21]وَجَمِيعُ آنِيَةِ شُرْبِ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ مِنْ ذَهَبٍ، وَجَمِيعُ آنِيَةِ بَيْتِ .

في النص مبالغة كبيرة في وصف ما يمتلكه النبي سليمان عليه السلام من ذهب حتى ان أواني قصره التي يأكل ويشرب بها هي منه وهذا أمر يدعو للاستغراب والدهشة لأن ذلك اسراف عظيم وكنز للذهب والفضة والله لا يحب المسرفين ويعتبر كنز الذهب والفضة جريمة وذنب كبير توعد ربنا الكريم بأقصى عقوبة لمن يفعل ذلك فكيف بنبي كريم يفعل ما نهى الله عنه .

لكن النصوص العبرية لا تتحدث عن نبي ورسول ورساله ودعوة انما تتحدث عن ملك من ملوك بني اسرائيل لذلك تراها تمجده وتبالغ في وصف قصره وغناه وقوته وجبروته .

زواج اسطوري وانحراف عن العبادة

[1]وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ: مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ [2]مِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمُ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «لاَ تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لاَ يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ» . فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهؤُلاَءِ بِالْمَحَبَّةِ. [3]وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلاَثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ، فَأَمَالَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ. [4]وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى،

وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. [5]فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتُورَثَ إِلهَةِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَمَلْكُومَ رِجْسِ الْعَمُّونِيِّينَ. [6]وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتْبَعِ الرَّبَّ تَمَامًا كَدَاوُدَ أَبِيهِ. [7]حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مُرْتَفَعَةً لِكَمُوشَ رِجْسِ الْمُوآبِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهَ أُورُشَلِيمَ، وَلِمُولَكَ رِجْسِ بَنِي عَمُّونَ. [8]وَهكَذَا فَعَلَ لِجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يُوقِدْنَ وَيَذْبَحْنَ لآلِهَتِهِنَّ. [9]فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لأَنَّ قَلْبَهُ مَالَ عَنِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَرَاءَى لَهُ مَرَّتَيْنِ، [10]وَأَوْصَاهُ فِي هذَا الأَمْرِ أَنْ لاَ يَتَّبعَ آلِهَةً أُخْرَى، فَلَمْ يَحْفَظْ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ. [11]فَقَالَ الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ: «مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذلِكَ عِنْدَكَ، وَلَمْ تَحْفَظْ عَهْدِي وَفَرَائِضِيَ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، فَإِنِّي أُمَزِّقُ الْمَمْلَكَةَ عَنْكَ تَمْزِيقًا وَأُعْطِيهَا لِعَبْدِكَ. [12]إِلاَّ إِنِّي لاَ أَفْعَلُ ذلِكَ فِي أَيَّامِكَ، مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ أَبِيكَ، بَلْ مِنْ يَدِ ابْنِكَ أُمَزِّقُهَا . [13]عَلَى أَنِّي لاَ أُمَزِّقُ مِنْكَ الْمَمْلَكَةَ كُلَّهَا، بَلْ أُعْطِي سِبْطًا وَاحِدًا لابْنِكَ، لأَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي، وَلأَجْلِ أُورُشَلِيمَ الَّتِي اخْتَرْتُهَا» .

أول من نلاحظه في النص انه يصور لنا النبي سليمان عليه السلام رجلا مزواجا تزوج من جميع الملل والشعوب والقوميات فكان له سبعمائة من الزوجات السيدات (الشرعيات) وثلاثمائة من السراري وهذا أمر يدعو للغرابة والدهشة ايضا فكيف لنبي أعطاه الله الحكمة والمال وسخر له الجن والريح والطير أن يكون شغله الشاغل النساء وحبهن وشغفهن .

والملاحظة الأخرى التي لا تقل خطورة ودهشة عن الأولى هي اتهام النص صراحة سليمان عليه السلام بمخالفة صريحة لما قاله الرب (²مِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمُ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «لاَ تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لاَ يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ» . فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهؤُلاَءِ بِالْمَحَبَّةِ ,) .

لذلك وفق مايرى كاتب السيرة السليمانية فأن الرب توعد سليمان بتمزيق مملكته (¹¹فَقَالَ الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ: «مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذلِكَ عِنْدَكَ، وَلَمْ تَحْفَظْ عَهْدِي وَفَرَائِضِيَ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، فَإِنِّي أُمَزِّقُ الْمَمْلَكَةَ عَنْكَ تَمْزِيقًا وَأُعْطِيهَا لِعَبْدِكَ.) .

خصوم سليمان ووفاته

¹⁴وَأَقَامَ الرَّبُّ خَصْمًا لِسُلَيْمَانَ: هَدَدَ الأَدُومِيِّ، كَانَ مِنْ نَسْلِ الْمَلِكِ فِي أَدُومَ. ¹⁵وَحَدَثَ لَمَّا كَانَ دَاوُدُ فِي أَدُومَ، عِنْدَ صُعُودِ يُوآبَ رَئِيسِ الْجَيْشِ لِدَفْنِ الْقَتْلَى، وَضَرَبَ كُلَّ ذَكَرٍ فِي أَدُومَ. ¹⁶لأَنَّ يُوآبَ وَكُلَّ إِسْرَائِيلَ أَقَامُوا هُنَاكَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ حَتَّى أَفْنَوْا كُلَّ ذَكَرٍ فِي أَدُومَ. ¹⁷أَنَّ هَدَدَ هَرَبَ هُوَ وَرِجَالٌ أَدُومِيُّونَ مِنْ عَبِيدِ أَبِيهِ مَعَهُ لِيَأْتُوا مِصْرَ. وَكَانَ هَدَدُ غُلاَمًا صَغِيرًا. ¹⁸وَقَامُوا مِنْ مِدْيَانَ وَأَتَوْا إِلَى فَارَانَ، وَأَخَذُوا مَعَهُمْ رِجَالاً مِنْ فَارَانَ وَأَتَوْا إِلَى مِصْرَ، إِلَى فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، فَأَعْطَاهُ بَيْتًا وَعَيَّنَ لَهُ طَعَامًا وَأَعْطَاهُ أَرْضًا. ¹⁹فَوَجَدَ هَدَدُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ جِدًّا، وَزَوَّجَهُ أُخْتَ امْرَأَتِهِ، أُخْتَ تَحْفَنِيسَ الْمَلِكَةِ. ²⁰فَوَلَدَتْ لَهُ أُخْتُ تَحْفَنِيسَ جَنُوبَثَ ابْنَهُ، وَفَطَمَتْهُ تَحْفَنِيسُ فِي وَسَطِ بَيْتِ فِرْعَوْنَ. وَكَانَ جَنُوبَثُ فِي بَيْتِ فِرْعَوْنَ بَيْنَ بَنِي فِرْعَوْنَ. ²¹فَسَمِعَ هَدَدُ فِي مِصْرَ بِأَنَّ دَاوُدَ قَدِ اضْطَجَعَ مَعَ آبَائِهِ، وَبِأَنَّ يُوآبَ رَئِيسَ الْجَيْشِ قَدْ مَاتَ. فَقَالَ هَدَدُ لِفِرْعَوْنَ: «أَطْلِقْنِي إِلَى أَرْضِي». ²²فَقَالَ لَهُ

وَيَرُبْعَامُ بْنُ نَابَاطَ، أَفْرَايِمِيٌّ مِنْ صَرَدَةَ، عَبْدٌ لِسُلَيْمَانَ. وَاسْمُ أُمِّهِ صَرُوعَةُ، وَهِيَ امْرَأَةٌ أَرْمَلَةٌ، رَفَعَ يَدَهُ عَلَى الْمَلِكِ. ²⁷وَهذَا هُوَ سَبَبُ رَفْعِهِ يَدَهُ عَلَى الْمَلِكِ: أَنَّ سُلَيْمَانَ بَنَى الْقَلْعَةَ وَسَدَّ شُقُوقَ مَدِينَةِ دَاوُدَ أَبِيهِ. ²⁸وَكَانَ الرَّجُلُ يَرُبْعَامُ جَبَّارَ بَأْسٍ، فَلَمَّا رَأَى سُلَيْمَانُ الْغُلاَمَ أَنَّهُ عَامِلٌ شُغْلاً، أَقَامَهُ عَلَى كُلِّ أَعْمَالِ بَيْتِ يُوسُفَ. ²⁹وَكَانَ فِي

ذلِكَ الزَّمَانِ لَمَّا خَرَجَ يَرُبْعَامُ مِنْ أُورُشَلِيمَ، أَنَّهُ لاَقَاهُ أَخِيَّا الشِّيلُونِيُّ النَّبِيُّ فِي الطَّرِيقِ وَهُوَ لاَبِسٌ رِدَاءً جَدِيدًا، وَهُمَا وَحْدَهُمَا فِي الْحَقْلِ. [30]فَقَبَضَ أَخِيَّا عَلَى الرِّدَاءِ الْجَدِيدِ الَّذِي عَلَيْهِ وَمَزَّقَهُ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ قِطْعَةً [31]وَقَالَ لِيَرُبْعَامَ: «خُذْ لِنَفْسِكَ عَشَرَ قِطَعٍ، لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: هأَنَذَا أُمَزِّقُ الْمَمْلَكَةَ مِنْ يَدِ سُلَيْمَانَ وَأُعْطِيكَ عَشَرَةَ أَسْبَاطٍ. [32]وَيَكُونُ لَهُ سِبْطٌ وَاحِدٌ مِنْ أَجْلِ عَبْدِي دَاوُدَ وَمِنْ أَجْلِ أُورُشَلِيمَ الْمَدِينَةِ الَّتِي اخْتَرْتُهَا مِنْ كُلِّ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ، [33]لأَنَّهُمْ تَرَكُونِي وَسَجَدُوا لِعَشْتُورَثَ إِلهَةِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَلِكَمُوشَ إِلهِ الْمُوآبِيِّينَ، وَلِمَلْكُومَ إِلهِ بَنِي عَمُّونَ، وَلَمْ يَسْلُكُوا فِي طُرُقِي لِيَعْمَلُوا الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنَيَّ وَفَرَائِضِي وَأَحْكَامِي كَدَاوُدَ أَبِيهِ. [34]وَلاَ آخُذُ كُلَّ الْمَمْلَكَةِ مِنْ يَدِهِ، بَلْ أُصَيِّرُهُ رَئِيسًا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ لأَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي الَّذِي اخْتَرْتُهُ الَّذِي حَفِظَ وَصَايَايَ وَفَرَائِضِي. [35]وَآخُذُ الْمَمْلَكَةَ مِنْ يَدِ ابْنِهِ وَأُعْطِيكَ إِيَّاهَا، أَيِ الأَسْبَاطَ الْعَشَرَةَ. [36]وَأُعْطِي ابْنَهُ سِبْطًا وَاحِدًا، لِيَكُونَ سِرَاجٌ لِدَاوُدَ عَبْدِي كُلَّ الأَيَّامِ أَمَامِي فِي أُورُشَلِيمَ الْمَدِينَةِ الَّتِي اخْتَرْتُهَا لِنَفْسِي لأَضَعَ اسْمِي فِيهَا. [37]وَآخُذُكَ فَتَمْلِكُ حَسَبَ كُلِّ مَا تَشْتَهِي نَفْسُكَ، وَتَكُونُ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ. [38]فَإِذَا سَمِعْتَ لِكُلِّ مَا أُوصِيكَ بِهِ، وَسَلَكْتَ فِي طُرُقِي، وَفَعَلْتَ مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ فِي عَيْنَيَّ، وَحَفِظْتَ فَرَائِضِي وَوَصَايَايَ كَمَا فَعَلَ دَاوُدُ عَبْدِي، أَكُونُ مَعَكَ وَأَبْنِي لَكَ بَيْتًا آمِنًا كَمَا بَنَيْتُ لِدَاوُدَ، وَأُعْطِيكَ إِسْرَائِيلَ. [39]وَأُذِلُّ نَسْلَ دَاوُدَ مِنْ أَجْلِ هذَا، وَلكِنْ لاَ كُلَّ الأَيَّامِ».

[40]وَطَلَبَ سُلَيْمَانُ قَتْلَ يَرُبْعَامَ، فَقَامَ يَرُبْعَامُ وَهَرَبَ إِلَى مِصْرَ إِلَى شِيشَقَ مَلِكِ مِصْرَ. وَكَانَ فِي مِصْرَ إِلَى وَفَاةِ سُلَيْمَانَ. [41]وَبَقِيَّةُ أُمُورِ سُلَيْمَانَ وَكُلُّ مَا صَنَعَ وَحِكْمَتُهُ أَمَا هِيَ مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أُمُورِ سُلَيْمَانَ؟ [42]وَكَانَتِ الأَيَّامُ الَّتِي مَلَكَ فِيهَا سُلَيْمَانُ فِي أُورُشَلِيمَ عَلَى كُلِّ إِسْرَائِيلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. [43]ثُمَّ اضْطَجَعَ سُلَيْمَانُ مَعَ آبَائِهِ وَدُفِنَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَمَلَكَ رَحُبْعَامُ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ

وهكذا تنتهي حياة النبي سليمان عليه السلام بوفاته بعد ان حكم مملكته أربعين عاما .

قصة النبي زكريا عليه السلام في القرآن والتوراة

قصة النبي زكريا في القرآم الكريم

ذكر اسم زكريا في ستة آيات في القرآن الكريم وهذه هي الايات :

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : 37]

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران : 38]

﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنعام : 85]

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ [مريم : 2]

﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : 7]

﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [الأنبياء : 89]

ناجي زكريا – عليه السلام – ربه بعيداً عن عيون الناس، بعيداً عن أسماعهم في عزلة يخلص فيها لله، ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ (مريم :3)، ويكشف له عما يثقل كاهله ويكره صدره ويناديه في قرب واتصال (رب أني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا)، بلا واسطة ولا حرف النداء، وإن ربه ليسمع ويرى من غير دعاء ولا نداء، ولكن المكروب يستريح إلى البثّ، ويحتاج إلى الشكوى، والله الرحيم بعباده يعرف ذلك من فطرة البشر، فيستجيب لهم أن يدعوه وأن يبثّوه ما تضيق به صدورهم ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر: 60)

ليريحوا أعصابهم من العبء المرهق، ولتطمئن قلوبهم إلى أنهم قد عهدوا بأعبائهم إلى من هو أقوى وأقدر، ليستشعروا صلتهم بالجانب الذي لا يضام من يلجأ إليه، ولا يخيب من يتوكل عليه.

تمهيد بديع للدعاء:

يُمهد زكريا – عليه السلام – في مناجاة ربّه بتمهيد جميل بديع للدعاء، يقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ (مريم: 4–6).

ويشكو زكريا إلى ربه وهن العظم، فحين يهن العظم يكون الجسم كله قد وهن، فالعظم هو أصلب ما فيه وهو قوامه الذي يقوم به ويتجمع عليه، ويشكو إليه (اشتعل الرأس شيبا) والتعبير المصور يجعل الشيب كأنه نار تشتعل، ويجعل الرأس كله كأنما تشمله هذه النار المشتعلة، فلا يبقى في الرأس المشتعل سواد، ووهن العظم واشتعال الرأس شيباً كلاهما كناية عن الشيخوخة وضعفها الذي يعانيه زكريا ويشكوه إلى ربه وهو يعرض عليه حاله ورجاءه.

ثم يعقّب عليه بقوله: (ولم أكن بدعائك رب شقيا)، معترفاً بأن الله قد عوّده أن يستجيب إليه إذا دعا فلم يشق مع دعائه لربه وهو في قنوته وقوته، فما أحوجه الآن في هرمه وكربته أن يستجيب الله له ويتم نعمته عليه، فإذا صور حاله، وقدم رجاءه ذكر ما يخشاه، وعرض ما يطلبه، إنه يخشى من بعده يخشاهم ألا يقوموا على تراثه بما يرضاه، وتراثه هو دعوته التي يقوم عليها، وهو أحد أنبياء بني إسرائيل البارزين وأهله الذي يرعاهم – ومنهم مريم التي كان قيّماً عليها وهي تخدم المحراب الذي يتولاه – وماله الذي يحسن تدبيره وإنفاقه في وجهه، وهو يخشى الموالي من ورائه على هذا التراث كله، وهو يخشى ألا يسيروا فيه سيرته.

وللإمام ابن كثير في التفسير توجيهات لطيفة في ذلك:

- الأول: خشي أن يتصرّف مواليه من بعده في الناس تصرفاً مسيئاً، فسأل الله ولداً يكون نبياً من بعده ليسوسهم بنبوته فاستجاب الله له.

ولم يخش من وراثة مواليه له ماله، فإن النبي أعظم منزلة وأجل قدراً من أن يشفق على ماله إلى هذه الدرجة، ومن أن يأنف من وراثة عصباته له، فسأل ربه أن يكون له ولد ليحوز ميراثه دونهم.

- الثاني: لم يذكر أنه كان ذا مال، بل كان نجاراً، يأكل من كسب يديه، ومثل هذا لا يجمع مالاً ولا سيما الأنبياء، فإنهم كانوا أزهد شيء في الدنيا .

- الثالث: لم يترك زكريا عليه السلام مالاً، لأن الأنبياء لا يورثون في أموالهم، فإن تركوا أموالاً فإنها تكون صدقة، ودليل ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا نورَث، ما تركنا فهو صدقة) .

ولذلك أراد زكريا عليه السلام بالوراثة في النبوة، ثم إن قول زكريا عليه السلام عن الولي الوارث (يرثني ويرث من آل يعقوب) هو كقول الله تعالى عن ورثة سليمان لابنه داود عليهما السلام ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ﴾ (النمل: 16) .

وقد بين العلماء في قصة سليمان عليه السلام أن وراثته لأبيه كانت وراثة في النبوة والملك، وهنا يريد زكريا عليه السلام ولياً ابناً، وارثاً له في النبوة وليس في المال، وعند بعض العلماء: كانت وراثته علماً، وكان زكريا من ذرية يعقوب، وقال البعض الآخر: أراد أن يرثه في نبوته وعلمه.

إذن، أراد زكريا عليه السلام أن يهبه الله ابناً ليكون ولياً له، وليرثه في النبوة والعلم، ويرث أنبياء، وهم آل يعقوب في النبوة والعلم.

﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾:

ولما طلب زكريا عليه السلام من ربه الولد، التفت التفاتة إيمانية أخلاقية سلوكية فقال: ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾، أي: رب اجعل ابني وارثي رضياً، و(رضيّ) بمعنى اسم مفعول (مرضيّ).

قال ابن كثير في تفسير (واجعله رب رضياً): أي مرضياً عندك، وعند خلقِك تحبُّه أنت، وتحببه إلى خلقك.

ولا ينسى زكريا النبي الصالح، أن يصوّر أمله في ذلك الوريث الذي يرجوه في كبره (واجعله رب رضياً) لا جباراً ولا غليظاً ولا متبطراً ولا طموعاً، ولفظة (مرضي) تلقي هذه الظلال، فالرَّضيُّ هو الذي يرضى ويُرضي، وينشر ظلال الرضى فيما حوله ومن حوله.

إن زكريا عليه السلام يريد أن يكون ابنه الوارث راضياً مرضياً رضياً، وأن تبنى شخصيته على الرّضى، وعندما يكون رضياً سيكون فرحاً سعيداً مسروراً، وستكون علاقته بالآخرين قائمة على السعادة واليسر والرضى، سيحبّهم ويحبونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه ويألف ويؤلف.

الرَّضيُّ ليس حادّاً ولا عصبيّاً ولا شاكياً، ليس معقداً ولا مكتئباً ولا حزيناً.

الرَّضيُّ سهل المعاملة واسع الصدر، حليم النفس، حسن الخُلق.

حليلة زكريا عليه السلام (من امرأة عاقر إلى زوج حامل):

كان الله عند حسن ظن زكريا، فاستجاب له، وكتب له الولد برحمته، وأجرى له معجزة خارقة، فامرأته عاقر لا يمكن أن تنجب في المنطق البشري القائم على الأسباب والعادات، ولكنها ستحمل وتضع بأمر الله إن أراد الله ذلك وهو فعّال لما يريد .

وأشارت إلى هذه الحقيقة آيات سورة الأنبياء، قال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ (الأنبياء: 89 -90) .

نادى زكريا ربه قائلاً (رب لا تذرني فرداً) أي لا تذرني وحيداً لا ولد له ولا وارث، يرثني في النبوة والعلم، وقال (وأنت خير الوارثين): هذه جملة حالية تفيد الدعاء، فهو يريد ابناً وارثاً يرثه ويرث من آل يعقوب (يرثني ويرث من آل يعقوب)، والوراثة المقصودة هنا هي الوراثة في النبوة والعلم، فأراد بقوله لربه (وأنت خير الوارثين) أي أنت خير من يبقى بعد كل من يموت، وأنا أعلم أنك لا تضيع دينك ولكنني أريد أن لا تقطع فضيلة القيام بأمر الدين عن عقبي من بعدي، فارزقني وارثاً يقوم بذلك.

استجاب الله دعاء زكريا عليه السلام، وكانت الاستجابة سريعة (فاستجبنا له)، وعبَّر عن الاستجابة بحرف الفاء، الدال على الترتيب مع التعقيب الفوري، وقد وهب الله له يحيى بعدما أصلح له زوجه (ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) أصلح له زوجه بعد أن جعلها قادرة على الإنجاب (بيولوجيا)، وكانت هذه معجزة خارقة، لأنها كانت عاقراً من قبل، والآن سوف تحمل وتنجب بأمر الله وإرادته.

وتعبير القرآن عن امرأة زكريا قبل الحمل وبعده عجيب لطيف معجز، فقبل الحمل أخبر أنها امرأة عاقر (وكانت امرأتي عاقراً)، وبعد الحمل أخبر أنها زوج له (ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) .

فالمرأة العاقر هي التي في رحمها مرض، أو داء يحول بينها وبين الحمل والإنجاب، وعندما يعاشرها زوجها فإنها تعقر ماءه، وتقطعه وتقضي على حيواناته المنوية ولا تفرز بويضة للإخصاب، وبذلك يذهب ماء زوجها سُدى بسبب هذا المرض. وإن زكريا عليه السلام يعلمُ أن امرأته عاقر وعندها داء أو آفة في رحمها، وعاش معها سنوات عديدة، لم تحمل منه ولم تنجب، ولما استجاب الله دعاء زكريا عليه السلام أزال عقدة امرأته وعقرها، وقضى على الآفة والداء الذي فيها والذي كان يقضي على ماء زوجها ويحول بينها وبين إفراز"البويضة".

واللطيف في التعبير القرآني أنه عدل عن كلمة (امرأة) إلى كلمة (زوج)، فلما كانت عاقراً أطلق عليها امرأة (وكانت امرأتي عاقراً)، ولكنها لما حملت أطلق عليها زوج (ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه). فلما كانت عاجزة عن الحمل كانت (امرأة) ولما أصبحت قادرة على الحمل صارت (زوجاً) لزكريا عليه السلام، وهذا يدلنا على عدم الترادف في المصطلحات القرآنية فالزوج والمرأة ليسا بمعنىً واحد، وهو حليلة الرجل مطلقاً.

لقد أطلق القرآن الكريم على حليلة الرجل امرأة له: إذا كان هناك عدم انسجام بينهما لسبب ماديّ أو معنوي نفسي، فإذا كانت لا تنجبُ فهي امرأة للرجل، لوجود خلل مادي بيولوجي، وإذا كان أحدهما مسلماً والآخر كافراً فهي امرأة له، كما قال القرآن: امرأة نوح، وامرأة لوط، وامرأة فرعون، أما إذا كان بينها وبينه انسجام مادي ومعنوي فهي زوج له وهو زوج لها، لأن المزاوجة تقوم على الاقتران والانسجام بينهما.

فلما أصلح الله حليلة زكريا عليه السلام وصارت قادرة على الحمل لم تعد مجرد امرأة له، وإنما أصبحت زوجاً تؤدي وظيفتها الزوجية (بيولوجيا)، وتحقق رسالتها الزوجية (عملياً)، وتحمل لزوجها في رحمها ابنه، وبذلك تحقق الاقتران، والتزاوج بينهما على أحسن وأفضل صورة.

بشارة الله لزكريا – عليه السلام – في المحراب:

بشر الله تعالى نبيه زكريا – عليه السلام – باستجابة دعوته قال تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (آل عمران: 39–40) .

لقد استجيبت الدعوة المنطلقة من القلب الطاهر، الذي علق رجاءه بمن يسمع الدعاء، ويملك الإجابة حين يشاء، وبشرت الملائكة زكريا بمولود ذكر اسمه معروف قبل مولده (يحيى)، وصفته معروفة كذلك: سيداً كريماً، وحصوراً يحصر نفسه عن الشهوات، ويملك زمام نزعاته عن الانفلات، ومؤمناً مصدقاً بكلمة تأتيه من الله، ونبياً صالحاً في موكب الصالحين.

لقد استجيبت الدعوة، ولم يحل دونها مألوف البشر الذي يحسبونه قانوناً، ثم يحسبون أن مشيئة الله سبحانه مقيدة بهذا القانون، وكل ما يراه الإنسان ويحسبه قانوناً لا يخرج عن أن يكون أمراً نسبياً – لا مطلقاً ولا نهائياً – فما يملك الإنسان وهو محدود العمر والمعرفة، وما يملك العقل وهو ملكوم بطبيعة الإنسان هذه، أن يصل إلى قانون نهائي ولا أن يدرك حقيقة مطلقة.

فما أجدر الإنسان أن يتأدب في جناب الله، وما أجدره أن يلتزم حدود طبيعته وحدود مجاله، فلا يخبط في التيه بلا دليل، وهو يتحدث عن الممكن والمستحيل، وهو يضع لمشيئة الله المطلقة إطاراً من تجاربه هو ومن مقرراته هو ومن عمله القليل.

ولقد كانت الاستجابة مفاجئة لزكريا نفسه – وهل زكريا إلا إنسان على كل حال– واشتاق أن يعرف من ربه كيف تقع هذه الخارقة بالقياس إلى مألوف البشر؟ (قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ) (قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) .

كذلك فالأمر مألوف مكرر معاد حين يرد إلى مشيئة الله وفعله الذي يتم دائماً على هذا النحو، ولكن الناس لا يتفكرون في الطريقة، ولا يتدبرون في الصنعة، ولا يستحضرون الحقيقة.

كذلك بهذا اليسر وبهذه الطلاقة يفعل الله ما يشاء، فماذا في أن يهب لزكريا غلاماً وقد بلغه الكبر وامرأته عاقر؟

إنما هذه مألوفات البشر التي يقررون قواعدها عليها، ويتخذون منها قانوناً، فأما بالقياس إلى الله، فلا مألوف ولا غريب، كل شيء مرده إلى توجيه المشيئة، والمشيئة مطلقة من كل القيود.

زكريا عليه السلام يطلب آية من الله عزَّ وجل:

إن شدة لهفة زكريا – عليه السلام – على تحقيق البشرى، ولدهشته المفاجئة على نفسه، إن آيته أن يحتبس لسانه ثلاثة أيام إذا هو اتجه إلى الناس، وأن ينطلق إذا توجه إلى ربه وحده بذكره وتسبيحه، ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ (آل عمران: 41).

ويسكت السياق هنا وتعرف أن هذا قد كان فعلاً، فإذا زكريا يجد في ذات نفسه غير المألوف في حياته وحياة غيره، لسانه هذا هو لسانه، ولكنه يحتبس عن كلام الناس وينطلق لمناجاة ربه، أي قانون يحكم هذه الظاهرة؟ إنه قانون الطلاقة الكاملة للمشيئة العلوية، فبدونه لا يمكن تفسير هذه الغريبة كذلك رزقه بيحيى وقد بلغه الكبر وامرأته عاقر.

كانت الآية العجيبة والمعجزة الباهرة في لسان زكريا عليه السلام، إن قومه يعرفون أنه متكلم بفصاحة وطلاقة ويعلمون أنه لا عيب في لسانه، ولكن بعد ما بشّر بالولد فوجئوا به لا يكلمهم إلا بالرمز والإيحاء والإشارة، واستمر الأمر على هذا ثلاثة أيام بلياليها.

كان زكريا عليه السلام في هذه الأيام الثلاثة على حالتين:

الحالة الأولى: عندما يخلو بنفسه ويكون وحيداً ليس معه أحد ولا يسمعه أحد، عند ذلك ينطلق لسانه بذكر الله وتسبيحه ويسمع نفسه وهو يسبح الله ويذكره.

الحالة الثانية: عندما يخرج على قومه، ويريد أن يكلمهم ويخاطبهم فإنه يعجز عن ذلك حيث يحبس لسانه عن الكلام بطريقة لا إرادية، عند ذلك يخاطبهم عن طريقة الرمز والإيحاء والإشارة.

وعندما يرى قومه ذلك كانوا يتعجَّبون، فما الذي حبس لسان زكريا عليه السلام عن الكلام؟ وما الذي جرى له؟ ولم يكن إمساك لسانه عن الكلام عندما يواجه الناس بسبب مرض أو خرس وإنما بمعجزة من الله، فهو سويٌّ صحيحٌ فصيحٌ متكلم، ولكن الله كان يمسك لسانه عن الكلام بطريقة لا إرادية، لا دخل لزكريا في ذلك.

لم يستطع أن يكلم الناس ثلاث ليالٍ سويّاً، أي: اعتقل لسانه من غير مرض ولا خرس، وهو صحيح وهو في ذلك يسبح ويقرأ التوراة، فإذا أراد كلام الناس لم يستطع أن يكلمهم إلا عن طريق الإيماء والإشارة، وهذا يدل على أنه الرمز والإيماء بالعين أو اليد صور من صور الكلام، ونوع من أنواع التعبير، فالذي لا ينطلق لسانه وإنما يستخدم حركات رأسه أو عينه أو شفتيه أو يده، فإنه يعبّر بهذه الحركات الرمزية عما في نفسه، ويفهم السامع منه كما يفهم منه إذا نطق بلسانه.

وقد جمعت آية آل عمران بين حالتي زكريا عليه السلام وهو يعيش المعجزة الربانية خلال الأيام الثلاثة صمته عند مواجهة الناس، ونطقه عندما يخلو إلى نفسه: ﴿ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ (آل عمران: 41).

وأمره الله بالإكثار من ذكره في هذه الأيام الثلاثة، وأخبره أنه لا يحبس لسانه عن تسبيح الله ولا يُمنع من ذكره، وذكرت الآية طرفي النهار، فإذا سبّح الله في طرفي النهار بالعشي والإبكار، فقد ذكره وسبّحه طيلة النهار.

والعشي: من وقت زوال الشمس بعد الظهر إلى أن تغيب، والإبكار: من وقت طلوع الفجر إلى وقت الضحى، وزكريا عليه السلام رغم منعه من الكلام إلا أنه يواصل ذكر الله عز وجل ويأمر الناس به حيث يشير إليهم بما يفهم منه دوام الذكر، وزكريا عليه السلام أنعم الله عليه بالصمت، وفي الصمت فكرة وعبرة، كما أنعم الله عليه بتوفيقه إلى الذكر، فاجتمع له الذكر مع الفكر، وذكر الله عز وجل من أسنى المقامات وأجل القربات ومن أفضل الأعمال ومن أسمى الأحوال، والذكر مطلوب في كل حال حتى يصير المؤمن على صلة بالله، وزكريا يواصل ذكر الله حتى وهو ممنوع عن الكلام، فالذكر من أيسر العبادات ومن أعظمها أجراً، وفي الحديث الشريف "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم".

ويواصل زكريا عليه السلام دعوة قومه إلى ذكر الله تعالى، وحين يمتنع عن الكلام فإن الإشارة توصل إلى المطلوب ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (مريم: ١١)، أي: أشار إليهم أن يداوموا على التسبيح في جميع الأوقات.

قصة النبي زكريا في التوراة

هناك سفر خاص اسمه سفر زكريا لا يذكر فيه كاتب التوراة أي تفاصيل عن حياته بل يسرد سلسلة من الأحلام والتكهنات التي لا يفهم منها شيئًا بينما تذكر بعض الأناجيل تفاصيل عن حياته عليه السلام وسنرى ذلك في الجزء الثاني من كتابنا هذا والمتعلق بدراسة العهد الجديد.

ختام الجزء الأول